

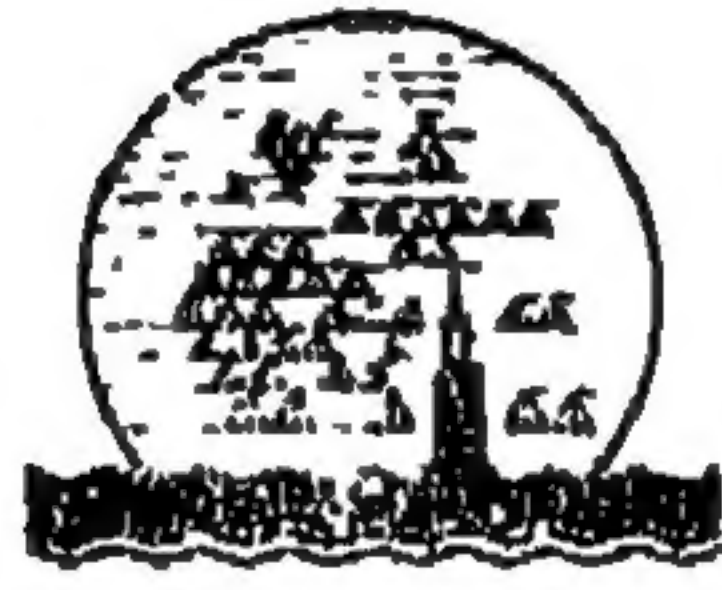
ابن عبد البر الاندلسي

وجهوده في التاريخ

ليث سعود جاسم



• ٢٣٦



المعهد الجاهلي لكتبة الإسكندرية

ابن عبد البر الاندلسي
وجهوده في التاريخ

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة في الإمام محمد عبده المراجعة الكلية الأنايب ت : ٢١٧٧٢١ / ٢١٧٧٢٠ / ٢١٧٧٢٠
لدى المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٢١٧١٢٢ . من . ب . ٢٢٠ فاكس DWFA UN 24007
قوى القاهرة : ١١ في شريف ت : ٧٠٤٦٠٦ / ٧٠٤٦١٧



ابن عبد البر الاندلسي
ومجهوده في التاريخ

ليث سعود جاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لقد زخر التاريخ الإسلامي بالأعلام والأفذاذ الذين كانوا ضياغة تلك الحضارة السامقة التي تجلى فيها جمال البناء على هدى وحي السماء .

وكان ابن عبد البر واحداً من هؤلاء الأفذاذ الذين واكبوا مسيرة الحياة على ذلك الهدى ، وأسهموا في رفع صرح تلك الحضارة ، فكان غرة على ناصية تاريخنا الإسلامي .

عرف ابن عبد البر « بحافظ المغرب » وهو لقب يطلق على علماء الحديث الذين بلغوا المنزلة السامية فيه علما وخلقا . وبين أيدينا من إنتاجه في علم الحديث ما يشهد بالإمامة له في هذا العلم الإسلامي الأصيل . وقد غلبت عليه الشهرة في ذلك .

ولكن الناظر في سيرة هذا العلم يجد نفسه أمام موسوعة علمية تضم علومًا شتى ولعل آثاره تنبيك عن أخباره .

فإذا أمعنا النظر في الجانب التاريخي عند ابن عبد البر وجدنا أن إنتاجه في هذا الجانب يُشكّل كما لا يستهان به .

وقد غطى به جوانب مهمة من المكتبة التاريخية مثل : السيرة النبوية ، وتراجم الصحابة والفقهاء ، وعلم الأنساب .

وقد شهد له كل من ترجم له بأن له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر وكانت هذه الشهادة من تلاميذه أمثال : الحميدى ، الذى كان ابن عبد البر أحد مصادره في كتابه « جذوة المقتبس » وابن حزم ، الذى أثنى على منهج ابن عبد البر في الاستيعاب .

بل إن الجيل الذى تلا جيل تلاميذه لم يستغن عن الاعتراف من علم ابن عبد

البر في الجانب التاريخي ، وقد نقل عنه ابن بشكوال في كتاب الصلة وجعله من مصادره الأساسية ، ثم إن ابن الأبار جعل ابن عبد البر مصدره في الرواية عن الرازي مؤرخ الأندلس .

ولعل ثناء ابن الأثير كان دقيقا ومعبرا عندما جعل كتاب الاستيعاب ضمن دائرة الكتب التاريخية ، لأنه نهج فيه نهجا يخالف من ألف في الصحابة ممن سبقه ، فمؤلفاتهم بكتب الحديث أشبه .

وأما في العصر الحديث فأول من ألمح إلى الجانب التاريخي عند ابن عبد البر هم المستشرقين أمثال نولدكه (NOLDEKE) وشيفير (SHEFER) وفيران (FERRAND) وذلك من خلال الكلام عن كتاب القصد والأهم وإفادته في الكشف عن بعض المعلومات في الجغرافية التاريخية .

ثم كانت خطوة الدكتور شوقي ضيف لتحقيق كتاب (الدرر في المغازي والسير) لابن عبد البر ووثوه من خلال مقدمة التحقيق إلى القيمة التاريخية لهذا النص ، الذي يتميز بالدقة والتحليل والترجيح بين الروايات على ضوء ثقافته الحديثية وحسه التاريخي وبين كذلك تأثر ابن حزم تلميذ ابن عبد البر بهذا الكتاب في كتابه جوامع السيرة الذي يكاد يكون نسخة أخرى من كتاب الدرر وإن لم يشر إلى ذلك ابن حزم . وقد أشار إلى ذلك محققا كتاب جوامع السيرة تخميناً قبل نشر كتاب الدرر .

وقد كانت هناك دراسات أكاديمية متخصصة لدراسة ابن عبد البر القرطبي ولكن في غير الجانب التاريخي . من ذلك : رسالة تقدم بها إسماعيل الندوي بكلية دار العلوم ونال بها درجة الماجستير في العلوم الإسلامية / تخصص شريعة سنة (١٣٨٤هـ — ١٩٦٤ م) وكان عنوانها (ابن عبد البر القرطبي وأثره في الحديث والفقه) .

ثم قدمت رسالة ثانية ، في جامعة الأزهر قدمها صالح أحمد رضا ونال بها درجة العالمية — الدكتوراه بقسم الحديث في كلية أصول الدين سنة

(١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م) . وكان عنوان الرسالة : (مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبد البر) .

وقدمت رسالة ثالثة في جامعة الملك عبد العزيز (أم القرى الآن) قدمها : الطاهر بن الصادق الأنصاري ، ونال بها درجة الماجستير ، بفرع الكتاب والسنة في كلية الشريعة سنة (١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م) وكان عنوان الرسالة : (ابن عبد البر النمرى مُحدثًا) .

وقد أفدت من هذه الرسائل في بعض الجوانب المتعلقة بموضوع البحث .

ومع ذلك كله بقي الجانب التاريخي عند ابن عبد البر بكرًا لم يقربه أحد ، حتى تيسرت الفرصة بتوجيه أستاذنا الدكتور أحمد شلبي ، حيث كان الاتجاه يوم تسجيلي الرسالة هو الكشف عن المؤرخين الذين غلبت عليهم جوانب ثقافتهم الأخرى فاشتهروا بها ، مع أنهم برعوا في الجانب التاريخي ، وكان يشكل في بنائهم العلمي خطأً أصيلاً .

وكان قد سبقني في ذلك زميل كريم هو الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح عويس . حيث أعدّ رسالته بتوجيه من أستاذنا الدكتور أحمد شلبي في الجانب التاريخي عند ابن حزم تلميذ ابن عبد البر . وعنوانها : (ابن حزم الأندلسي مؤرخًا) . نوقشت سنة (١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م) .

وقد قدمت مؤخرًا رسالة ما جستير بإشراف أستاذنا الدكتور إبراهيم العدوي بعنوان (الطبري ومنهجه في التاريخ) قدمها على بكر حسن بقسم التاريخ بكلية دار العلوم سنة (١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م) .

وقد واكب هذا الاتجاه جامعات أخرى حيث قدمت رسالة ماجستير بكلية البنات جامعة عين شمس أشرفت عليها الأستاذة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ، بعنوان (التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني على ضوء كتاب أنباء الغمر بأبناء العمر) وقدمها : محمد كمال الدين عز الدين سنة ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م وقد تبنى قسم التاريخ بكلية آداب جامعة بغداد مثل هذا الاتجاه ،

فقدمت رسالتان للدكتوراه :

الأولى : قدمها الأستاذ بشار عواد معروف « رئيس قسم التاريخ الآن » ونال بها درجة الدكتوراه ، عنوانها : (الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام) .

والرسالة الثانية قدمها الأستاذ الدكتور شاكى محمد عبد المنعم ، ونال بها درجة الدكتوراه ، وكان عنوانها : (ابن حجر العسقلانى ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده فى كتابه الإصابة) .

ثم استعنت بالله فى خوض غمار هذا البحث حول شخصية مشهورة ، ولكن مع شهرتها ، وثناء إنتاجها كانت سيرتها مجهولة إلا ماورد من بعض إشارات فى كتب التراجم من غير تفصيلات واضحة تعين على الإحاطة بسيرة هذا العلم . فحياته فى قرطبة وأطوارها غير معروفة . وخروجه من قرطبة وتوقيت ذلك الخروج مجهول ، وكذلك المدينة التى توجه إليها بعد قرطبة لم تكن معروفة ، سكنت المصادر عن تفصيل ذلك ثم رحلاته بين المدن الأندلسية لم تكن معلومة ، وكذلك الأوقات التى تمت فيها . وأسبابها ، وغير ذلك من الجوانب التى يحيط بها الغموض .

ومن الضرورى أن يحاط بهذه الجوانب ليتمكن الباحث من السير مع شخصية البحث لمعالجة الجانب الذى يود الكشف عنه . وقد حاول البحث أن يعطى صورة شبه كاملة لسيرة ابن عبد البر وحياته ، التى فقدت كثيرا من حلقاتها فى البحوث التى سبقت .

وقد اقتضى ذلك نبش كتب التراجم لجمع شتات الأقوال ، والتى غالبا ما تكون منقولة عن بعضها البعض مع التفرد أحيانا ببعض العبارات أو الإشارات .

ثم غربلة تراجم شيوخه ، وتلاميذه عسى أن نستخرج درة من صدفة من

خلال تراجعهم ، أو مؤلفاتهم .

وبعد ذلك سبرغور مؤلفاته في العلوم المختلفة . لعل الحظ يحالف في اقتناص لفظة ، أو بيت من الشعر ، أو موقف ، أو خبر يستخفى بين السطور .

ثم تأليف هذه المادة في عقد ينتظمها لتعطينا صورة أقرب إلى الواقع لسيرة ابن عبد البر وحياته . وأرجو أن أكون وفقت في ذلك .

ثم يَمُمْتُ وجهي بعد ذلك إلى تراثه المطبوع والمخطوط في الحديث والفقه والأدب ، وبخاصة التاريخ منه أستلهم الخطوط العامة لإطار البحث التاريخي عند ابن عبد البر ، ثم دراسة إنتاجه التاريخي للخروج بعد ذلك إلى استكشاف معالم شخصية ابن عبد البر المؤرخ ووضعها في ميزان النقد . ليتضح بعد ذلك ابن عبد البر مؤرخاً أصيلاً من المدرسة الأندلسية الثرة التي تعج بأمثاله الذين ينتظرون من يكشف عنهم ، ويقدمهم للأجيال الحاضرة بناء لصرح علم التاريخ في تلك البقعة التي أضاعتها حماقات أهلها .

تعريف بمصادر هذه الدراسة ومراجعتها :

أولاً : كانت مؤلفات ابن عبد البر المطبوع منها والمخطوط هي القاعدة التي قام عليها هذا البناء ، وقد عرفنا بكل مؤلفاته في الفصل الخامس الخاص بمؤلفات ابن عبد البر .

ثانياً : المصادر والمراجع الأخرى المخطوط منها والمطبوع .

والمصادر والمراجع التي سنذكرها هنا هي التي أسهمت بصورة مباشرة أساسية في إظهار هذا البحث :

١ - المخطوطات :

أ - الغنية : فهرس شيوخ القاضي عياض أسهمت في الكشف عن مؤلفات ابن عبد البر وتلاميذه مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (١٢٨٤) : تاريخ تيمور) .

ب — تاريخ الإسلام :

للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨ هـ) . وقد زودنا بمعلومات عن مؤلفات ابن عبد البر وشيوخه .

وهذا المخطوط في واحد وعشرين مجلدا ، تناول فيه كتابة الحوادث في السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠ هـ وقسمه إلى وحدات زمنية أمدها عشر سنوات أطلق عليها لفظ الطبقة ، ورتب حوادثه حسب السنوات . والنسخة التي اعتمدت مجلد يضم وفيات سنة (٣٠١ هـ — ٥٠٠ هـ) مصورة عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا ومحفوظة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .^(١)

ج — سير أعلام النبلاء : للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨ هـ) رتب الذهبي كتابه هذا على الطبقات فجعله من بداية الإسلام حتى سنة ٧٠٠ هـ تقريبا وقسمه إلى خمس وثلاثين طبقة . فجاء في ثلاثة عشر مجلدا ضخما . فأفرد المجلدين الأول والثاني للسيرة النبوية والخلفاء الراشدين ، وبدأ المجلد الثالث بسيرة العشرة المبشرين بالجنة . ثم كبار الصحابة فالتابعين .. وقد أورد فيه من الروايات أكثر مما أورد في تاريخ الإسلام . وتوسع في تراجمه ولم يضيف إليه جديدا من التراجم .

وقد نشرت الجامعة العربية ثلاثة أجزاء متوسطة الحجم ، وقد بدأت هذا المشروع سنة ١٩٥٦ م باعتناء د . صلاح الدين المنجد ، وتوقف هذا المشروع عند الجزء الثالث ، ثم نشر منه حسام الدين القدسي الجزء الخاص بالسيرة النبوية وأعطاه ترتيب الجزء الثاني .

ونشر تاريخ الخلفاء الراشدين وأعطاه ترتيب جزء ثالث على غير ترتيب المنجد .

(١) ذكر الدكتور بشار عواد بأن هذا المجلد ماهو إلا انتقاء من تاريخ الإسلام صنف في حياة الذهبي . انظر : الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام : ٢٨٦ .

(٢) انظر الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام : ١٧٥ — ١٧٧ .

وقد قامت دار الرسالة ببيروت مؤخراً بنشر الكتاب وصدر منه إلى الآن ثلاثة وعشرون مجلداً . وهذه خدمة جليلة للعلم والبحث حيث أخرج هذا الكتاب من أدراج المكتبات ليكون في متناول الباحثين .

وكان اعتماد البحث على القسم الأول من الجزء الثاني عشر حيث ترجم لابن عبد البر ترجمة وافية نفيسة .

د — التكملة لكتاب الموصول والصلة لابن الأبار :

وقد كان القسم الثالث فيه معلومات مهمة عن تلامذة ابن عبد البر ، وفيه ترجمة لابنته زينب وهو الكتاب الذى تفرد بهذه الترجمة ، كما ورد فيه خبر حضور مجاهد العامري مجلس ابن عبد البر وسماعه منه .

والخطوط منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لم تصنف بعد .

هـ — مقدمة كتاب الاستدكار لأبى طاهر السلفى :

وهى مقدمة فى عشرة ورقات صورتها عن المكتبة الظاهرية بدمشق ، وقد انفردت ببعض الأخبار عن ابن عبد البر ، وخاصة فى تحديد تاريخ ولادته ووفاته ، وبينت اهتمام السلفى بمؤلفات ابن عبد البر ، وحرصه على لقاء تلاميذ ابن عبد البر ورحلته لأجل هذا الغرض .

٢ — أما المصادر المطبوعة فأهمها :

أ — اليان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى (ت ٧١٢ هـ) :

وقد أسهم الجزءان الثانى والثالث فى دراسة الأحوال العامة فى عصر ابن عبد البر .

ب — أعمال الأعلام فى من بُيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام : للسان الدين الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) :

وقد اعتمد البحث على الجزء الثانى منه وهو من تحقيق بروفنسال ، وقد أسهم فى توضيح الأحوال السياسية فى عصر ابن عبد البر ، وكشف عن دور والد ابن

عبد البر ومكانته في الحياة القرطبية .

**ج - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام الشتريني
(ت ٥٤٢ هـ) :**

وقد عمل على تحقيقه الدكتور إحسان عباس (١٩٧٩ م) ط ١ . فأسدى خدمة جليلة للباحثين في ذلك بعد أن جمع شتات مخطوطاته من مكتبات العالم ، وأصدره بأربعة أقسام ، وقسم كل قسم إلى جزئين أغلب اعتمادي على الأقسام الثلاثة الأولى والجزء الأول من القسم الرابع .

د - التكملة لكتاب الموصول والصلة : لابن الأبار :

حققه عزت العطار الحسيني ، وقد أكمل الأربعين ملزمة من آخر الجزء الثاني الشيخ عبد الغنى عبد الخالق رحمه الله بعد وفاة الشيخ عزت العطار . ونشر الكتاب مكتبة الخانجي بالقاهرة ، والكتاب يتضمن معلومات مهمة عن تلاميذ ابن عبد البر وشيوخه ، ومعلومات عن مؤلفاته وأحفاده .

هـ - إعتاب الكتاب : لابن الأبار :

وقد استفاد البحث منه في ترجمة ابن عبد البر الابن وطبيعة علاقته بالمعتضد ابن عباد . وقدم والده إليه لإخراجه من سجن المعتضد .

و - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري :

وقد أفدت من هذا البحث في النواحي السياسية وترجمة ابن عبد البر وأقرانه وتلاميذه وشيوخه . وبخاصة الأجزاء الستة الأولى .

ز - كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي :

وأفدت من هذا الكتاب في الباب الثالث عند الكلام عن نقد الخبر عند المسلمين .

وكذلك كتاب التقييد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح لعبد الرحيم العراقي .

٣ — المراجع الحديثة :

أ — موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية : لأستاذنا الدكتور أحمد شلبى :

وقد استفدت فى هذا البحث من :

- ١ — الجزء الأول ط ١٠ (١٩٨١ م) : وذلك فيما يخص السيرة النبوية وتدوينها ، وقد اعتمدت عليها عند دراسة فائدة التاريخ ومفهوم مبدأ الالتزام .
- ٢ — الجزء الرابع ط ٤ (١٩٧٧ م) : وقد استفدت من هذا الجزء فى التمهيد عن الأحوال العامة فى عصر ابن عبد البر .

ب — موسوعة النظم والحضارة الإسلامية :

- ١ — السياسة فى الفكر الإسلامى : الجزء الثالث : ط ٤ (١٩٨٣ م) استفدت منه فى التمهيد عند الكلام عن الأحوال السياسية .

- ٢ — تاريخ التربية الإسلامية : الجزء الخامس ط ٦ (١٩٧٨ م) استفدت به عند الكلام عن دراسات ابن عبد البر الأولى وثقافته .

ج — التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة : لأستاذنا الدكتور عبد الرحمن على الحجى :

وقد استفدت به فى التمهيد وخاصة عند الكلام عن الدعوة إلى التوحيد ، ودور العلماء فيها ، ومتى بدأت .

د — علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس وبالدول الإسلامية للدكتور إبراهيم خليل السامرائى :

واستفدت منه فى التمهيد السياسى وخاصة عند الكلام عن الفتنة القرطبية وآثارها .

ه — منهج النقد التاريخى الإسلامى الأوروبى

للدكتور عثمان موافى ، أستاذ النقد الأدبى فى جامعة الاسكندرية / كلية الآداب ، وقد أفدت فى هذا الكتاب فى بناء مادة الباب الثالث الخاص بمنهج نقد الخبر عند المسلمين ومقارنته بالمنهج الأوروبى فى النقد .

و - المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل :

دكتور . فاروق حمادة أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الرباط بالمغرب ، أسهم هذا الكتاب فى بناء الباب الثالث عند استكشاف منهج نقد الخبر عند المسلمين .

ز - النقد التاريخى لأنجلوا وسينوبوس ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوى ، وقد استفدت منه عند المقارنة بين منهج النقد عند المسلمين والأوروبيين .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على عشرات من الكتب الأخرى التى أسهمت فى إخراج هذا البحث وقد ذكرنا هنا المخطوطات والمصادر والمراجع التى استقى منها البحث أغلب مادته .

وهناك العشرات من الكتب التى ذكرت فى هوامش الرسالة سواء من المخطوطات والمصادر والبحوث والمقالات التى اطلع عليها الباحث ، ولكنها لم تدخل فى معالجة أحداث البحث بصورة مباشرة . فلذلك لم أذكر فى قائمة المصادر والمراجع إلا ما استخدمته ونقلته عنه .

ز - النقد التاريخى لأنجلوا وسينوبوس :

ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ، وقد استفدت منه عند المقارنة بين منهج النقد عند المسلمين والأوروبيين .



الباب الأول
الأحوال العامة في
عصر ابن عبد البر

أولا : الأحوال السياسية في عصر ابن عبد البر

عاشت الأندلس عصرها الذهبي في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وكان لعبد الرحمن الناصر (٢٧٧ — ٣٥٠ هـ) (٩٨٠ — ٩٦١ م) الذي تولى الخلافة لمدة خمسين سنة (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ) (٩١٢ — ٩٦١ م) الدور الكبير في استقرار الدولة الأندلسية بعد تشتت وفتن عانى منها المجتمع الأندلسي في القرن الثالث ، وخاصة في أواخره ، ولكن حزم الناصر وقوته وضعت حدا لكل وهن في المجتمع الأندلسي سياسيا كان أو ثقافيا ، وغدت الدولة الإسلامية في الأندلس مرهوبة الجانب في الخارج ، بل بدأت الدول النصرانية تكسب ودها وتبادل السفارات معها .

ثم خلفه ابنه الحكم المستنصر الذي دامت خلافته من (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ — ٩٦١ — ٩٧٦ م) ، وقد سار على أثر والده في الحزم السياسي في الداخل والخارج ، وزاد عليه اهتماما مباشرا بالثقافة وتنميتها وشجع العلماء بإكرامهم وتهيئة الفرص لكل مبرز في جانب من جوانب العلوم بصورة عامة ، فعم الاهتمام بالتأليف ، وعقد مجالس المناظرات العلمية^(١) ، وعمل على استقدام العلماء من أنحاء العالم الإسلامي الأخرى ليسهموا في إثراء النشاط العلمي في الأندلس وكان هذا سمته حتى وافته منيته في اليوم الثاني من صفر سنة (٣٦٦ هـ — ٩٧٦ م) وقد دام حكمه خمسة عشر عاما .^(٢)

وقبل أن يتوفى المستنصر عهد إلى هشام ابنه بالأمر ، وأخذ العهد من كبار رجال الدولة ، ومشاهير فقهاء على بيعته^(٣) ، وكتب ذلك في كتاب أشهد عليه « من الأعلام هضاب راسية ، ونخار من العلم زاخرة ، وأعلام قولهم مسموع وبرهم

(١) انظر الحلة السيرة : ابن الأبار : ١ / ٢٠٣ ، وانظر جمهرة أنساب العرب : ابن حزم : ١٠٠ .

(٢) دولة الإسلام . عمان ص ٥١٧ وانظر تاريخ الأندلس : العادي ٢٣٨ .

(٣) أعمال الأعلام : ابن الخطيب : ٢ / ٤٣ — ٤٤ والبيان المغرب : لابن عذاري ٢ / ٢٤٩ .

مشروع وأثرهم متبوع^(١) وأورد ابن الخطيب^(٢) قائمة بأسمائهم وذكر فيهم والد ابن عبد البر واسمه عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم التمرى وكان ذلك في سنة (٣٦٥ هـ — ٩٧٥ م) مستهل جمادى الآخرة .. فالتزمت بيعته وأخرجت نظائره من كتب البيعة ليقع شهادة كل من التزمها^(٣).

الصراع على السلطة بعد المستنصر :

ولقد شهدت قرطبة صراعات سياسية داخل أروقة الحكم من حين وفاة الحكم المستنصر إلى حين سيطرة ابن أبي عامر وتفرد به بإدارة الدولة وتلقبه بالمنصور في ظل خلافة صورية لهشام المؤيد ابن الحكم المستنصر .

وكان الصراع في بدايته بين اتجاهين :

الأول : المعارضين لتولية هشام بن الحكم المستنصر .

والثاني : المؤيدين لتولية هشام .

وكانت المعارضة لتولية هشام يقودها الصقالبة ، وعلى رأسهم الفتيان فائق وجوذر اللذان كانا يحرصان على بقاء الخلافة الأموية ، ولضمان ذلك رأيا أن يكون على رأسها خليفة يتسم بصفات تؤهله لهذا المنصب ليحفظها ، لخشيتهما ضياع الخلافة من هشام « لصغر سنه وإنكار الناس لتقدمه »^(٤) ، لذا عزموا على « رد الأمر للمغيرة بن الناصر أخى مولاهاما الحكم^(٥) » بعد أن علما بوفاة الأخير « على أن يُقر ابن أخيه هشاماً على العهد بعده » ، وبذلك بغيا « لمولاهاما — الحكم — بارتقاب كبر ولده ، ويكون الملك في أيديهما بحاله »^(٦).

(١) أعمال الأعلام : ٢ / ٤٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٥٠ .

(٣) البيان المغرب : لابن عدارى : ٢ / ٢٤٩ .

(٤) (٥) (٦) (٧) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٠ ، وانظر تاريخ العرب في أفريقيا والأندلس : ١٥٦ —

١٥٧ ، وانظر دولة الإسلام : ٥١٧ .

أما اتجاه المؤيدين لتولية هشام بن الحكم فكان يمثل جعفر بن عثمان المصحفى (٣٧٢ هـ - ٩٨٢ م) حاجب الحكم المستنصر ، « ووزيره الأخص »^(١) ومحمد بن أبى عامر (٣٢٧ - ٣٩٢ هـ = ٩٤٠ - ١٠٠٢ م) وكيل هشام بن الحكم^(٢) ، « وصاحب شرطته الوسطى والسكة والمواريث »^(٣) وغيرهما من المتفذين من وجوه قرطبة وقواد الجند . وكان المتطلع الحقيقى للهيمنة على الأمر فى هذه المجموعة جعفر بن عثمان المصحفى وابن أبى عامر .

وقد بدأ الصراع بعد وفاة الحكم مباشرة بين المؤيدين والمعارضين لهشام بن الحكم ، وذلك حتى اتفق على إخفاء موت الحكم الفتيان الصقلييات « فائق المعروف بالنظامى صاحب البرد والطرار »^(٤) ، « وجؤذر صاحب الصاغة والبيازرة »^(٥) .

(١) البيان المغرب ٢٠ / ٢٥١ وانظر الذخيرة ٤ : ١ / ٦٠ طعة بيروت ، وانظر الحلة : ١ / ٢٥٧ - ٢٦٧ .

(٢) البيان المغرب : ٢ / ٢٥٤ وانظر الحلة : ١ / ٢٦٨ - ٢٧٧ ، والوكالة هنا القيام بالنيابة فى قضاء الأعمال الخاصة - هشام وأمه وولى ذلك فى سنة ٣٥٦ هـ .

(٣) صاحب الشرطة الوسطى : وهى : إما وظيفة خاصة بالطبقة الوسطى على قول بروفنسال أو هى لقب فحرى يمنحه الخلفاء لمن ساءلهم تحقيق محمود على مكى : ٢٨٧ .

وصاحب السكة : أى الإشراف على دارسك النقود وضربها وولى ذلك سنة ٣٥٦ هـ وصاحب المواريث : وهو المسؤول عن تقسيم الأنصبة على الورثة بعد حسابها . وولياها ابن أبى عامر فى (٣٥٨ هـ) : انظر البيان المغرب ٢ / ٢٥١ .

(٤) وكان فائق رأس الصقالبة فى وقته . وصاحب البرد والطرار : المسؤول عن مخازن الملابس السلطانية ومصانعها : انظر البيان المغرب ٢ / ٢٥٩ . والبرد مفردا وهو : نوع من الثياب المخططة الموشاة : انظر لسان العرب ط ١ ١٩٨٠ م دار المعارف : ١ / ٢٥٠ ، و الطراز : ما ينسج من الثياب للسلطان ويطلق على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الحياد . انظر لسان العرب ٣ / ٢٦٥٥ وانظر المقدمة ٢ / ٧٠٨ .

(٥) وكان جؤذر وفائق من مقدمى الصقالبة . وصاحب الصاغة : صاغ الشيء سبكه والصاغة : جمع صائغ وهم الذين يصوغون الحلى . فصاحب الصاغة : هو المسؤول عن هؤلاء الذين يشتغلون لصياغة ما يحتاج السلطان من حلى ، أو أنه مسئول عن خزائن حلى الدولة . انظر اللسان ٣ / ٢٥٢٧ .

وصاحب البيازرة : البياز : الذى يحمل البازى ، ويقال البازيار وكلاهما دخيل والبيازرة جمع بيزار ، انظر اللسان ١ / ٢٧٤ ، فجؤذر كان المسؤول عن هؤلاء الذين يهتمون بصقور السلطان ويحملونها عند الخروج للصيد .

كانت خطة جُؤذر وفائق عدم الإخبار بوفاة الحكم ، ثم إقناع المغيرة على قبول مبايعته خليفة بعد الحكم بدل هشام بن الحكم ، وأشار جُؤذر على فائق بقتل الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى. ولكن فائقاً رفض ذلك وآثر استشارة جعفر فوافقه فائق^(١).

وعرضاً الأمر على جعفر المصحفى فوافقهما ظاهراً ، ولكنه ما أن خرج من عندهما حتى استدعى وزراء الدولة أمثال ابن عامر ، وزيد بن أفلح^(٢) ، ومحمد ابن قاسم ، وهشام بن محمد بن عثمان ، وطلب « بنى برزال إذ كانوا بطانة جعفر المصحفى من سائر الجند »^(٣)، فتعى لهم الخليفة وكشف لهم عن « مذهب الصقالبة فى نكث بيعة هشام » وبين لهم ضرر ذلك عليهم بقوله :

« إن حبسنا الدولة على هشام أمنا على أنفسنا ، وصارت الدنيا فى أيدينا ، وإن انتقلت إلى المغيرة استبدل بنا ، وطلب شفاء أحقادهم »^(٤)

فاشار جعفر المصحفى عليهم بقتل المغيرة أنحا الحكم ، فوافقوا بإجماعهم على ذلك ، ولكنهم ترددوا فيمن سينفذ ذلك ، (فكفوا وجبنوا فبادرهم ابن أبى عامر وقال : يا قوم إني أخاف فساد أمركم ، ونحن تبع لهذا الرئيس — وأشار إلى جعفر — فينبغى ألا نختلف عليه ، وأنا أتحمل ذلك عنكم ... فأعجب جعفر والجماعة ما كان منه وولّوه شأنه »^(٥).

فتوجه محمد بن أبى عامر إلى المغيرة ، ودخل عليه فوجده لا يعلم بخبر موت

(١) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٠ وانظر الذخيرة ٤ : ١ / ٥٨ .

(٢) وكان من موالى الناصر ووزيراً من وزراء المنصور بن أبى عامر بعد ذلك انظر الحلة السيرة : لابن الأبار : ١ / ٢٧٨ ودولة الإسلام : ٥١٧ — ٥١٨ .

(٣) بنو برزال رُحط من قبيلة زنائة البربرية موطنهم الأول وسط الجزائر الحالية فيما كان يعرف بالزاب الأسفل ، دخلوا الأندلس زمن الحكم المستنصر واستعان بهم ابن أبى عامر بعد ذلك وعند انبهار الخلافة كُتِبوا لهم فى سنة : ٤٠٣ هـ دولة فى قرْمُوثة ، انظر البيان المغرب ٣ / ٢٦٨ والحلة السيرة : الهامش : ٢ / ٥٠ .

(٤) الذخيرة ٤ : ١ / ٥٨ ، البيان المغرب : ٢ / ٢٦٠ .

(٥) البيان المغرب : ٢ / ٢٦١ .

الحكم ، فنعاه إليه ، وأخبره بأن وزراء الحكم بلغهم رفضه لبيعة هشام ابن الحكم ، فكذب المغيرة ذلك ، وأبدى استعدادة لبيعة هشام ، فأسقط في يد محمد بن أبي عامر ، فأرسل إلى جعفر المصحفي يخبره بموقف المغيرة ، ولكن جعفر طلب إتمام قتله ، فقتله محمد بن أبي عامر ، ثم أشيع بأن المغيرة قد قتل نفسه ^(١) لخروج الأمر من يديه .

ولما بلغ الخبر الفتيان فائق وجؤذربادرا للاتصال بجعفر المصحفي ليعتذرا إليه عن اقتراحهما فكرة تولية المغيرة ، وليدفعوا عن نفسيهما جريرة الانتقام ^(٢) . فأبدى لهما جعفر المصحفي الرضى ظاهراً ، ولكنه بدأ في بث العيون والرقباء ، وعمل على احتواء أتباعهم بواسطة محمد بن أبي عامر ، الذي استمال خمسمائة منهم فضلاً عن سائر إجنـد الآخرين ، وذلك بإغرائهم بالمال ^(٣) ، وبالتالي ضعفت شوكة جؤذر وفائق اللذين آثرا ترك قصر الخلافة والإقامة في منزليهما ^(٤) . ونصب الحاجب جعفر المصحفي الفتى سكرّاً رأساً للصقالبة الذين بقوا على ولائهم . فسكنت بذلك نفوسهم ، واستتب الأمر لجعفر بعد أن خلا الجو من المعسكر المنافس لجعفر وأصحابه ، والمعارض لخلافة هشام بن الحكم ^(٥) . وبعد أن أبعد معسكر المعارضة عن مراكز التأثير ببيع لهشام بن الحكم وذلك في «يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة (٣٦٦هـ - ٩٧٦م) بعهد من أبيه» ^(٦) وتلقب بالمؤيد ^(٧) ، «وكان لابن أبي عامر في أخذها أثر كبير تذاكره الناس» ^(٨) .

(١) انظر نفس المصدر : ٢ / ٢٦١ وانظر دولة الإسلام : ٥١٨ وانظر نفح الطيب ١ / ٣٩٦ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٢ وانظر دولة الإسلام : ٥١٨ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٢ / ٢٦٣ ، وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٠ .

(٤) أما جؤذر فإنه تأمر على ابن أبي عامر بعد استيلائه على الأمر مؤيداً لأحد أحفاد الناصر وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر .

انظر هامش الحلة السيرة : ١ / ٢٧٩ .

(٥) وأما فائق فإنه اعتزل في جزيرة مبورقة ومات هناك ، انظر : البيان المغرب ٢ / ٢٦٣ ، وأعمال الأعلام : ٢ / ٦٠ .

(٦) الحلة السيرة الهامش : ١ / ٢٧٩ .

(٧) البيان المغرب ٢ / ٢٦٤ ودولة الإسلام : ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٨) ٨ ، ٩ ، البيان المغرب ٢ / ٢٦٤ .

(١٠) نفس المصدر ٢ / ٢٦٢ .

«فلما كان يوم السبت السادس من جلوس هشام ، (وهو العاشر من صفر سنة ٣٦٦ هـ) قلّد هشام حجابته ... أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفي»^(١) ، وفي نفس اليوم قلّد هشام المؤيد محمد بن أبي عامر الوزارة ، وجعله مساعداً لجعفر المصحفي في إدارة الدولة .^(٢)

انتهر ابن أبي عامر هجوم النصارى على بعض المدن الأندلسية فأشار على جعفر المصحفي بتجهيز جيش ، وأبدى استعداداه لقيادته بعد أن رفض ذلك غيره من القادة ، ولكنه طلب اختيار جنده ، وأن يجهز جيشه بمائة ألف دينار واستكثر ذلك بعض القادة ولكنهم تراجعوا أمام إصرار ابن أبي عامر ، بل أبدى استعداداه للصّرف على الجيش من حسابه الخاص ، وكان هذا أول خطوات ابن أبي عامر^(٣) للسلطة .

خرج ابن أبي عامر بجيشه هذا في الثالث من رجب سنة (٣٦٦ هـ) ، ورجع منتصرا بعد ثلاثة وخمسين يوماً محملاً بالغنائم ، مما زاد التفاف الجند حوله لما رأوه من كرم عشرته ، وحسن معاملته ، فأدرك منهم بذلك أمله ومطلوبه وضمن تأييدهم له .^(٤)

الرؤوس المتساوية :

ثم بدأ الصراع الحقيقي بين جعفر المصحفي ، ومحمد بن أبي عامر الذي كان يُخطط للوثوب إلى السلطة ، وبالتالي كان عليه أن يُصفي كلّ العقبات التي تقف في سبيله . وأولها جعفر المصحفي ، لذا بدأ ابن أبي عامر باستمالة القادة الآخرين الذين كانوا ينفثون على جعفر المنزلة التي قدّمه إليها الحكم المستنصر فنقذ ابن أبي عامر إليهم من هذه الثغرة ، وكان على رأس هؤلاء « الوزير أبي تمام غالب الناصري

(١) (٢) نفس المصدر ٢ / ٢٥٤ .

(٣) انظر نفس المصدر ٢ / ٢٦٤ ، وانظر دولة الإسلام : ٥٢٧ .

(٤) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٤ .

(٥) انظر نفس المصدر : ٢ / ٧١ - ٢٧٢ وكان على رأس هذه القيادات بنو أبي عبدة . وسو شهيد وبنو جهور وبنو فطس من الموالي .

صاحب مدينة سالم^(١)، والثغر الأدنى^(٢)، شيخ الموالى قاطبة، وفارس الأندلس يومئذ، وكانت بينه وبين جعفر المصحفي عداوة ومنافسة، فعمل ابن أبي عامر على ترقيته بتوسطه لدى أم الخليفة المؤيد، فعين الخليفة المؤيد غالباً الناصري قائداً للجيش الأندلسي في الثغر الأدنى، وعُهد إلى ابن أبي عامر بالقيادة المركزية للجيش في قرطبة، وزادت الرابطة بين غالب وابن أبي عامر توثقاً في غزوة الصائفة التي^(٣) خرج فيها ابن أبي عامر في أول شوال سنة (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) حيث غنم المسلمون أوسع غنيمة^(٤).

وعند رجوع ابن أبي عامر إلى قرطبة بالغنائم استمال بذلك قلوب العامة والخاصة، وظهر صيته، وكافأه الخليفة بأن ضم إليه وظيفة (صاحب المدينة)، التي كان يشغلها محمد بن جعفر المصحفي، فضبط محمد بن أبي عامر المدينة ضبطاً صارماً أَمِنَ فيه الناس على أنفسهم من المجرمين^(٥)، «وقمع أهل الفسق والدعارت»^(٦)، «وسد باب الشفاعات»^(٧) «فانقمع الشر في أيامه جملة»^(٨) لكفائته ونزاهته.

حاول جعفر المصحفي الالتفاف على ابن أبي عامر وذلك بمكاتبة غالب يخطب إليه ابنته أسماء، فوافق غالب. ولكن ابن أبي عامر كائب غالباً يعاتبه على هذا الفعل وينشده عهده فحل غالب عقدة جعفر وأنكح ابن أبي عامر^(٩).

(١) وهي مدينة في شمال الأندلس وكانت عاصمة الثغر الأوسط، انظر جغرافية الأندلس: هامش ٩٥.
(٢) الثغر وجمعها ثغور هو كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفرجة في الحائط، وكان يربط بها المجاهدون من العلماء وغيرهم: مرصد الاطلاع ١ / ٢٩٧. واستعمل الأندلسيون هذا الاصطلاح للدلالة على حدودهم المجاورة لإسبانيا المسيحية وكان للأندلس ثلاثة ثغور: الأعلى، والأوسط، والأدنى، والثغر الأدنى: يشمل المنطقة الواقعة بين نهري دُوَيْرَة وتاجة. انظر هامش جغرافية الأندلس للكبرى تحقيق د. عبد الرحمن الحجي ص ٩٥.

(٣) الصائفة: الغزوة في الصيف، انظر لسان العرب ٣ / ٢٥٣٨.

(٤) انظر البيان المغرب ٢ / ٢٦٥.

(٥) نفس المصدر: ٢ / ٢٦٦ ودولة الإسلام: ٥٢٨. وصاحب المدينة: هو المتصرف بشؤونها المحافظ على مرافقتها وهو كالمحافظ في عصرنا. انظر قرطبة في العصر الإسلامي ٢٢٩.

(٦)، (٧)، (٨) البيان المغرب: ٢ / ٢٦٦.

(٩) انظر نفس المصدر ٢ / ٢٦٧ وانظر الذخيرة: ٤: ١ / ٦٤ ودولة الإسلام ٥٢٩.

وخرج ابن أبي عامر في غزوته الثالثة في غرة صفر سنة (٣٦٧ هـ = ٩٧٧ م) متوجها إلى طليطلة أولا حيث التقى بصهره غالب الناصري ومنها متوجها إلى الاستيلاء على بعض الحصون ثم حاصرا شَلْمَنْقَةَ^(١) واستوليا على بعض أطرافها .

ولما قفل ابن أبي عامر راجعاً إلى قرطبة بالغنائم زاد الخليفة في ترقيته فمنحه لقب (ذو الوزارتين) . ثم استقدم الخليفة المؤيد غالب الناصري وابنته وتولى تزويجها لمحمد بن أبي عامر ، وجعل هدية زواجه وظيفة الحجابة التي طالما تطلع إليها ابن أبي عامر وخطط للوصول إليها . وفي المقابل قام الخليفة بعزل جعفر المصحفي عن وظيفة الحجابة ، وذلك في يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٦٧ هـ وأمر بالقبض عليه وعلى ولده محمد وأنصاره وتولى ابن أبي عامر محاكمتهم وتصفية ممتلكاتهم ، واستمرت نكبة المصحفي سنوات ، وبالح محمد ابن أبي عامر في إهائته ، حتى أنه كان يحمله معه في غزواته^(٢) ، « تعنيأله وانتقاماً منه ، فلما بان عجزه وضَعُفُ أقر بالمُطَبِّق إلى أن هلك في سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة »^(٣) .

المنصور بن أبي عامر ومقدمات الاستيلاء :

كان ابن أبي عامر قد بدأ بتوطيد الأمور للهيمنة الكاملة بعد إبعاد جعفر المصحفي بالاستعانة بغالب الناصري وكبار القادة الذين أيدوه ، ومن الأمور التي كانت تدل على ذلك أنه ابتداءً ببناء قصر له في أطراف قرطبة في موضع مُطل على نهر قرطبة وسماه الزاهرة على نسق زهراء عبد الرحمن الناصر ، ليكون بذلك بعيداً عن أيدي أعدائه المتربصين به في قرطبة من المروانيين وغيرهم ، ثم لتكون داراً للملك مستقبلاً^(٤) .

(١) شَلْمَنْقَةَ : وهي مدينة من مدن ولاية ماردة في الثغر الأوسط في الأندلس ، انظر دولة الإسلام : ١٣٢ ، انظر جغرافية الأندلس : ٦٣ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٧ — ٢٧٢ ودولة الإسلام : ٥٢٩ — ٥٣٠ .

(٣) الحلة السيرة : لابن الأبار : ١ / ٢٥٩ والمطبوع من سجون قرطبة .

(٤) وقد ابتداءً بينائها في سنة ٣٦٨ هـ وانتهى في ٣٧٠ هـ وانتقل إليها في هذه السنة وهي تقع شرق قرطبة . انظر الروض المعطار ٨٠ — ٨٢ .

(٥) انظر البيان المغرب ٥٢ / ٢٧٥ — ودولة الإسلام : ٥٣٥ .

ثم بدأ بإقطاع وزرائه وأتباعه أراض حول قصره^(١)؛ فابتنوا قصورهم حول قصره حتى غدت مدينة كبيرة « قامت بها الأسواق وكثرت فيها الأرزاق ، وتنافس الناس بالنزول في أكنافها ... للذنو من صاحب الدولة .. حتى كملت أحسن كمال وجاءت في نهاية الجمال » .

« ثم نقل إليها خزائن الأموال والأسلحة واتخذ فيها الدواوين والأعمال »^(٢) كل هذه الأمور كانت تتم بعيداً عن هشام المؤيد .

« ثم بدأ يحدد تصرفات الخليفة ويتولى زمام كثير من الواجبات التي من اختصاص الخليفة ، ولم يُبق له إلا الدعاء على المنبر ، وحدّد إقامة الخليفة في قصره ، ولم يسمح لأحد بالاتصال به ، ووضع الحراس والعيون ، وأشاع ابن أبي عامر أن المؤيد هشام بن الحكم قد اعتكف في قصره على العبادة وأنه قد فوضه في النظر في أمور الدولة . »^(٤)

« واتجه ابن أبي عامر إلى استدعاء أهل العُدوة ، من رجال زنّانة والبرابرة ورتب منهم جنداً واصطنع أولياء وعُرف عُرفاء من صنهاجة ومُعراوة وبنى يفرن وبنى بَرزال ومكناسة وغيرهم »^(٥) واستوزر ابن أبي عامر جعفر بن علي بن حمدون وأحلّه محلّ الأخ في الثقة ، فاعتدل بالبرابرة أمره وقوى ظهره ... حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس ولم تزل طائفة البربر خاصة ابن أبي عامر وبطانته » .^(٦)

ولما رأى ذلك القائد غالب الناصري أحسّ بأن ابن أبي عامر يكيد له أمراً ، فبادر إلى رسم خطة للتخلص من ابن أبي عامر حيث دعاه إلى وليمة في إحدى غزواته ، وأجهز عليه ولكن ابن أبي عامر أفلت ، وذلك بالقفز بحصانه من أعلى

(١) نفس المصدر : ٢ / ٢٧٦ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٧٦ — ٢٧٧ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ٢٧٥ وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٢ .

(٤) نفس المصدر : ٢ / ٢٧٨ وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٢ .

(٥) العبر لابن خلدون : ٤ / ١٤٨ وانظر نفح الطيب : ١ / ٣٩٧ ، وزنّانة ومُعراوة وصنهاجة وبنى يفرن ، وبنى بَرزال ، ومكناسة قبائل البربر التي دخلت الأندلس زمن المنصور .

(٦) البيان المغرب : ٢ / ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

القلعة ونجى ، ثم جهّز جيشاً تخلص بواسطته من غالب الذى مات حتف أنفه في المعركة على حصانه وكان ذلك في الرابع من المحرم لسنة (٣٧١ هـ)^(١) .

وبعد أن قضى ابن أبى عامر على غالب بالاستعانة بجعفر بن على بن حمود تخلص من جعفر بمساعدة أبى الأحوص^(٢) معن بن عبد العزيز التجيبى الذى انقضّ على جعفر بعد خروجه من مجلس ابن أبى عامر وذلك سنة (٣٧٢ هـ = ٩٨٢ م)^(٣) لثلاث خلون من شعبان^(٤) « ثم قتل ابن أبى عامر أبا الأحوص وانفرد وحده »^(٥) .

استقرار الأمر للمنصور :

بعد هذا الصراع الطويل بين الرؤوس المتساوية في الساحة الأندلسية رست الأمور واستقرت بيد ابن أبى عامر دون منازع ، بعد أن تسمّى بالمنصور ، وقرّن بين اسمه واسم الخليفة في الدعاء له على المنابر ، فكانت الكتب تنفذ باسمه^(٦) . « وقعد على سرير الملك وأمر أن يُحيّا بتحية الملوك وتسمّى بالحاجب المنصور »^(٧) مما جعل البعض من المؤرخين يعتبر فترة حكمه قائمة بذاتها ، ودولة منسوبة إلى مؤسسها ابن أبى عامر ، وذهب القسم الآخر ومنهم ابن عبد البر^(٨) إلى اعتبارها فترة امتداد للخلافة الأموية ، وإن كانت تبعيتها شكلية^(٩) .

-
- (١) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٢ — ٦٣ وانظر البيان المغرب ٢ / ٢٧٩ .
(٢) معن بن عبد العزيز التجيبى كان من قادة المنصور بن أبى عامر وكان قد أقامه حاكماً على مدينة سَمُورَة سنة ٣٨٩ هـ انظر أعمال الأعلام ٢ / ٦٣ ، وانظر تاريخ ابن خلدون : ٤ / ١٨١ .
(٣) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ وانظر دولة الإسلام لعنان : ٢ / ٥٤٢ .
(٤) البيان المغرب : ٢ / ٢٧٩ .
(٥) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٧٩ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٦٥ وانظر دولة الإسلام لعنان ٢ / ٥٤١ .
(٦) نفح الطيب : ١ / ٣٩٧ .
(٧) ذهب إلى ذلك لسان الدين ابن الخطيب : انظر أعمال الأعلام : ١ / ٥٩ وأفردا عنان كذلك انظر دولة الإسلام ٢ / ٥٣٣ .
(٨) القصد والأمم : ٢٨ .
(٩) ذهب إلى ذلك الدكتور أحمد مختار العبادى ، انظر تاريخ الأندلس ٢٤٢ والدكتور عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ٢٩٩ — ٣٠٠ .

المنصور يكسر شوكة النصارى :

واتجه المنصور إلى جهاد النصارى فى عقر دارهم ، فكسب بذلك شعبية عند الناس ، فاض المال بين أيديهم ، وامتألت الأندلس بالغنائم ، حتى أطلق على المنصور لقب الجلاب لكثرة ما جلب من الغنائم والسبى .^(١)

وقد « حارب المنصور فى جهات النصارى المتعددة فى : قشتالة^(٢) (CASTILE) وليون^(٣) (LEON) ، وثيرة^(٤) (NAVARRE) ، وقطالونيا^(٥) (CATALONIA) وأنزل بهذه الممالك خسائر فادحة وتوغل فيها إلى مالم يتوغل إليه فاتح من الفاتحين المسلمين السابقين ، فدانت له جميع أسبانيا شمالاً وجنوباً^(٦) » وبلغت غزوات المنصور ستاً وخمسين غزوة باشرها كلها بنفسه^(٧) ، وكانت له كل عام غزوتان فى الربيع وفى الخريف ، حتى أنه « وصل إلى معاقل قد امتنعت على من قبله^(٨) » .

(١) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٦ وانظر المعجب : ٢٤ وانظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٠٤ وانظر موسوعة التاريخ ٤ / ٥٤ .

(٢) قشتالة : (CASTILE) مملكة نصرانية فى شمال الأندلس انفصلت عن مملكة ليون ٣٣٩ هـ — ٩٥٠ م وقد فرضت سيطرتها بعد ذلك على كل الممالك النصرانية الأخرى : انظر الأندلسيون المواركة : ٤٩ .
(٣) ليون : (LEON) : وهى من أقدم الممالك النصرانية وتقع شمال الأندلس ومنها تولدت مملكة قشتالة ، وثيرة ، (نافار) : نفس المصدر ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) ثيرة : (NAVARRE) : إمارة نصرانية فى شمال إسبانيا محاذية لجبال البيرت (PYRENEES) التى تفصل بين أسبانيا وفرنسا وكان من سكنها البشكنس (BASQUES) انظر نفس المصدر أعلاه .

(٥) قاطلونيا : (CATALONIA) : تابعة لمملكة نافار أيام سانشو الثالث (SANCHO III) ولكنها انفصلت عنها بعد ذلك ، انظر نفس المصدر : ٥٠ .

(٦) فى تاريخ المغرب والأندلس : العبادى : ٢٤٨ وانظر دولة الإسلام عنان ٢ / ٥٦٢ — ٦٧٠ وانظر الأندلسيون المواركة : ٨٨ .

(٧) كتاب فى ذكر بلاد الأندلس : مجهول : مخطوط معهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٧٦. المغرب الأول / الخزنة الملكية ورقة ٢١٧ يعدد الغزوات غزوة غزوة ويذكر ماتم فتحه فيها مع بعض الأخبار التى تتعلق بالغزوة . وانظر نفع الطب ١ / ٣٩٨ ، وقال ابن خلدون اثنتين وخمسين غزوة : انظر التاريخ ٤ / ١٤٨ .
(٨) دولة الإسلام : ٥٦٩ .

الاستقرار الداخلي في ظل المنصور :

وعمل المنصور للاستقرار الداخلي بالضرب على أيدي من ثار عليه في المغرب فجهز جيشاً بقيادة ابن عمه عسقلاجة إلى العدو لتأديب الحسن بن قنون الإدريسي الذي خرج على بيعة هشام المؤيد وكان ذلك في سنة (٣٧٥ هـ = ٩٨٦ م) وقد قتله قائد الجيش وهو في طريقه إلى قرطبة بعد أن استسلم طمعا في النجاة .^(١)

وكان زبري بن عطية القائد البربري عامل المنصور على المغرب قد نكث طاعة المنصور بعد أن رأى « تغلبه على هشام المؤيد وسلبه ملكه »^(٢) ، فجهز له جيشا بقيادة الفتى واضح فهزم زبري^(٣) واستردت الجيوش الأندلسية مدينة فاس ، وتوطدت سلطة العاهل الأندلسي على ولاية شاسعة في المغرب الأقصى^(٤) .

وبذلك استطاع المنصور أن ييسط سيطرته على الأندلس ويتحكم في سير الأمور ويتفرغ لإثراء الأندلس عمرانيا واقتصاديا وثقافيا وقد عم الرخاء الأندلس وتحسنت الأحوال المعيشية لكل طبقات المجتمع .

المنصور بن أبي عامر الوجه الآخر :

وعلى الرغم من صرامة المنصور بن أبي عامر وحزمه ، بل وتنكيله بمن يقف أمامه ، كان يتصف بصفات حميدة كثيرة لعلها تخفف فيه صورة السياسي المستبد وقد أجمع المؤرخون^(٥) على الثناء عليه مسلمون وغيرهم ، بل إن ابن حيان على صراحته وحديثه في الحكم على حكام زمانه ألف كتابا أسماه « المآثر العامرية »^(٦) .

(١) انظر البيان المغرب : ٢ / ٣٨١ ، وانظر دولة الاسلام لعنان ٢ / ٥٤٥ ، وانظر في تاريخ المغرب والأندلس : ٢٥٢ .

(٢) البيان المغرب : ٢ / ٣٨٢ — ٣٨٣ .

(٣) نفس المصدر ، وانظر قرطبة في العصر الإسلامي : ١٠٦ .

(٤) قرطبة في العصر الإسلامي : ١٠٦ — ١٠٧ وانظر في تاريخ المغرب والأندلس ٢٥٣ — ٢٥٧ .

(٥) المغرب : ١ / ١٩٩ ، الحلة السيئة : ١ / ٢٦٨ نفح الطيب ١ / ٣٩٦ — ٤٢٣ وانظر دولة الإسلام : ٢ / ٤٨٣ — ٤٨٩ ، ٥٧٧ — ٥٧٨ .

(٦) انظر المقتبس من أبناء أهل الأندلس لابن حيان تحقيق د / محمود علي مكي ٦٢ — ٦٥ .

وأفرد له ابن عذارى^(١) صفحات عن مآثره في العدل والنجدة والانتصاف للضعفاء من الأقوياء وأهل النفوذ ، حتى لو كانوا من أقرب المقرين إليه .

ولكنَّ الشدة والحزم مع الخصوم قد تركت آثاراً دفينه في نفوسهم جعلتهم يتطلعون إلى زوال المنصور . ومن هؤلاء الخصوم رجالات العرب الذين خضد شوكتهم . فكانوا يتحينون الفرصة به ، والأمويون الذين رأوا تغلبه على الخلافة واستلاها منهم جريمة ، والمتطلعون للسلطة الذين أوغر صدورهم الحسد لما بلغه المنصور من المجد . وكانت هذه المشاعر مراجل تغل متحينة الفرصة للانقضاض عليه . وقد تفجرت بعد موت المنصور لأن أبناءه الذين جاءوا بعده لم يكونوا بمقدرته وحنكته في تدبير أمور الدولة ، وأن عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنَّجول كان الفتيل الذي فجر هذه المشاعر المكبوتة المتباينة في الغاية . فكانت الفتنة التي اجتاحت الأندلس بعد ذلك القاصمة له كما سنرى .

شعر المنصور بدنو الأجل فنصب ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر أميراً بعده وذلك في سنة (٣٨١هـ — ٩٩١م)^(٢) وخرج المنصور في آخر غزوة له لبلاد النصارى في شمال الأندلس وذلك في سنة (٣٩٢هـ — ١٠٠٢م) فاعتل هناك وتوفي في مدينة سالم ودفن بصحن قصرها . وانطوت بذلك صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي في الأندلس^(٣) .

عبد الملك المظفر يخلف أباه :

تولى عبد الملك بن المنصور الحجابة بعد أبيه وكان ذلك « يوم الاثنين لثلاث بقين من رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة »^(٤) ، ولما تمت له الولاية أرسل رسائله إلى أنحاء الأندلس وإلى المغرب يخبر عماله بوفاة أبيه وتوليته من بعده فلم يعترض أحد على ذلك واجتمع الناس على حبه .

(١) انظر البيان المغرب في ٢٨٧ — ٢٩٢ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٩٣ .

(٣) انظر الذخيرة : ٤ : ١ / ٧٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٨٠ — ٨١ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ٣ .

وقد سار على أثر والده في إدارة الدولة ملتزماً وصاياَه واستهل عهده بتخفيف الضرائب في جميع أنحاء البلاد ، وكان يظهر العدل ، ويحمي الشرع ويرفق بالرعية وأطلق سراح المسجونين ممن يؤمن ضرره .^(١)

واستأنف عبد الملك غزو ثغور الأندلس الشمالية وكانت أول غزوة له سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وفتح مناطق لم تُفتح سابقاً وأسكن فيها المسلمين لإعمارها ، وقد بلغ عدد غزواته سبع غزوات كان ينتصر في كلها إلا غزوة لم يرجع فيها بغنائم فامتعض لها الناس ، وعابوا على عبد الملك ذلك ، وذكره بأن أباه كان يُدعى بالجلاب واتخذ الخصوم ذلك متنفساً للتعبير عن السخط تجاه العامرين لِتَغْلِبَهُم على الأمور .^(٢)

وفي سنة (٣٩٧ هـ — ١٠٠٧ م) خرج عبد الملك في غزوته الخامسة ورجع منتصراً على حشود النصرانية الضخمة بقيادة شائجة بن غرسية وسُميت بغزاة النصر ، وعند وصول عبد الملك إلى قرطبة طلب من الخليفة هشام المؤيد بالموافقة على تسميته بالمظفر وأن يتكنى بأبي مروان وأن يوافق على منح ابنه محمد منصب ذى الوزارتين فأجابه الخليفة لذلك .^(٣)

ثم إن المظفر كان قد أطلق يد وزيره عيسى بن سعيد اليخصبي في تسيير شؤون الدولة وعلا نجم عيسى بعد أن دبر الانتقام من منافسه الفتى طرفة الصقلي ، ولكنه لم يسر السيرة المرضية في تدبير شؤون الرعية ، بل استخف بجميع الناس ، وركبه داء غرور السلطة ، فأثار الرعية بذلك ، وبلغ الاستياء أوجه على العامرين ، فأشار بعض القرييين من المظفر بإزالته ، فبدأ عيسى يميل إلى المروانيين ويرتب معهم لخلع المظفر ، واختاروا لذلك هشام بن عبد الجبار بن الناصر وبايعوه ، فانكشف الأمر لعبد الملك المظفر فأمر بقتل عيسى بن سعيد وسجن هشام الذى مات في سجنه .^(٤)

(١) انظر نفس المصدر ٣ / ٣ — ٤ ودولة الإسلام : ٦٠٩ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٨٤ — ٨٦ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ٣ ، ٧ ، ١٣ ، وأعمال الأعلام / ٨٧ . وانظر دولة الإسلام : ٦١٢ .

(٣) البيان المغرب : ٣ / ١٥ — ٢٠ .

(٤) انظر البيان المغرب : ٣ / ٣٤ — ٣٦ وانظر دولة الإسلام : ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ .

محاولة متأخرة :

حاول عبد الملك المظفر إصلاح ما فسد من الأمور بسبب إهماله وانغماره في ملذاته ، وتسليط عُمَّاله واستغلالهم لمناصبهم في الكسب ، وأول ما بدأ به إصلاح الاقتصاد « وحسم أطماع العمال — الموظفين الكبار من الوزراء وغيرهم . ووالى الجلوس للكشف عليهم — أى كشف اختلاساتهم ومظالمهم ومحاسبتهم — فترامت أحواله المالية إلى الصَّلاح والوفور » وتحسنت الأوضاع عامة في النواحي السياسية والاقتصادية ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أنَّ الأوضاع السابقة عمقت الاستياء الشديد لدى الشعب والذي أصبح يتطلَّع للتخلص من بنى عامر مما كان له آثاره فيما بعد .^(٢)

ودهم المرض المظفر وهو في آخر غزواته في شهر صفر سنة (٣٩٩ هـ) فعاد إلى قرطبة محمولا فكانت وفاته في ضواحيها وهو في طريق العودة ، وكان ذلك في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة (٣٩٩ هـ — ١٠٠٨ م) .^(٣)

العامريون ودور الأفول :

ودخلت دولة العامريين في دور الأفول والسقوط بتولى الابن الآخر للمنصور وهو عبد الرحمن الملقب بشنجل ، وهو تصغير للقب جده لأمه شانجه (SANCHO GARCES II) ملك نافار^(٤) ، وكان المنصور قد تزوج ابنة شانجه هذا بعد أن اعتنقت الإسلام وتسمت باسم (عبدة) ، وهى التى أطلقت على ابنها هذا اللقب حبا لأبيها .^(٥)

توجه عبد الرحمن بعد وفاة أخيه عبد الملك المظفر إلى قصر الخليفة هشام المؤيد يبلغه وفاة أخيه ، ويطلب لنفسه التولية فأقره المؤيد ، وقلده الحجابة ، وتلقب بالمأمون ، فكان يدعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة « وافتتح شنجل^(٦)

(١) أعمال الأعلام : ٩٨ / ٢ وانظر البيان المغرب ٣ / ٣٤ ، ٣٦ .

(٢) انظر البيان المغرب ٢ / ١٣ ، ٢٥ ، ٢٨ وأعمال الأعلام ٢ / ٨٥ — ٨٦ ، ٨٩ .

(٣) انظر أعمال الأعلام ٢ / ٨٩ وانظر البيان المغرب : ٣ / ٣٧ ودولة الإسلام : ٦٢٠ .

(٤) دولة الإسلام لعنان : ٢ / ٦٢٣ ومملكة نافار (ثبرة) من الممالك النصرانية الصغيرة وغالب شعبيها من قبائل الشكنس وتقع غرب جبال البرنية وشمال نهر يابرة انظر دولة الإسلام ١ / ٣٦١ — ٣٦٣ ، ٢ / ٥٩٩ — ٦٠١ .

(٥)، (٦)، انظر البيان المغرب ٣ / ٣٨ وأعمال الأعلام ٩٠ .

أمره بالخلاعة والمُجانة فكان يخرج من مَنية إلى مَنية ، ومن مُنتزِه إلى مُنتزِه مع الخَيَّالين ، والمُغنين ، والمُضحكين مجاهراً بالفَتك وشرب الخمر ^(١) .

ولم يكتفِ شنجول بأن آل إليه أمر الحُجَّابة بل تطلع إلى ولاية عهد الخليفة هشام المؤيد وطلب منه أن يكتب إليه عهداً بذلك متوسلاً بقرابة بينه وبين المؤيد من ناحية الخُوْلة لأن أم هشام المؤيد كانت من البشكنس ^(٢) كذلك ، وحصل شنجول على مأموله وعهد المؤيد إليه بأمر الخلافة من بعده مدعياً عدم وجود من يصلح لها من القرشيين ، فأثار ذلك حفيظة الأمة جمعاء خاصتهم وعامتهم ، وانتهز الأمويون الفرصة في استثارة غضب الشعب للعصف بدولة العامريين ، وكان ذلك في الخامس عشر من ربيع الأول سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ^(٣)

وبدرت من شنجول بعض التصرفات التي زادت الحقد عليه ، فقد أمر رجال المملكة من أهل القلانس أن يبدلوها بالعمائم التي كانت شعار البربر في ذلك الوقت ، مما كان لهذا الأمر أثره في غضب البربر الذين كانوا حاشية شنجول وندماءه ، ثم إنه ولَّى ابنه عبد العزيز الطفل الحُجَّابة ، فكان الأمر أضحوكة استفزَّ بمرارتها كوامن الناس ، وأضاف إلى ذلك إسرافاً في أموال الدولة « حتى تفاقم أمر النفقات » ^(٤) ، ومع ذلك استمر في « طلب لذته ومواصلة شربه والخروج في نُزهه وصيده مع أصحاب السوء الذين اصطلفاهم لذلك من رجاله وشرى بإرضائهم إسقاط ربِّه وإفساد ملكه » ^(٥) .

« وأراد شنجول أن يشغل الناس بخديث الغزو أسوة بأبيه وأخيه » ^(٦) بعد أن سمع

(١) البيان المغرب : ٣ / ٣٩ والمِية : هي القرية ، والخَيَّالين : هم الذين يلعبون بالدمى لإضحاك الناس ، وهي تشبه مسرح العرائس في هذا الزمان .

والمُضحكين : هم المهرجون الذين يضحكون الناس .

فكانَ شنجول كان يُرافقه سيرك متنقل إن صحَّ التعبير .

(٢) البشكنس : هم سكان بلاد نافر التي كانت عاصمتها بسلونه ، انظر جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب الممالك لأبي عبيد البكري (٤٨٧ هـ) ، تحقيق د . عبد الرحمن الحجي : ٧٩ . والخُوْلة : هم إخوة الأم .

(٣) انظر البيان المغرب : ٣ / ٤٢ — ٤٦ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٩٠ — ٩٤ ، وانظر دولة الإسلام ٢ / ٦٢٥ ، نفح الطيب ١ / ٤٢٤ .

(٤) ، (٥) ، (٦) ، انظر البيان المغرب : ٣ / ٤٧ ، ٤٨ ، وانظر دولة الإسلام ٢ / ٦٢٨ وأعمال الأعلام ٢ / ٩٤ .

(٧) دولة الإسلام : ٢ / ٦٢٩ .

بإغارة النصارى على الحدود الإسلامية ، وقد نصحه كبير فتيانه الصقالبة بخطورة الخروج في هذه الغزوة لأن الأمويين يدبرون انقلاباً على العامريين ، ولكن الغرور ركب شنجول ، وأمر بالخروج لقتال النصارى ، ولكنه لم يحقق غايته من الغزو وفي طريق الرجوع إلى قرطبة بلغه بأن ثورة وقعت في غيبته بقرطبة وأن محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر كان زعيمها وكان ذلك في صبيحة يوم الأربعاء ١٧ جمادى الآخرة سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م)^(١) .

وأخذ أتباع شنجول في التخلي عنه عندما بلغتهم سيطرة ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار على قرطبة ، ولم يبق معه إلا رعيته ، وخاصته ، ونفر من غلمانه ، ولما وصل إلى مشارف قرطبة نزل في قصره بأرملاط^(٢) ، وعندما سمع المهدي بذلك أرسل إليه جيشاً ، ففرّ شنجول إلى دّير قريب ، وتبعه الجيش وحاصر الدّير وقبض على شنجول ، واقتيد إلى قرطبة مقيداً ، وفي الطريق طلب حلّ وثاقه ، وعندما حلّ حاول الانتحار ، فمُنِع ولكنه لم ينبج من الموت بل قتل في الحال وكان ذلك يوم السبت الرابع من رجب سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) .

وهكذا انهارت الدولة العامرية بسرعة وذلك في غضون ثلاثة أشهر من وفاة عبد الملك المظفرالذى سلم الأمر لأخيه عبد الرحمن شنجول والدولة محكمة الدعائم والجيش ولاؤه للدولة العامرية^(٤) .

بداية النهاية :

ولكن استقراء الأحداث يرينا أن عوامل الانهيار كانت هي عوامل انتصار المنصور نفسها :

فانتزاعه لسلطات الخليفة أدى إلى إثارة العصبية القبلية ، مما جعل الأمويين

(١) انظر السان المغرب : ٤٨ / ٣ — ٤٩ دولة الإسلام : ٦٣٧ / ٢ وانظر : أعمال الأعلام ٩٦ / ٢ ، ٩٧ .

(٢) وهي ضاحية من صواحي قرطبة ، انظر البياد المغرب : ٦٨ / ٣ ، ٧١ وانظر دولة الإسلام : ٦٤٥ / ٢

(٣) انظر البياد المغرب : ٤٩ / ٣ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٣ وأعمال الأعلام : ٩٧ / ٢ ، ٩٨ .

وانظر دولة الإسلام : ٦٣٦ / ٢ ، ٦٣٧ .

(٤) انظر دولة الإسلام : ٦٣٨ / ٢ .

وأنصارهم يتربصون بالعامريين ، بل إنّ الأمة على اختلاف مستوياتها استهجنّت مثل هذا الأمر لما فيه من الانتقاص لهذا المنصب الخطير^(١) عند عموم الأمة .

والعامل الثاني : الانفراد بالسلطة الذي تميّز به المنصور بن أبي عامر ، وتنكيله بالخصوم ، فأوجد له أعداءً كثيرين يودون زوال الدولة العامرية بالرغم من الرخاء الذي عمّ الأندلس في ظلها .^(٢)

ثم ما قام به شنجول من تعدّد سافر على منصب الخلافة باعترائه ولاية العهد اعتسافاً مضافاً إليه سوء أخلاقه ، وفشل سياسته . كلّ ذلك أثار عموم الأمة ، وأعطى المبرر للمتطلعين للسلطة من الأمويين لتصعيد النقمة ، فأصبح الاستياء شعبياً عصفاً بسلطة العامريين . وانتهت بذلك دولة العامريين لتكون بداية النهاية للخلافة الأموية في الأندلس ، بل ومقدمة النهاية لدولة الإسلام في الأندلس بما أوجدته من آثار بعد ذلك .^(٣)

أما دور ابن عبد البر وعائلته في هذه المرحلة فبمّا لم تُشر إليه المصادر المتوفرة ، ولكن يبدو أن عائلته كانت مؤيدة للأمويين ، فوالد ابن عبد البر كان واحداً من أعلام عصره ممن أشهدهم المستنصر على عهد تولية ابنه هشام المؤيد كما سيأتي ، ولذلك عندما استأثر ابن أبي عامر بالسلطة ، فإن عائلة ابن عبد البر وخاصة والده قد انشغلوا بطلب العلم وتدريسه بعيداً عن أجواء السياسة العامرية .

وكان ابن عبد البر قد ولد في السنة الأولى لقيام دولة العامريين واستمر يدرج في مدارج الصبا والشباب طالباً للعلم متنقلاً في مرابعه لا يشغله أمر آخر بخلاف أسرة ابن حزم — مثلاً — الذي كان أبوه من وزراء المنصور وكان يحضر مجلس المنصور مع أبيه فتفتح ذهنه لممارسة العمل السياسي مبكراً .

(١) انظر في تاريخ المغرب والأندلس : ٢٧٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٩٠ .

(٢) انظر دولة الإسلام : ٢ / ٦٣٨ ، ٦٣٩ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٩٠ ونفح الطيب : ١ / ٤٢٦ .

(٣) انظر أعمال الأعلام ٢ / ٩١ والبيان المغرب ٣ / ٣٩ .

وانظر دولة الإسلام : ٢ / ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، تاريخ ابن خلدون ٤ / ١٤٩ .

الفتنة القرطبية وسقوط الخلافة الأموية

تبيّن مما تقدم الأسباب التي أثارت حفيظة الأمة عامة ، والمروانيين من بنى أمية خاصة ضد العامريين مما هياّ ظروفًا مواتية لإزالة حكمهم .

أخذ الأمويون يبحثون عمّن يُرشّح لتولي الأمر بعد إزالة بنى عامر فاتجهت الأنظار إلى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ؛ وكان ثائراً مُلتجئاً إلى الجبال مرافقاً لقطاع الطرق وغيرهم من العوّغاء ، وذلك بعد قتل والده بيد عبد الملك المظفر لمحاولته الانقضاض على العامريين كما سبق أن بيّنا ذلك ^(١) .

وكان من المشجعين لمحمد بن هشام الدّلفاء أم عبد الملك المظفر ، التي كانت تعتقد بأن عبد الرحمن بن المنصور هو الذي دَسَّ السّم لأخيه عبد الملك فقتله ، لذا قررت التخلص منه ، فتوجهت لمحمد بن عبد الجبار تغريه بعبد الرحمن الملقب بشنجل ، وكان هذا يوافق غاية ابن عبد الجبار بالعصف بالعامريين وذلك بالاستعانة ببعضهم على بعض ^(٢) .

ثم إن بقية الأمويين قد رأوا فيه الأخذ لهم بثأرهم من العامريين ، « ودأخله لذلك سليمان ابن هشام ، واستظهر لسائر ولد أديب الناصريين وقومهم المروانيين فحادوا في معونته وكلمتهم يومئذ في بغضاء العامريين متفقة ، ونفوسهم من مخافتهم مخنسة فلاذوا بمحمد بن هشام — ابن عبد الجبار — فبايعوه سرا » ^(٣) .

الطوفان :

وبدأ ابن عبد الجبار في بث دعاته ليشيعوا في الأمة قرب قيام خليفة من آل مروان ، مع عدم كشف اسمه ، وعندما شاع ذلك ووجد من يناصره بدأ أنصار ابن عبد الجبار بكشف اسمه ، وذلك سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ، ثم تَحَبَّن

(١) (٢) انظر البيان المغرب ٣ / ٥٢ ، وانظر أعمال الأعلام ٢ / ١٠٩ وانظر ص ٢٠ . من هذا الحث ، وانظر دولة الإسلام . ٦٣٠ .

(٣) البيان المغرب ٣ / ٥٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ١٠٩ وانظر دولة الإسلام : ٦٣١ .

فرصة خروج عبد الرحمن شنجول للغزو فحاصر قصر الخلافة واقتحمه ببعض أنصاره وذلك يوم الثلاثاء السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ ، وقتلوا صاحب المدينة عبدالله بن عمرو ، وما أن رأت العامة ذلك حتى أقبلت بجموعها إلى ابن عبد الجبار ، وكان فيهم العنازين ، والجزارين ، والزبالين ، وسائر غوغاء الأسواق^(١) ، ولم يكتف ابن عبد الجبار بذلك بل أرسل من « كسر سجن العامة ، فانطلق جميع من كان فيه من اللصوص وأصحاب الجرائم » . يقتلون وينهبون .

« وأمر ابن عبد الجبار العامة بنقب القصر والاحتيا لفتحه ، ووعدهم على ذلك جزيل الصلات^(٢) » ، فاستطاعوا اقتحام أكثره ، فعندما رأى الخليفة هشام المؤيد ذلك طلب الأمان ، وأبدى استعدادة للتنازل عن الخلافة لابن عبد الجبار ، فوقى بوعدده وتنازل في ليلة الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة وتسمى محمد بن هشام ابن عبد الجبار بالمهدي^(٣) .

ثم أرسل عمه عبد الجبار بن المغيرة إلى الزاهرة التي كان يسكنها وزراء العامرية وأنصارهم يطلب حربهم ، وكان ذلك صباح الأربعاء من تنصيبه خليفة ، فاقتحمت العامة المدينة وعملت فيها نهياً ، وما قدر على قبض أيديهم إلا مساء ليلة الخميس ، وتمت السيطرة التامة في يوم الخميس لاثني عشر يوماً بقيت من جمادى الآخرة وبعد انتهائها أمر ابن عبد الجبار بهدم الزاهرة فأصبحت أثراً بعد عين^(٤) . « وسر أهل قرطبة بولاية ابن عبد الجبار سروراً عظيماً وأحدثوا برحاب قرطبة وأرباضها ولأئم وأعراساً وداموا على ذلك أياماً تباعاً ينتقلون من موضع إلى موضع بالمزامر والملاهي » .

(١) انظر البيان : ٣ / ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١ ، ودولة الإسلام : ٦٣٣ ، وانظر : قرطبة في العصر الإسلامي : ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) أعمال : ٢ / ١١٠ .

(٣) البيان المغرب : ٣ / ٥٧ وأعمال : ٢ / ١١٠ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ٥٨ — ٦٠ .

(٥) نفس المصدر : ٣ / ٦١ — ٦٥ .

(٦) نفس المصدر : ٣ / ٧٤ وأعمال : ٢ / ١١٢ وقرطبة في العصر الإسلامي : ١٢٢ ودولة الإسلام : ٦٣٤ ، ٦٤٣ .

وبدأت صراعات الأندلسيين من أهل قرطبة مع البربر ، وخاصة تلك الجمهرة من العامة التى التفت حول المهدي ، التى ليس لها فى أعراف السياسة والكياسة نصيب ، فكانوا يستخفون بقيادة البربر الداخلين على ابن عبد الجبار ، ولم يميزوا بين أعلاهم وأدناهم^(١) . ثم إن هؤلاء المجندين من العامة أساءوا حتى فى تطبيق الأوامر التى كان يصدرها ابن عبد الجبار ، فتعرضوا لبعض قادة البربر وأهانوهم ، مما أوجج الكراهية لدى البربر^(٢) .

وكان سبب كراهية الأندلسيين والأمويين للبربر كونهم موالين للعامرين « فسخطتهم القلوب وخرزتهم العيون ، ولولا ما لهم من العصبية — أى القوة — لاستأصلهم الناس »^(٣) ، ومع هذا لم ينجو من انتهاب بيوتهم ، فأضمر البربر الانتقام^(٤) .

استيلاء ابن عبد الجبار على السلطة :

ثم إن ابن عبد الجبار بعد استقرار الأمر له استولى على قصر المؤيد وما فيه من الذخائر ، وأسكن المؤيد فى قصر آخر ، أخفاه فيه عن العيون ، ثم أعلن موته وعرض على وزرائه جثة رجل يهودى ، أو نصرانى يشبه الخليفة المؤيد ، فلم يشكوا فيه ، وشهدوا لدى العامة بموت المؤيد ، وصلوا عليه ، ودفنوه ، وذلك فى يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ، وهى الميتة الأولى لهشام المؤيد كما سماها ابن عذارى^(٥) .

وعهد ابن عبد الجبار إلى هشام بن سليمان بن عبد الناصر بالخلافة من بعده ، ولكن رداءة ابن عبد الجبار وسوء أخلاقه وإهانته لرؤساء قبائل البربر وزعمائهم جعل هشام يتقرب للبربر ويسعى معهم لخلعه ، فجمعوا جموعهم للانقضاض عليه ، ولكنه بادرهم بجمع أكبر ممن التفت حوله من العامة والجنود ، فشنت شمل

(١) انظر البيان المغرب : ٣ / ٧٥ وانظر دولة الإسلام : ٦٤٣ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ٧٥ ، ٧٦ وأعمال الأعلام : ٢ / ١١٢ .

(٣) نقح الطيب : ١ / ٤٢٧ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ٧٦ .

(٥) البيان المغرب : ٣ / ٧٧ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٤٤ .

البربر وقتل هشام بن سليمان .^(١)

انسحب إليزير بعد قتل هشام بن سليمان إلى أرملاط من ضواحي قرطبة ،
وفيهم سليمان بن هشام فعندما عرفوه ولوه عليهم ولقبوه بالرشيد ، وبدعوا يعدون
العدة للاستيلاء على قرطبة .^(٢)

وتأججت الفتنة في قرطبة حيث نادى منادى ابن عبد الجبار المهدي بأن من
أتى برأس بربري فله كذا وكذا ، فتسارع أهل قرطبة في قتل من قدروا عليه حتى
امتدت الأيدي إلى صالحى المسلمين ، فقتلوا صبراً ، وسجل من سجل ممن له في
الجهاد قدم أمثال : وسنار البرزالي ، ومسلم بن عبد الله الحسيني ، نهبت بيوتهم ،
وهتكت أعراضهم ، بل قتل الكثير ممن قدم للرباط في ثغور الأندلس من أهل
المغرب ، وفارس ، والشام ، قتلوا على أيديهم بربر^(٣) ، « حتى أن كل من بينه وبين
أحد عداوة قال : هذا بربري ، فقتل »^(٤) .

وهكذا عندما تقوم ثورة قاعدتها غوغاء الناس فيصعب التحكم فيها ، ولعل في
الثورة الفرنسية وغيرها في العصر الحديث مثال .

البربر وبيعة سليمان بن الحكم :

وعندما بلغ البربر ما جرى لإخوانهم بقرطبة زحفوا وعلى رأسهم سليمان بن
هشام الرشيد إلى قرطبة ، وحاصروا محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي في
قصره ، وكان ذلك في أوائل شوال في سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ، ولكن
المهدي فك حصارهم ، وأعمل فيهم القتل ، وظفر المهدي بالرشيد ، فقتله ، ففر
للبربر وجدوا في سيرهم ، وفي طريقهم إلى قلعة رباح (CALATRABA)^(٥) ،
اجتمعوا على سليمان بن الحكم ولقبوه بالمستعين — وهو ابن أخى الرشيد —

(١) البيان المغرب : ٣ / ٧٨ — ٨١ وانظر نفح الطيب ١ / ٤٢١ وانظر المعجب ٨٨ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ وانظر نفح الطيب ١ / ٤٢٨ ، وانظر المعجب ٨٨ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٣ / ٨١ ، ٨٣ ، ٩٢ وانظر الصلة : ١٧٨ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ٩٧ .

(٥) وهى مدينة حسنة في عمل بنى قرطبة وطليلة : انظر الروض ١٦٣ .

وكان ذلك لليلتين بقيتا من شوال كما يقول ابن حيان ، ولما وصلوا قلعة رباح بايعه أهلها وذلك في أوائل ذى القعدة .^(١)

سار البربر إلى وادى الحجارة ، وحاول المستعين استمالة أهلها ولكنهم أبوا عليه ذلك ، فتوجه إلى مدينة سالم ، وكان فيها واضح الفتى عامل ابن عبد الجبار ، وطلبوا منه التوسط للصلح بينهم وبين ابن عبد الجبار على أن يكون سليمان بن الحَكَم ولي عهده ، وبذلك تُعصم دماء الناس ، فأبى واضح ، وحاول الغدر بهم ودبر لقتل سليمان المستعين ، ولكنه فشل في ذلك .^(٢)

مساومة :

لجأ المستعين إلى شائجة بن غرسية ملك ناقار يطلب منه مساعدته لمواجهة ابن عبد الجبار على أن يعطيه ما يختار من الحصون المتاخمة له ، وفي الوقت نفسه كان هناك وفد من قبل ابن عبد الجبار يساوم للاستنصار بالنصارى على ابن عمه ومن معه من البربر المسلمين ، ولكن النصارى كسباً للطرف القوى مدوا يد المساعدة إلى سليمان المستعين والبربر ، وبالفعل وقع الصدام بين جيش سليمان والبربر من جهة وواضح وقيصر غلام ابن عبد الجبار — الذى أرسل لمساعدة واضح — من جهة أخرى ، وكانت الدائرة على جيش واضح الذى وصلت قُلُوبه قرطبة في آخر ذى الحجة من سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) .

ارتبك ابن عبد الجبار لما حلَّ بواضح ، فبدأ يعد العدة للدفاع عن قرطبة خوفاً من هجوم البربر بقيادة سليمان المستعين ، فحصن أسوار قرطبة ، وحفر الخنادق حولها لحمايتها .^(٣)

وصلت مقدمة جيش سليمان إلى أرملاط يوم الخميس الحادى عشر من ربيع الأول سنة (٤٠٠ هـ — ١٠١٠ م) واشتبك مع أهل قرطبة الذين حشدتهم ابن

(١) انظر البيان المغرب : ٣ / ٨٣ ، ٨٤ وانظر أعمال : ٢ / ١١٣ وانظر دولة الإسلام : ٦٤٥ .

(٢) البيان : ٣ / ٨٥ وانظر دولة الإسلام : ٦٤٦ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ وانظر :

نفع الطيب ١ / ٤٢٨ ودولة الإسلام ٦٤٦ .

عبد الجبار من غير نظام ، ف وقعت فيهم مقتلة عظيمة في معركة قُنْتِش^(١) ، ودخل البربر النصارى قرطبة متغلبين^(٢) ، « فقتل النصارى يومئذ من أهل قرطبة أزيد من ثلاثين ألفاً ، وكان أول ثارات المشركين على المؤمنين »^(٣) ، « وهلك من أخيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم »^(٤) .

فشل مناورة :

ولما رأى ابن عبد الجبار هزيمة جيشه المنكرة « أظهر هشام المؤيد وأقعه حيث يراه الناس »^(٥) ، وأرسل قاضيه ابن ذكوان ليفاوض البربر ويبلغهم أن هشام المؤيد هو الخليفة وما هو إلا كالحاجب له ، ثم خذل أهل قرطبة ابن عبد الجبار وخرجوا يرحبون بسليمان المستعين الذى عمل على تهدئة الأوضاع ، وأرجع هشام المؤيد إلى قصره ، ولما علم هشام المؤيد بأفعال ابن عبد الجبار عزم على سحب البيعة منه وإسقاطها عنه^(٦) .

سليمان المستعين وخلافته الأولى :

وفي يوم الثلاثاء سابع عشر من ربيع الأول سنة أربعمائة تُودى بالبيعة لسليمان بن الحكم ولقب بالمستعين بالله^(٧) ، وما أن تولى الأمر حتى « فرّق العمال وولّى الولايات »^(٨) ولكن الأمور مع ذلك لم تستقر بصورة تامة ، بل كان التوتر يشوبها ، وخاصة الحساسية الشديدة بين أهل قرطبة والبربر حتى « إذا صَهَل فرسٌ على فرس قامت نُفْرَة ، لتعصّب العامة عليهم وبُغضهم لهم »^(٩) .

ابن عبد الجبار وتحالفه مع النصارى :

لقد فر ابن عبد الجبار بعد انكشاف مخبئه بقرطبة ، وتوجه إلى مدينة سالم

(١) موقع قريب من قرطبة يلتقى عندها الوادى الكبير ووادى أرملات انظر الجله ٢ / ٦

(٢) انظر البيان : ٣ / ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) أعمال الأعلام : ٢ / ١١٣ .

(٤) الفج : ١ / ٤٢٨ .

(٥) ، (٦) ، (٧) انظر السك المغرب ٣ / ٨٩ .

(٨) ، (٩) نفس المصدر : ٣ / ٩٢ .

مستعينا بواضح الفتى الذى كان من مواليه ، ثم اتفقوا مع النصارى على أن يتنازلوا لهم عن مدينة سالم نظير مساعدتهم ضد سليمان المستعين ، وأن يتكلفوا بنفقات الجيش النصرانى وبلغ من جرأة النصارى أنهم حولوا الجامع إلى كنيسة وضربوا فيه الناقوس ، وما ذلك إلا لهوان الحكام بانحرافهم عن دينهم^(١).

استنفر سليمان المستعين أهل قرطبة فلم يستجب الكثير سوى جند البربر الذين كان يعتمد عليهم ، وخرج وجيشه إلى موضع يسمى بَعْقَة البَقَر ، وذلك فى منتصف شوال سنة ٤٠٠ هـ ، وكانت معركة شرسة فر على أثرها سليمان متجها إلى شاطبة ، ولم يمض فى حكم قرطبة إلا سبعة أشهر . وأما البربر فاتجهوا نحو جنوب الأندلس^(٢).

دخل ابن عبد الجبار قرطبة ، فعاث فيها ومن معه فساداً ، ثم طلب البيعة من هشام المؤيد فبايعه ، ثم جعل واضح الفتى حاجبا له^(٣).

وأجهز ابن عبد الجبار على كل بربرى حتى الأطفال والنساء ، وانتهر أهل الخصومات الفرصة للانتقام من بعضهم بهذه التهمة . وبلغ من انحلال الموالين لابن عبد الجبار من العامة أنهم سطوا على مسجد الزاهرة ، وسرقوا ما فيه وهدموه ، بل بلغ من ذلتهم أن الجندى النصرانى كان يقف لينال من النبى ﷺ فلا يجد من يرده ، بل يُسَكَّت الذى يرده ، وتجراً الناس على قضائهم فحين رفض القاضى إعطاء النصارى من أموال الأقباس — الأوقاف — هجم أهل قرطبة على بيت المال فكسروا أبوابه ، وانتهبوا الأموال ، وأعطوها للنصارى ، فكيف لا تعمُ الفتن المُبيرة أمثال هذا الصنف من المسلمين ، فسَلَطَ الله عليهم بذنوبهم وهذه سنة الله^(٤).

وعندما سمع ابن عبد الجبار بتجمع البربر وسليمان المستعين فى (وادى أره)

(١) انظر البيان المغرب : ٣ / ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) نفس المصدر : ٣ / ٩٤ ، ٩٥ وانظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٢٣ ، وعقبة البقر أو دار البقر موضع على نحو بصعة عشر ميلا من قرطبة الحذوة ١٨ .

(٣) انظر صفح الطبيب : ١ / ٤٢٨ .

(٤) انظر البيان : ٣ / ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ .

توجه إليهم مع الأفرنج وكانت الواقعة هناك في يوم الخميس ست من ذى القعدة سنة (١٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م) هزم فيها ابن عبد الجبار والنصارى وقتل فيها من النصارى الكثير ، ثم طلب ابن عبد الجبار من النصارى البقاء معه للانتقام من البربر فرفضوا^(١) ، فكان أهل قرطبة « بعضهم يلقي بعضا فيعزیه كما يعزى من فقد أهله وماله » ولاعجب فمن استعان بغير الله ذل .

واضح الفتى والانتقام :

استغل واضح الفتى ما ارتكبه ابن عبد الجبار من المظالم والمآثم ، ورأى في ذلك فرصة سانحة للانتقام منه لما فعله في بنى عامر الذين كان واضح من فتيانهم ، فدخل واضح القصر على ابن عبد الجبار ومعه العبيد العامريون فاعتقلوه ، ثم أخرجوا هشام المؤيد ، وأجروا محاكمة لمحمد بن هشام بن عبد الجبار وقتل بين يديّ هشام المؤيد ، وبذلك انتهى محمد بن هشام بن عبد الجبار وكان ذلك في يوم الأحد الثامن لذي الحجة من سنة (٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م)^(٢) .

وبعد أن قضى واضح على ابن عبد الجبار بايع هشام المؤيد ، ثم قدم هشام المؤيد واضح لحجابه ، وكان ذلك في الثامن من ذى الحجة سنة أربعمائة وأراد هشام أن يعيد هبة الخلافة ، فكتب إلى سليمان المستعين يطلب منه الدخول في طاعته ، ولكن سليمان رفض ذلك وطلب الأمر لنفسه ، واستمر هو والبربر يجوبون أنحاء الأندلس منتقمين لأنفسهم مما لحق بهم على يد محمد بن هشام بن عبد الجبار وواضح الفتى ، واستمرت جموعهم بالتقدم إلى قرطبة حتى حاصروها ، وذلك في السادس من ربيع الأول سنة ٤٠١ هـ^(٣) .

وساءت الأحوال العامة بقرطبة فرغب واضح في الصلح مع البربر وسليمان وأرسل سفيراً إليهم ولكن العامة عندما علموا بذلك قتلوا سفير واضح ، ورفضوا الصلح وأخذوا يتهمون واضح بالجبن وسوء النية ، وعندما رأى ذلك حاول .

(١)، (٢) نفس المصدر ٣ / ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٤٩ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ٩٩ ، ١٠٠ دولة الإسلام : ٦٤٩ أعمال ٢ / ١١٦ .

(٤) انظر نفس المصدر : ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ودولة الإسلام : ٦٥٠ .

الهرب إلى شرق الأندلس ولكنه فشل في ذلك ، وكشف أمره ، وقتل ، ونُهبت دوره وأمواله .^(١)

هشام المؤيد وفشل الممارسة :

وتولى هشام المؤيد تدبير الأمور بنفسه مستعينا بقائد شرطته الذي استطاع بشدته وحزمه أن يسيطر على أوضاع قرطبة . وتعرضت قرطبة في هذه الآونة لفيضانات شديدة أودى بحياة الآلاف ، وهدم الآلاف من البيوت ،^(٢) « واشتدَّ حال أهل قرطبة حتى أكل الناس الدم من مذابح البقر والغنم وأكلوا الميتة ... ومع هذه المحق فشربُ الخمر ظاهر ، والزنا مباح ، ولا ترى إلا مجاهرا بمعصية^(٣) »

وطلب سليمان من أهل قرطبة الصلح ، فأنكره غالبيتهم وحدثت صراعات مع المؤيدين للصلح والمعارضين له ، فتقل ذلك لهشام المؤيد فأوكل الأمر إلى وجوه الناس من الفقهاء وقادة الجند والوزراء ، فقرروا أن يكتبوا إلى سليمان يطالبوه بالبيعة لهشام على أن يكون هو ولي عهده ، وكان ذلك في سنة اثنتين وأربعمائة ولكن سليمان مزق الكتاب وادعى لنفسه إمارة المؤمنين^(٤) .

الجملة الثانية لسليمان المستعين :

وبدأت طلائع سليمان تتقدم نحو قرطبة وضيق الحصار عليها^(٥) ، « وفي سنة ثلاث وأربعمائة يوم السبت لأربع بقين من شوال وقعت الهزيمة على أهل قرطبة .. وفتحت قرطبة ، فخرج القاضي ابن ذكوان مع بعض الفقهاء إلى سليمان ورؤساء القبائل البربرية وطلبوا الأمان فأمنوهم^(٦) » عصمة للدماء وتجنباً للفوضى . ودخل سليمان المستعين قرطبة ظافرا ، وبويع له بعد أن انخلع هشام المؤيد من الخلافة ، ثم اتخذ سليمان الزاهرة مكانا لحكمه ، وقام بتقسيم الأندلس بين القبائل

(١) انظر البيان : ٣ / ١٠٤ - ١٠٥ وأعمال : ٢ / ١١٨ دولة الإسلام : ٦٥١ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١٠٥ ودولة الإسلام : ٦٥١ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦ .

(٤) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ وأعمال : ٢ / ١١٧ ودولة الإسلام : ٦٥٢ .

(٥) نفس المصدر : ٣ / ١١١ .

(٦) انظر البيان : ٣ / ١١٢ وأعمال : ٢ / ١١٨ ، دولة الإسلام : ٦٥٣ .

- التي نصرته ، من البربر^(١) وغيرهم فأعطى :
- ١ — البيرة (ELVIRA) ، لقبيلة صنهاجة يرأسها زيري بن مناد .
 - ٢ — الجوف : لقبيلة مغراوة البربرية .
 - ٣ — وسرقسطة (ZARAGOZA) : لتجيب يرأسها منذر بن يحيى .
 - ٤ — جيان وتوابعا (JAEN) : لبني برزال وبني يفرن وهم من البربر .
 - ٥ — شدونة (SIDONA) ونورور (MOROR) لبني دمر وأزداجه . وهم من قبائل البربر .
- ٦ — وطنجة (TANGIER) وأصيلا (ASILLA) وسبتة (CEUTA) لبني حمود . وكان هذا إيذانا بوجود زعامات محلية تهدد بتفتيت وحدة الأندلس .
- « ولما استقر الأمر لسليمان كان رؤساء البربر غاليين على أمره فحذر لذلك العامرية وفروا إلى بلاد شرق الأندلس » وكانت دار ملك لهم بعد ذلك ومن هؤلاء مجاهد العامري وخيران وغيرهم .^(١١)

(١) انظر أعمال الأعلام : ١١٩ / ٢ ، دولة الإسلام : ٦٥٤ .

(٢) البيرة : كورة من كور الأندلس وهي من قواعد الأندلس الحليفة ، انظر الروض المعطار : ٢٩ ، مرصد الاطلاع ١ / ١١١ .

(٣) الجوف : وهي مدينة من مدن شرق قرطبة (٤) سرقطة من مدن شرق الأندلس كورة القطر وهي قاعدة الشجر الأعلى انظر الروض المعطار : ٩٦ — ٩٨ وانظر صبح الأعشى : ٥ / ٢٣٢ .

(٥) وهي من أعظم مدن الأندلس وأكثرها خصبا وهي شرق قرطبة بين طليطلة وغرناطة ، انظر الروض المعطار : ٧٠ — ٧٢ وانظر صبح الأعشى : ٥ / ٢٢٩ ، مرصد : ١ / ٣٦٤ .

(٦) وهي كورة متصلة بكورة مورورحليلة القدر تقع في جنوب غرب الأندلس ، انظر : الروض المعطار : ١٠٠ — ١٠١ .

(٧) وهي في غرب الأندلس متصلة بالشمال بقرمونة وفي الجنوب بشدونة ، انظر : الروض المعطار : ١٨٨ .

(٨، ٩، ١٠) طنجة وأصيلا وسبتة من مدن المغرب وتقع في شماله .

(١١) أعمال الأعلام : ١١٩ / ٢ .

الحموديون والسلطة

وبتقديم سليمان لعلی بن حمود ، ولأخيه القاسم مَكَّنَ بذلك من نفسه ، وَيَسَّرَ لهم سبيل الخروج عليه ، وتحركت في عُلَى بن حمود نزعة الاستيلاء على السلطة ، فكاتب خيران العامري مدعياً بأن هشام المؤيد قد كتب إليه يوصيه بتولى الأمر بعده ، فسار بمجموعة نحو قرطبة ، ودخلها في المحرم سنة (٤٠٧ هـ = ١٠١٦ م) ، وبويع له في السابع منه والمصادف يوم الإثنين^(١).

افتتح علی بن حمود أمره بالانتقام لهشام المؤيد فقتل سليمان المستعين . وبذلك نشأت دولة بنی حمود بقرطبة ، ولكن سوء إدارة ابن حمود وشدته وتنكيله بالعامريين دفع ببعض خدمه الاتفاق على قتله فقتل في حمام داره وذلك سنة (٤٠٨ — ١٠١٧ م) في اليوم الثاني من ذى القعدة^(٢).

تولى الأمور بعد علی بن حمود القاسم بن حمود أخوه وحاول أن يخفف آثار سياسة أخيه علی وسوء تصرفاته « فتنسم الناس روح الرفق وباشروا ظل الأمن واطمأنت بهم الدار »^(٣).

ولكن البربر لم يُعجبهم ذلك فدبروا للإيقاع بين القاسم بن حمود وبين يحيى بن علی بن حمود ، فدفعوا يحيى للقيام في وجه عمه ، ففر القاسم إلى إشبيلية في الثامن من ربيع الآخر (سنة ٤١٢ هـ = ١٠٢١ م) وقيل في أوائل جمادى الأولى من السنة نفسها .

استولى يحيى علی قرطبة وما يتبعها وبويع له في أوائل جمادى الأولى ٤١٢ هـ وحاول أن يسير في حكمه سيرة أبيه إلا أن الكبر والعجب والاستبداد إذا ابتلى بها الحاكم

(١) انظر اليان المغرب ٣٠ / ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ وانظر الذخيرة ١ : ٩٧ ، ١٠٠ وانظر أعمال : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) انظر السان : ٣ / ١٣٠ وأعمال : ٣ / ١٣٠ .

(٣) اليان المغرب : ٣ / ١٣١ .

انظر البيان المغرب : ٣ / ١٣١ ، ١٣٢ وأعمال : ٢ / ١٣٢ .

(١) كان ذلك إيذاناً بنهايته ، وحاول يحيى تدارك أمره بمصالحته لعمه القاسم الذى تولى إمرة إشبيلية وما حولها وتولى يحيى مالقة وأعمالها ، وتسمى كل منهما بإمارة المؤمنين ، مما جعل ابن حزم يسخر من ذلك بقوله : « خليفتان تصالحا وهو أمر لم يُسمع بأدّل منه ولا أدلّ على إدار الأُمور » والتهالك على الحكم لاغير .

وفى سنة (٤١٣ هـ — ١٠٢٢ م) لاثنتى عشرة من ذى القعدة خرج يحيى إلى مالقة لزيارة أخيه إدريس بن على بن حمود فاغتتم عمه القاسم بن حمود ودخل قرطبة وجدد البيعة له . (٢)

ولكن أهل قرطبة ثاروا عليه بعد سبعة أشهر ، وحاصروا قصره بعد أن حدثت بين البربر وأهل قرطبة من الاحتكاكات ما أدى إلى نشوب قتال عنيف يوم السبت العاشر من جمادى الأولى (سنة ٤١٤ هـ — ١٠٢٣ م) استتبع ذلك صلحا لم يدم ، وتجدد القتال يوم الجمعة من الشهر نفسه تمكن بعدها أهل قرطبة من طرد القاسم بن حمود وجموع البربر الذين معه مُتخفين بالجراح ، والقتلى ، فتوجهوا إلى إشبيلية ، ولكن القاضى محمد بن إسماعيل بن عباد رفض فتح أبواب إشبيلية لهم ، بل سلّم للقاسم ابنه ومن معهما من البربر ، فرحل القاسم ومن معه إلى شريش ، « فزحف إليه ابن أخيه يحيى بن على بن حمود إلى شريش فحاصره بها حتى أخذه أسيراً عنده مع بنيه وسجنهم بمالقة إلى أن هلك فى سجنه سنة (٤٢٧ هـ — ١٠٣٥ م) » (٦)

ثم إن يحيى بن حمود عاد لحكم قرطبة مرة أخرى فى سنة (٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م) حيث دخلها فى يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان ، ولا استقر الأمر له تركها إلى مالقة فى يوم الثلاثاء الثامن من المحرم سنة (٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) ، وأتاب عنه فى حكم قرطبة وزيره أبا جعفر أحمد بن موسى فاغتتم الفتيان العامريان مجاهد صاحب دانية ، وخيران صاحب المرية الموقف

(١) انظر نفس المصدر : ٢ / ١٣٢ .

(٢) (٣) نفس المصدر : ٣ / ١٣٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ١٣٢ .

(٤) انظر البيان المغرب ٣ / ١٣٤ ، ١٣٥ وأعمال الأعلام ٢ / ١٣٣ .

(٥) نفس المصدر ٣ / ١٤٤ .

(٦) ابن خلدون ٤ / ١٥٤ وانظر نفح الطيب ١ / ٤٣٢ .

فسارا متوجهين إلى قرطبة ، وما أن سمع أهل قرطبة بهما حتى ثاروا على البربر وقتلوا منهم عددا بلغ الألف ، وكان ذلك يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الأول سنة (٤١٧ هـ — ١٠٢٦ م) .^(١)

وفرت فلول البربر متجهة إلى مالقة التي كانت تحت سيطرة يحيى ابن حمّود ، وبقيت دولة بني حمود في جنوب الأندلس حتى أزالها بنو عباد سنة (٤٥٠ هـ — ١٠٥٨ م)^(٢)



(١) انظر البيان : ٣ / ١٤٣ وانظر أعمال الأعلام ١٣٦ — ١٣٧ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١٤٣ ، وانظر ابن خلدون : ٤ / ١٥٤ ، وانظر نفح الطيب ١ / ٤٣٢ — ٤٣٥ .

الخلافة بين البقاء والضياع

البشر في رحلة الحياة ينتقلون في أطوار مختلفة ، فهم يمرون بطّور الطفولة ثم الشباب فالشيخوخة فالموت ، تلك سنة أودعها الله هذا الكون : بقوله ﴿الله الذى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعِيفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعِيفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤) الروم .

ودل استقرار أحوال الثّول أنّها تمر بأطوار شبيهة ^(١) ، فتبدأ ضعيفة مغلوبة ولكن إصرار المجموعة البشرية التى تريد إقامة الدولة وقوة ترابطها وتناصرها وثباتها هو الكفيل بنقلها إلى الطور الثانى ، وهو التمكن وفى هذا الطور تحقق المجموعة البشرية أهدافها ويظهر إنتاجها الحضارى ، ويضعف الجيل الحامل لهذه الأهداف وبتقصير فى إدارة الدولة يسرى الضعف إليها بسرّيان الترف ، فتبدو مظاهر التفكك فى بنيتها ، مما يؤدى إلى الانهيار .

ولقد مرّت الدولة الأموية فى الأندلس بتلك الأطوار .

وقد بدت ملامح الطور الثالث لحكم بنى أمية فى أواخر القرن الرابع الهجرى حين تحولت الخلافة لمنصب صورى ، الهيمنة الحقيقية فيه كانت للحُجّاب أو الوزراء الذين كانوا يتصدّرون لإبرام الأمور باسم الخليفة لضعفه ، ولقوة شخصية الحاجب أو الوزير ، واستمر الحال على هذا إلى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى حيث استلم ابن جَهْوَور تسيير الأمور فى قرطبة بعد إسقاط حق بنى أمية فى الخلافة سنة (٤٢٢ هـ — ١٠٣١ م) كما سنرى .

محاولة إعادة الخلافة :

وقد قامت عدة محاولات لإعادة الخلافة إلى البيت الأموى ممن تغلب عليها من هؤلاء الحُجّاب والوزراء لاسيما وإن الرأى العام الأندلسى بعامة كان يدين

(١) ذهب إلى ذلك ابن خلدون فى مقدمته ، انظر ٢ / ٥٤٦ — ٥٤٧ ، تحقيق على عبد الواحد وافى الطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

للأمويين بالولاء ، وكانت هذه المحاولات يتفق على القيام بها أهل قرطبة من الأندلسيين والفتيان الصقالبة العامريين الذين كانوا يُكنون الولاء للبيت الأموي وخاصة لمولاهم المستنصر ولابنه من بعده هشام المؤيد ، لذا فكل محاولاتهم كانت تتمثل في الوقوف في وجه من يحاول خلع هشام المؤيد ، وتمثل ذلك في مواقفهم من محمد بن عبد الجبار وسليمان المستعين .

كانت المحاولة الأولى من قبل خيران العامري الذي تعاون مع واضح الفتى على إعادة هشام المؤيد إلى الخلافة بعد استيلاء محمد بن هشام بن عبد الجبار عليها ، واتفقا على قتل محمد بن هشام فتم ذلك سنة (٤٠٠ هـ — ١٠١٠ م) كما بينا وأعادا الخلافة إلى هشام المؤيد الذي كانوا يعتبرونه إمام دولتهم الشرعي بعد موت المنصور بن أبي عامر .^(١)

ولكن مافتىء سليمان المستعين أن دخل قرطبة سنة (٤٠٣ هـ = ١٠١٦) ، بعد أن قُتل واضح كما سلف ، وفرّ الفتيان العامريان إلى شرق الأندلس^(٢) . وقد قام الفتيان العامريون بمحاولات أخرى لإعادة الخلافة منها ما كانوا ينفردون بها ، وبعضها كان بالتحالف مع آخرين ، وذلك بتأييد من يصلح لها من بنى أمية ، خاصة بعد أن أشيع زمن سليمان موت هشام المؤيد لأن سليمان لم يكن مرضيا عند الفتيان ، ولا عند أهل قرطبة ، وذلك لتقديمه البربر في مناصب الدولة .

ففي سنة (٤٠٥ هـ — ١٠١٥ م) قام بمدينة ذائبة بشرق الأندلس ثائر من أشراف بنى أمية اسمه عبد الله بن عبيد الله المعيطي ، وذلك في ظل مجاهد العامري ، وكان مجاهد يُجَلُّ ويحترمه لفقهه وعلمه ، فقدّمه وبايعه على الخلافة ، ولكنه مالبت أن تختلف معه فنفاه إلى بُجّانة بالمغرب في سنة (٤٠٧ هـ — ١٠١٦ م) .^(٣)

وفي السنة نفسها ٤٠٥ هـ أظهر على بن حمود وصية من هشام المؤيد له يوليه العهد فيها ويستنجد به لتخليصه من سليمان المستعين ومن معه ، وأيده في ذلك حين ان العامري لاعتقاده بأحقية هشام بالبيعة ولعله لهذا السبب لم يتفق مع مجاهد

(١) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ١١٦ ودول الطوائف : ١٥٩ ودولة الإسلام : ٦٥٨ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ١١٥ ودولة الإسلام : ٦٥٨ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ١١٥ ، ١١٦ ، وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٢٢٠ ، وانظر دولة الإسلام : ١٨٩ ، ١٩٠ والصلة : ٢٦٩ .

في مبايعة المُعيطي . (١)

وفي سنة (٤٠٦ هـ - ١٠١٦ م) سارت جموع علي بن حمود وخيران إلى قرطبة ودخلتها في منتصف المحرم ونودي بالخلافة لعلي بن حمود بعد أن أثبت للناس موت هشام المؤيد ، وأما خيران العامري فلما لم يجد مولاة هشام حياً أوجس من علي بن حمود خيفةً فانصرف إلى شرق الأندلس . (٢)

وفي هذه الآونة قام عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر الملقب بالمرتضى بمدينة جَيّان يدعو بالخلافة لنفسه فناصره خيران العامري وزهير ومجاهد وغيرهم من موالى بنى أمية وأنصارهم وخرجوا مع المرتضى سنة (٤٠٩ هـ - ١٠١٨ م) ، نحو قرطبة ولكن زاوي بن زيري الصنهاجي قَلَّ جمعهم وقتل المرتضى . وباءت هذه المحاولة بالفشل . (٣)

وبفشل هذه المحاولة « ركبت ريح الروانية في ذلك الوقت .. وآيس الناس من دولتهم وألوى الخمول بجملتهم فتقطعوا في البلاد ... وامتحنوا واستهينوا » (٤) واستمر الأمر لبني حمود حتى تمّ إخراج القاسم بن حمود من قرطبة في جمادى الآخرة سنة (٤١٤ هـ - ١٠٢٣ م) . (٥)

محاولات قرطبية :

وحاول أهل قرطبة محاولة جديدة لإعادة الخلافة بعد طرد القاسم فاختاروا سليمان بن عبد الرحمن بن محمد ولقبوه بلقب أبيه المرتضى وفي لحظات عقد البيعة له (٦) « هجم عليهم في المسجد الجامع عبد الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار — أخو مُوقِد الفتنة المهدي — في شُرذمة من الناس يدعو لنفسه فرجعوا إليه بين مُكرِهٍ وراضٍ » (٧) وكانت البيعة لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار يوم

(١) انظر البيان : ٣ / ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، وانظر أعمال ٢ / ١٢٩ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٥٩ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١١٦ - ١٢١ ، انظر أعمال ٢ / ١٣٠ ، وانظر العبر ٤ / ١٦٤ ، وانظر دولة الإسلام ٦٥٩ / ٦٦٠ .

(٣) نفس المصدر ٣ / ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٧ ، انظر أعمال ٢ / ١٣١ ، وانظر دول الطوائف : ١٩٦ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٦٠ - ٦٦١ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ١٢٨ ، وأعمال الأعلام ٢ / ١٣١ .

(٥) انظر البيان المغرب : ٣ / ١٣٤ ، وأعمال الأعلام ٢ / ١٣٣ ، وانظر قرطبة في العصر الإسلامي : ١٢٦ .

(٦) ، (٧) انظر البيان : ٣ / ١٣٥ ، وأعمال : ٢ / ١٣٤ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٦٤ .

الثلاثاء السادس عشر من رمضان سنة ٤١٤ هـ وتلقب بالمستظهر ولم يحكم إلا سبعة وأربعين يوماً حيث قتل في يوم السبت الثالث في ذى القعدة في السنة نفسها لاعتقاله عدداً من الوزراء ومحاولته مصالحة البربر مما أهاج العامة عليه فقتلوه^(١) ، « فختم به فضلاء أهل بيته الناصريين فلم يأت بعده مثله »^(٢) .

وعندما ثار أهل قرطبة على عبدالرحمن المستظهر أقاموا مكانه محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن الناصر — وهو ابن عمه — وكان مختفياً خشيية من المستظهر وعندما بويع لمحمد هذا بالخلافة لُقِبَ بالمُسْتَكْفَى^(٣) ، وكان « ذلك يوم السبت لثلاث خلون من ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ = ١٠٢٣ م^(٤) ووصف بأنه لم يجلس للإمارة مدة الفتنة أنقص منه^(٥) » وقد كرهه أهل قرطبة لسوء خُلُقِهِ وتصرفه فخلعوه من الإمارة سنة (٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م) يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول وخرج هارباً من قرطبة متنكراً ، ووجد مقتولاً بعد خاعه بسبعة عشر يوماً وكانت المحاولة الأخيرة لإعادة الخلافة الأموية عندما أخرج أهل قرطبة فلول بنى حمود وأتباعهم من البربر كما مر . وبقيت قرطبة دون خليفة « واجتمع أهل قرطبة ... فنظروا من يسددون به الرسم من بنى أمية » فلم يجدوا إلا هشام ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر — أخا المرتضى — فكتبوا إليه وهو في قلعة إلبونت يبايعونه على الخلافة وتم ذلك في (يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة (٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م) وغادر إلى قرطبة دار الخلافة الأموية في (عشرين ذى الحجة سنة (٤٢٠ هـ = ١٠٣٠ م) الموافق يوم الثلاثاء حيث بايعه أهل قرطبة بيعة تامة ولقب بالمعتد بالله^(٨) .

(١) انظر البيان : ٣ / ١٣٥ ، أعمال : ٢ / ١٣٥ ولقبه بالظافر والعبر ٤ / ١٥٢ وانظر الحلة السراء ٢ / ١٢ — ١٧ ترجم له ترجمة طويلة وانظر دولة الإسلام ٦٥ — ٦٦٦ .

(٢) البيان : ٣ / ١٤٠ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ١٣٨ وأعمال : ٢ / ١٣٥ والحلة : ٢ / ١٢ ، ١٣ وانظر دولة الإسلام : ٦٦٦ .

(٤) (٥) انظر نفس المصدر ٣ / ١٤٠ — ١٤١ .

(٦) انظر البيان : ٣ / ١٤١ — ١٤٣ وأعمال : ٢ / ١٣٦ ودولة الإسلام : ٦٦٧ .

(٧) أعمال الأعلام ٢ / ١٣٧ والحذف منى .

(٨) انظر البيان : ٣ / ١٤٥ ، ١٤٦ وقلعة إلبونت .

ولم يدم سرور أهل قرطبة بذلك لأن هشاماً قلّد الوزارة رجلاً لا سابقة له في هذا العمل ولا خبرة ، اسمه حَكَمُ الحائك^(١) ، « وهو رجل من دخلاء الجند ما فيه شيء من خصال الرجال ... منتقلاً من الحياكة إلى الذروة العليا من تقلّد الوزارة فبَدَرَ لأوّل وقته بعداوة الأحرار وتنقص الفضلاء ، والميل على ذوى البيوتات بالأذى .. ونال من أهل المنازل الرفيعة النبيلة »^(٢) وكان أكثر أعوانه « صبية أغمار من ثمطه .. إن ضَجَّ مظلومٌ سَخِرُوا منه ... فكان الناس منهم ومن صاحبهم — حَكَمُ الحائك — في بلائٍ عظيم »^(٣).

وقد أورد ابن حيّان المؤرخ وهو شاهد عصره غير هذه الأوصاف مما يُنبئ عن سوء الأحوال والتدبير ، مما لا يصبر عليه ذو حمية ونخوة لاسيما وأن الخليفة عالم بذلك راض بتصرفات وزيره .^(٤)

وأغرى هذا الوضع المنهار المتهافتون على السلطة من بنى أمية فانبرى ابن عم هشام المعتد واسمه أمية بن عبد الرحمن فقتل حكماً الحائك وزير هشام وادعى لنفسه الحق في تولي الخلافة فحاصر هشاماً في أحد أبراج قصره بعد أن اقتحم القصر وأعمل فيه النهب هو وجنده ، مطالباً بالبيعة لنفسه .^(٥)

سحب الثقة عن الأمويين :

وبلغ الأمر منتهاه وعمت الفوضى جميع جوانب الحياة في قرطبة — السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية لسوء سياسة الخلفاء الأمويين ، ومروّقهم فضجت الأمة بكل قطاعاتها وهتفت بإسقاط الخلافة عن الأمويين^(٦) « واتفق رأى الجماعة — أهل الحل والعقد — بقرطبة على محو رَسْم الخلافة الأموية لعدم الصُّلوح في أهل بيتها ، وسوء الجوار وفناء الأموال »^(٧) ولعدم وجود من هو أهل للخلافة من غير الأمويين « اتفق الملاء على إسناد الأمور بالحضرة — بقرطبة — إلى

(١) انظر البيان : ١٤٦ / ٣ ، ١٤٧ .

(٢) الذخيرة : ١ / ٥٢٣ وانظر البيان : ١٤٨ / ٣ والحذف منى .

(٣) الذخيرة : ٣ : ١ / ٥٢٤ وانظر البيان : ١٤٩ / ٣ .

(٤) انظر الذخيرة ٣ : ١ / ٥٢٤ .

(٥) ، (٤) انظر البيان : ٣ / ١ / ٥٢٤ .

(٧) أعمال : ١٤٧ / ٢ .

شيخ الجماعة وبقية الأشراف من بيوت الوزارة ^(١) « لسياسة شؤون الدولة والقيام بمهامها » وتودى في الأسواق والأرباض لا يبقى بقرطبة أحد من بنى أمية ولا يكتفهم — يؤويهم — أحد ^(٢) وكان ذلك في « يوم الثلاثاء الثاني عشر لذي الحجة من سنة اثنين وعشرين » ^(٣) بعد خلع هشام المعتد وإزالة أمية بن عبد الرحمن ابن عم هشام وإخراجهما من قرطبة .

وكان هذا إيذانا بمرحلة جديدة تمر بها دولة الإسلام في الأندلس ستتبين ملامحها في الصفحات المقبلة .



(١) أعمال : ٢ / ١٤٧ .

(٢) البيان للمغرب : ٣ / ١٥١ .

(٣) البيان : ٣ / ١٤٥ .

(٤) انظر تاريخ العرب في أفريقيا والأندلس . ٢٠٣ — ٢٠٤ .

عصر الطوائف

مرّ في الصفحات السابقة أن الخليفة سليمان المستعين قد ولى كبار وزرائه من العرب والبربر على مدن الأندلس وبمرور الوقت ، ولعدم استقرار الأوضاع السياسية غدا كلّ عامل من هؤلاء العمال هو الحاكم الحقيقي مع وجود الحكم المركزي بقرطبة ، بل إن الفتيان العامرين الصقالبة ، بدءوا بترك قرطبة في أوائل الفتنة (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ) واستقلوا بحكم مدن شرق الأندلس التي حلوا فيها وكان لهم تأثير كبير في الأوضاع السياسية في الأندلس ، وقرطبة على وجه الخصوص كما مرّ .

انتثار العقد :

وساءت الأحوال السياسية في قرطبة ، فنادى أهل الرأى في قرطبة بإسقاط الخلافة عن بنى أمية ، وتولى أبو الحزم بن جمهور إدارة شؤون الدولة ، « فلما اتصل الخبر بأمرأء البلاد ثار كل واحد منهم في بلده بمن عنده من الأجناد »^(١) وتفتتت الدولة الإسلامية في الأندلس وانتثر عقدها « وغدت كالصرح الشاوخ الذى انهارت أسسه وتصدع بنيانه »^(٢) ، « وتغلب في كل جهة منها متغلب وضبط كلُّ مُتغلب منهم ما تغلب عليه وتقسموا ألقاب الخلافة فمنهم من تسمى بالمأمون وآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية وفي ذلك يقول أبو علي الحسن بن رُشيق :

ما يُزهدنى في أرض أندلس سماعُ مُقتدر فيها ومعتضد
ألقابُ مملكة في غير موضعها كاهرٌ يحكى انتفاخاً صولة الأسد^(٣)

ولدافع حبّ السلطة ، والإصرار على التمسك بالحكم من قبل أمراء المدن الأندلسية انقسمت الأندلس إلى دويلات عديدة بلغت في مجموعها ستة أو عشرين

(١) التار الأندلسى لابن الكردبوسى : ٦٨ وانظر العير : ٤ / ١٥٦ .

(٢) دول الطوائف : عنان : ١٤ .

(٣) المعجب : ١٢٣ وأعمال : ٢ / ١٤٤ .

دويلة^(١)، وقسمت الأندلس من الناحية الإقليمية إلى ست مناطق رئيسية تضم كل واحد منها إمارة أو أكثر^(٢) :

الأولى : منطقة العاصمة القديمة قرطبة وما إليها من المدن والأراضي .
الثانية : منطقة طليطلة أو الثغر الأوسط . وكان يواجه مملكتي ليون وقشتالة ، وكانت عاصمته أول الأمر مدينة سالم واستبدلت بها طليطلة .

والثالثة : إشبيلية وغرب الأندلس وما إليها من الأراضي حتى المحيط الأطلنطي .
والرابعة : غرناطة ورؤية والفرنثيرة .

والخامسة : منطقة شرق الأندلس أو منطقة بلنسية وما إليها شمالا وجنوبا .
والسادسة : منطقة الثغر الأعلى وعاصمته سرقسطة ويشمل لاردة وتطيلية ووشقة وطرطوشة وغيرها ، وكان يواجه برشلونة ومملكة نافار .

العصبيات الحاكمة :

انضوت دويلات الطوائف تحت ألوية ثلاثة تجمعات كبيرة يطمع كل منها في بسط سلطانه على الأندلس :

أولا : الأندلسيون^(٣) : وهم العائلات التي استقرت في الأندلس منذ الفتح

(١) انظر : علاقات المرابطين بالممالك الصربية بالأندلس والدول الإسلامية رسالة دكتوراه لخليل إبراهيم صالح الدري بجامعة القاهرة كلية الآداب ١٩٧٩ بإشراف د. أحمد السيد دارج وانظر : قرطبة في العصر الإسلامي : ١٣٠ .

(٢) دول الطوائف : ١٧ وانظر التاريخ الأندلسي : د. الحجى : ٣٢٤ و انظر جغرافية الأندلس : ٩٥ .
(٣) واختلف المؤرخون في نسبتهم فمنهم من ينسبهم إلى العرب وهذا ما ذهب إليه الباحثون الشرقيون كرد فعل لموقف المؤرخين الغربيين والأسبان منهم خاصة حيث يعدون الأندلسيين أسبان ، ولذلك يعتبرون حضارة الأندلس إنتاجا أسبانيا وحتى العرب الذين دخلوا الأندلس ذابوا في المجتمع الأسباني فلم تبق دماء عربية في الأجيال التي تلت جيل الفتح .

انظر : الأدب الأندلسي : د. هيكل : ٣٠ — ٣٧ وانظر دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة : د. الطاهر مكي : ١٤٢ — ١٤٩ ، ٢٤٨ — ٢٥٢ والحقيقة أن الإسلام هو نسبته الحقيقي ، فهو الذي صهرهم في بوتقته بعيدا عن العنصر والعرق ، بل حتى الذين لم يُسلموا منهم تأثروا بالالتزامات الإسلامية في المأكل والمشرب ، فمنهم من ترك أكل الخنزير ، وشرب الخمر ، وتكلم بالعربية بدل اللغة القومية ، انظر التاريخ الأندلسي : د. الحجى : ١٤٣ — ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ — ١٧٢ .

الإسلامى وانصهرت فى بوتقة الإسلام بِغَضِّ النظر عن أصلها العربى أو البربرى أو الصُّقلى أو الإسبانى المسيحى وقد عرف هؤلاء بأهل الجماعة ، ويمثل هؤلاء :

١ — بنوعباد فى إشبيلية (SEVILLA) (٤١٤ — ٤٨٤ هـ / ١٠٢٣ — ١٠٩١ م) مؤسسها القاضى محمد بن إسماعيل بن عباد (٤٣٣ هـ) ونسبهم إلى قبيلة لَحْم العربية سنة ٤٨٤ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٢ — بنو جَهْور فى قرطبة (CORDOBA) (٤٢١ — ٤٦٢ هـ / ١٠٣٠ — ١٠٦٩ م) مؤسسها القاضى أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور (٤٣٥ هـ) وهم من الموالى وفى سنة ٤٦٢ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٣ — بنو البكرى فى وَلْبَة (HUELVA) وشلطيش (SALTEX) (٤٠٢ — ٤٤٣ هـ = ١٠١٢ — ١٠٥٢ م) مؤسسها عبد العزيز البكرى نسبة لقبيلة بكر بن وائل العربية وفى سنة ٤٤٣ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٤ — بنو يحيى فى لبلة (NIEBLA) (٤١٤ — ٤٤٤ هـ / ١٠٢٣ — ١٠٥٣ م) ، مؤسسها أحمد بن يحيى اليحصبى نسبة إلى قبيلة يَحْصُب العربية وفى سنة ٤٤٤ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٥ — بنو مُزَيْن فى شَلْب (SILVES) (٤٣٨ — ٤٥٤ هـ / ١٠٤٦ — ١٠٦٢ م) مؤسسها القاضى عيسى بن أبى بكر بن مُزَيْن وفى سنة ٤٥٤ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٦ — بنو تُجيب فى سَرَقُسطة (ZARAGZA) (٤٠٧ — ٤٢٩ هـ = ١٠١٧ — ١٠٣٧ م) مؤسسها المنذر بن يحيى التُّجيبى (ت ٤٠٣ هـ) نسبة إلى قبيلة تُجيب العربية وفى سنة ٤٢٩ هـ سيطر عليها بنو هود .

٧ — بنو هود فى سَرَقُسطة (٤٢٩ — ٥٠٣ هـ / ١٠٣٧ — ١١١١ م) مؤسسها سليمان بن محمد بن هود (٤٣٨ هـ) الجذامى نسبة إلى قبيلة هود الجذامية وسنة ٥٠٣ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

(١)

٨ — بنو رُزِين في السَّهْلة (SATAMARIA DE ALBARRACIN) ٢٠١ —

٤٩٦ هـ = ١٠١١ — ١١٠٢ م) مؤسسها هُذَيْل بن عبد الملك بن رُزِين وكان من أكابر البربر في الثغر (٤٣٦ هـ) ، وفي سنة ٤٩٦ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٩ — بنو القاسم في إلْبونت (ALPUENTE)^(٢) (٤٩٥ هـ = ١١٠٢ م) مؤسسها عبد الله بن القاسم الفهري (٤٢١ هـ) وفي سنة (٤٩٥ هـ) أصبحت ولاية مرابطية .

١٠ — بنو صُمَادِح في المَرِيَّة (ALLMRIA) (٤٣٣ — ٤٨٤ هـ = ١٠٤١ —

١٠٩١ م) مؤسسها معين بن صُمَادِح التجيبي^(٤) (٤٤٣ هـ) وسنة ٤٨٤ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

١١ — العامريون ويمثلهم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر (٤٥٤ هـ) : وكان يحكم بلنسية والمَرِيَّة ومرسية وكان الوضع فيها كآلاتي :

أ — في بلنسية (VALECIA) (٤١٢ — ٤٥٢ هـ = ١٠٢١ —

١٠٦١ م) وخلفه ابنه عبد الملك وطرده المأمون بن ذنون ملك طليطلة واستولى عليها سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م .

ب — في المارية (٤٢٩ — ٤٣٣ هـ / ١٠٣٨ — ١٠٤١) استقل بها حاكمها معين بن صمادح سنة (٤٣٣ هـ) .

ج — في مرسية (MURCUA) (٤٢٩ — ٤٥٢ هـ = ١٠٣٨ —

١٠٦١ م) سنة ٤٥٢ هـ خلفه ابنه عبد الملك ثم استقل بها حاكمها أبو بكر أحمد

(١) مدينة تقع في الشمال العري لبنسية ويطلق عليها شتمرية الشرق : انظر البيان ٣ / ١٨١ ، ٣٠٧ ومجاهد العامري : ٤٨ .

(٢) وقال ابن عذارى وكانت بأيديهم من أول الفتنه إلى سنة ٥٠٠ هـ ، انظر البيان ٣ / ٢١٥ والبونت من أعمال بلنسية : انظر الروض : ٥٨ .

(٣) قال ابن حزم هم فهريون بالخلف وأصلهم بربر : الجمهور : ٥٠١ .

(٤) قال الخطيب سبوا إلى أمهم صمادح وهم من قبيلة تقيب : انظر أعمال ٢ / ١٨٩ ونسبهم ابن حزم و كنده ولم يقطع بذلك : انظر جمهرة : ٤٣١ .

(٥) العامريون : نسبة إلى المنصور بن أبي عامر حدهم وهم الذين حكموا بلنسية وقد لقب به بعض الفتيان الصقالة لوالاهم للمنصور بن أبي عامر ومن أشهرهم مجاهد العامري صاحب دانية وخيران وزهير أصحاب المارية ومرسة .

ابن إسحاق بن طاهر .^(١) وهؤلاء الصقالبة كانوا في الأصل رقيقاً أو عبيداً من بين
ثانياً — الصقالبة :^(٢) الشعوب السلافية الذين يبعوا إلى غرب الأندلس ثم « توسع الأندلسيون في استعمال
هذا الاسم وأطلقوه على مواليتهم الذين جلبوا من مختلف البلاد الأوربية بما في ذلك
شمال أسبانيا المسيحية ، وتضم قائمة الصقالبة :

- ١ — سابور الفارسي وابناه عبد الملك وعبد العزيز في بطليوس (١٠٠٠ —
٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) .
سنة ٤١٣ هـ سيطر عليها بنو الأفطس .
- ٢ — مجاهد العامري وابنه علي في دانيّة (٤٠٠ — ٤٦٨ هـ / ١٠٠٩ —
١٠٧٥ م) سنة ٤٦٨ هـ انضمت إلى سرقسطة .
- ٣ — خيران في المرية ومرسية (٤٠٢ — ٤١٩ هـ / ١٠١٢ — ١٠٢٨ م)
وخلفه زهير سنة ٤١٩ هـ .
- ٤ — زهير في المرية ومرسية (٤١٩ — ٤٢٩ هـ / ١٠٢٨ — ١٠٣٨ م) سنة
٤٢٩ هـ خلفه عبد العزيز ملك بلنسية .
- ٥ — مبارك ومظفر في بكنسية (٤٠٧ — ٤١٢ هـ / ١٠١٦ — ١٠٢١ م)
سنة ٤١٢ هـ احتلها نبيل قطرده عبد العزيز بن أبي عامر في السنة نفسها .
- ٦ — نبيل في طرطوشة (١٠٠٠ — ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ — ١٠٣٥ م) سنة ٤٢٧ هـ
طرده مقاتل الصقلبي .

ثالثاً : البربر : وهم الذين قدموا الأندلس حديثاً وخاصة على عهد المنصور بن
أبي عامر . ويضم إليهم بنو حمود الهاشميون بحكم استقرارهم بين البربر فترة طويلة
حتى تكلموا بلغتهم ، ويضم إلى البربر كذلك بنو الأفطس على الراجح وينسبون إلى

(١) انظر العصر والأمم لابن عبد البر : ٣٥ وجغرافية الأندلس : للبكري : ١٥٤ ، ١٥٥ وقد تتبعت كليلاً
الأصل اللغوي لكلمة صَقْلُبا في اللغات الأوربية : انظر مجاهد العامري : ٣ وانظر الإسلام في أسبانيا : ٣٦ —
٥٩ .

(٢) انظر أعمال الأعلام : ١٢٨ وانظر في تاريخ المغرب والأندلس : ٢٧٦ .

مكناسة^(١)، وأما الآخرون فينسبون إلى قبيلتين بربريتين وهما صنهاجة. وزناتة وتضم دول البربر :

١ — بنو حمود :

أ — في مالقة (MALAGA) (٤٢٧ — ٤٤٩ هـ = ١٠٣٥ — ١٠٥٧ م) ، سنة ٤٤٩ هـ انضمت إلى غرناطة .

ب — في الجزيرة الخضراء (ALGECIRAS) (٤٢٧ — ٤٥٠ هـ = ١٠٣٥ — ١٠٥٧ م) سنة ٤٥٠ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٢ — بنو زيري في غرناطة (GRANADA) (٤٠٣ — ٤٨٣ هـ = ١٠١٢ — ١٠٩٠ م) مؤسسها زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة ٤٨٣ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٣ — بنو برزال في قرمونة (CARMONA) (٤٠٤ — ٤٥٩ هـ = ١٠١٣ — ١٠٦٧ م) مؤسسها محمد بن عبد الله بن برزال ، وهم من زناتة وسنة ٤٥٩ هـ انضمت إلى إشبيلية .

١٠٦٦ م) ، مؤسسها نوح بن أبي تزيى ، وهم من زناتة سنة ٤٥٨ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٤ — بنو يفرن في رندة (RONDA) (٤٣١ — ٤٥٧ هـ = ١٠٣٩ — ١٠٦٥ م) ، مؤسسها هلال بن أبي قره بن دوناس وهم بطن من زناتة . سنة ٤٥٧ هـ ، انضمت إلى إشبيلية .

٥ — بنو دمر في مورور (MORON) (٠٠٠ — ٤٥٨ هـ = ٠٠٠ — ١٠٦٦ م) ، مؤسسها نوح بن أبي تزيى ، وهم من زناتة سنة ٤٥٨ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٦ — بنو خزرون في أركش (ARCOS) وشريش (XERES) (٤٠٢ — ٤٦١ هـ = ١٠١١ — ١٠٦٨ م) مؤسسها محمد بن خزرون بن

(١) اختلف المؤرخون في نسبهم لأنهم انتسبوا إلى قبيلة تميم العربية وقد استبعد ابن حيان ذلك . وابن حزم لم ينسبهم إلى تميم في الجمهرة ورجح سنن أنهم بربر . وصنفهم خليل السامرائي وكليلا مع دول البربر في فوائم دول الطوائف . انظر أعمال الأعلام ١٨٢ والجمهرة : ٤٧٧ ، وانظر : علاقات المرابطين ، رسالة دكتوراه : ٤٣ ، وانظر مجاهد العامري : ٥٥ .

عبدون . وهم من زناتة وسنة ٤٦١ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٧ — محمد بن سعيد بن هارون في شنتمرية الغرب (SANTA MARIN DE ALGARVE) (٤١٧ — ٤٤٤ هـ = ١٠٢٦ — ١٠٥٢ م)^(١)
سنة ٤٤٤ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٨ — ابن طيغور في مارتلة (MERTOLA) (١٠٠٠ — ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ — ١٠٠٠ م) سنة ٤٣٦ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٩ — بنو الأفطس في بطليوس (BADAJOZ) (٤١٣ — ٤٨٧ هـ / ١٠٢٢ — ١٠٩٤ م) سنة ٤٨٧ هـ أصبحت ولاية مرابطية ،
مؤسسها عبد الله بن محمد بن سلمة المعروف بابن الأفطس .

١٠ — بنو ذنون في طليطلة (TOLEDO) (٤٢٨ — ٤٧٨ هـ / ١٠٣٦ — ١٠٨٥ م) مؤسسها إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذنون ،
سنة ٤٧٨ هـ احتلها الفونسو السادس ملك قشتالة .

والإمارات التي ذكرت في الترتيب السابق هي أشهر الإمارات التي ذكرها
المؤرخون وهناك إمارات صغيرة لم تُوردَ أسماءها لضعف تأثيرها في الحياة السياسية
وسرعة تغلب الدويلات الكبيرة عليها .

ولم تبق في الساحة الأندلسية حين مجيء المرابطين إلا دولة بنى عباد في إشبيلية
ودولة بنى هود في سرقسطة ، ودولة بنو رزّين في السّهلة ، وبنو القاسم في
إلبونت وبنو صُمّادح في الحرّية ، وبنو زيري في غرناطة ، وبنو الأفطس في

(١) وعند ابن عذاري انضمت إلى إشبيلية في (٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م) انظر : البيان ٣ / ٢١٥ وشتمرية
الغرب يطلق عليها الآن مدينة فارو (FARO) في جنوب البرتغال : انظر جغرافية الأندلس : ٦٩ .
كليلا : مجاهد العامري : ٥٢ — ٥٥ وقد أحالت إلى دوزي وموسوعة التاريخ : د. أحمد شليبي : ٤ /
٦٩ — ٧١ والتاريخ الأندلسي : د. الحجى : ٣٥٤ — ٣٥٥ ، ودول الطوائف : عنان : ٤٦٠ —
٤٦٤ ، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة : د. أحمد السعيد سليمان : ١ / ٣٠ — ٣٣
وعلاقات المرابطين بالممالك النصرانية : د. خليل إبراهيم رسالة دكتوراة : ٤٠ — ٤٣ .
كان الاعتماد على هذه المصادر في تنظيم هذه القائمة .

بَطْلْيُوس .

عصر الطوائف أهم المظاهر :

لوحظ الباحث ليكتب عن هذا العصر بالتفصيل لَمَّا وقَّاهُ حَقُّه ولعل ذكر أهم الظواهر التي تميز بها هذا العصر يفى بإعطاء صورة معبرة عن هذا العصر ، والذي استمر ما يقارب الثمانين عاما ، انتهى بدخول يوسف بن تاشفين الأندلس ، ووحدها تحت راية المرابطين ابتداء من سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م .

(١) .

وقد أطلق على هذا العصر (أيام الفَرَق) أى الخوف لهول ما وقع فيه من الفتن التي تدع الحليم حيران . العدو على الأبواب . يتلوع الأوطان . والحكام بالثرهات مشغولون ، ويتآمر بعضهم على بعض ، لكن هذه الحال « لم تكن تخلو من إشراقات وضياء حين تلتقى عوامل الخير الأصيلة الكامنة في النفوس وتدعو إلى الجهاد لمصلحة الوطن المسلم فتلقى بعوامل الفرقة والآفاق الضيقة جانباً »^(٢) ، كما سيأتى عند الكلام عن ثمرات الصحوة والدعوة إلى التوحيد .

وأهم الظواهر التي تميز بها :

أولا : التسابق على بسط النفوذ والحروب التوسعية :

تميز هذا العصر في التسابق على بسط النفوذ بين دويلات الطوائف بمختلف الوسائل لايتورعون عن الأخذ بأية وسيلة إن كانت توصلهم لمقصودهم ، فبالماراوغه مرة ، والمداهنة أخرى ، وإن لم ينفع هذا ولاذاك فالسيف^(٣) . ولعل ما سلكه المعتضد بن عباد في الاستيلاء على دول البربر في الجنوب أو دول غرب الأندلس ، وحروبه مع بنى يحيى ، وبنى الأفطس ، وبنى جهور ، وبنى البكرى ،

(١) انظر ابن الكردبوس : ٨٧

(٢) انظر التاريخ الأندلسي : الحجى : ٣٢٥ .

(٣) انظر علاقات المرابطين : ٤٣ - ٤٩ ، وانظر الموسوعة : ٤ / ٧١ - ٧٢ ، ودول الطوائف ٤٢ - ٤٩ .

وانظر البيان : ٣ / ١٧٠ - ١٧١ ، ١٧٤ - ١٧٥ ، ١٧٨ .

وبنى زيرى لتدل على نزعتة التوسعية . (١)

وما فعله ابن صمادح في احتلال المريّة وطرده لصهره ابن أوى عامر أمير
بلنسية ومحاربتة ابن جاوره من أمراء الطوائف . (٢)

مما يدل على انحرافهم عن الخط الخلقى المسلم : « وفي مثل هذه الحالة تظهر
العصبية والنزاعات التي تؤدي إلى التشتت والضياع » . (٣)

ثانياً : الاستعانة بالممالك النصرانية :

كان ملوك الطوائف يتسابقون في طلب الإمداد بالرجال والسلاح من ملوك
النصارى للحفاظ على كراسيهم المهزوزة ، ولإشباع طمع التوسع^(٤) ، وكان
أسرّ شيء عند الفُنش فتنة تقع بين الولاة من المسلمين فيعين هذا على هذا وهذا
على هذا ، فيستجلب بذلك أموالهم طمعا منه أن يعجزوا فيظفر هو بملك
الجزيرة كلها^(٥) .

وبداية هذا الأمر كان أول الفتنة القرطبية يوم استنجد المستعين بهم لمحاربة
المهدي وبالعكس مما نجم عن ذلك أسوأ معركتين وهما قنطيش ، وعُقبه البقر ،
وقد قتل في الأولى كثير من العلماء وطلبة العلم وكان النصارى يترصدونهم
أكثر من غيرهم كما مرّ في الصفحات السابقة .

وقد استغل ملوك النصارى هذه الهزيمة النفسية لدى ملوك الطوائف
ففرضوا الشروط وساءلوا على أرض المسلمين مقابل هذه الإعانة ، وعملوا
على إضعاف هذه الدول باستنزاف طاقاتها وثرواتها . بل بلغ الأمر بملوك

(١) انظر البيان : ٣ / ٢١٤ — ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١٦٧ والذخيرة : ١ : ١ / ٣٨٦ — ٣٨٨ وأعمال : ٢ / ١٩٠ .

(٣) التاريخ الأندلسي : ٣٢٥ .

(٤) كاستعانة ابن ذنون وابن هود بالنصارى في سنة ٤٣٥ — ٤٣٨ هـ ، انظر البيان : ٣ / ٧٨ — ٢٨٢

ونفح الطيب : ٢ / ٤٤١ وأعمال : ٢ / ١٧٨ وانظر الذخيرة : ٢ : ١ / ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ودول

الطوائف : ٩٩ — ١٠٠ وانظر علاقات المرابطين : ٤٤ ، ٦٩ — ٧٠ ، ٧٧ — ٧٩ ، ٩٢ .

(٥) تاريخ الأندلس لابن الكردوبس : ٨٢ .

الطوائف أنهم كانوا يدفعون الجزية للنصارى نظير إعانتهم على أبناء جلدتهم ، فأصابهم الوهن ورفع الله المهابة من قلوب أعدائهم ، ووصف لنا المراكشي هذا الحال بقوله : « فأما ملوك الأندلس فلم يكن منهم أحد إلا يؤدي إليه — أى للأذفونش ملك قشتالة — الإتاوة ، وهم كانوا أحقر في عينيه وأقل من أن يحتفل بهم له » ^(١).

ووصفهم ابن عبد البر بأنهم صاروا خولا للنصارى — أى خدما — « ^(٢).

ومع هذا فكانوا يصوّرون الهزيمة نصرا ، والخنوع للعدو سلما وإعطاء الإتاوة إلى العدو سياسة ، وحاولوا إقناع الأمة بذلك ، وسخروا لذلك شعراء وكتاباً يلهجون بذلك يلبسون الحق بالباطل ، وأورد لنا ابن بسام شواهد على ذلك من رسائل مكتوبة ، ومنظوما من « شعر العصر شاهداً على الأمر » ^(٣) ولا يبعد هذا الشعر إلا أن يكون « مدح غرور وشاهد زور ومُعْتَف سائل وخديعة طالب نائل » ^(٤).

ثالثا : فقدان الشرعية لقيام دول الطوائف :

إن الحاكم في الدولة الإسلامية يكتسب شرعية وجوده من الأمة فهو كالوكيل عنها في القيام بشئونها في إطار الشرع « لأن تقليد الخليفة ليابة عن المسلمين » كما يقول الماوردي ، والانتخاب هو الطريق الموصل لاختيار الحاكم ، وتثبيت هذه الشرعية بمبايعة الأمة للحاكم عن طريق ممثلها من أهل الحل والعقد ^(٥).

(١) المعجب : ١٩٣ وانظر العبر : ٤ / ١٥٦ .

(٢) القصد والأهم : ٣٥ .

(٣) انظر الذخيرة : ٢ : ١ / ٢٤٨ — ٢٥٤ .

(٤) نفس المصدر : ٢ : ١ / ٢٤٨ .

(٥) نفس المصدر : ٢ : ١ / ٢٤٩ .

(٦) انظر السياسة في الفكر الإسلامي : الدكتور : أحمد شلبي : ٤٧ — ٧٩ ، والنظريات السياسية : د .

ضياء الدين الرئيس : ٣١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ . وانظر الفرد والدولة : د . عبد الكريم زيدان : ١٥ .

وملوك الطوائف كانوا يفتقدون الشرعية لوجودهم بعد إسقاط الخلافة عن بني أمية في الأندلس لأنهم أمراء متغلبون قفزوا إلى السلطة بغير إرادة الأمة فضلا عن ظلمهم وجورهم وموالاتهم لأعداء الله واستعانتهم بهم ضد أبناء جلدتهم ، ووصفهم ابن الخطيب بأنه « ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب . ولا في شروط الإمامة مكتسب »^(١) لذلك فقد حاول^(٢) بعض أمراء الطوائف أن يضفي على نفسه الشرعية بإطلاق الألقاب الخلافية أو التظاهر بإتفاق الأموال وجمع الحوارى والغلمان ، بل ذهب بعضهم إلى إعلان بيعة خليفة شرعى من بني أمية كسباً لعواطف الأمة التى كانت ترنوا إلى من يصلح لمنصب الخلافة ، فمجاهد العامرى أعلن بيعته لأحد رجال الأمويين وهو الفقيه أبو عبد الله بن عبيد الله المعيطى الذى مر ذكره ولكنه سرعان ما دبّ الخلاف بينهما ونفى مجاهد المعيطى خارج الأندلس . والمحاولة الثانية قام بها أبو القاسم محمد بن عباد سنة (٤٢٧ هـ) حيث استغل تضارب الأخبار فى وفاة هشام المؤيد ، وانتشار بعض الشائعات على أنه على قيد الحياة فادعى أن هشاماً المؤيد فى إشبيلية وأنه كان يتخفى فى مسجد قرية « يعمره ويتقوّت من العمل فى الحلفاء »^(٣) ويتسمى بخلف الحُصَري ، فتوجه إليه ابن عباد فى حاشيته « وقبلوا الأرض بين يديه .. فبهت الرجل .. وجعل يقول : لست بالذى تُعنون ... وهم لا يردون عليه » فألبسوه ملابس الخلافة وجاءوا به إلى إشبيلية ونادوا فى أسواقها بعودة أمير المؤمنين هشام المؤيد وانتقال الخلافة من قرطبة إلى إشبيلية وعليه أخذ ابن عباد يدعو ملوك

(١) أعلام الأعلام : ١٤٤ .

(٢) وانظر البيان المغرب ٣ / ١٦٢ - ١٦١ ، ١٨٣ .

وأطلقت المصادر الأوربية على هذه المحاولات مصطلح « وهم الخلافة » ومعناه : وجود خليفة يتمتع ظاهرياً بقوة ليست له فى الواقع ، انظر : مجاهد العامرى : ٤٠ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ١٩٠ ، ١٩٧ - ١٩٨ والذخيرة : ٢ : ١ / ١٧ ودولة الإسلام : ٣٧ .

(٤) البيان : ٢ / ١٩٠ ، ١٩٩ وأعمال : ٢ / ١٥٤ .

(٥) البيان : ٣ / ٢٠٠ .

الطوائف لمبايعة هشام المؤيد فبايعه عبد العزيز بن أبي عامر ومجاهد العامري^(١) وابن ذنون بايعه ليستعين بابن عباد على ابن هود^(٢) ، « وأبى قبول ذلك ابن جهور فغزا ابن عباد بلده إلى أن أظهر الموافقة^(٣) » واستمر بنو عباد يدعون الشرعية تحت ستار أسطورة هشام المؤيد حتى استوسق لهم الأمر ودانت لهم أكثر الدويلات بالولاء وغدت في ملكهم فلما استغنوا بذلك قطع الدعوة لهشام ، المعتضد بن عباد « زعيم جماعة أمراء الأندلس في وقته وأسد الملوك وشهاب الفتنة ... وذو الأنبياء البديعة ... والوقائع المبيرة والهمم العالية والسطوة الأبية^(٤) » وقد ادعى المعتضد موت هشام وكان ذلك سنة ٤٥١ هـ ، ونعاه لوجوه دولته وبذلك يصبح هشام المؤيد في ذمة التاريخ ، وقد سخر ابن حيان بذلك قائلا « وصارت هذه الميثة^(٥) لحامل هذا الاسم الميثة الثالثة وعساها أن تكون إن شاء الله الصادقة » ، فقد مات في زمن ابن عبد الجبار في المرة الأولى ثم نشر بيد واضح الفتى ثم مات مرة ثانية زمن سليمان بن الحكم المستعين ودفن خفية ، حتى ادعى محمد ابن عباد وجوده على قيد الحياة ، ثم نعى زمن المعتضد بن عباد^(٦) .

وبلغ ببعض ملوك الطوائف الأمر أن « خُطِبَ للخلفاء العباسيين^(٧) » طلبا لهذه الشرعية ، ومع هذا لم يستطع أحد من ملوك الطوائف أن يعطى المثل الأعلى للحاكم المسلم الذي يصلح لقيادة الأمة ، ولم تركز الأمة إلى إعطاء الراية لواحد منهم ، لاستمرارهم في غيهم ونزاعهم ، مما جعل أولوا الرأي والغيرة والصلاح من مفكرى الأندلس يطلبون من الزعيم المرابطى يوسف بن تاشفينى الدخول إلى الأندلس ومحاربة ملوك الطوائف ، وتوحيدها تحت رايته .

(١) البيان : ٣ / ١٩٠ .

(٢) انظر أعمال الأعلام ١٧٨ / ٢ .

(٣) أعمال الأعلام . ١٥٥ / ٢ .

(٤) الحلة السيرة . ٤٠ / ٢ .

(٥) البيان العرب ٢٤٩ / ٣ .

(٦) انظر البيان : ٣ / ٢٤٩ ودولة الإسلام : ٥٢ .

(٧) نفح الطيب : ١ / ٢١٣ .

رابعاً : النكسة النفسية للشعب الأندلسي :

كانت الفتنة القرطبية باباً كَسَرَهُ محمد بن هشام بن عبد الجبار ، حتى نسبها بعضهم إليه فقال ابن عَدَارَى « ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى » ^(١) بدل تسميتها بالفتنة البربرية .

وفي خضم أحداث الفتنة عمت الفوضى والتفقد النظام وثارَت الأحقاد بين عناصر المجتمع الواحد وظهرت نزعة الانتقام وكان يكفي أن يقال هذا بربرى فتمزقه السيوف وبالعكس حيث كان البربر ينتقمون لأنفسهم من أهل قرطبة حتى قدمت صلاة العشاء في قرطبة أحياناً لعذر الخوف من البربر ^(٢) ، وكان ديدن الأمراء والوزراء جمع الأموال بشتى الطرق واكتنازها كما فعل واضح ، ومبارك ومظفر وغيرهم فأثرت المجموعة الحاكمة وبطالتها ^(٣) وأتباعهم على حساب الأمة ، واجتاحت الأندلس المجاعة زمن الفتنة القرطبية فأكلت الجيف ، وسرقت بعض المساجد ، بل أحرقت وضعف الوازع الدينى حتى اختلّ التصور السليم للأمور ، وغدا الناس يرون أن النصارى أقرب إليهم من المسلمين ، حتى عزى بعضهم بعضاً عندما خرج النصارى إلى ديارهم بعد إعانتهم لـ محمد بن هشام بن عبد الجبار في دخوله قرطبة .

وكانت قمة المأساة بعد هذا كله إسقاط الخلافة ، وتمزقت الدولة الواحدة شراً ممزقاً ، وأخذ الصراع صوراً أكثر تعقيداً ، فانتقل من كونه صراعاً داخلياً بين عناصر المجتمع الواحد ، البربر والعرب والصقالبة إلى صراع إقليمي بين دويلات كونتها هذه العناصر بعد إعلان استقلالها ، بما زاد الشقة بينهم ، وجعل كل منهم

(١) البيان المغرب : ٣ / ٧٦ .

(٢) انظر الصلة : ١٤٠ ، ١٧٨ ، ١٦٣ .

انظر البيان المغرب : ٣ / ٨١ ، ٩٢ ، ٩٧ وانظر أحكام الأحكام لابن حزم ٣ / ٦٧ .

(٣) أمثال مبارك ومظفر اللذين فرضا من الضرائب العالية ما جعل أهل شاطبة يهجرون قراهم إلى مدن أخرى ، انظر : البيان ٣ / ١٠٤ ، ١٦٢ .

يتطلع إلى أن تكون دولته هي المتزعمة للأندلس ولو باستنصار أعداء الأمة الإسلامية على بنى جلدتهم ، حتى شب على هذا الوضع الصغير، وفنى الكبير . وقد صور شاعر أندلسي هذه الحالة فقال :

أمور يضحك السفهاء منها ويكي من عواقبها الحليم

خامسا : صحوة الأمة والدعوة إلى التوحيد

كان لتسلل العدو إلى أرض المسلمين واستيلائه على كثير من الحصون والمدن وقعه الشديد على نفوس المخلصين ، وخاصة بعد نكبة قلمرية (٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) ونكبة برشتُر في السنة نفسها والتي ذهب ضحيتها ستة آلاف قتيل وسبى مائة ألف آخرون^(١) وذلك بسبب خلاف بين الأخوين يوسف بن هود والمقتدر بن هود أدّى إلى أن يخذل الأخ أخاه ليقع الآخر فريسة للعدو .

وقد تركت هاتان النكبتان جرحا عميقا في وجدان أهل الغيرة من الأندلسيين لما ارتكبت فيها من الجرائم الشنيعة ، وقد وصف أبو محمد بن عبد البر الابن هذه النكبة برسالة^(٢) كتبها على لسان أهل برِشْتُر يَسْتَجِدُّون بأهل الأندلس عامة وأمراء الطوائف خاصة وهي كما يلي :^(٣)

أما بعد :

حرسكم الله بعينه التي لاتنام ، فإننا خاطبناكم مستغفرين وكاتبناكم مُستغيثين وأجفاننا قرحى ، وأكبادنا حرى ، ونفوسنا مُنطبقة ، وقلوبنا مُحترقة ، على

(١) انظر : النفح : ٢١٥ / ١ .

(٢) انظر : الذخيرة : ٣ : ١ / ١٨٠ — ٨٤ والبيان : ٣ / ٢٢٥ ودولة الإسلام : ٢٧٤ — ٢٧٩ التاريخ الأندلسي : ٣٥٩ — ٣٦٦ وعلاقات المرابطين : رسالة دكتوراه : ٨٦ .

(٣) انظر الذخيرة : ٣ : ١ / ١٧٩ — ١٧٠ وقد بسط ابن حيّان القول فيها وانظر : البيان : ٣ / ٢٢٥ والتاريخ الأندلسي : ٣٦٢ — ٣٦٦ .

(٤) انظر : الذخيرة : ٣ : ١ — ١٧٣ — ١٧٩ .

(٥) مواضع منتقاة انظر : نفس المصدر : ٣ : ١ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ وقد أجابه عليها محمد بن إسحاق بن طاهر (ت ٤٥٥ هـ) في رسالة يوافقه ويمدحه ، انظر نفس المصدر : ٢ : ١ / ٨٧ .

حين نشر الكفر جناحيه ، وأبدى الشرك نأجذيه ، واستطار الشرُّ ، ومسنا
وأهلنا الضرُّ

وننبئكم معشر المسلمين بعض مانابنا في ثغورنا عسى أن تكونوا سببا لنصرتنا
فالمؤمنون إخوة ، والمسلمون لُحمةٌ ، والمرء كثير بأخيه ، وإلى أمه يلجأ
اللهمفان ، وإلى الصوارم تفرع الأقران والسعيد من وعظ بغيره والشقى من
عميت عيناه ...

فلو رأيتم معشر المسلمين إخوانكم فى الدين ، وقد غلبوا على الأموال
والأهلين واستحكمت فيهم السيوف ، واستولى عليهم الختوف ، وأثختهم
الجراح ، وعشت بهم زرق الرماح ، وقد كثر الضجيج والعيول والنياح ،
ودماؤهم على أقدامهم تسيل سيل المطر بكل سيل ... دماء تُسفك ، وستور
تهتك ، وحرم تُنتهك ، ونعم تُستهلك ..

ومصاحف تُمزق ، ومساجد تُحرق ، فلا الأخ يُغنى أخاه ولا الابن يدعو
أباه ...

فما ظنكم معشر المسلمين ، وقد سيقت النساء والولدان ما بين عارية
وعريان ، قوداً بالتواصى إلى كل مكان ، طورا على المتون ، وطورا على
البطون ومشیخة الرجال مُقرنين بالحبال ، مُصَفِّدين فى السلاسل والأغلال ...

وما ظنكم — معشر المسلمين — وقد رأيتم الجوامع ، والصوامع بعد تلاوة
القرآن ، وحلاوة الآذان ، مطبقة بالشرك والبهتان ، مشحونة بالنواقيس
والصلبان عوضا عن شیعة الزحمان ، والأئمة والمتدينين ، والقومة والمؤذنين
يجرهم الأعلاج كما تجر الدبائح إلى الذابح ثم أضمرت عليهم نارا ، حتى
صاروا رمادا ، والكفر يضحك ويُنكى ، والدين ينوح ويكى ، فيا ويلاه ،
وياذلاه ، وياكرباه ، وياقرآناه ، ويامحمداه

وليس الخبر كالعيان ولا الظن كالعرفان ولقد آن أن يُبصر الأعمى وينشطُ

الكسلان ويستيقظ النومان ويشجع الجبان .

هذه الوثيقة القيمة التي وصفت هول الخطب الذي وقع على بَرَبَشْتَرُفَهِي بحق بياننا على لسان أهل بَرَبَشْتَرُ موجه إلى الأمة الإسلامية في الأندلس عامة وإلى حكامها خاصة أراد أبو محمد ابن عبد البر الابن أن ينبه بها الغافل إلى ما يحيط به من خطط الكيد ويستثير بها عزيمة العقلاء من العلماء والمفكرين لتشخيص الداء ووصف الدواء ويحذر بها الحكام من الاستمرار في صراعهم وتمزقهم لأنهم بذلك يفسحون المجال للعدو في اكتساحهم .

وكان لأبي عمر ابن عبد البر الابن دور مهم في تحريك نزعة الإصلاح عند ابنه عبد الله أبي محمد بن عبد البر ، فقد بث ابن عبد البر في ثنايا كتبه ما ينبه فيه على سوء الحال ويصفه لطلابه وغيرهم من مرتادي حلقات دروسه التي كان يعقدها في مختلف المدن الأندلسية ، ووصفه لحال الأندلس زمن الطوائف بما يدل على رفضه لهذا الواقع ، فيقول : « فصار كل من غلب منها — أي الأندلس — على موضع ملكه واستعبد أهله وكثر فيها الأمراء فضعفوا وصاروا خولا — أي خداما — للنصارى . »^(١)

ونجد أن ابن عبد البر قد ضمّن كتابه بهجة المجالس أبوابا يعالج فيها قضايا مختلفة تمس الواقع السياسي والاجتماعي في فترة الطوائف يحذر فيها من الاستبداد ويذم فاعله فيقول : « الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ؛ والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلم أحداً رضى الاستبداد وحمدّه إلا رجلاً واحداً مَفْتُوناً مُخَادِعاً لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجل فاتك يحاول حين الغفلة ويرتصد الفرصة وكلا الرجلين فاسق مائق . »^(٢)

فنبّه الأمة إلى طبيعة الاستبداد وذم من اتصف به وهو بذلك يخاطب حكام

(١) القصد والأمم : ٣٥ .

(٢) سيأتي الكلام عن هذا الكتاب في فصل مؤلفاته في الأدب .

(٣) بهجة المجالس : ١ / ٤٥٧ .

عصره من ملوك الطوائف من خلال مجالسه عند المظفر بن الأفطس^(١) (ت ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م) غير هيَّاب من قولة الحق .

ومنهجه في كتابه أنه يورد الآيات والأحاديث والأمثال وأقوال الحكماء وأبيات الشعر التي تنتظم المعاني التي قصدها في الباب .

ومن هذه الأبواب : باب السلطان والسياسة^(٢) — باب الظلم والجور^(٣) — باب البغى والحسد^(٤) — الحق والباطل^(٥) ... الخ .

طائفة الخير باقية :

ولم يكن ابن عبد البر وحيداً في بث روح اليقظة في الأمة وحثها على طلب الإصلاح ، وإنما ساهم في هذا الدور فقهاء وشعراء مؤرخون أجلاء دأبوا على إشاعة الرأي العام الذي يتفق ومنهج هذه الأمة في الحياة ، لأن منهج الإصلاح يجب أن يكون نابعا من عقيدة الأمة وتاريخها الذي هو قوام شخصيتها .

فابن حزم شارك بفتاواه وآرائه في وضع يد الأمة على موضع الداء لعلاجها فعندما سئل عن موقف المسلم من ملوك الطوائف وما هو الدور الذي يجب أن يؤديه لإصلاح الحال أجاب : « وأما ماسألتكم عنه من أمر هذه الفتنة ... فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة وهي فتنة سوء ... وعمدة ذلك أن كل مُدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب لله ورسوله وساع في الأرض بفساد ... غرضهم استِدام نفاذ أمرهم ونهيهم^(٦) ثم حذر الأمة من أن تتخدع ببعض الفقهاء الذين يزینون هؤلاء الحكام سوء فعالمهم بقوله :

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة تولى إمارة بطليوس سنة (٤٣٧ — ٤٦٠ هـ) وكان أدبيا مؤرخا له كتاب المظفرى في التاريخ والأدب . انظر الحلة السيرة : ٩٧ .

(٢) انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٣١ — ٣٥٣ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٣٦١ — ٣٧٠ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٤٠٦ — ٤٢٦ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٥٧٩ — ٥٨٩ .

(٦) رسالة التلخيص في وجوه التخليص : كتاب في الرد على ابن النفريلة اليهودى ورسائل اخرى ١٧٣ — ١٧٤ .

« ولا يغرنكم اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع ، المزينون لأهل الشر شرهم الناصرون لهم على فسقهم »^(١) وبين لهم أن الطريق للإصلاح هو الإمساك للألسنة إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما جاء في الأثر الصحيح عن النبي عليه السلام : « لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليُعَذِّبَنَّكم الله بعذاب »^(٢).

فمن عَجَزَ عن ذلك فالتقية تسعة مع أن هذا لا يجوز لأنه « لو اجتمع كل من يُنكر على هؤلاء ولو بقلبه لما غلبوا »^(٣).

وأما ابن حيان فقد حمّل الأمة المسؤولية لسكوتها وعدم صدعها بالحق « والاغترار بالأمل والإسناد إلى أمراء الفرقة الهمل .. يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم وضوح الدليل »^(٤) « وبعادهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم عليه السلام وذهولهم عن النظر في عاقبة أمرهم وغفلتهم عن سد ثغورهم »^(٥).

وعبارات ابن حيان وإن كانت لازعة ولكنها لم تغد الواقع الأليم الذي وصل إليه المجتمع المسلم في الأندلس حكاما ومحكومين في تلك الفترة .

ولم يكتف بتحميل الشعب المسؤولية فقط ، ولكنه حملها لأصحاب الفكر والحكام بقوله : « ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين لهم هم كالملاح فيهم : الأمراء والفقهاء ، بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يُردون ، فقد حصّ الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفهم لدينا ... فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق زيادا عن الجماعة وخوشا إلى الفرقة ، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدوف غمّا أكّد الله عليهم في التبيين لهم ، قد أصبحوا بين آكل من خلواتهم ... وبين مُستشعر مخافتهم » ... فما القول في أرض

(١) المصدر السابق ١٧٣ - ١٧٤ .

وانظر ابن حرم وجهوده في البحث التاريخي والحصارى : ٢٨١ - ٢٨٤ .

(٤) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٨٠ .

(٥) نفس المصدر : ٣ : ١ / ١٨٩ .

« فسد ملحقها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها »^(١).

وقد أسهم الشعراء في إيقاظ الحسّ والإشارة إلى مَنْ وراء الخطيب الفادح الذي حلّ بالأندلس وهذا أبو الحسن يوسف بن محمد بن الجعد الشاعر وضع يده على الداء وصاغه شعرا ليبصره كل ذى بصيرة فقال : (٢):

في كل يوم غريب فيه مُعْتَبِرُ	تلقاه أو يتلقانا به خبرُ
أرى الملوك أصابتهم بأندلس	دوائرُ سوء لا تبقى ولا تذر
قد كُنْتُ أنظرها والشمس طالعة	لوصحّ للقوم في أمثالها النظر
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قدر	هوى بأنجمهم تحسفاً وما شعروا
وكيف يشعر مَنْ في كَفِّهِ قَدْحُ	تحدوبه مُذهلاتُ الناي والوتر
صمتت مسامعه عن غير نغمته	فما تمرّ به الآيات والسور
تلقاه كالعجل معبوداً بمجلسه	له تُخوار ولكن حشوة تُخورُ
وحوله كل مُغتترّ وما علموا	أنّ الذي زخرفت دُنياهم غررُ
فقل لمن نام أصبحت انتبه فلقد	مضى لك الليل بحثاً وانقضى السحر
كأننى بكم، قد صيرتُم سمرًا	ومالكم في الورى عين ولا أثر
أما تكم قبل موتٍ سوء فعلكم	وكيف بالذكر إذ لم تحسن السيرُ

ثمرات الصّحة :

هذه الوقفة المشهودة من قبل مفكرى الإسلام وشعرائه أذكت في الأمة روح العزة والاستعلاء ورفض الانصياع لما فيه نيل من كرامة المسلم ويتجلى هذا المعنى من موقف الشعب المسلم في سرقسطة حيث قام رجل صالح من الفقهاء ومعه أهل مدينته يرفضون إقدام المقتدر بن هود على دفع الأموال للملوك النصارى وأعلموه أنّ

(١) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٨٠ — ١٨١ ولابن عبد البر مثل هذا الكلام انظر جامع بيان العلم : باب ذم العالم على مداخلة السلطان : ٢١٧ — ٢٢٦ وانظر الاستدكار له : ١ / ٦٥ .

(٢) انظر الذخيرة : ٢ : ١ / ٢٥٦ والشاعر هو أبو الحسن يوسف بن محمد بن الجعد ، انظر الذخيرة : ٢ : ٢ / ٥٥٦ — ٥٦٢ والمغرب : ١ / ٣٤٠ .

هذا الموقف مخالف للشرع الإسلامى^(١) وتكرر نفس الموقف فى طليطلة مع القادر بن ذى النون عندما أراد دفع الأموال للفونسو السادس « (٢)

وهذا قول الشاعر أبى طالب عبد الجبار المعروف بالمتنبىء يعبر فيه عن أحاسيسه تجاه الأمراء بهذه الأبيات ، ويُحملهم مسؤولية انحدار الدولة الإسلامية فى الأندلس :

ثم تَمَادَتْ هذه الطوائفُ تُخْلِفُهُمْ مِنْ آلِهِمْ خَوَالِفُ
دَائَتْ يَدَيْنِ الْجَوْرِ وَالْعُدُولِ إِذْ سُلِبَتْ عَقَائِلُ الْعُقُولِ
فَاهْمَلُوا الْبِلَادَ وَالْعِبَادَا وَعَظَّلُوا الثُّغُورَ وَالْجِهَادَا
وَاشْتَغَلَتْ أَذْهَانُهُمْ بِالْخَمْرِ وَبِالْأَغْنَى وَسَمَاعِ الزَّمْرِ
وَزَادَهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالْخِذْلَانِ أَنْ ظَاهَرُوا عَصَابَةَ الصُّلْبَانِ

فاستولت الروم على البلاد واستعبدوا حرائر العباد
وقتلوا الرجال كيف شاءوا وضاع دلو الدين والرشاء

ثم إنَّ هذه الصحوة لما سَرَتْ بين جموع المخلصين من الأندلسيين بكافة
قطاعاتهم جعلت قادة الرأى فى الأمة ينفرون إلى المبادرة فى نُصح الحكام ومطالبتهم
للاستجابة لهذه الصحوة وإصلاح ذات بينهم وتوحيد صفوفهم لمواجهة الخطر
النصرانى الذى بات يهددهم فى عقر دارهم .

وكان على رأس دعاة الإصلاح المحدث الفقيه أبو الوليد الباجى (ت
٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م)^(٣) الذى بادر متطوعا بالدعوة إلى التوحد ونبذ الفرقة

(١) أنظر البيان : ٣ : ٢٢٩ وأعمال : ٢ / ١٧١ — ١٧٢ .

(٢) أنظر تاريخ ابن الكردبوسى : ٨٢ ر ٨٣ وأنظر علاقات المرابطين : ١٣٣ .

(٣) أنظر ترجمته فى الذخيرة ٢ : ١ / ٩٤ — ١٠٥ والنفع : ٢ / ٦٧ — ٧٧ ، وسنعرف به فى مبحث أقران
ابن عبد البر .

والتشتُّ « ورفع صوته بالاحتساب ومشى بين ملوك أهل الجزيرة »^(١)، ولكن المصادر لم تحدد لنا تاريخ بدء الباجي بدعوته للوحدة ولكن يبدو أنها بدأت إثر رجوعه من رحلته العلمية في المشرق الإسلامي سنة (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) . ثم إنَّ مأساة بربشتر (٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) كانت مُحفزاً مُهماً له ولأمثاله لتكثيف هذه الجهود^(٢) . فأثمرت استعادة مدينة بربشتر في السنة التالية وطرد محتليها كما مر .

ثم إن أصابع الاتهام التي رفعها العلماء مشيرين بها إلى ملوك الطوائف ، جعل ملوك الطوائف يبادرون إلى تغيير مواقفهم وتعديل سياساتهم وبادر عُقلاؤهم للاستجابة إلى مُبادرة أبي الوليد الباجي الذي كان ينتقل بين سرقِسطة^(٣) وبلنسية ومُرسية ودانية^(٤)

وبطليوس^(٥) ، وميورقة^(٦) . وكان ممن استجاب له المتوكل بن الألفطس الذي أضفى

(١) الذخيرة : ٢ : ١ / ٩٥ .

(٢) وقد تتبع الدكتور عبد الرحمن الحجى المسألة بتفصيل : انظر التاريخ الأندلسي : ٣٣٧ — ٣٤٤ وانظر علاقات المرابطين : د . خليل السامرائي ٣٣ — ١٣٦ وانظر بحثه : « الدعوة إلى توحيد الأندلس أيام الطوائف » مجلة زانكو تصدرها جامعة السليمانية في العراق سنة ١٩٧٧ م .

(٣) ترتيب المدارك : ٣ — ٤ / ٨٠٣ .

(٤) مدينة كبيرة في شمال شرق الأندلس وتقع على نهر آره ويسمى المسلمون المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيرها وكانت قاعدة الثغر الأندلسي الأعلى انظر : الروض المعطار : ٤٠ — ٤١ « المسالك والممالك : ٩٢ ، دائرة معارف الشعب : ٥٤ / ٢ — ٥٧ .

(٥) وهي قاعدة شرق الأندلس وأعظم مدائنه : انظر معجم البلدان : ١ / ٤٩٠ — ٤٩١ وانظر صبح الأعشى : ٥ / ٢٣١ وانظر دائرة المعارف الشعب ٥٨ / ٢ — ٦٠ .

(٦) مدينة بناها عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢١٦ هـ : انظر : الروض المعطار : ١٨١ — ١٨٣ ودائرة معارف الشعب : ٤٦ / ٢ — ٥٠ .

(٧) من كبريات مدن الشرق الأندلسي وكانت ميناء بحريا ، انظر : الروض المعطار ٧٦ ، معجم البلدان : ٤٣٤ / ٢ .

(٨) من مدن غرب الأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط : المسالك والممالك : ١٢١ ، معجم البلدان : ١ / ٤٤٧ ، والروض : ٤٦ .

(٩) جزيرة تقع في شرق الأندلس في البحر المتوسط : الروض المعطار : ١٨٨ — ١٩٨ المسالك : هامش ٦٦

على رحلات الباجي شكلا رسميا فكان الباجي سفيره إلى ملوك الطوائف الآخرين . (١)

ولم يكن الوليد الباجي الوحيد في هذا الأمر وإنما قام بالدعوة إلى التوحيد أفاضل آخرون من العلماء والكتاب أمثال ابن عبد البر الذي شارك من خلال دروسه ومؤلفاته في الدعوة إلى التوحيد مستغلا تنقلاته بين المدن الأندلسية بعد خروجه من قرطبة في الفتنة ، وكذلك ابن عبد البر الابن عبد الله ابن يوسف الذي كتب رسالته المشهورة على لسان أهل بَرَبَشْتَر كما مرّ وتبادل مع غيره ممن تداعى إلى الإصلاح الرسائل ، وقد أجاب على أحدهم بقوله : « وَرَدَ كِتَابُكَ يَحْضُ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى ، مِنْ الْأَلْفَةِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَإِطْفَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ وَجَمْعِ شَمْلِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ » . (٢)

ومن العلماء الذين دعوا إلى الوحدة أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني من أهل إشبيلية (٣٩٢ — ٤٦٠ هـ = ١٠٠٢ — ١٠٦٧ م) ^(٣) الذي ذهب ضحية أداء هذه المهمة فقتل بيد المعتضد بن عباد (ت ٤٦١ هـ = ١٠٦٨ م) وكان الهوزني قد وجه إلى المعتضد أبياتا يستثير حميته فيها لنجدة بربرشت فقال له : ^(٤)
أعباد ضاق الذرع واتسع الحرق ولا غرب في الدنيا إذا لم يكن شرق
وقد التقى الهوزني بأبي الوليد الباجي في شرق الأندلس عندما كان الباجي يقوم بمهمة الدعوة إلى التوحيد ولعلهما اتفقا على أن يوحداهما جهودهما في ذلك : ^(٥)
وكان ابن حيان وابن حزم كذلك من مشاهير من أسهم في تنمية صحوة الأمة الإسلامية التي كانت ثمرتها التنادي بالتوحيد . وكانت من ثمرة هذه الدعوة أن ائتلف أمراء الطوائف ووجدوا صفهم واستدعوا المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين لطرد النصارى فتم لهم ذلك في معركة الزلاقة الشهيرة (رجب ٤٧٩ هـ)

(١) انظر التاريخ الأندلسي : ٣٤٠ — ٣٤١ وانظر علاقات المرابطين : ١٣٤ ، ١٥٩ ، قيام المرابطين : د . حسن أحمد محمود ٢٦٧ .

(٢) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٧٣ . تج د . احسان عباس .

(٣) انظر ترجمة في الذخيرة : ٢ : ١ / ٨١ — ٩٤ ترتيب المدارك : ٤ / ٨٢٥ .

(٤) الذخيرة : ٢ : ١ / ٨٥ .

(٥) انظر : ترتيب المدارك : ٤ / ٨٢٥ .

التي تعتبر إحدى معارك الإسلام الشهيرة وسميت بفتح الفتوح^(١). وذلك بفضل الاستجابة لدعاة الإصلاح .

ثانيا : الحركة العلمية والثقافية في عصر ابن عبد البر :

لقد امتد عمر ابن عبد البر قرنا من الزمان إلا خمس سنين عاش خلالها فترات الازدهار الثقافي والعلمي وشهد الهزات التي تعرضت لها الثقافة الإسلامية في الأندلس ، وبخاصة السنة الأخيرة من القرن الرابع الهجري عند تولى الحاجب عبد الرحمن بن المنصور ، والربع الأول من القرن الخامس الذي اشتعل بالفتنة القرطبية (٣٩٩ هـ — ٤٢٢ هـ) والتي كانت نتيجة لمجموعة من العوامل التي أحدثت الخلل في البنية الأندلسية بعمومها سياسيا وثقافيا واجتماعيا .

وستعرض باختصار في الصفحات القادمة للعهود التي عاصرها ابن عبد البر . ولطبيعة النمو الثقافي والعلمي في هذه العهود ، والمؤثرات التي أثرت في هذا البناء بالسلب أو بالإيجاب والظواهر التي نتجت من ذلك .

★ ★ ★

ثقافة العصر في القرن الرابع الهجري :

كان من حسن الطالع في القرن الرابع الهجري أن يتولى إدارة دفة الأندلس فيه الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ، وكان هذا الرجل قائداً شجاعاً وسياسياً ذكياً وطّدت أركان مملكته ووحدها بعد أن قضى على الفتن ومثيريها . فعم بذلك الاستقرار السياسي ، وهو الدعامية الأساسية للنمو الحضاري وازدهاره ، ثم أقبل الناصر يشجع العلماء ويتبناهم ، بل ويستجلب المشهورين منهم من أقطار العالم الإسلامي الأخرى ، فأثّر الأندلس في زمانه علماء كبار في مختلف الاختصاصات ،

(١) الزلاقة : من اقليم بطليوس من غرب الأندلس .

انظر : الروض المعطار : ٨٣ — ٩٥ ، وانظر : الحلة السيرة : ٢ / ٥٥ ، ٩٨ — ١٠١ ، التاريخ الأندلسي ٣٩١ — ٣٩٩ ، وانظر : علاقات المرابطين : ١٥٦ — ١٨٢ ، وقد أفاض في تفصيلات الموضوع .

وعلى رأس هؤلاء الأديب أبو على القالى^(١). وسلك مسلك الأدب فى معاملتهم وحفظ مقاماتهم وموقفه من القاضى المنذر بن سعيد البلوطى يشهد له بذلك فى مواطن عدة حينما تصدى له المنذر بالنصيحة^(٢).

ثم كان لطول مدة حكمه التى امتدت من (٣٠٠ هـ — ٣٥٠ هـ) الأثر الكبير فى نماء الحياة الثقافية والاقتصادية والعمرانية .

ثم إنه كان من حظ المجتمع الأندلسى أن يلى الناصر خليفة عالم هو الحكم المستنصر ، ديدنه الاهتمام بالعلم وإعلاء شأن أهله والتمكين لهم من أداء دورهم فى بناء المجتمع مع كونه قائداً صنديداً لم يُثْبِتْ شَغْفَهُ العلمى عن مطاردة الأعداء المُتربصين فى حدود الأندلس الشمالية رافعاً بذلك راية الجهاد فى يد وراية العلم فى اليد الأخرى ، وكان حريصاً على أن يجمع الكتب ، حتى أصبحت مكتبته مضرب الأمثال بما ضمت من آلاف المجلدات فى العلوم المختلفة التى اطلع المستنصر على كل كتاب فيها وعلق عليه^(٣).

هذه الشخصية العلمية كانت عامل دفع وتشجيع للنهضة الثقافية الأندلسية فأقبل العلماء من كل حذب وصوب ، وانتشرت حلقات الدروس ، وأقبل الناس على تعليم أولادهم وتأديبهم فكثرت عدد المعلمين والمؤدبين بل إن الحكم أنشأ المدارس الأولية لتعليم أبناء المسلمين الذين لا يملكون نفقات التعليم وأوقف عليها الأوقاف للصرف على المدرسين والطلاب وكان ذلك فى قرطبة وضواحيها ، وكان عددها سبعة وعشرين مكتبا^(٤).

(١) هو إسماعيل بن القاسم بن غيدون (٢٣٨ — ٣٥٦ هـ) دخل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ، انظر : تاريخ اس
الفرضى : ٦٩ / ١

وانظر نفح الطيب ٢ / ٧٠ — ٧٥ .

(٢) انظر نفح الطيب : ١ / ٥٧٠ — ٥٧٧ .

(٣) انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٣٦١ ، ٢ / ١٢ ، ١٣٤ وانظر نفح الطيب : ١ / ٣٩٤ — ٣٩٥ .

(٤) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٤٠ ، ٢٤٩ .

بنو عامر والحركة العلمية :

استمر الازدهار العلمى والثقافى بعد وفاة المستنصر لقوة الدفعة الحضارية التى كانت فى زمانه ولوجود شخصية فذة كانت تدبر الأمور فى ظل هشام المؤيد وتلك الشخصية هى الحاجب المنصور بن أبى عامر الذى استطاع أن يجمع فى يده مقاليد الحكم بخنكة وقوة ، وعندما تَمَّ له ذلك أخذ يهتم بنشاطات المجتمع الأخرى ونالت الحركة الثقافية كثير الاهتمام ، لأنه نشأ فى سلك الفقهاء أولاً وكان متذوقاً للشعر مهتماً بأهله وبأهل الأدب عامة^(١) ، وكان قريباً من علماء عصره بكافة اختصاصاتهم يتولاهم برعايته ويسمع نصيح الفقهاء ويكرمهم ويحسن وفادتهم^(٢) .

وقد سار عبد الملك المظفر بن أبى عامر على خطى والده المنصور فى الاهتمام بالعلم والعلماء وتشجيع حلقات الإقراء فى مساجد قرطبة ولكن ليس بدرجة والده وكانت الثقافة الأندلسية قد رسخ قدمها وأثمر عطاؤها فلم يكن النشاط العلمى متوقفاً على اهتمام أمير أو خليفة ولكن حركة العلماء بمختلف اختصاصاتهم وذاتهم فى هذه الحركة كانت هى المحرك الأساسى للنشاط الثقافى ونمائه

وبمجيئ عبد الرحمن الابن الثانى للمنصور للسلطة بدأت بوادر تغيرات سياسية فى الأفق وتململت النفوس من تصرفات عبد الرحمن بن أبى عامر وتحركت الفتنة التى كانت سياسة المنصور وابنه عبد الملك قد قمعت رؤسها ، وقد مر تفصيل ذلك . وكان أكثر اهتمام عبد الرحمن هذا باللهو السفاسف بعيداً عن عقب الأجواء الثقافية والاهتمامات العلمية ، فلم يحظ باحترام

(١) استحدث ديواناً للشعراء ورتب راتباً لكل من قيد فى هذا الديوان وكان لا يقيد فيه شاعراً حتى يخنه لبيكون أهلاً لحضور مجلسه وكان الشعراء يتبارون بين يديه . وقد كلف بهذا الديوان « عبد الله بن مسلمة من أهل العلم والأدب وناقد من نقاد الشعر وعلى يديه كانت تفرح صلات الشعراء ورسومهم وعلى تربيته كانت تخرى أمورهم » -جدوة المقتبس : ٢٥٧ ، وانظر نفس المصدر : ١١١

وانظر نفع الطيب : ٣ / ٧٥ - ٨٠

(٢) انظر موقفه من الفقيه أبو محمد الباجى : وهو صديق لوالد المنصور قال له : « أتى والدك لك رحمة الله .. وأما أنت فلم تُمثله وأدخلت يدك فى الدنيا فانغمست فى لُحُها ، وأديعت نفسك يا مغرور !! » ولم يكن من المنصور إلا أن يسمعه ويعتذر لنفسه من الإمام الباجى ويسأل الله أن يتوب عليه بما بدر عنه . انظر الحلة : ١ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .

العلماء وأهل الفكر مما زهد الجميع في شخصه .

الثقافة وأعصار الفتنة (٣٩٩ — ٤٢٢ هـ) في القرن الخامس :

ثم أقبلت ظروف مدهمة وفوضى شديدة ضاع فيها الاستقرار واضطربت الفتنة بالأندلس وعصفت بقرطبة رياح التغيير ، وتتابعت الرئاسات مدة ثلاثة وعشرين سنة عجافاً نخسات ، تعطلت فيها بعض المساجد وهدمت المدارس التي أنشأها المستنصر ، وتُقبضت أسقفها ، وقتل أكثر مُدرسيها ، وبيعت كُتب المستنصر بأوكس الأثمان ، وقتل كثير من العلماء بأيدي النصارى عند أول دخولهم قرطبة كما أسلفنا سنة ٣٩٩ هـ^(١) ، ومنهم من قتل بيد البربر وآخرون قتلهم أهل قرطبة نتيجة الحرب الأهلية بين البربر ومناصريهم من جانب وأهل قرطبة ومن يواليهم من جانب آخر .

وترك أكثر العلماء قرطبة إلى مدن الأندلس الأخرى هرباً من الفتنة ونجاة بأنفسهم لما حل بعاصمة الأندلس وجوهرتها قرطبة^(٢) ومنهم من خرج من الأندلس إلى أقطار أخرى كمصر وغيرها^(٣) .

فكانت الحركة العلمية فترة عدم استقرار من سنة (٣٩٩ — ٤٢٢ هـ) أدت إلى هبوط في الجانب الحضارى بصورة عامة . ورغم ذلك بقي بعض العلماء في قرطبة يتابعون دورهم الثقافى أمثال :

ابن حيان مؤرخ الأندلس الذى سجل لنا بقلمه الأحداث التى عاصرها وأبى

(١) انظر الخدوة : ١٨ وطبقات الأمم : ٨٧ .

(٢) من الذين قتلهم البربر عند دخولهم قرطبة سنة ٤٠٣ هـ :

محمد بن قاسم الجالطى خطيب جامع الزهراء ، الذى يعطى لقبه ، انظر البغية : ١٢٤ — ١٢٥ ، وعند الله بن محمد الثقفى السوسى من الوافدين على الأندلس وكان واحداً عصره فى صناعة الطب والعصر بعلوم الحكمة ، انظر التكملة : ٢ / ٩١١ وقُتل غيرهم كثير . انظر : الصلة : ١٧ : ١٦٣ ، ٤٨٩ ، ٦٦٣ . ومن قتلهم العامة من أهل قرطبة أورداً أسماءهم فى التمهيد السياسى .

(٣) ممن خرج إلى مدن الأندلس الأخرى ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما نحواً فى شرق الأندلس وغربها وغيرهم . انظر الصلة : ١٦ — ٥٦ ، ١٦٢ ، ٥٢٧ .

(٤) انظر الصلة : ٢٧ ، ٣٦ ، ١٧٧ .

طالب المكي عالم القراءات المشهور ، وغيرهم ممن تحمل معاناة البقاء وسط
الفتن ، ليحفظوا كيان الأمة الثقافي من الضياع لا يفوتهم بذلك تبصير الناس بواقع
حاله عسى أن ينبثق من بينهم من يُصلح الأوضاع .

★ ★ ★

السمات الثقافية لعصر الطوائف :

تشئت الأندلس أيدي سباً ، وأصبحت الأندلس مجموعة من الدويلات بدل
الدولة الواحدة وقد مر تفصيل ذلك ، فانعكس ذلك على الحالة الثقافية وتحصل
نتيجة ذلك السمات الآتية :

التنقل والارتحال :

إن الفتنة القرطبية قضت على كثير من العلماء بالموت أو بالهجرة من قرطبة بل
من الأندلس .^(١)

فأصبحت حياة العالم أو الأديب في هذا العصر قائمة على التجوال بين مدن
الأندلس طلباً للاستقرار .^(٢)

وذلك لاشتداد الحروب بين دول الطوائف وقصر فترة الاستقرار في هذا
العصر لم تسمح للعالم أن يقدم إنتاجاً أوسع أو أتم ، وكنت ترى العالم يتعلل
أحياناً بأنه بعيد عن كتبه أو أن كتبه ضاعت .^(٣) ومع هذا فما تراه من إنتاج القرن
الخامس كان في ظل عدم الاستقرار فكيف به لو كان هناك استقرار كامل .

(١) انظر : من قتل من العلماء : الصلة : ٢٠ ، ٢٥٠ ، ٤٤٨ ، ٤٨٩ ، ٦٦٣ ، والتكملة : ٢ / ٧٩٠ ،
٩٩١ . وانظر تراجم من خرجوا من قرطبة : الصلة : ١٦ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ١٧٧ ، ٢٥٠ .

(٢) أمثال ابن عبد البر وابن حزم وغيرهم كثير .

(٣) مثلاً ابن حزم كتب كثيراً من مؤلفاته وهو متنقل بين قرطبة وغيرها .

انظر : ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي : ٧٥ — ٧٦ .

تعدد المراكز الثقافية :

كانت قرطبة هي العاصمة السياسية والعلمية ، والمركز الثقافي الرئيسي الذي كان قبلة طلبة العلم في الأندلس كلها بل جميع المهتمين بالثقافة بكل جوانبها ، وكان إذا مات عالم بإشبيلية جيبىء بكتبه فبيعت في قرطبة .

وبعد أن حلّ عهد الطوائف غدت المدن التي كانت تدور في فلك قرطبة حواضر قائمة بذاتها . أمثال : أشبيلية ، ودانية ، وبلنسية ، وبطليوس ، والمريّة ، وسرقسطة ، وغيرها من المدن .

وأخذ كل أمير من أمراء الطوائف يستقبل العلماء والشعراء الذين تركوا قرطبة بسبب الحرب الأهلية التي وقعت فيها ، وذلك لإحاطة نفسه بأكبر عدد من صفوة الأندلسيين ، ليكسب بذلك الشهرة بين أئداده من أمراء الطوائف ، مما يؤهله لطلب الزعامة لنفسه ، وقد كان بنو عباد من أوائل من « آوى صنوف الجالية من قرطبة عند احتدام الفتنة » بل « كانوا أحياناً يرسلون كبار العلماء يدعونهم للحلول في إماراتهم تشرفاً بهم كما فعل المعتضد بن عباد (٤٦١ هـ) مع أبي عمر بن عبد البر حيث وجه إليه رسالة كتبها أبو محمد بن عبد البر إلى أبي عمر بن عبد البر يدعوه إلى أن يشرف مغرب الأندلس بالحلول فيه كما شرف شرق الأندلس . (٢)

ثم إن هذه المراكز الثقافية كانت تصطبغ بصبغة اتجاهات أمراء الطوائف الثقافية، فمثلاً : كان اهتمام مجاهد العامري (ت ٤٣٦ هـ) أمير دانية يثلب عليه الاهتمام بالعلوم الشرعية ، كالفقهاء والحديث واللغة والقراءات ، وكان موعها بعلم القراءات على الخصوص لذلك كان كبار قراء الأندلس يعلون دانية أمثال : أبي عمرو الداني المقرئ (ت ٤٤٤ هـ) وغيره من علماء الحديث واللغة كابن عبد البر وابن سيده اللغوي (ت ٤٥٨ هـ) فلذلك لم يكن للشعراء في إمارته رواج بل كان

(١) الخلة السراء : ٢ / ٣٦ .

(٢) انظر الدعيوة

لايقربهم في مجالسه . (١)

وأما بنو عباد فكان جلّ اهتمامهم بالأدب والشعر وكان أمراؤهم كلهم شعراء يعترضون الشعر ويتذوقونه وقد حل إشبيلية كبار الشعراء أمثال : ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) وابن عمار (ت ٤٧٧ هـ) وغيرهم . (٢)

وقد أدى التنافس الثقافي بين عواصم دول الطوائف إلى تنشيط الثقافة الأندلسية التي بلغت ثمرتها أوان قطافها بعد الغرس الذي غرس في عصر الخلافة فأتى أكله على الرغم من التفكك السياسي الذي كان سيمّة هذا العصر .

عوامل النمو الثقافي في الأندلس :

كانت هناك عوامل مهمة — إضافة إلى الاستقرار السياسي — ساهمت في ازدهار الحياة العلمية والثقافية في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري وساعدت على رسوخ الأسس التي قام عليها البناء الثقافي الأندلسي إلى أن سقطت الأندلس بيد الأعداء وكان أغلب ما أثمرته هذه الثقافة هي نتاج غراس ذلك القرن .

وأهم هذه العوامل :

أولا : رحلة العلماء المشاركة وغيرهم إلى الأندلس : (٣)
وكان لهذه الرحلة دورٌ مهمٌ في نقل العلوم المختلفة ومصادر المعرفة ومؤلفاتها المتنوعة إلى الأندلس ، فساهمت في بناء الصرح الثقافي الأندلسي .
وقد رحل علماء مشهورون إلى الأندلس في مختلف التخصصات تختلف أسباب ارتحالهم باختلاف دوافعهم فمنهم من رحل تلبية لدعوة الحكام الأندلسيين أو (٤)

(١) انظر دول الطوائف : ٤٣٤ — ٤٣٥ .

(٢) انظر دول الطوائف : ٥٦ — ٥٧ ، ٧١ .

(٣) أمرد لنا المقرئ في نفحه نخلا عن الدين وردب الأندلس ميد فتحها إلى عصره ومن استقر منهم فيها أو فارقتها بعد إقامة ، انظر ٣ / ٥٠ — ١٤٩ ، طبعا إحسان عباس .

(٤) من هؤلاء أبو علي القالي الذي دخل الأندلس سنة (٣٣٠ هـ) وكان يروى للزجاج ونفطويه إضافة إلى —

لطلب الحظوة عندهم^(١). ومنهم كثير خرج للمرابطة والجهاد^(٢) ومنهم من دفعته مهنة التجارة لدخول الأندلس وطاب له المقام فيها^(٣)، وهناك من تعرض للاضطهاد في بلده فخرج طلباً للأمان في الأندلس^(٤)، فاعتنم أهل الأندلس حلول هؤلاء العلماء الذين

مؤلفاته هومثل : (البارع في اللغة في نحو خمسة آلاف ورقة) ، و (الآمال) الذي أهداه للخليفة الناصر (ومقاتل الفرسان) ، (وتفسير السور الطوال) وغيره ، انظر تاريخ ابن الفرضي : ١ / ٦٩ ، ونفح الطيب ٣ / ٧٠ — ٧٥ .

(١) ومن هؤلاء صاعد بن الحسين البغدادي (ت ٤١٧ هـ) دخل الأندلس على عهد المنصور بن أبي عامر سنة (٣٨٠ هـ) كان شاعراً سريع البديهة عالماً باللغة والأخبار ألف كتاب الفصوص للحاجب المنصور ألفه له سنة (٣٨٥ هـ) وأثابه عليه وكان صاعديهم بوضع الأخبار وقد أثبت المنصور ذلك عند امتحانه ولكنه عفى عنه لظرفه .

انظر : الصلة : ٢٣٧ — ٢٣٨ ونفح الطيب : ٣ / ٧٥ — ٨٥ ، ٩٥ — ٩٩

(٢) انظر ترجمة : أحمد بن خلوف المسبلي المعري يعرف بالحياط ، كان فقيهاً عالماً بالمسائل على مذهب مالك ورعاً زاهداً فاضلاً سكن الثغر أعواماً كثيرة مجاهداً توفي سنة (٣٩٣ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضي : ١ / ٦٣ ابن حس اليحصبي من القيروان كان فقيهاً في المسائل حافظاً للاختلاف عالماً بالسنن والآثار له رحلة إلى الحج فسمع كتاب البخاري ثم انصرف إلى الأندلس فلزم العبادة وتدرّس العلم والجهاد توفي بقرطبة سنة (٣٧٤ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضي : ١ / ١٢٩ .

(٣) انظر ترجمة : ركبنا بن بكر الغساني يعرف بابن الأشح من أهل ثيهرث، له رحلة للمشرق سمع الحديث بمصر ، ولقى فيها « أبو الطيب المنسي » الشاعر وأخذ عنه ديوانه رواية وانصرف إلى الأندلس وأقام بقرطبة وحدث بها بكتاب البخاري وعمر ذلك توفي سنة (٣٩٣ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضي : ١ / ١٥٢ وسالم بن علي بن ثابت الجاني فادم الأندلس تاجراً سنة (٤١٦ هـ) كان حلي المذهب ذا رواية واسعة عن شيوخ بلده وغيرهم ، مولده سنة (٣٤٠ هـ) انظر الصلة : ٢٣٢ .

عبد الله بن بكر السهمي المدني روى عن الآجري وابن رُشيق وابن الورد وغيرهم كان رجلاً صالحاً ذا رواية واسعة قدم إشبيلية تاجراً سنة (٤١٦ هـ) مولده سنة (٣٣٧ هـ) انظر الصلة : ٢٩٧ .

(٤) انظر ترجمة إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي المصري (٣٣٣ — ٤٢١ هـ) ترك مصر لاضطهاد الفاطميين له وهو من شيوخ ابن عبد البر دخل قرطبة سنة (٣٠٦ هـ) وتركها في سنة (٣٦٨ هـ) إلى إشبيلية وفيها أخذ عنه ابن عبد البر وذكره في تاريخ شيوخه . انظر الصلة : ١٠٥ ، والنفح : ٣ / ٦٩ — ٧٠ .

وأحمد بن فتح الخليلي المعروف بابن الخراز من أهل مليلة بالمغرب رحل للأندلس هرباً من اضطهاد الشيعة فأجاره الناصر سنة (٣٢٥ هـ) وقلده القضاء . انظر تاريخ ابن الفرضي : ١ / ٦١ .

وحكم بن هشام العرش (٣٧٠ هـ) من أهل القيروان كان من القراء له رحلة إلى مصر والعراق فأخذ عن قراء البلدين ودخل الأندلس أول خلافة الحكم المستنصر ثم رجع للقيروان فامتحنه الشيعة هناك فعاد إلى الأندلس مرة أخرى وأكرمه المستنصر . انظر تاريخ ابن الفرضي : ١ / ١٢١ وانظر نفس المصدر ٢ / ١١٧ — ١١٨ . وترجمة محمد بن أحمد بن محمد ابن الأزرق (٣١٩ — ٣٨٥ هـ) كان شاعراً أديباً اضطهده الشيعة فدخل الأندلس سنة (٣٤٩ هـ) .

حلّوا بينهم ليأخذوا عنهم علومهم وما جلبوه معهم من المصادر المتنوعة في الفقه والحديث والقراءات والتاريخ والطب وباقي العلوم .

ثانيا : الرحلة من الأندلس إلى المشرق :

كان هذا العامل يُعد شرطا علمياً على طالب العلم أن يستكمّله لذا تسابق الأندلسيون على استكمال هذا الشرط ، وأصبحت الرحلة العلمية مقصودة لذاتها بعد أن كان لقاء العلماء يتم عرضاً عند الرحلة لأداء فريضة الحج .

وقد أدخل هؤلاء العلماء الراحلون إلى المشرق علما كثيرا إلى الأندلس بعد رجوعهم ونقلوا معهم أمهات المصادر في علوم الشريعة والأدب واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم .

وأفرد لنا المقرئ في نفحه مجلدا كاملا لمن بلغته أسماؤهم ممن رحل إلى المشرق وعد لنا منهم ثلاثمائة وسبعة علماء وذكر لنا ما أدخلوه من العلوم التي تلقوها على علماء مكة ومصر والشام والعراق .

وكذلك ذكرت لنا كتب التراجم الأندلسية أسماء من رحلوا إلى المشرق .^(١)

ثالثا : حرية الحياة العلمية :

وهناك عامل مهم في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس وهو سمة يشترك فيها مع أقطار الإسلام الأخرى ولكنه في الأندلس أوضح وأبين ألا وهو حرية الحياة العلمية .

فالحياة العلمية في الأندلس لم ترتبط بتقنيات تقيد حرية الطالب في اختيار أساتذته وشيوخه أو تجبره على نوع معين من العلوم ثم إن المؤسسات العلمية لم تكن تخضع لتوجيه حكومي مباشر وإنما كانت تصبغ أغراضها العلمية وضوابط

(١) انظر تاريخ ابن الفرضي : ١ / ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٢ / ٢٥ ، ٣٠ ، ٨٦ ، ٩٠ ، وانظر جذوة المقتبس : ٨ / ٥٦ ، ٦٧ ، ٩٥ ، ١٢٢ ، ٢٠٩ ، ٢١١ .
وانظر الصلة : ٨ ، ١١ ، ٣١ ، ٦١ ، وغيرها من المؤلفات .

التعليم بمراحله المختلفة من خلال النمو الثقافي نفسه النابع من أسس الحضارة الإسلامية الأصيلة من جانب ، ومن متطلبات التطور في الأطر التي تُعين على هذا النحو من جانب آخر .^(١)

فلذلك لم يكن العلماء والطلاب بهذا مرتبطين بحكومة يسعون لوظائفها ويخضعون لإرادتها وإنما يرتبطون بالعلم مخلصين النية لله في طلبه في الأعم الأغلب فلذلك كان للعلماء التأثير على سياسة الدولة في كثير من العهود .^(٢)

وقد أتاحت هذه الحرية العلمية فرصة طلب العلم للرجال والنساء على قدم المساواة من مختلف الأعمار والأجناس والديانات .^(٣)

وبرع من النساء في مختلف العلوم الكثيرات ، وما أوردته لنا كتب التراجم الأندلسية من تراجم النساء لدليل ساطع يظل غرة في جبين التاريخ الحضاري الإسلامي .

وقد برع من النساء الكثيرات في الأندلس فكان منهن العالمات الفقيهات والمحدثات^(٤) والشاعرات المشهورات ، والكاتبات اللواتي كنَّ يَنسَخُن المصاحف وكتب العلم^(٥) ومنهن من أثرت في سياسة الدولة العامة ، بل وشاركن في إثارة

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي : ١ / ٥٣ وتاريخ التربية الإسلامية : ٢١٢ ، وانظر الحياة العلمية في بلنسية : ١٩٢ .

(٢) شيوخ العصر في الأندلس : ٥ وما بعدها .

(٣) انظر شرح ديوان ابن زيدون : د. علي عبد العظيم نقلا عن المستشرق تيرند قوله : « وكان الطالب الإنجليزي أو الأكتلندي الذي برع في أن يظفر بنصيب من العلم ... يشد رحاله إلى الأندلس » ص ١٥ — ١٦ وانظر الحياة العلمية : ١٩٢ .

(٤) أمثال : فاطمة بنت يحيى المقامي ، كانت خيرة فاضلة فقيهة (ت ٣١٩ هـ) انظر الصلة : ٦٩١ . راضية مولاه عبد الرحمن الماسر أعنتها ونزوحها لبيب الفتى ورحلا للحج ولقيا العلماء بمكة ومصر والشام توفت سنة (٤٢٣ هـ) وسبها مائة سنة ، انظر الصلة : ٦٩٤ .

(٥) مرة بنت أبي يعقوب الشلي : أديبة شاعرة حزلة كانت تعلم النساء وتختشم لديها : انظر الصلة : ٦٩٤ — ٦٩٥ .

ولادة بنت المستكفي بالله أديبة شاعرة حزلة (ت ٤٨٤ هـ) انظر الصلة : ٦٩٦ .

(٦) مثل عائشة بنت أحمد ابن فادم (ت ٤٠٠ هـ) لم تكن في الأندلس في زمانها من بعدها فهما وعلمها وأدبها .

رابعا : تشجيع الخلفاء لأهل العلم :

وهناك عامل أخير لانغفله ، كان له دور هام في نماء الحركة العلمية والثقافية في الأندلس ، ألا وهو تشجيع الخلفاء للعلماء في مختلف اختصاصاتهم واستقدام علماء من المشرق وغيره إلى الأندلس ليساهموا في بناء صرحه الثقافي .

وكان الخلفاء يهيئون الأجواء العلمية للعلماء لأداء وظيفتهم وكانوا أحيانا يكلفون بعض العلماء بالكتابة في جوانب معينة كالفقه أو الأدب أو غيره .^(٢)

ومن الأعمال التي ساهم بها الخلفاء في نشر الثقافة : بناء المدارس الملحقه بالمساجد للأطفال الذين لا يملكون نفقات تعليمهم ، كما فعل الحكم المستنصر ، فأوقف الأوقاف على هذا الجانب المهم في بناء المجتمع . وقد امتاز عصر الحكم على غيره بالنزعة العلمية التي امتاز بها عن غيره من الخلفاء .^(٣)

وقد أنتجت هذه العوامل مجتمعه بعض الظواهر الثقافية البناءة في المجتمع الأندلسي ولعل أهمها : —

— ظاهرة الاهتمام بجمع الكتب وانتشار المكتبات :

وكانت هذه ظاهرة صحية ، ونتيجة طبيعية للانفتاح العلمي على المشرق ، فعُنيَ

— وفصاحة وعفة ... كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب هكذا وصفها ابن حيان ، انظر الصلاة : ٦٩٢ — ٦٩٣ .

وقال صاحب المعجب أنه كان في الربض الشرق قرطبة مائة وسبعين امرأة يكتبن القرآن .

(١٦) أمثال : صُبَّح زوجة الحكم التي أعانت المنصور في الوصول إلى السلطة . والذلفاء أم المظفر بن المنصور التي أعانت محمد بن هشام ابن عبد الجبار في الثورة على عبد الرحمن ابن المنصور ابن أبي عامر انتقاماً لابنها المظفر وقد بينا ذلك في الحالة السياسية .

(٢) انظر جذوة المقتبس ٥١ ، ٢٥٣ وتاريخ ابن خلدون : ٤ / ١٤٦ ، ونفع الطيب : ١ / ٣٨٦ ، ٤٠ / ٣ — ٤٢ .

(٣) انظر تاريخ ابن الفرضي : ٢ / ١٢ والبيان المغرب : ٢ / ٢٤٠ ، ٢٤٩ ونفع الطيب : ١ / ٣٩٥ ، ٣ / ٢٣٩ ، ٢٦٤ .

الأندلسيون بالكتب عناية تامة وبذلوا جهدا مشكورا في التأليف كما بذلوا أموالا طائلة في نسخ الكتب وتغليفيها ، والرحلة في طلبها ، وقد أنشأ الحكم مكتبة جامعة بلغ عدد كتبها أربعمئة ألف مخطوط^(١) ، حتى وصفه صاعد الطليطلي بقوله : « واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عُيونَ التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة ، وجمع منها في بقية أيام أبيه ، ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهيه ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة » ، « وبلغت عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعين فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير »^(٢) .

و جمع بداره — المستنصر —^(٤) الحُذّاق في صناعة النسخ ، والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد ، واختار لذلك العلماء المختصين^(٥) .

ولم ينفرد الحكم بذلك فقط بل كان المنصور كذلك يهتم بالكتب وإن كان يخالف الحكم في سمته العلمي في الميول الثقافية ، فكان يكره الفلسفة ، ويميل إلى الأدب إضافة إلى العلوم الأخرى بينما الحكم كان متنوع الثقافة فلذلك فقد نالت مكتبة الحكم أذى من المنصور الذي أحرق كثيرا من كتبها المختصة بالفلسفة والتنجيم .

(٦)
وكان للمنصور علماء مختصون يُشرفون على العناية بمكتبته أمثال : (محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي كان حافظا للغة مشاركا في الأدب ، من أعلم الناس بالكتب ، وعلمها وألهمهم بجمعها ، وأفرزهم للمخطوط ، وأنسبهم لها وإلى

(١) انظر شرح دواوين ابن ريدون : ١٧ — ١٨ .

(٢) طغاب الأمم : ٨٦ .

(٣) ١٤٦ / ٤ : ١٤٦ . والنفع : ٣ / ٢٣٨ حذوة : ٥١ — ٥٢ .

(٥) احبار اقباله نسخ الكتب عنده ، مثلا ، محمد بن أبي الحسين رئيس جليل عالم باللغة والأدب اختاره لمقابلة نسخ كتاب العين للتحليل ابن أحمد ، انظر حذوة المقتبس : ٥١ .

(٦) انظر طغاب الأمم : ٨٧ .

وُراقِها ، وكان يقابل كتب محمد بن أبي عامر المنصور وولده من بعده مُتقنا لخزائنتهم» ^(١)

وسِمةُ الاهتمام بالكتب كانت ظاهرة أندلسية لم تُخصَّ الحكام فقط ، وإنما غمَّت كل طبقات المجتمع رجالها ونسائها ، وكان بعضهم يؤثر جمع الكتب على طعامه وملبسه ^(٢) وكان الأغنياء منهم يستأجرون النساخ ينسخون له الكتب التي ترد إلى الأندلس ، والتي لا يستطيع شراءها ، بل كان محمد بن فطيس شيخ ابن عبد البر إذا أراد إعاره كتاب انتسخه للمستعير لكيلا يُفَرِّط بكتبه خوفاً ضياعها ، وتجمّع عنده من الكتب الكثير ، حتى أنها عندما بيعت بعد موته لم ينتهوا من بيعها إلا في عام كامل لكثرتها ^(٣) .

والظاهرة الثانية التي برزت بوضوح في الأندلس هي :

الأسر العلمية : تتميز الأسرة في المجتمع المسلم بقوة الترابط بين أفرادها ، وقد حث الإسلام على ذلك وذر من يعمل على هدم الأسرة وتفكيكها لأنها لبنة المجتمع المسلم فإذا تماسكت اللبنة تماسك المجتمع ، ولهذا التلاصق بين أفراد الأسرة الواحدة أثره في سلوك الفرد وطبيعة اهتماماته على الأعم الأغلب في اختيار الفرد لصنعتة أو مهنته ، أو نوعية الثقافة التي يكسبها ومداها .

وهذا ما كنا نلاحظه في سمت بعض الأسر الأندلسية ذوات التوجهات العلمية فإذا كان الجد فقيهاً أو أدبياً نجد هذا السمت ينتقل إلى الأبناء والأحفاد وأحفادهم في أغلب الأحيان .

وفي كل مدينة كانت تشتهر أسرة أو عدة أسر بالعلم والنباهة : ففي قرطبة على

(١) انظر : الكلمة : ١ / ٣٨٤ .

(٢) عائشة بنت أحمد بن محمد كانت تجمع الكتب ولها حراثة علم كبيرة حسنة : انظر الصلة : ٦٩٢ .

(٣) نفس المصدر : ٤٤٧ عطية بن سعد الأندلسي ومحمد بن يحيى الغافقي القرطبي : الكلمة : ١ / ٣٨٧ .

(٤) انظر : الصلة : ٣٠٩ — ٣١١

وانظر الكتب والمكتبات في الأندلس : بحث للدكتور الحجى محمّلة الدراسات الإسلامية ٣٨٠ — ٣٨١ عدد ٤ لسنة ١٩٧٢ .

سبيل المثال :بنو عبد البر ، ومنهم شخصية هذا البحث أبو عمر يوسف ابن عبد البر وابنه عبد الله بن يوسف بن عبد الله . وأبوه عبد الله بن محمد ابن عبد البر وجده محمد بن عبد البر وكانوا كلُّهم يجمعهم السمت الفقهي .

وبنو حزب الله بلنسية « أهل علم ونباهة وإليهم ينسب المسجد بداخل بلنسية »^(١) وبنو الجحّاف الذين توارثوا وظيفة القضاء .^(٢)

وبنو زهر بإشبيلية قد جمعوا بين الفقه والطب وقد غلب عليهم الطب وشهروا به . وبنو عباد الذين كان لهم دور معروف في تشكيل سياسة الأندلس مع اهتماماتهم العلمية والأدبية .^(٣)

ومن أسر شاطبة المشهورة بالانتساب للعلم وتوارثه بنو مفوّز من ذوى العراقة في العلم والنباهة .^(٤)

ومن الأسر العريقة في شاطبة بنو ثُلَيْد ، وهذا البيت عريق في النباهة والعلم . وفي مُرسية آل أبي جَمْرَة : اشتهروا باهتمامهم بعلم الحديث ، ومن أسر مرسية العلمية بنو الحُشْنِي .

لقد شاركت هذه الأسر وغيرها في تنشيط الحركة العلمية في الأندلس ، وكان من أبنائها قيادات فكرية وعلمية وسياسية . كان لها دور فعّال في بناء تاريخ

(١) وأشهرهم عبد الله بن محمد بن حزب الله ، انظر التكملة ٢ / ٧٨٥ ، انظر : الحلل السندسية : ٣ / ١٨٩ .

(٢) الحد الأعلى لهذه الأسرة هو القاضي جحّاف بن يمن قاضي بلنسية اشتهر بالأندلس سنة (٣٢١ هـ) ومن أحفاد أحفاده القاضي عبد الرحمن ابن الجحّاف الذي سقطت بلنسية في وقته بيد القنيطور وقتل حرقاً سنة (٤٨٥ هـ) ، انظر : الجذوة : ١٩٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ والحلل : ٣ / ١٩٠ ، ١٩٦ .

(٣) حدهم الأعلى عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر جمع بين الفقه والطب . انظر الحلل : ٣ / ٣٣٣ — ٣٣٤ .

(٤) ومن اشتهر بهم محمد بن عبد الله بن مُفوّز بن غمّول توفي سنة ٤١١ هـ عن مائة سنة ومنهم طاهر بن مفوّز تلميذ ابن عبد البر المقرب ، انظر البغية ٤١٦ والحلل : ٣ / ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .

الأندلس يستحق الوقوف عليه .

ثالثا : الأحوال الاقتصادية والعمرانية في عصر ابن عبد البر :

إن استتباب الوضع السياسى له دور كبير فى أى نمو اقتصادى وذلك لأن الاطمئنان السائد يدفع الإنسان إلى أن يضرب فى الأرض مُستثمرا قواه وثروته . يدفعه إلى ذلك حرصه على تحسين أحواله ، وكسب معاشه ، فيندفع الفرد إلى ممارسة ما يُحسن من الأنشطة الاقتصادية ، زراعة كانت أو تجارة أو صناعة .

وقد مرت الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس بأحوال سياسية متباينة ولكن كان القرن الرابع الغالب عليه الاستقرار ، وخاصة زمن الناصر والمستنصر والمؤيد فى ظل الحاجب المنصور ، لذلك فقد نشطت الزراعة والصناعة والتجارة فى هذه الأزمان إلا ما ارتكبه شنجول بن الحاجب المنصور من تبذير وسرف أضر بخزينة الدولة ولكنه لم يضر نشاط الأمة الاقتصادية كثيرا .

ولكن الطامة التى تعرضت لها الأندلس بحلول سنة (٣٩٩ هـ) وحصول الفتنة القرطبية التى أثرت على الاقتصاد الأندلسى عامة ، والقرطبى خاصة ، حيث حصلت المجاعة بسبب هذه الفتنة كما ذكرنا سابقا .

ولكن بمجيء عصر الطوائف حصل بعض الاستقرار النسبى الذى ساعد مرة أخرى على استئناف الثماء الاقتصادى ، فكلُّ أمير من أمراء الطوائف كان يعمل على تشجيع الزراعة ، والصناعة والتجارة ليتفاخر بذلك على غيره من الأمراء ولكن مع ذلك فقد تعمّست بعض هؤلاء الأمراء فكانوا يفرضون الضرائب الثقيلة التى ناء بها كاهل الأمة ، مما اضطرَّ أهل شاطبة زمن مبارك ومظفر أن يتركوها ويهجروها بسبب الضرائب كما ذكرنا .

الزراعة :

ومع هذا كله فإن الأندلس لطبيعة مناخها المعتدل وخصوبة أرضها ، وكثرة مائها فإنها كانت أرضا زراعية من الدرجة الأولى ، وعليه فقد ازدهرت الزراعة فى

الأندلس ثم إنَّ الفلاح الأندلسي قد « استفاد من القنوات التي بناها الرومان في القرن الأول المسيحي ، فعمدوا إلى إصلاحها وتحسينها ، وشق أوبناء قنوات^(١) جديدة ، وأتقنوا التعامل بفنون السَّقاية ، وجلب المياه من مسافات بعيدة » .

« واتخذت فنون الزراعة على أيديهم طابعا علميا... وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال في الجودة والتنسيق والتماء^(٢) » . وظهر في الأندلس علماء مشهورون في النبات والفلاحة أمثال : ابن بَصَّال الذي اشتهر بتجاربه في توليد الغراس ، ومكافحة الآفات الزراعية ، وكتابه (الفلاحة) يشهد ببراعته ، وتفوقه في هذا الميدان ، وهناك أبو عمر أحمد بن محمد بن حجاج ألف كتاب (المقنع) في الزراعة^(٣) .

وقد اشتهرت الأندلس ومدنها بمحاصيلها الزراعية ، وفواكهها وخاصة الحنطة ، والكتان ، والزيتون ، وأنواع الفواكه ، والحرير . وقد اشتهرت طليطلة بخصطتها ، حتى قيل بأنها لا تُسَوَّس على مرَّ السنين^(٤) . وكذلك « جَيَّان بها جنات وبساتين وغلات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب »^(٥) . وأما جبل الشَّرف المُطلُّ على إشبيلية ، فهو يحتوى على « ثمانية آلاف قرية عامرة ... لا تكاد الشمس تخترقه لالتفاف زيتونه ، واشتباك غصونه ، وزيته من أطيب الزيوت .. لا يتغير على طول الدهر ، ومن هناك يتجهز به إلى الآفاق »^(٦)

وكانت هذه البيئة الزراعية عاملا مُهماً في ثَماء الثروة الحيوانية ، فقد كان مثلاً جبل الشَّارات الواقع قرب طليطلة يكثر فيه « البقر والغنم الذي يتجهزُّ به التجار

(١) الأندلسيون الموارنة ٧٢ انظر نفح الطيب ١ / ٤٦٤ .

(٢) دول الطوائف : ٤٤١ .

(٣) نفس المصدر : ٤٤٢ . وانظر الحصاره الإسلامية في الأندلس . ٦٢ .

(٤) انظر الروض : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٧ ، ١٣٢ ، ١٦٢ ، ١٧١ ونهج الطب ١ / ١٤٣ .

(٥) الروض المطار : ٧٠ ، ٧١ .

(٦) نفس المصدر : ١٠١ .

إلى سائر البلاد ^(١) وكانت مدينة قادس « أكثر مواشيها الماعز » ^(٢).

الصناعة والمعادن :

« وكانت أرض الأندلس غنية بالمعادن المختلفة كالذهب الذى كان يُلتقط من نهر شيقر من أنهار لارِدَة الواقعة شرق الأندلس ^(٣) ، وكان يُلتقط كذلك من نهر فلوم الذى يمرُّ بقرناطة ، وكان يُستخرج منها الفضة والصفُر — النحاس — والحديد والرصاص . ^(٤)

وكانت هناك المناجم التى يستخرج الزئبق منها . ويصفها لنا الحميرى بقوله :
« ويخدم هذا المعدن أكثر من ألف رجل ، فقومٌ للنزول وقطع الحَجَر ، وقوم لنقل الحطب لحرق المعدن ، وقوم لعمل أوانى السَّبْك والتصفية ، وقوم لبُنيان الأفران والحرق ومن وجه الأرض إلى أسفله فيما حُكِيَ مائة قامة » ^(٥).

« ومع توفر المواد الأولية والخبرة قامت صناعة المنسوجات ^(٦) ، والسجاد ^(٧) والفخار ، والجلود ، والعطور ، والأصباغ ، وصناعة الزجاج ، وكانت تصدر هذه المصنوعات إلى بلاد العالم الأخرى .

ولم يكتف الأندلسيون بهذه الصناعات وإنما اهتموا بالصناعات الثقيلة وخاصة صناعة السفن ولوازمها وصناعة السلاح ، فمدينة الجزيرة الخضراء كانت فيها دار صناعة السفن ^(٨) ، ومدينة شنتمرية « بها دار صناعة للأساطيل » ^(٩) ، ولقُنت « تُنشأ

(١) الروض المعطار : ١٣٢ .

(٢) انظر نفس المصدر : ١٤٥ .

(٣) نفس المصدر : ١٦٨ .

(٤) انظر نفس المصدر : ٢٣ ، ٢٤ ، وانظر ١٤٢ ، ١٨١ .

(٥) الروض المعطار : ١١ .

(٦) وقد اشتهرت المرية بذلك وخاصة المنسوجات الحريرية . انظر نفس المصدر : ١٨٤ .

(٧) وقد اشتهرت مرسية بذلك انظر : ١٨١ .

(٨) انظر الروض المعطار : ٧٣ .

(٩) نفس المصدر : ١١٥ .

بها المراكب السُّفَرِيَّة «^(١) ، ودانية كانت دار إنشاء للسفن الحربية . وأما شلطيّش (SALTEX) « فكان بها دار صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه وهى صنعة المراسى التى ترسو بها السفن .. وبها دار صناعة لإنشائها «^(٢) وأما صناعة السلاح فقد كان بقرطبة دار لصناعة التُّروس تسمى دار التُّراسين ، وله شيخ يسمى شيخ التراسين ، وكان هناك دار لصناعة القسّى بقرطبة وقد نقل ابن حيان وصفا لاهتمام الخلفاء بالصناعة الحربية وذلك بكتابة (المآثر العامرية) .^(٣)

هذه القوة الحربية والاقتصادية ساهمت فى تطوير البنية الصناعية الأندلسية وزيادة رخاء البلاد .

الحركة العمرانية :

نالت الناحية العمرانية فى الأندلس اهتماما كبيرا من الخلفاء وغيرهم من سداة الأمة . وهى نتيجة حتمية للازدهار الحضارى الذى شمل جوانب الحياة وخاصة الاقتصادية . ولعل آثارها الباقية إلى الآن تنطق بمدى ما وصلت إليه قوتهم العمرانية ، مما أدهش معاصريهم ، ولا يزال يفوز بإعجاب المعاصرين فى العصر الحديث .^(٤)

وقد نالت الحركة العمرانية فى القرن الرابع اهتماما من الخلفاء ، وخاصة زمن الناصر الذى ابنتى الزهراء ، المدينة التى كانت مركز حكمه وأبنائه من بعده ، وقد بدأها سنة (٣٢٥ هـ) ولم ينته العمل تماما إلا فى نهاية حكم المستنصر سنة

(١) نفس المصدر : ١٧٠

(٢) نفس المصدر : ٧٦ .

(٣) نفس المصدر : ١١١ .

(٤) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ١٠١ وانظر : الأندلسيون المواركة : ٧٣ .

(٥) انظر : ابن زيدون : د. على عبد العظيم : ٢٠٦ وموسوعة التاريخ ٤ / ٩٢ ، تاريخ العرب العام : سيدو : ٢٧٥ ، حضارة العرب : جوستاف لوبون : ٢٨٢ — ٢٩٩ ، الحضارة العربية : جاك . ل ريسلر : ١٦٧ — ١٧٠ .

وأكثرها تفصيلا كتاب الفن الإسلامى فى أسبانيا : مانويل جومث مورينو .

(٣٦٦ هـ) وحشد لها الخبرات الهندسية من المسلمين والروم وجلب لها الرخام من مختلف بقاع الأرض^(١) وكانت تقع « شمال قرطبة بينها وبين قرطبة ثلاثة أميال أو نحو ذلك »^(٢).

وبنى جامع الزهراء الذى شارك بينائه كل يوم ثلاثمائة بناء ومائتا نجار ، وخمسمائة من الأجراء وسائر الصنائع وأتم بناءه فى ثمان وأربعين يوماً^(٣) . وأما جامع قرطبة أعظم مساجد العالم فهو آية من آيات فن البناء ، وأهم ما فيه من جمال هندسى — إضافة إلى كونه غابة من الأعمدة المتناسقة — هو نظرية التناسب فى الأبعاد وتلاعب الظل والنور ، وتأثيراته التى توحى للناظر الخشوع لما فيها من جلال وروعة^(٤) .

وهذا الجامع بناه عبد الرحمن الداخل سنة ١٦٨ هـ وتتابع الخلفاء فى الزيادة فيه حتى جاء الناصر فنقض القبة وأبدلها بأعظم منها . ثم جاء المستنصر « وزاد فيه الزيادة العظمى التى كملت بها محاسن هذا الجامع وصار فى حد يحسر الوصف عنه »^(٥) .

ومن مظاهر القرن الرابع العمرانية كذلك مدينة الزاهرا التى أنشأها المنصور ابن أبى عامر لتكون له عاصمة بعيدا عن منافسيه فى قرطبة . ثم تكون معلماً من معالم الفخر وإظهار الغلبة . وأقطع المنصور وزراءه وكبار موظفى الدولة الأراضى فيها فابتنوا بها كبار الدور وجليات القصور ، وتنافس الناس بالنزول بأكنافها والحلول بأطرافها حتى اتصلت مبانيها بضواحي قرطبة^(٦) .

(١) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٢٦ — ٥٦٥ — ٥٦٩ — ٥٧٨ .

(٢) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٢٣ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٥٦٤ .

(٤) انظر الإسلام ونهضة الأندلس : أحمد مطهر العنظمة : ٥٢ وموسوعة التاريخ ٤ / ٩٤ .

(٥) انظر نفح الطيب : ١ / ٥٦١ ، ٥٦٢ ، انظر : الفن الإسلامى فى أسبانيا : ١٦ — ٤٨ .

(٦) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٧٨ وقد كثرت القصور الخاصة بسراة الناس خارج قرطبة وقد عددها صاحب

النفع و وصفها وصفا جميلا ، انظر : ١ / ٤٧٠ — ٤٧٣ .

ولم يقتصر الاهتمام بالمساجد والقصور فقط وإنما شمل المجتمع كله « فكانت البلاد نسقا واحدا في العمران حتى كان للقرى أيضا نصيب وافر من العناية ، ولذلك كثر عددها ... ومما اختلفت به — الأندلس — أن قراها في نهاية من الجمال لتضع أهلها في أوضاعها وتبيضها لثلا تنبو العيون عنها » .^(١)

واهتم الأندلسيون برصف الشوارع بالحجارة وإضاءتها ، وكانت بعض الشوارع تمتد أميالا طويلة ومضاءة بالجانبين^(٢) « بينما كانت لندن بعد ذلك بسبعمئة سنة يعمها الظلام ولم يتحقق لها قنديل واحد عمومي . »^(٣)

« وباريس بعد ذلك ببضعة قرون كان الذي يتخطى عتبة داره في يوم ماطر لا يأمن الخوض في لحية الوحل » .^(٤)

« وفي بداية القرن الخامس الهجري حلت الفتنة القرطبية (٣٩٩ — ٤٢٢ هـ) فعم الخراب قرطبة بخاصة وهدمت كثير من قصورها ومعالمها ولعل هدم الزاهرة وحده يكفي لبيان مدى الضرر الذي أصاب النهضة العمرانية » .^(٥)

وقد انتعشت الحركة العمرانية في الأندلس زمن دول الطوائف وذلك لأن كل أمير دولة من هذه الدول كان يرنو إلى أن يفوز بقصب السبق على غيره من ملوك الطوائف فكانوا يتبارون في بناء القصور والجسور لإظهار دولهم بمظهر القوى المتمكن .^(٦)

ولعل قصور بني عباد في إشبيلية ومسجدها الجامع الذي يشتهر إلى الآن ببرجه

(١) تاريخ الأندلس : محمد كرد علي ٢٩ ونفح الطيب : ١ / ٢٠٥ .

(٢) انظر نفح الطيب : ١ / ٢٠٨ وابن ريدون : ٢٥ .

(٣) نقل ذلك د. علي عبد العظيم عن فليب حسي في تاريخ العرب المطول انظر : ابن ريدون : ٢٥ . وانظر الحضارة العربية : جاك لي ريسلر : ١٥٥ .

(٤) نقل ذلك د. علي عبد العظيم عن فليب حسي في تاريخ العرب المطول انظر : ابن ريدون : ٢٥ ، وانظر الحضارة العربية : جاك لي ريسلر : ١٥٥ .

(٥) انظر النفح : ١ / ٥٤١ .

(٦) انظر : البيان المغرب : ٣ / ١٦٠ — ١٦١ .

المسمى بالخيرالدا بعظمة الفن المعماري الإسلامي^(١) .

وكذلك ماشاده مأمون بنى ذنون في طليطلة من قصور مترفة- يشهد على ترف هؤلاء الحكام ودقة ومهارة المهندسين في ذلك الزمان فقد بنى ابن ذنون قبة زجاجية في وسط بحيرة قصره يتساقط عليها الماء ولا يدخل فيها ، ويجلس فيها ابن ذنون في أوقات نزهته .^(٢)

وكان بلاط المقتدر بن هود من أعظم قصور الطوائف وأفخمها ، وكان قصره من أعظم وأفخر القصور الملكية في تلك العصور ، وقد اشتهر في تاريخ الفن الإسلامي باسم دار السرور ، وكان له بهو رائع في نقوشه وتحفه ، كان يسمى مجلس الذهب . وقد أطلق المقتدر اسم الجعفرية على هذا القصر نسبة إلى كنيته .^(٣)

ولا تزال كثير من الآثار العمرانية ترتفع شامخة تزهو متفاخرة بما قدمته الحضارة الإسلامية من عطاء وافر مع أن يد التخريب قد امتدت إلى كثير من المعالم الإسلامية بعد احتلال النصارى لها .

« وقد نعى بلاسكو أبانيز وهو أعظم كاتب أنجبته أسبانيا عام ١٩٢٨ م على قومه تمجيدهم لتاريخ أسبانيا عقب طرد المسلمين فكان من قوله :

(لا تأخذوا أنفسكم فإن العصر الذي تذكرونه هو ابتداء تفهقرنا لا تغرنكم اللمة في تلك العصور فليس كل ما يلمع ذهباً » .^(٤)

(١) دائرة معارف الشعب : ٦١ / ٨٤ . تبلغ مئذنة إشبيلية مائة متر ١٠٠ وكانت أول مرصد فلكي في أوروبا وقد بناها يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٥ هـ) وأكملها المنصور المرصدي (٥٩٥ هـ) ولما حول النصارى المسجد إلى كنيسة غيروها من مئذنة مسجد إشبيلية إلى منارة (الخيرالدا ولا تزال حتى اليوم .

(٢) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٢٨ .

(٣) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٣٤ وموسوعة التاريخ ٤ / ٩٢ ، ودول الطوائف ٢٨٣ والفن الإسلامي في أسبانيا : ٢٦٢ - ٢٨٧ وقد وصفه بتفصيل وعرض نماذج من رخارفه وعقوده .

(٤) الإسلام وهضة الأندلس : ٦٦ .

الباب الثانى

حياة ابن عبد البر القرطبى وثقافته ومكانته

الفصل الأول
حياة ابن عبد البر

مدخل :

ابن عبد البر — موضوع هذا البحث — هو :
جمال الدين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى
القرطبي . عالم موسوعي من مشاهير علماء الأندلس ، وعلم من أعلام الأمة
الإسلامية المعطاءة التي أنجبت أمثاله من المفكرين وخلد ذكرهم غرة في جبين
التاريخ الإسلامى بل الإنسانى .

ومع شهرة ابن عبد البر فإن المصادر التى ترجمت له لم تغط جوانب سيرته في
بناء كامل ، بل وردت أخباره متناثرة في ثنايا الكتب .

لذلك سيحاول البحث أن يقدم تعريفا متكاملا لحياة ابن عبد البر من خلال
ماجمع من متناثر الأخبار في تراجم شيوخه وتلاميذه ، وما أورده ابن عبد البر
عن نفسه من مواقف وأخبار في كتبه ، أو مما عبر عنه بتنظيم من الشعر يصف فيه
معاناته في طلب العلم ، أو ماواجهه من أحداث مما لم يشر إليه من ترجم له بل جاء
مفرقا في كتب التراجم والفقه والأدب وغيرها ، التى تعرضت لأخبار ابن عبد
البر بصورة غير مباشرة ، وأخذ الراجح منها مع درء التعارض بين المتعارض منها
وتوضيح ماغُمض .

ولادته :

في يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة من
الهجرة المباركة (٩٧٨ م) في ساعة يتفائل بها وخطيب الجمعة يخطب على المنبر
استقبلت الحياة ابن عبد البر واستقبلها ، ولطرافة التوقيت أرخ والد ابن عبد البر
تاريخ هذه الولادة استبشارا بالمولود وتيمنا بالوقت ، واحتفظ بهذا القيد ، ووقع
هذا القيد بيد ابن عبد البر بعد وفاة والده ، فاعتنى بحفظه هو كذلك ، اعتزازا بما
خطه والده ، وكان يُطْلَع عليه بعض خاصته من تلاميذه ، وقد أخبر أبو على
حسين بن أحمد الغساني (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م) أحد تلامذة ابن عبد البر
الناهين بأنه سمع طاهر بن مفوز (٤٢٧ — ٤٨٤ هـ = ١٠٣٥ — ١٠٩١ م)

التلميذ الذى اطلع على تاريخ ولادة شيخه حيث قال : (أرانيه الشيخ — ابن عبد البر — بخط أبيه)^(١)

وكان طاهر مختصا بابن عبد البر لصيقاً به ، وهو من أثبت الناس في النقل عن ابن عبد البر لأنه كان ملازماً له في أواخر حياته ، وروى عنه كثيراً وأجاز له ابن عبد البر كُلَّ مروياته ، بل هو الذى صلى على ابن عبد البر عند وفاته^(٢) .

والتاريخ الذى ذكر آنفاً هو أصبح مأرخ به لولادة ابن عبد البر . وهو رأى أغلب من ترجم له^(٣) . ولكن وردت بعض الروايات المخالفة لرأى الأغلبية . منها ما يخالف في سنة الولادة والشهر . ومنها ما يخالف في الشهر فقط .

(٤)
فالأولى وردت عن محمد بن أبى نصر الحميدى (ت ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) وهو أحد تلاميذ ابن عبد البر المشهورين ، ذكر في جذوة المقتبس^(٥) بأن مولد ابن عبد البر كان في (رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة) ، وهو الذى أوقع من جاء بعده في اللبس لمتابعيهم له ، لكونه تلميذاً مشهوراً لابن عبد البر والذى يردُّ هذه الرواية كون طاهر بن مفوز وأبى على الغسانى (ت ٤٩٨ هـ =

(١) وقد نقل أبو على الحسين الجبائى تلميذ ابن عبد البر الخبر مصرحاً بسماعه شفاهاً عن طاهر بن مفوز . انظر : الصلة : ٦٧٩ .

(٢) انظر ترجمة طاهر بن مفوز : الصلة : ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٣) ذهب إلى ذلك الحافظ أبو عمرو بن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) في كتابه المقدمة في علوم الحديث : ٣٤٩ والحافظ جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) في كتابه : طبقات الحفاظ : ٤٣٢ وغيرهم .

(٤) سنورد له ترجمة مفصلة عند الكلام عن تلاميذ ابن عبد البر .

(٥) جذوة المقتبس : ٣٦٧ .

(٦) وقد تابع الحميدى في ذلك :

بن عميرة الضبى (ت ٥٩٩ هـ = ١٠٢٣ م) في كتابه بغية الملتبس . انظر ٤٩٠ ولكنه ناقض نفسه فنقل في الكتاب نفسه عندما ترجم لأبى عمران الفاسى فقيه القيروان صديق ابن عبد البر فقال — الضبى — (٢) أخبرني غير واحد عن ابن موهب — تلميذ ابن عبد البر — عن أبى عمر بن عبد البر الحافظ قال : ولدت مع أبى عمران موسى بن عيسى بن حاج الفاسى فقيه القيروان في سنة واحدة ثمان وستين وثلاثمائة ، انظر بغية الملتبس ٤٥٧ والصلة لابن بشكوال : ٦١٢ .

ونقل أحمد بن حسن بن على المعروف بابن قنفذ الرواية نفسها في كتابه الوفيات : ٢٤٩ ، ومن المعاصرين =

(١) ١١٠٤ م) مقيم في الأندلس وكانا على صلة قوية بابن عبد البر حتى وفاته بينما ترك الحميدى الأندلس سنة (٤٤٨ هـ)^(٢) وأقام ببغداد وتوفي فيها ، فلعل البعد أورثه النسيان ، لاسيما وأنه ألف كتابه جذوة المقتبس بعد وفاة ابن عبد البر بمدة ، فلذلك نراه يعتذر لنفسه من أشار عليه بتأليف الجذوة ببعده عن الأندلس بقوله : « فأعلمته يُبعدى عن مكان هذا المطلوب وقلة ما صَحَّبنى من الغرض المرغوب ، وإنى إن رُمْتُ على قلة ماعندى وتعاطيته على انقطاع موادى وبُعدى »^(٣).

وأما الرواية التى تخالف فى الشهر فقط فهناك روايتان :

الأولى عن صاعد بن أحمد الثعلبى الطليطلى (٤٢٠ — ٤٦٢ هـ = ٩٢٨ — ١٠٧٠ م)^(٤) حيث قال :

(٥) « وولد — أى ابن عبد البر — فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وثلاثمائة »

وهذه الرواية مردودة برواية تلامذة ابن عبد البر المقربين السابقة .

والرواية الثانية : عن الحافظ شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م)

الدين رجحوا رواية الحميدى إسماعيل الندوى فى رسالة الماجستير المقدمة بدار العلوم سنة ١٩٦٤ عن (ابن عبد البر وأثره فى الحديث والفقه) لكون الحميدى تلميذاً لابن عبد البر ثم إن الحميدى ذكر الرواية بلفظ السماع لأنه لا يقول سمعت إلا إذا كان قد سمع فعلاً .

ونقل رأى الحميدى كذلك د. عبد الحليم عبد الفتاح عويس : انظر رسالته للدكتوراه (ابن حزم مؤرخاً) المقدمة بدار العلوم : ١٩٧٩ م .

(١) وصفه ابن بشكوال بأنه « من حباهذة الحديث وكبار العلماء المُسندين » انظر الصلة : ١٤٢ — ١٤٤ وسنورد له ترجمة مفصلة فى مبحث تلاميذ ابن عبد البر .

(٢) انظر الجذوة : ٣٦٩ . وقد احتج أبو طاهر السلفى (ت ٥٧٦ هـ - ١١٨٠ م) بهذا فى رده لرواية الحميدى انظر : مقدمة كتاب الاستدكار : فى المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٧١ حديث ورقة ١٢٢ .

(٣) الجذوة : ١ .

(٤) انظر ترجمته : الصلة : ٢٣٦ — ٢٣٧ وهو صاحب كتاب طبقات الأئم .

(٥) نقل ذلك الحافظ أبو طاهر السلفى انظر : مقدمة كتاب الاستدكار : فى المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع ٧١ حديث ورقة ١٢٠ .

في كتابه سير أعلام النبلاء قال :^(١)

« مولده — أى ابن عبد البر — في سنة ثمان وستين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر ، وقيل في جمادى الأولى . »

وهذه الرواية مردودة كذلك لأن الذهبي روى الخبر الثاني بصيغة التضعيف (قيل) بينما الخبر الأول رواه بصيغة تدل على أنه الأرجح عنده بل اعتمده في كتبه الأخرى مثل : تذكرة الحفاظ ،^(٢) وتاريخ الإسلام .^(٣) وهما من أشهر كتبه .

أصله ونسبه وكنيته :

وابن عبد البر عربى أصيل المحتد والأرومة ينتسب إلى قبيلة « الثمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان »^(٤) .

وقد نسب بعض أهل النسب الثمر بن قاسط في قبيلة حمير اليمنية فرد ابن عبد البر هذا الرأى بقوله :^(٥)

« والصحيح الذى عليه جماعة أهل العلم بالأنساب أن الثمر بن قاسط في ربيعة »

لذا فالنسبة التى ينسب بها ابن عبد البر إلى قبيلته هى :

النعمرى : (بفتح النون والميم) نسبة إلى الثمر (بكسر الميم) وقد شُكِّل « النعمرى (بفتح الميم) استيحاشا لتوالى الكسرات لأن فيه حرفاً واحداً غير مكسور »^(٦) .

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية : رقم ١١٩٥ تاريخ : انظر : مخ ج ١١ : ٢ / ورقة ١٨١ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ : ٣٤٩ .

(٣) مخطوط صورة عنه في معهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩٤٥ تاريخ ، انظر مخ ج ١١ وفيات ٤٦٣ لأن الكتاب مرتب على الوفيات .

(٤) الإنباه على قبائل الرواه : لابن عبد البر : ٩٧ ومختلف القبائل ومؤلفها محمد بن حبيب : ١٩ .

(٥) الإنباه على قبائل الرواه : ٩٩ .

(٦) لسان العرب : لابن منظور ٦ / ٤٥٤٦ في باب ثمر .

(١)

ومن نسب إلى الثمر بن قاسط من المشهورين :

« ثَيْلَةَ بنت خباب بن كليب أم العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وهي أول عربية كست البيت الحرام الحرير والدياج وأصناف الكسوة »^(٢) والصحابي صُهيب بن سنان المعروف بالرومي ، وسمى بذلك لأن الروم سَبَّوْهُ وهو صغير^(٣).

وأما كنيته : فقد اشتهر ابن عبد البر (بأبي عمر) ولم تعرف له كنية غيرها ، وقد أخطأ بعض النساخ . فذكر كنيته (بأبي عمرو) وذلك مما يخالف الرواية الصحيحة مما ثبت نقله . كما وقع في القاموس المحيط .^(٤)

وفاته :

عاش ابن عبد البر في ظل عائلة مشهورة من عائلات قرطبة يُظَلِّلُهُ كنف والد عالم ، وجَدَّ زاهد ، كما سنعرف ذلك بالتفصيل ، ثم عانى اليتيم وهو دون سن البلوغ ومع هذا استمر في رعاية أسرته يتنقل في مدارج الشباب طالباً للعلم مُنْكَبًا عليه حتى قَوَّى عُوْدُهُ وأصبح عالم عصره .

وقد ذاق مرارة التنقل بين مدن الأندلس في شرقه وغربه طالباً للاستقرار يحمل أعباء أسرته على كاهله ، حتى استقرَّ به المقام في شاطبة بعد أن علانجُمُه وملأت هيئته قلوب من حوله ، فأصبح مثابة لطلبة العلم ومنبعهم الذي منه يرتون وفي ذلك كله لم يكن بعيداً عن معاناة الأمة في تلمس طريق الإصلاح ، فساهم عن طريق دروسه وفتاواه ومجالسه الأدبية والفقهية في تقديم النصيح في الدين لأمرء الطوائف بالأندلس ، مُهاب الجانب ، حتى وافته مَنيئُهُ في آخر ربيع الآخر ودفن يوم الجمعة لصلاة العصر سنة ثلاث وستين وأربعمائة (١٠٧٠ م)^(٥).

(١) انظر جمهرة أنساب العرب : لابن حزم الأندلسي : ٣٠٢ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر : ٢ / ٨١٠ — ٨١١ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ٧٢٦ — ٧٢٧ .

(٤) أخطأ ناسخ القاموس المحيط للفيروزآبادي في كنية ابن عبد البر فصحح الوهم في حاشية القاموس العلامة نصر الموريني .

انظر القاموس المحيط : فصل الباء باب الرء طبعة الحلبي : ١ / ٣٨٤ .

(٥) ترتيب المدارك : للقاضي عياض : ٤ / ٨٠٨ وانظر الصلة لابن بشكوال وقد نقل ذلك عن طاهر بن مُغفور

وانطوت بذلك صفحة هذا العلم التي كتبها مُكلِّلةً بالفخار مواقفه ومؤلفاته
وتلاميذه .



==تلميذ ابن عبد البر الذي صلى على جنازته : ٦٧٩ .
وذكر ذلك عبد الباقي بن محمد بن بريال الأنطلسي في تاريخه ولكنه وهم في شهر الوفاة فقال : وتوفي في
جمادى الأولى لسبع خلون منه سنة ثلاث وستين وأربعمائة « انظر مقدمة الاستدكار : ق ١٢٠ .

الفصل الثانى
أسرة ابن عبد البر
ونشأته ودراساته الأولى

شجرة بنو عبد البر النمرى القرطبي

عاصم النمرى



عبد البر



محمد

(٢٩٩ — ٣٧٩ هـ = ٨٤٣ — ٩٩٠ م)



عبد الله

(٣٣٠ — ٣٨٠ هـ = ٩٤٢ — ٩٩١ م)



يوسف

أبو عمر بن عبد البر

(٣٦٨ — ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ — ١٠٧٠ م)

(زينب)



عبد الله بن أحمد بن علي
اللخمي الشاطبي

(٤٤٣ — ٥٣٢ هـ = ١٠٥١ — ١١٤٠ م)



أم عمر



أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمي
الاغماتي

سبط سبط ابن عبد البر

(تولى قضاء فاس سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م)

عبد الله

أبو محمد بن عبد البر الابن
(٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م)

أسرة ابن عبد البر :

عندما انسابت جيوش المسلمين في الأرض تحمل عقيدة التوحيد لتخرج الناس بها من الظلمات إلى النور ، كانت الأندلس من تلك البقاع التي تطلع المسلمون لفتحها ، « فتحركت الحدود تبعاً لحركة الجيوش الفاتحة القادمة من الشرق نحو الأندلس ثم أوربا » ،^(١) فدخلت طلائعها الأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة (٧١١ م) بقيادة طارق بن زياد .^(٢)

وكانت النمر بن قاسط القبيلة العربية المسلمة — قبيلة ابن عبد البر — قد شاركت مع غيرها من قبائل العرب والبربر التي كانت تحمل رايات الإسلام في فتح الأندلس ، واتخذت هذه القبيلة حصن وضاح من أعمال كورة رُيَّة (RAIYO) منزلاً لها .^(٣)

ولما استقرت أحوال الأندلس بدأ بعض أبناء هذه القبيلة يجوبون حواضر الأندلس طلباً للعلم ، أو للكسب والتجارة ، فتوجه أحد أجداد أبي عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم إلى قرطبة واستقر فيها ، ولعل هذا الجد هو عبد البر الجد الثاني لابن عبد البر ، (موضوع هذا البحث) . ولكن متى ؟ ولماذا ؟ وهذا ما لم يعرف من خلال المصادر المتوفرة .

ومن تتبع رجال عائلة ابن عبد البر يتضح أن هذه العائلة لم تجذب اهتمام المؤرخين إلا ابتداءً من جده محمد بن عبد البر بن عاصم ، وستحدث عن جد ابن عبد البر ، ثم أبيه منحدرين إلى الرجل الذي خصصنا هذه الدراسة له ، وتفيدنا دراسة أسرة ابن عبد البر ابتداءً من جده في التعرف على الجو الذي نبت

(١) محاضرات أستاذنا الدكتور أحمد شلبي في السنة التمهيدية ٩٧٥ — ٩٧٦ .

(٢) سبقت حملة طارق بن زياد حملة استكشافية لطريف البربري مولى موسى ابن نصير وذلك في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين للهجرة (٧١٠ م) ، ثم أعقب دخول طارق دخول موسى بن نصير سنة ثلاث وتسعين للهجرة (٧١٢ م) ، انظر نفح الطيب : ١ / ٢٢٩ ، ٢٣١ وقرطبة في العصر الإسلامي : ١٠ — ١١ .
(٣) انظر جمهرة أنساب العرب : ابن حزم : ٣٠٢ .

وَرُيَّة : كورة من كور الأندلس وهي قبلي قرطبة ونزلها جند الأردن ، انظر : الحميدى : الروض المعطار ٧٩ ، البغدادي : مرصد الاطلاع ٢ / ٦٥٠ .

فيه عالمنا وأثر شخصيات الأسرة عليه .

جد ابن عبد البر :

هو محمد بن عبد البر بن عاصم النمري وكان من « العبّاد المتقطعين المعروفين بالتهجد المبرزين فيه »^(١) ، ولم يكن يلزم إلا العبّاد المعروفين بالزهد فصحب الزاهد الإلبيري يحيى بن مجاهد بن عوانه الفزاري (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م)^(٢) الذي كان من أهل العلم والفقه والذي يقول عنه ابن الفرضي :

« إن العبادة كانت أغلب عليه »^(٣) وكان معنياً كذلك بعلوم القرآن والقراءات والتفسير .

وقد عمّر محمد جد ابن عبد البر حتى بلغ الثمانين عاماً ووافته منيته سنة ثلاثمائة وتسع وسبعين في قرطبة قبل ابنه عبد الله بسبعة أشهر .^(٤)

تلك صورة سريعة عن حياة الجد قدمتها لنا المراجع التي ضنت بالتفاصيل التي كان يمكن أن تثرى البحث ، ولكنها على كل حال أبرزت الجو الذي تربى فيه ابن عبد البر ، وكانت له آثاره في سمته وسلوكه .

وننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن والد ابن عبد البر لتعرف من خلال ذلك على مكانة والده ، ودوره في الحياة العامة في عصره .

والد ابن عبد البر :

هو عبد الله بن محمد^(٥) من فقهاء قرطبة المعروفين ولد في قرطبة سنة ثلاثمائة وثلاثين ، ونشأ وترعرع في أجواءها العلمية في كنف ذلك الوالد الزاهد الذي

(١) التكملة : ابن الأبار : ١ / ٣٧١ .

(٢) انظر التاريخ : ابن الفرضي ٢ / ١٩٠ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ١٩١ .

(٤) التكملة : ابن الأبار ١ / ٣٧١ (وكانت وفاة عبد الله في ربيع الآخر سنة (٣٨٠ هـ — ٩٩١ م) انظر :

الديباج : ابن فرحون ٢ / ٤٨) .

(٥) الجذوة : الحميدى : ٢٥٦ وانظر الترتيب : القاضي عياض ٤ / ٥٥٦ .

كانت له صلوات طيبة بأهل العلم ، والتي مكّنت عبد الله من أن يتصلّ بهم ويأخذ عن كبارهم ، حتى بلغ في ذلك شأواً عظيماً ، مما جعل ابن حبان يُثني عليه بقوله : « من الأعلام هضاب راسية وبحار من العلم زاخرة ، وأعلام قولهم مسموع ، وبرّهم مشروع ، وأثرهم متبوع مثل : عبد الله بن محمد بن عبد البر والد أبي عمر بن عبد البر » . (١)

ومن هؤلاء المشايخ الذين تتلمذ عليهم عبد الله والد ابن عبد البر :
* أحمد بن دحيم (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م — ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م)

وهو من كبار علماء قرطبة سمع من مشايخها « وكان معنياً بالآثار جامعاً للسنن ثقة فيما روى ، ولاه الناصر أحكام القضاء بطليطلة ولم يزل قاضياً إلى أن توفي رحمه الله » . (٢)

* أحمد بن سعيد بن حزم (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م — ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

وكان « من أهل قرطبة ، عنى بالآثار والسنن ، وجمع الحديث ورحل إلى المشرق سنة ثلاثمائة وأحد عشر ، فسمع بمكة وبمصر والقيروان ، ثم انصرف إلى الأندلس ، فصنف تاريخاً للمحدثين بلغ فيه الغاية قرىء عليه ، ولم يزل يحدث إلى أن توفي » ولأهمية هذا التاريخ فقد قام يوسف بن عبد البر — موضوع هذا البحث — باختصاره .

* أحمد بن مطرف (ت ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م)

اشتهر بابن المشاط « وكان معنياً بالآثار والسنن ، وكان زاهداً ورعاً ، وولى الصلاة بقرطبة إلى أن توفي وسمع منه الناس كثيراً » . (٣)

* محمد بن معاوية القرشي (ت ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م)

(١) أعمال الأعلام : لسان الدين بن الخطيب : ٤٨ / ٢ .

(٢) التاريخ : ابن الفرضي : ٣٥ / ١ .

الديباج : ابن فرحون : ١٧١ / ١ .

(٣) التاريخ : ابن الفرضي : ٤٣ / ١ .

(٣) نفس المصدر ١ / ٤٤ — ٤٥ .

وهو المعروف بابن الأحمر وكان من ذرية الخليفة عبد الملك ابن مروان ، من أهل قرطبة ، له رحلة إلى المشرق دامت ثلاثين سنة دخل فيها مصر ومكة والكوفة ، وبغداد ، والهند ، ورجع إلى الأندلس سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين^(١) ، « وكان شيخاً حليماً ثقة فيما روى صدوقاً ... وطال عمره فكفر أخذ الناس عنه وعلا قدره في الإسناد »^(٢) .

وبذلك تتضح لنا الثقافة الرصينة التي تلقاها والد ابن عبد البر عن هؤلاء الأعلام الأثبات وطبقتهم ، الذين انتهى إليهم علمُ السُّنة ، واستعان العلماء الكبار في ذلك الوقت بوالد ابن عبد البر في حلقاتهم ، لما تميز به من صوت جهورى ، (فكان يقرأ على الشيوخ ويسمع الناس بقراءته . ذكر ذلك الفقيه الحافظ أبو عمر ابنه)^(٣) « وبالإضافة إلى المكانة العلمية التي تمتع بها ، فإنه كان يتمتع بمكانة سياسية ، مما جعل الخليفة الحكيم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر يختاره في أهل الحل والعقد ، الذين شهدوا على العهد ، الذي تدبته المستنصر لابنه هشام — الملقب بالمؤيد — بالخلافة من بعده .^(٤)

وكانت وفاة عبد الله بن محمد والد ابن عبد البر في العقد الخامس من عمره ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وثمانين للهجرة ، وانطوت بذلك صفحة هذا العالم الذي نال هذه المنزلة وهو في هذا السن .^(٥)

وبعد وفاة والد ابن عبد البر يبدو أن والدته قد تحمّلت العبء الأكبر في تربيته ، ونشئته ، ورعايته ، وهيات له الظروف المناسبة للاستمرار في طلبه العلم ،

(١) التاريخ : ابن الفرضي : ٦٧ / ٢ .

(٢) نفس المصدر : ٦٨ / ٢ .

(٣) الجذوة : الحميدى : ٢٥٦ — ٢٥٧ .

والقراءة : من طرق الرواية ويقول عنها القاضي عياض : « وسواء كنت أنت القارئ أو غيرك وأنت تسمع ، أو قرأت في كتاب ، أو من حفظ ، وكان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أو يمسك أصله ... وأكثر المحدثين يسمونه عرضاً لأن القارئ يعرض ما يقرؤه على الشيخ كما يعرض القرآن على إمامه » الإلماع : ٧٠ — ٧١ .

(٤) أعمال الأعلام : لسان الدين بن الخطيب : ٥٠ / ٢ .

(٥) التكملة : ابن الأبار ١ / ٣٧١ وانظر : الدياج : ابن فرحون ٢ / ٣٦٩ .

لا سيما وأن والده قد توفي عنه وهو لا يزال في تعليمه الأولى ، وقد أغفلت المصادر الكلام عن والدته ، لأن كتب التراجم لم تكن تُترجم إلا للشهيرات من النساء اللاتي لهن دور مهم في الحياة السياسية ، أو العلمية ، أو الاجتماعية .

نشأة ابن عبد البر ودراساته الأولى :

بعد التقديم السريع والتعريف المختصر بأبيه وجده نصل بذلك إلى الحديث عن نشأة ابن عبد البر موضوع البحث .

من الواضح أن المكانة العلمية والاجتماعية التي تمتعت بها أسرة ابن عبد البر كان لها أثر كبير في بناء شخصيته ، وتحديد وجهته ، وهو يشق طريقه في البيئة التي عاش فيها ، فزهد جدّه محمد ، وعلم والده عبد الله ، وتضحية والدته ، ومكابدتها في تربيته بعد وفاة والده مؤثرات ساهمت في بنائه الأخلاقي والعلمي ، ساعد على شحذ ذهنه وتفتح مداركه .

وقبل أن نستعرض في متابعة دراسات ابن عبد البر ، علينا أن نلّم إلمامة سريعة بمراحل التعليم التي سلكها في ذلك .

فقد بين لنا ابن خلدون في كتابه المقدمة أن التعليم في الأندلس كان ينقسم إلى ^(١) مرحلتين رئيسيتين وهي :
مرحلة التعليم الأول ، ومرحلة التعليم الثاني .

١ — مرحلة التعليم الأول :

وتبدأ هذه المرحلة ببلوغ الطفل سن التمييز ، وتمتد حتى بلوغه الحلم . والتعليم في أوائل هذه المرحلة كان يتم بعيداً عن المسجد ، وذلك في بيوت المعلمين ، أو في المكاتب الملحقة بالمساجد ، أو في حوانيت خاصة في الدروب وأطراف الأسواق ^(٢) ، وذلك تنزيهاً للمساجد من الصبيان ، لأنهم لا يختارزون من النجاسات

(١) انظر : ٥٠٦ ، ٥٠٧ جامع : ابن عبد البر : ٢ / ١٦٦ .

(٢) انظر تاريخ التربية لأستاذنا د. أحمد شلبي : ٥٨ — ٧١ .

« أنشأ الحكم المستنصر سبعة وعشرين مكتبا منها ثلاثة موالى المسجد الجامع بقرطبة ، ووزع الباقي على ضواحي المدينة الأخرى » انظر البيان المغرب ٢ / ٢٤٠ .

وغيرها^(١). فإذا نضج هؤلاء الأطفال نُقلوا إلى المساجد لحضور حلقات التأديب فيها ، وكان سن السابعة ، أو الثامنة على الأغلب هو الذى يؤهل للانتقال إلى الحلقات ويستمر فيها إلى سن البلوغ .

وأما المكان الذى قضى فيه ابن عبد البر مرحلة التأديب ، فقد سكنت عنه المصادر ، ولكن على الأغلب أنه كان يرافق والده إلى المساجد لحضور حلقات الدرس ، فينشغل الوالد بتدريس طلاب العلم ، أو القراءة على الشيوخ الكبار ، وينصرف الابن إلى حلقات التأديب التى تعقد فى جانب من جوانب المسجد بعيداً عن حلقات العلم الأخرى ، أو لعل والد ابن عبد البر كان يبعثه إلى دور المؤدبين الذين اختصوا بتدريس أولاد الأكابر على عادة العائلات الأندلسية المعروفة ، وحسب اختصاص كل مؤدب بالعلم الذى يؤدب به^(٢).

وقد تلقى ابن عبد البر أغلب تعليمه الأول بمرحلته المكتب والتأديب فى ظل رعاية والده الذى توفى وسن ابن عبد البر الثانية عشرة ربيعاً أى كان مقارباً لمرحلة البلوغ^(٣).

والمنهج الدراسى فى التعليم الأول بمرحلته المكتب والتأديب كان يقوم على : « حفظ كتاب الله جل وعز ، وتفهمه كل ما يُعين على فهمه »^(٤) ، « إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء فى العربية ، والشعر والبصر بهما ، وبرز فى الخط والكتاب ، وتعلق بأذيال العلم على

(١) انظر : تاريخ التربية : ٥٣ .

(٢) انظر الصلة لابن بشكوال : ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٧ ، ٥٤٧ ، ٦٢٦ ، وانظر : الغية الضبي : ٧٤ .

وانظر : الذيل والتكملة : ابن عبد الملك المراكشى : ٥ : ١ / ١٧٨ ، ٢٣٢ .

وانظر : تاريخ التربية : أساذنا د. أحمد شلبى : ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٦ .

(٣) ومن الشيوخ الذين تأدب بهم : محمد بن أحمد بن محمد المكتب ، وعباس بن أصبغ الهمداني

(٣٠٦ — ٣٨٦) سمع منه فى سنة (٣٧٨ هـ) وعبد الرحمن بن أبان (— ٣٧٩ هـ) وغيرهم (انظر :

الجدوة : الحميدى : ٤ / ٣١٧ ، وانظر الصلة : ابن .بشكوال : ٣١٦) .

(٤) جامع بيان العلم : لابن عبد البر : ١٦٦ .

الجماعة .. وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم » . (١)

٢ - مرحلة التعليم الثاني :

« وتبدأ هذه المرحلة بعد سن البلوغ ، ويستكمل الطالب فيها نقصه العلمي بعد حفظه للقرآن ، وذلك بالتعمق في العلوم المعينة على فهم القرآن ، واستنباط الأحكام منه ، كالفقه وأصوله ، والجدل ، ومعرفة النسخ والمنسوخ ، وعلم الحديث ، وسيرة النبي ﷺ متبعا في ذلك - أى في مذهبه الفقهى - إماما من أئمة الدين ولكن إن أراد أن يبلغ هو - أى الطالب - درجة (الإمامة في الدين - أى أن ينتقل إلى مرحلة الدراسات العليا المتخصصة إن صح التعبير - فعليه أن ينظر في أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار وكل ما يعين على ذلك من العلوم الأخرى) وسنفضل القول في ذلك عند الكلام عن ثقافة ابن عبد البر .

زواجه : ومضى ابن عبد البر يدرج في رحلة حياته من مدارج الصبا إلى الفتوة والشباب ، حتى بلغ مبلغ الرجال ، فأقدم على بناء أسرة له تكون امتدادا لبني عبد البر ، ويغلب أن تكون زوجة المفكر عوناً له ، ومن هنا نقف وقفة قصيرة مع هذا الزواج ، فمن خلال استقراء النصوص تبين أن زوجة ابن عبد البر قد شاركته رحلته من قرطبة إلى إشبيلية عند وقوع الفتنة التي حلت بقرطبة (٣٩٩ - ٤٢٢ هـ) وقد مضى الحديث عنهما عند الكلام عن الحالة السياسية . وأقامت معه في إشبيلية ، وهناك نعيم بالاستقرار ، والطمأنينة حيناً في ظل بني عباد ، ولما تعكر الصفو بين ابن عبد البر وأبي القاسم بن عباد عزم ابن عبد البر على الرحيل ، ولكن زوجته أبدت معارضتها للسفر أول الأمر لما فيه من نصب واغتراب بعد تجربة الخروج من قرطبة ، أو لعلها لم تفطن ، إلى السبب الذي دفعه للسفر ولربما فطنت ولكنها رغبت من زوجها أن يتغاضى عن ذلك حفاظاً على استقرار العائلة ، فأثار هذا الموقف ابن عبد البر وأغضبه ، فنظم أبياتاً من الشعر^(٣)

(١) المقدمة : ابن خلدون : ٣ / ١٢٥٠ تحقيق على عبد الواحد وافي ط ٣ / ١٩٨١ .

(٢) جامع : لابن عبد البر : ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٣) ومن هذه الأبيات :

وقائلة مالى أراك مُرحلاً فقلت صبة واستمعى القول مُجملاً

يُعْتَفُ فيها زوجته ، وبين لها أن السبب الذي جعله يفارق إشبيلية هو تنكر أبي القاسم بن عباد له وإساءته التصرف معه ، وأنَّ عِزَّةَ العالم وكرامته تأتي الرُّضوخَ لابن عباد ، فَفَهِمَت الزَّوجَةُ المؤثر الحقيقي ، فَوَحَّدَت موقفها مع زوجها واقتنعت بالرحيل معه إلى الجهة التي يراها زوجها ، مما يدل على حُبها لزوجها ومشاركتها له في مواقفه . وقد صَمَتَت المصادر التي بين أيدينا عن الحديث عن هذه الزوجة الصالحة ، وطبيعة حياتها بعد ذلك مع ابن عبد البر زوجها ، وكم قضت من العمر معه ؟ ومتى توفيت ؟ وأين ؟ لعل بحوثا تلقى ضوءا في المستقبل على هذا المجهول .

أولاده : خلف ابن عبد البر أولاداً ، وأحفاداً كان لهم شأن وفضل ، وبلغوا مكانة علمية ، واجتماعية ، وسياسية مرموقة ، وشاع ذكرهم في الأندلس والمغرب ، وسنفصل الحديث عنهم في الصفحات التالية لنرسم صورة متكاملة لهذه الأسرة .

رزق ابن عبد البر بولد أسماه عبد الله ويكنى بأبي محمد ، ونشأ عبد الله هذا في قرطبة تحت رعاية والده وحنانه ، ودرج على مدرج عليه أقرانه من الصبيان في التنقل بين الكتاب والتأديب وشب على ماشب عليه أقرانه في طلب العلم ، وعندما بلغ مبلغ الرجال ببلوغه الحلم جلس إلى شيوخ قرطبة يسمع منهم ويتلقى عنهم ، فروى عن والده يوسف ، وعن أبي سعيد الجعفرى (٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م)^(١) ، وغيرهم ، حتى أصبح « من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائعة

تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا لَسَرُ بِقَرِيهِ وَعَادَ زُعَافاً بَعْدَ أَنْ كَانَ سَلَسَلَا

وَحَقَّ لَجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ وَلَا لَائِمَتَهُ الدَّارُ أَنْ يَتَحَوَّلَا

بُلِيَّتْ بِجَمْعٍ وَالْمَقَامُ بِبَلَدَةٍ طَوِيلًا لَعَمْرِي مُبْخَلَّتْ يُورَثُ الْبَلَى

إِذَا هَانَتْ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ وَلَمْ يَنَأْ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلَا

وَإِذَا الْكَرِيمُ رَأَى الْغَرِيرَ قَرِينَهُ فِي مَنَزَلٍ فَالْحَزْمُ أَنْ يَتَرَحَّلَا

انظر : بهجة المجالس : ١ / ٢٤٣ وانظر مطمح الأنفس : ٧١ .

وانظر : روض الأنس : لأبي البقاء الرندي (ت ٦٨٤ هـ) مخ رقم (١٢) مغرب أولى / مكتبات

خاصة (بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، وانظر نفح الطيب : ٤ / ٣٠ .

(١) الصلة : ابن بشكوال : ١٦٨ * والذي يرجح أن عبد الله بن يوسف تلقى العلم في قرطبة ، هو أن حلف =

والتقدم في العلم والذكاء»^(١). وقد رافق والده عند الخروج من قرطبة أول انبعاث الفتنة القرطبية ولكنه عندما تزوج أخذ يتنقل بمفرده واستقر أكثر مدته في إشبيلية في ظل المعتضد بن عباد الذي رغب فيه واحتال عليه بشتى الطرق « ففاز ، به قدح عباد بعد طول خصام والتفاف زحام ، فأصاخ أبو محمد لمقاله ، وتورط في حباله » ، وكانت براعة أبي محمد بن عبد البر في إنشاء الرسائل وكتابتها هي التي جعلت المعتضد يسعى لاستمالة إليه ، « حتى حلّ من كتاب الإقليم محلّ القمر من النجوم ، وتصرف في التأخير والتقديم تصرف الشفرة في الأديم » ، فكان « بحر البيان الزاخر ، وفخر الأوائل والأواخر ، وواحد الأندلس »^(٢) ووضيف بأنه « آية من آيات فاطرة »^(٣). هذه البراعة ، وتلك المقدرة جعلت المعتضد يُقلّده وزارة القلم والسيف فلُقّب بذي الوزارتين^(٤) ، وكان ابن زيدون يومذاك الوزير المقرب في بلاط المعتضد ، فدبّت المنافسة التي قد تقع أحيانا بين الأقران واستطاع ابن زيدون بما له من مكانة أثيرة أن يتغلب على منافسه عبد الله « فجهد كما زعموا على إراقة دمه »^(٥)، فوشى به عند المعتضد فسجن أبا محمد ابن عبد البر ، ولمّا تناهى إلى سمع يوسف بن عبد البر والد أبي محمد ماحلّ بابنه سارع متوجّهاً إلى إشبيلية ، « فسار من مُستقره بشرق الأندلس وهو حينئذ يتردّد بين بلنسية وشاطبة »^(٦) ودخل على المعتضد من ساعة وصوله « رافعا صوته : ابني يا معتضد ... ابني يامعتضد ... فشفّعه فيه »^(٧) ، « وكان سبب نجاته ... ولولاه

= الجعفرى ترك قرطبة في الفتنة نحو طرطوشة وتوفى فيها وعبد الله لم يرحل إلى طرطوشة ليلقه فيها .

(١) جذوة المقتبس : الحميدى : ٢٦٨ .

(٢) قلائد العقيان : الفتح بن خاقان : ١٨٢ .

(٣) الذخيرة لابن بسام ٣ : ١ / ١٢٧ تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ وانظر المغرب :

ابن سعيد ٢ / ٤٠٢ .

(٤) القلائد : الفتح بن خاقان : ١٨١ .

البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ٢٤٥ .

(٦) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٢٥ ، ١ : ٢ / ٨٢ ، ٤ : ١ / ١٧٤ .

اعتاب الكتاب : ابن الأبار : ٢٢١ .

وانظر المغرب : ابن سعيد : ٢ / ٤٠٢ .

(٨ ، ٩) اعتاب الكتاب : ابن الأبار : ٢٢٠ .

لورد مَشرَع الحَمَام وَكَرَّعَ من ماء الحُسام ولكنَّ إمامة أبيه الشهيرة ^(١) ومكانته العظيمة بين علماء الأندلس جعلت المعتضد يُغيِّر موقفه ، ويأمر من ساعته بإطلاق سراح أبي محمد عبد الله بن يوسف إكراما لأبيه ، ولم يكتفِ المعتضد بهذا بل قام بتوديع ابن عبد البر توديعا حافلا يتناسب ومكانته ^(٢).

ثم إنَّ ابن عبد البر بعد هذه الحادثة لم ينس دورة كَأب في نُصيح ابنه عبد الله الذى أشرف على العقد السادس ، فنظم أبياتا من الشعر في ذلك يدعو فيه إلى ترك محافل الأمراء ، وعدم الانغمار في صراعاتهم ، والاتجاه إلى ما ينفع من العلم والإنابة إلى الله بعد هذا السن ^(٣) ، فكانت لهذه النصيحة أثرها في الابن ، فاتجه إلى توجيه طاقته وبلاغته إلى كتابة الرسائل التى تحت على توحيد الكلمة بين دول الطوائف وتنبههم إلى الخطر الذى يهددهم نتيجة هذه الفرقة التى حلت بينهم ، وكان لسقوط مدينة هربشتر ^(٤) رد فعل قوى في الأمة المسلمة في الأندلس شحذت هم أهل الإصلاح من الفقهاء والأدباء للدعوة إلى وحدة الكلمة . ^(٥)

(١) القلائد : الفتح بن خاقان : ١٨١ .

(٢) المغرب : ابن سعيد : ٢ / ٤٠٢ .

وهذا الموقف من المعتضد خلاف موقف والده أبى القاسم محمد بن إسماعيل الذى تنكر لابن عبد البر وجفاه ، مما جعله يترك إشبيلية لأن ابن عبد البر برز نجمة بعد خروجه من إشبيلية ، مما دعا المعتضد لاتخاذ هذا الموقف .

(٣) والقصيدة التى نصح فيها ابنه هى :

تجاف عن الدنيا وهون لغديرها	ووف سبيل الدين بالعروة الوثقى
وسارغ بثقوى الله سراً وجهرة	فلا ذمة أقوى هديت من التقوى
ولاتنس شكر الله فى كل نعمة	يمن بها فالشكر يستجلب النعمى
فدغ عنك ما لا حظ فيه لعاقل	فإن طريق الحق أبلج لا يخفى
وشح بأيام بقين قلائل	وعمر قصير لا يدوم ولا يقى
ألم تر . أن العمر يمضى مؤلماً	فجدُّه تئلى ومُدُّه تفى

(مطمح الأنفس : الفتح بن خاقان : ٧١ — وانظر : نفح : المقرئ : ٤ / ٢٨) .

(٤) مدينة في شرق الأندلس احتلها النصارى سنة ٤٥٦ هـ .

انظر : راصد الأطلاع : البغدادي ١ / ١٧٦ ، البيان : ابن عذارى ٣ / ٢٢٥ .

(٥) انظر الذخيرة ، تحقيق إحسان عباس ٣ : ١ / ١٧٣ — ١٧٩ .

فكتب عبدالله بن يوسف رسالته المشهورة على لسان أهل بريشتر موجهة إلى أمراء دول الطوائف يستنهض همهم ، ويستثير حميتهم لاسترجاع بريشتر وتعد هذه الرسالة وثيقة حية تلقى ضوءاً ساطعاً على دور أهل الفكر في تشخيص الداء ووصف الدواء فكان لصيحته ثمرة ، فثارت حمية الجهاد عند المقتدر ابن هود ، الذى استجاب لهذه الصيحة ، فجهز جيشاً لذلك ، وانضم إليه من المجاهدين المتطوعين من العلماء والزهاد ، وغيرهم ستة آلاف متطوع ، فهزموا الأعداء ودحروهم ، وعادت بريشتر إلى حياض الإسلام مرة أخرى ، وكان ذلك سنة (٤٥٧ هـ = ١٠٦٥) أى قبل وفاة عبد الله بن يوسف بسنة حيث أقر الله عينه بهذا النصر الذى كان له فيه دور مهم ، وقد مضى التفصيل في التمهيد من هذا البحث .

، وتميز عبد الله بن يوسف بالإضافة إلى ذلك كله برقة الشعور ، ورهافة الحس ، وخصب الخيال ، مما تمي شاعريته ، فنظم قصائد وقال شعرا في مناسبات مختلفة أذخرها لنا ابن بسام في ذخيرته ، كما أنه كان يكتب الرسائل في أغراض أخرى غير الرسائل البلاطية التى كان يكتبها لملوك الطوائف .^(١)

وبعد هذه الرحلة الطويلة الحافلة استقر أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن عبد البر في شاطبة المدينة التى كان يستقر فيها والده يوسف بن عبد البر ، منصرفاً إلى القيام بمسئوليته كعالم عامل ، حتى وافته منيته سنة (٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) ، ولم تذكر لنا كتب التراجم التى بين أيدينا أى معلومات عن أحواله الأسرية وغيرها لتلقى ضوءاً نتعرف خلاله على حياة هذا الرجل بصورة أوضح وأشمل .

وكان لابن عبد البر بنت أسماها زينب ، كانت من صالحات النساء وعالماتهن ،

(١) الذخيرة : ابن بسام : ٣ : ١ / ١٨٩ — ١٩٠

وانظر البيان المغرب : ابن عنارى : ٣ / ٢٢٧ .

(٢) نفس المصدر : ابن بسام :

٣ : ١ / ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، وانظر : الجذوة :

الحميدى : ٢٦٨ ، وانظر المغرب : ابن سعيد : ٢ / ٤٠٢ .

وقد أتيحت لها الفرصة أن تسمع والدها وما يحدث بينه وبين غيره من العلماء من مناظرات علمية إضافة إلى ما كان يدرسه لمرتادي بيته من طلاب المعرفة من داخل الأندلس وخارجه ، فتكونت لها بذلك حصيلة علمية جيدة ^(١) .

وعندما حلت الفتنة في قرطبة خرجت زينب مع والدها من قرطبة فحلت معه في إشبيلية ، وبطليوس ، وبلنسية وقُدِّرَ لها أن تتزوج في بلنسية من محمد بن أحمد بن علي اللخمي ، وهو من عائلات بلنسية المعروفة — لم نجد له ترجمة — فرزقت منه زينب بولد ^(٢) ، وذلك سنة (٤٤٣ هـ = ١٠٥١ م) واسمه عبد الله حمل العلم عن جده وكان له دور في الثقافة الأندلسية كما سنرى بعد قليل . ولم تُورد لنا كتب التراجم تفاصيل عن جوانب حياة زينب بنت يوسف ابن عبد الله بن عبد البر ، ولم نحصل إلا على ترجمة أوردها ابن الأبار في تكملته ، وهي بضعة سطور ، قال فيها : « ولأدرى هل لوفيت في حياة أبيها ، أم بعده » ^(٣) .

أحفاده :

استمرت شجرة بني عبد البر ثورقاً وثمراً ويرفع ذكرها بذرية ابن عبد البر ، ولم تُترجم المصادر التي بين أيدينا لأحفاده من ابنه عبد الله ولكني حصلت على ترجمة واحدة لحفيده من ابنته زينب وهو عبد الله بن علي اللخمي الذي ملأ ذكره الأسماع وكان علماً يشار إليه في الأندلس والمغرب .

ولد عبد الله بن علي بن أحمد بن علي اللخمي الشاطبي ^(٤) ببلنسية سنة أربعمائة وثلاث وأربعين ، ونشأ وتعلم تعليمه الأول فيها ، ويبدو أنه توجه بعد ذلك إلى

(١) أشار محقق كتاب الصلة لابن بشكوال أنه قد وجد في هامش المخطوط زيادة لأحد العلماء الذين قرءوا كتاب الصلة يقول فيه معلقاً على كنية أبي عمر ابن عبد البر : « من تقيدي هو عمر القاضي ودفن بمقبرة قرطبة » . ولم أجد غير هذه الإشارة التي تبين أن لابن عبد البر ابناً آخر غير عبد الله اسمه عمر وهو الذي اشتهر ابن عبد البر بالتكني به .

« انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٢٤٢ طبعة الهيئة المصرية للتأليف سنة ١٩٦٦ »

(٢) سير أعلام النبلاء : الذهبي : مخطوط : قسم ٢ ج ١٢ / ق ١٦٦ . نسخة دار الكتب .

(٣) التكملة : ابن الأبار : مخطوط / قسم ٣ / ق ١٥٤ نسخة الأزهرية معصورة في معهد المخطوطات .

(٤) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٨٢١ وانظر : الأعلام بمن حل : في مراکش وأغمات من الأعلام . العباس بن =

شاطبة ليكون قريبا من جدّه لأُمّه يوسف بن عبد البر ، فأحاطه جدّه بالعناية ،
والرعاية فشَبَّ محبا للعلم وطلبه ، وبلغ من ذكائه أنه سمع جده ابن عبد البر
مُبكرا ، وفاز بإجازة منه لكل مؤلفاته ومروياته عن شيوخه ، وذلك سنة
(٤٦٢ هـ = ١٠٧٠ م)^(١) . واستمر عبد الله سبط ابن عبد البر يرتوى من ينابيع
العلم . فلم يكتفِ بالتلمذ على جدّه حافظ المغرب ، بل تلقى العلم كذلك من
كبار شيوخ عصره ، فلازم أبا الوليد الباجي سليمان بن خلف ، وروى عنه
صحيح البخاري^(٢) ، وسمع من أبي العباس العذري صحيح البخاري ومسلم^(٣) ،
ولكن هذين الشيخين لم يجيزا له شيئا من مروياتهما ولا تأليفهما ولعله كان دون
سن الإجازة عندما كان يحضر حلقاتهم العلمية .

ولم يستقر المقام بسبط ابن عبد البر في الأندلس فهاجر إلى المغرب وسكن
أغमत من مدنها ، ولاندرى ماهي الأسباب التي دعت له للهجرة ولكن يبدو أن
الأحوال السياسية المضطربة في شرق الأندلس ، وخاصة عند هجوم النصارى على
بلدته بلنسية ، والتنكيل بأهلها هو الذي دعاه لذلك .

وتألق نجم عبد الله بن علي سبط ابن عبد البر في بلاد المغرب فهو المحدث الفقيه
الزاهد^(٥) ، واكتسب شهرته من شهرة جده يوسف بن عبد البر لذا حرص طلاب
العلم ومشايخه على الجلوس إلى حلقاته وطلب الإجازة منه . فكان ممن روا عنه
وأجازهم صهره القاضي عبد الله بن عمر السلمى زوج ابنته^(٦) ، وعبد الله بن محمد
بن سهل الضَّير (٤٩٠ — ٥٧١ هـ = ١٠٩٧ — ١١٧٦ م)^(٧) ، وجابر بن

إبراهيم : ٨ / ١٨٩ ، ١٩٠ .

وانظر سير أعلام النبلاء : الذهبي : مخطوط : قسم ٢ / ج ١٢ / ق ١٦٦ .

(١)(٢)(٣) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٨٢١ .

(٤) ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرية من مراکش .

انظر مراصد الاطلاع : العدادي : ١ / ٩٨ .

(٥) بغية الملتبس : الضبي : ٣٤٩ .

(٦) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٨٣٧ .

(٧) نفس المصدر : ٢ / ٨٤٩ .

غالب بن سليم الجُدَامِي^(١)، وخلف ابن عبد الملك المشهور بابن بَشْكُوَال (٤٩٤ — ٥٧٨ هـ = ١١٠١ — ١١٨٣ م)^(٢) ومحمد بن أحمد بن عبد الملك أبو مروان الباجي (٥٦٤ — ٦٣٥ هـ = ١١٦٤ — ١٢٣٧ م)^(٣) وغيرهم ، ثم إن مكانته العلمية والاجتماعية أهّلته لتولى قضاء أغمات حتى وفاته^(٤).

وقد سكن مع عبد الله بن علي في أغمات ابنته وزوجها عبد الله بن عمر السُّلَمي من جزيرة شُقْر^(٥) (JUCAR) ويبدو أن الأحداث المتأزمة في الأندلس هي التي دعتهم لترك الأندلس وقد احتضن سبط ابن عبد البر ابنته وزوجها ، وكانت تربطه بزواج ابنته رابطة حب واحترام .

والوصية التي أوردها لنا ابن الأَبار^(٦) ، تكشف عن مدى صدق هذه الرابطة وقوتها ، فضلا عن أنّها تكشف جانباً من أخلاق سبط ابن عبد البر ، ويبدو أن حُبَّ أهل أغمات وإجلالهم لسبط ابن عبد البر ، وحسن تعاملهم معه جعله يستقر فيها حتى بلغ تسعين عاماً من عمره فوافته منيته في صَفَر من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة^(٧) : وبذلك تسقط ورقة نظرة من دوحة عائلة ابن عبد البر .

ولكن هذه الدوحة المعطاءة استمرت في عطائها فكان أن ولد لسبط ابن عبد البر سبط اسمه : أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السُّلَمي الأغماتي ولم يتخلف هذا عن أعلام أسرته في العلم والفضل فقد تلقى علوم زمانه على شيوخ عصره ،

(١) نفس المصدر : ٢ / ٢٤٧ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٣٠٤ وانظر ابن الأَبار : المعجم : ٨٢ .

(٣) افادة النصيح : ابن رشيد : ٩٦ .

(٤) التكملة : ابن الأَبار : ١ / ٨٢١ .

(٥) جزيرة الأندلس قرية عن شاطبة .. وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً ، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار ، انظر الروض : ١٠٢ — ١٠٤ .

(٦) التكملة : ابن الأَبار : ٢ / ٨٣٧ والوصية هي :

« ...إِنَّكَ قَدْ ابْتَلَيْتَ بِالْقَضَاءِ وَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَعِنْدَهُ كَبِيرَةٌ فَأَوْصِيكَ بِمَا أَهْوَنُهُ عَلَيْكَ ، وَتَنْفَعَكَ اللَّهُ بِهِ ، لَا تَبْتَغِ فِي قَلْبِكَ غَشًّا ، أَوْ عِدَاوَةً لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ »

(٧) نفس المصدر : ٢ / ٨٢٢ ، وانظر البغية : ٣٤٩ .

(٨) المصدر السابق : ١ / ٦٧٦ .

حتى بلغ مكانة مرموقة بين أقرانه ثم إن عمر بن عبد الله هذا قد ترك أغمات إلى فاس وحل فيها معزراً مكرماً لما يتبوءه من علم ونسب ، وأهله ذلك لتولى قضاء فاس| وذلك سنة ستين وسبع وخمسمائة^(١)، فاشتهر بحسن القضاء بين الناس حتى وصِفَ « بالقاضي العدل الرضا » لفضله وورعه ، دفعت هذه الأخلاق أحد أعلام عصره ومشاهير علمائه وهو محمد بن علي القيسي المشهور بابن الرّامة (٤٧٨ — ٥٦٧ هـ = ١٠٨٥ — ١١٧١ م)^(٢) أن بوصى بأن يُصلى عليه أبو حفص سبط سبط ابن عبد البر ، وكان محمد بن علي القيسي هذا قد ألف كتاباً يشرح فيه كتاب التّقصى ليوسف ابن عبد البر — الذي أصبح علماً على عائلته — وأسماء (التّقصى عن فوائد التّقصى)^(٣)، ولعلّ هذه الرابطة العلمية بين القيسي وابن عبد البر الجدد — على البعد الزمني — هي التي جعلته يُكرم أبي حفص في الصلاة عليه ، وكان عمر بن عبد الله آخر ورقة في شجرة بنى عبد البر تمكن البحث أن يصل إليها من خلال المصادر المتاحة .

ولعل البحث بعد هذه الرحلة الزمنية مع أفراد أسرة بنى عبد البر تمكن من أن يعطى صورة متكاملة لهذه الأسرة التي كان لأعلامها دور حضارى في الأندلس والمغرب ، والتي كان رجالها من الذين يشار إليهم بالبنان في أعصارهم ، فكانوا خير خلف لخير سلف ، وخلدوا ذكر ابن عبد البر إضافة إلى تأليفه وآثاره المعطاءة .



(١) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٦٧٧ .

(٢) إفاضة النصيح : لابن رشيد : ١٠٢ .

(٣) (٤ ، ٣) نفس المصدر : ابن رشيد : ٢ / ٦٧٦ .

الفصل الثالث
شيوخه وتلاميذه وأقرانه

المبحث الأول شيوخ ابن عبد البر

لا شك أن أي شخصية علمية تتأثر بعوامل ومؤثرات متعددة تعمل على صياغتها ، وتشارك في إنضاج اتجاهاتها الفكرية والأخلاقية ومن هذه المؤثرات الشيوخ والأساتذة الذين تتلمذ عليهم ، ويتفاوت أثرهم بحسب طبيعة العلاقة بين الطالب والأستاذ .

وسنرى بعد قليل أن ابن عبد البر قد تتلمذ وتلقى العلم على يد مجموعة من أساطين الفكر في عصره^(١) ، ولعل كثرة شيوخه كانت من الأسباب التي أدت إلى تفوقه ، وحصوله على اتجاهات فكرية متعددة ، ومن خلال استقراء تراجم شيوخ ابن عبد البر نجد أنه لازم نخبة منهم ملازمة كانت لها آثارها في شخصيته ، وبخاصة مشايخه الذين لازمهم بعد مرحلة التأديب أمثال : ابن الفرضي ، وابن المكوي الإشبيلي ، وأبي عمرو بن الميسور ، وأبي عمر الطلمنكي ، وسعيد بن نصر ، وخلف بن القاسم ، وعبد الوارث بن سفيان وغيرهم من مشاهير عصر ابن عبد البر في الأندلس ولوثقنا سيرهم وأخبارهم لوجدنا فيهم العالم العامل والزاهد المجاهد^(٢) ، والقاضي العادل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يفرغه خليفة ولا سلطان ، ولا تأخذه في الحق لومة لائم^(٣) ، ومنهم الجماعة لكتب العلم المسير في طلبه والمُتَشَغَّل بتعليم طلابه^(٤) ، فقبس ابن عبد البر من هؤلاء الأفاضل متخذاً منهم الأسوة والقدوة في سلوكه ومواقفه .

وقد رصد ابن خلدون مثل هذه الظاهرة وأودع رأيه في مقدمته فقال :^(٥)

(١) وقد ذهب الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام أن شيوخ ابن عبد البر لا يبلغون سبعين نفساً . ■ مخطوط وفيات سنة ٤٦٣ هـ) وقد أحصيت له مائة وسبعة من الشيوخ ممن تلقى عنهم من خلال كتب التراجم التي ذكرتهم تصريحاً ، وقد يكون هناك ممن أدركهم وأخذ عنهم ، ولكن كتب التراجم لم تنقل أنه روى عنهم .

(٢) انظر الجذوة : الحميدى : ٥٤ ، ٥٦ ، ٢٩٦ .

(٣) انظر : ابن بشكوال الصلة : ٣٢٣ .

(٤) نفس المصدر : ٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٠٩ .

(٥) المقدمة : ابن خلدون : ٣ / ١٣٥٥ ط ٣ .

« إن البَشَر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً ، وتارة مُحَاكاةً وتلقيناً بالمباشرة ، إلاَّ أنَّ حصول المَلَكات من المباشر والتلقين أشدُّ استحكاماً ، وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها » .

تعريف ببعض شيوخ ابن عبد البر :

وننتقل الآن للحديث عن شيوخ ابن عبد البر لتعرف على مواهبهم واتجاهاتهم الفكرية التي كان لها الأثر الكبير في بناء شخصيته ، ولكثرة هؤلاء الشيوخ فإننا سنكتفى بالتعريف بأشهرهم ممر تأثر به ابن عبد البر وقدمه على غيره .

أولاً : أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي

وكان الباجي يكنى بأبي عمر وهو من كبار علماء قرطبة نشأ فيها وترعرع . وكانت عائلته قد قدمت إليها من إشبيلية التي ولد فيها سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وكانت عائلته معروفة بالعلم والفضل فوالده كان من علماء إشبيلية المشهورين بخاصة ، والأندلس عامة ، وكان واسع الثقافة ، وله رحلة إلى المشرق ، حيث أدى فريضة الحج ، والتقى بعلماء عصره ممن حالفه الحظ في رؤيته وفي طريق رجوعه مكث في مصر مدة ، وأخذ عن الحافظ عبد الغنى ابن سعيد ، « وكتب عنه ، وكان أضبط الناس لكتبه ، وأعلمهم بما فيها »^(٢) .

وقد وصفه ابن عبد البر بقوله :

« كان أبو عمر الباجي إمام عصره ، وفقه زمانه ، جَمَعَ الحديث ، والرأى والبيت الحسن ، والهدى والفضل ، ولم أر بقرطبة ولا غيرها من كُور الأندلس رجلاً يُقاس به في علمه بأصول الدين وفروعه ، كان يُذاكر بالفقه ، ويذاكر بالحديث والرجال . »^(٣)

(١) الجذوة : ١٢٨ .

(٢) الجذوة : ١٢٩ ، والبغية : ١١ — ١٢ ، والصلة : ١٥٨ — ١٥٩ .

(٣) جذوة المقتبس : الحميدى : ١٢٨ — ١٢٩ .

لذلك فإن ابن عبد البر كان يُجلُّه ، ويحرص على ملازمته ، والتلمُّذ على يديه ، وقد روى ابن عبد البر عنه كثيرا من المصنفات ، منها ما كان من تأليفه ، ومنها ما كان من تأليف غيره ، فأخذ عنه ابن عبد البر كتابه المشهور في علم الرجال (التجريح والتعديل) ،^(١) وروى عنه في الرجال كذلك كتاب (رجال الموطأ)^(٢) لابن مُزَيْن ، وكتاب (الآحاد في الصحابة)^(٣) ، وكتاب الضعفاء والمتروكين (لابن الجارود) .

وروى عنه في الفقه : (جامع سفيان الثوري الكبير في الفقه والاختلاف)^(٥) ، وقرأ عليه (العتبية) في الفقه المالكي لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة (وكتاب المنتقى لابن الجارود)^(٧)

وروى عنه في الحديث : (مصنف بن أبي شيبة)^(٨) وهو في مائة جزء ويقول ابن عبد البر : (حدثني وأكمل قراءته من أوله إلى آخره)^(٩)

وقد قرأه عليه في أحد مساجد قرطبة التي كانت كثيرة آنذاك . وروى عنه (مسند بقي بن مخلد في مئتي جزء) وغيرها من المؤلفات التي تلقاها ابن عبد البر عن شيخه .^(١٠)

واستمر أبو عمر الباجي يؤدي دوره في الحياة العلمية بقرطبة حتى وافته منيته سنة ست وتسعين وثلاثمائة ودفن بمقبرة قريش وشيعه جمع عظيم من وجوه الناس .^(١٢)

(١) الفهرسة : ابن خير الإشبيلي : ١٣٥ ، ٢١١ .

(٢) نفس المصدر : ٩٢ .

(٣)(٤) جذوة : الحميدى : ١٢٩ .

(٥) نفس المصدر : ١٣٦ .

(٦)(٧) جذوة : الحميدى : ١٢٩ .

(٨)(٩)(١٠) الفهرسة : ابن خير الإشبيلي : ١٣٣ .

(١١) ابن خير : نفس المصدر : ١٤٠ ، ١٤١ .

(١٢) الجذوة : الحميدى : ١٢٩ . الصلة : ابن بشكوال : ١٢ .

ثانيا : أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي :

يعرف بابن المَكْوَى ، ويكنى بأبى عمر ، وهو من علماء قرطبة الأجلاء وانتهت إليه رئاسة العلم فى قرطبة فى وقته ، وكان كبير المفتين فيها ، وشيخ فقهاؤها^(١).

وكانت ولادة ابن المكوى بقرطبة سنة أربع وعشرين وثلاثمائة^(٢)، وشبَّ على ماشب عليه أقرانه فى طلب العلم فى الكتاتيب لتعلم القرآن والخط وبعد انتهائه من مرحلة الكتاب والتأديب . اشتغل فى سوق البزازين^(٣) يتجر ، ولكنه مع هذا لم يترك الاستمرار فى طلب العلم والمطالعة والنظر فى الكتب فى جلوسه وحركته مما يدل على جديته وشغفه بالعلم . فبلغ بذلك شأواً ونال رتبة متقدمة فى ذلك حتى وصف بأنه يحيى بن يحيى الليثى فى زمانه^(٤).

وعندما بلغ هذه المكانة الرفيعة وذاع صيته طلبه الخليفة المستنصر وكلفه بتأليف كتاب جامع فى الفقه المالكى ينتفع به فى معرفة الأحكام وتفصيلها فاستجاب لذلك وطلب أن يشاركه فى ذلك أحد أقرانه من أفاضل العلماء ، وهو أبو بكر محمد بن عبد الله المعيطى ، وعند الانتهاء من العمل أسما الكتاب (الاستيعاب) ، وذلك لاستيعابهم فيه كُـلُّ المسائل على مذهب مالك^(٥).

وإضافة إلى هذه الرتبة العلمية التى نالها ابن المكوى فإنه كان « من أهل المثانة فى دينه والصلابة فى رأيه ، والبعد عن هوى نفسه »^(٦) ، وكان يتعفف عن الوظائف ، فقد رفض مرتين قضاء قرطبة عندما طلب إليه الحكم تولى قضاءها واعتذر واستغفى ، ولم يُجب إليه البتة^(٧) . ولكنه عندما دُعِيَ إلى الشورى ليستشار

(١) الصلة : ابن بشكوال : ٢٢ .

(٢) نفس المصدر : ٢٣ .

(٣) البزاز وهو الذى يبيع البز نوع من القماش وأطلق على كل من يبيع الأقمشة انظر لسان العرب ١ / ٢٧٤ ، طبعة دار المعارف .

(٤) انظر ترتيب المدارك : ٤ / ٦٣٦ والديباج : ١ / ١٧٦ .

(٥) الصلة : ابن بشكوال : ٢٢ وانظر الجذوة : الحميدى : ١٣٢ ، ولكن الحميدى قال بأن ابن أبى عامر هو الذى طلب منه تأليف الاستيعاب والأكثرون على أنه الحكم المستنصر .

(٦)(٧) الصلة : ٢٣ ، وانظر الديباج المذهب : ابن فرحون ١ / ١٧٦ .

في الأحكام والنوازل استجاب فانتفع به الناس ، ووثقوه في أمورهم ولجأوا إليه في مهماتهم لما وجدوه فيه من النزاهة ، وعدم المداهنة^(١) ، وكان مع هذه الحظوة التي نالها لدى الحكام عزيز الجانب لا يخاف في الحق لومة لائم ، ولا يدهن في قولة حق واجبة ، وعلى شدة تقرب المستنصر له ، كان « لا يدع صدقة في التصيحة ، ولو ضايق ذلك المستنصر ، وكان لا يميل معه بهواه ، وكان القريب والبعيد عنده في الحق سواء » .^(٢)

ومع تبخره في الفقه المالكي كان لا يتعصب لرأى فقهي في الفروع ويلتزم متابعة ما كان عليه الجمهور ، فيذكر ابن عبد البر في (استذكاره) أنه في إحدى ناظرات الفقهية ذهب ابن المكوي إلى ترجيح رفع اليدين في التكبير للركوع وعند الرفع منه . وعندما سأله ابن عبد البر عن سبب عدم عمله بهذا الرأي ، أو الأمر به ، فأجابه جواب العالم العاقل المرنى : « مخالفة الجماعة على ما قد أبيح ليس من شيم الأئمة »^(٣) ، لأن جماعة المالكية في الأندلس يومها كانت آخذة بعدم الرفع . وهذا الحادث جعل ابن عبد البر يُثنى على شيخه فيقول :

« كان أفضل من رأيت وأفقههم وأصحهم علماً »^(٤) ، ووردت إشارات كثيرة في كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر تدل على ملازمة ابن عبد البر لشيخه أبي عمر الإشبيلي . مما يدل على قوة العلاقة التي كانت بين التلميذ وأستاذه ، والتي كان لها أثرها الإيجابي في بناء شخصية ابن عبد البر في طريقة تناوله للأحكام الفقهية في منأى عن التعصب الدميم ، فضلاً عن الصدع بالحق ، والإحساس بالثقة بالنفس ، والاعتزاز بهيبة العلم .

وقد أثنى على ابن المكوي كثير من العلماء ، وأشادوا بتقدمه في العلم ، فهذا القاضي المشهور « ابن زرب على تقدمه وعلمه يقول :

(١) الترتيب : القاضي عياض : ٤ / ٦٣٦ ، وانظر الصلة ٢٣ .

(٢) الصلة : ابن بشكوال : ٢٣ ، وانظر الدياج : ابن فرحون : ١ / ١٧٦ .

(٣) انظر : الاستذكار : ابن عبد البر ٢ / ١٢٤ .

(٤) الاستذكار : ابن عبد البر : ٢ / ١٢٤ .

(يا أصحابنا الحق خير ما قيل : أبو عمر والله أحفظ منا كلنا)^(١)
 وقال عنه ابن الشقاق : « رحمك الله أبا عمر فقد فضحت الفقهاء بقوة حفظك
 في حياتك ، ولتفضحتهم بعد مماتك ، أشهد أنني ما رأيت أحداً أحفظ للسنة
 كحفظك ، ولا أعلم من وجوها كعلمك »^(٢) ، وقد تُوفي أبو عمر المكوي سنة
 (٤٠١ هـ = ١٠١١ م) ودفن في مقبرة قريش بقرطبة .^(٣)

ثالثا : خلف بن القاسم بن سهل الأزدي :

يُعدُّ من كبار شيوخ عصره ، وقد شارك ابن عبد البر في الأخذ عنه بعض
 شيوخه أمثال ابن الفرضي .^(٤)

وكان خلف يعرف بابن الدِّباغ ، ويُكنى بأبي القاسم ، وولد في قرطبة سنة ست
 أو خمس وعشرين وثلاثمائة^(٥) ، وتدرج في طلب العلم وتلقى علوم عصره على
 مشاهير الشيوخ بقرطبة وغيرها من بلاد الأندلس^(٦) ، وكانت له رحلة لأداء فريضة
 الحج استفاد منها في لقاء علماء الأمصار والمدن التي مرَّ بها ابتداء بمصر ، ومروراً
 بالشام ومدنها كدمشق والرملة ، وعسقلان ، وبيت المقدس ، ثم توجه إلى مكة
 المكرمة ، فأدى فريضة الحج والتقى بمن حضر الموسم من علماء الأمصار . وقد
 أمضى في رحلته هذه نحو خمسة عشر عاماً ابتداءً في سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين ،
 وقد كان عدد الشيوخ الذين تلقى عنهم خلف بن القاسم مائتين وستة وثلاثين
 شيخاً ، وقيل ثلاثمائة روى عنهم مارووه عن شيوخهم من الروايات والكتب
 إضافة إلى مؤلفاتهم الخاصة ، وكان لابن المكوي الفضل الكبير في إدخال الكثير
 من المصادر المهمة إلى الأندلس التي ألفها علماء المشرق في مختلف العلوم ،
 وخاصة العلوم الإسلامية في القراءات ، والحديث ، والفقه ، وعلم الرجال ،

(١) الديباج : ابن فرحون : ١ / ١٧٦ .

(٢) (٣) الصلة : ابن بشكوال : ٢٣ .

(٤) التاريخ : ابن الفرضي ١ / ١٣٦ ، والجلدوة : الحميدى : ٢٠٩ .

(٥) التاريخ : ابن الفرضي ١ / ١٣٧ .

(٦) انظر : التاريخ : ابن الفرضي : ١ / ٣٨ ، ٦٧ ، ١١١ .

(٧) التاريخ : ابن الفرضي : ١ / ١٣٧ ، الجلدوة : الحميدى : ٢١١ .

وانظر تذكرة الحفاظ : الذهبي : ٣ / ١٢٦ .

(١) والزهد ، وغيرها ، وتلقاها ابن عبد البر بدوره عنه ، وقد أورد لنا ابن خير الإشبيلي قائمة بهذه المصادر المروية بالسند بطريق ابن عبد البر عن شيخه خلف ، مما يدل على أن ابن عبد البر كان كثير الملازمة له ، للثروة العلمية العظيمة التي كان يملكها خلف ، وكان ابن عبد البر لا يقدم عليه أحداً^(٢)، وأثنى عليه ثناءً عاطراً بقوله :

« كان شيخاً فاضلاً ، مُحدثاً ، مُكثرأً ، حافظاً ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث ، وأكثبتهم له ، وأجمعهم لذلك ، وللتواريخ ، وللتفاسير ، وهو محدث الأندلس في وقته »^(٣)، وكان يُخلف إضافة إلى ذلك كله راوياً للشعر حافظاً لُعيونه ، مما يدل على ذوق أدبي ، وقد روى عنه ابن عبد البر كثيراً من المقطوعات الشعرية في مختلف الأغراض ، وضمَّن كتابه (بهجة المجالس)^(٤) ثم إنَّ ابن عبد البر على شدة مُلازمته لشيخه خَلَفَ ، وثنائه عليه لم يمنعه ذلك من أن يصفه بأنه لم يكن له بَصَرٌ بالفقه ، واستنباط الأحكام لكون اختصاصه بالحديث وروايته هو الأغلب عليه .

(٥) وثوفي خلف بن القاسم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

رابعا : عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي :

وكان مشهوراً بابن الفرضي ، عالم جَهِيد من علماء قرطبة ، ولد فيها سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة في شهر ذي القعدة في اليوم التاسع منه الموافق يوم الجمعة ، وقد نشأ وشب في بيت يُحب العلم والعلماء ، فدرج على مدرج عليه أقرانه ، فأتم مراحل التعليم المتعارف عليها ، ثم أقبل على حلقات المشايخ الكبرى

(١) انظر الفهرسة : ابن خير الإشبيلي ٢٤ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ .

(٢) الجذوة : الحميدى : ٢١٠ .

(٣) جذوة المقتبس : ٢١١ وانظر : نفح الطيب : ٢ / ١٠٥ .

(٤) بهجة المجالس : ابن عبد البر : ١ / ١٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ... الخ .

(٥) انظر الجذوة : ٢١١ وانظر بغية الملتبس : ٢٨٨ والديباج : ١ / ٣٥٥ ونفح الطيب : ٢ / ١٠٥ .

من أمثال :

خلف بن القاسم ، وعبد الله بن أسد الجهني ، ويحيى بن مالك ابن عائذ ، وجماعة كثيرة سواهم^(١) . ثم ارتحل إلى المشرق مؤدياً لفريضة الحج ، وطالبا للعلم ، فخرج من قرطبة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة متوجها إلى القيروان ، فمصر ، ثم مكة ، وهي مراكز الثقافة في ذلك العصر ، فأخذ العلم عن كبار العلماء في كل مدينة من هذه المدن^(٢) ، ثم انصرف إلى قرطبة وقد جمع علما كثيرا في مختلف العلوم الإسلامية وخاصة في الحديث ، وعلم الرجال والفقہ ، إضافة إلى ذلك فقد كان بارعا في علم الأدب ، وتذوق الشعر ، وله نظم في ذلك روى لنا بعضه ابن عبد البر في كتبه . وكان ابن الفرضي واسع الرواية بليغ العبارة ، ما كان يلحن في جميع كلامه من غير حوشية مع حضور الشاهد والمثل وكان جماعاً للكتب ، فملك بذلك مكتبة عظيمة يقصّر عن جمعها عظماء بلده من الأغنياء وغيرهم على حد تعبير ابن جيان لما احتوته من نفائس الكتب رواية عن مؤلفيها ، أو تلاميذهم المباشرين ، أو بخطوطهم ، والتي حصل عليها خلال رحلته^(٣) ، لهذا أقبل عليه العلماء يأخذون عنه حصيلته التي جمعها من المشرق رواية وإجازة ، وبعد هذه الحصيلة الثقافية الواسعة اتجه للتأليف فألف مجموعة من الكتب . يصفها ابن عبد البر بأنها « مؤلفات حسن^(٤) » ، وأشهرها : (تاريخ علماء الأندلس) ، (وأخبار شعراء الأندلس) ، وجمع في الرجال (المؤتلف والمختلف) ، (ومشتبه النسبة) وغيرها .

وعند رجوع ابن الفرضي من رحلته دعاه المظفر العامري لتقليد وظيفة تليق به^(٥) فاختر « قراءة الكتب في عهد العامرية ، واستقصاه محمد المهدي بكورة بلنسية »

(١) انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٢٥١ ، ٢٥٣

وانظر نفح الطيب للمقرئ : ٢ / ١٣٠ .

(٢) انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٢٥٢ .

(٣) انظر : المصدر السابق : ٢٥٣ .

(٤) الفهرسة : ابن خير : (١٧٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ .. الخ) .

(٥) انظر : الصلة : ٢٥١ ، ٢٥٢ ، وانظر ابن خير : ٢١٨ .

(٦) الصلة : ابن بشكوال : ٢٥٣ .

زمن الفتنة في قرطبة ، ثم ترك القضاء ، وكأنه كان مجبراً على العمل فيه ، وله من القصائد ما يدل على زهده في مخالطة الأمراء بعد ما رأى اختلاط الأمر واشتداد الفتنة في تلك الفترة التي مرت بها قرطبة من (٤٠٠ — ٤٢٢ هـ = ١٠١٠ — ١٠٣١ م)^(١)

أما صلة ابن عبد البر به فكانت صلة وثيقة جداً ، أخذ عنه كثيراً من العلم ، واشترك معه ابن عبد البر في الأخذ عن بعض الشيوخ ، فعندما يثنى عليه يقول : « كان صاحبي ونظيري أخذت معه عن أكثر شيوخه ، وأدرك من الشيوخ ما لم أدرك أنا ، صحبته قديماً وحديثاً » .^(٢) وقد روى عنه ابن عبد البر مؤلفاته التي سبق ذكرها ، وكان سند ابن عبد البر الذي رويت به هذه المؤلفات من أوثق الأسانيد وأعلاها ، وخاصة كتاب (تاريخ علماء الأندلس) الذي اعتمده كُُلُّ من ألف في تراجم علماء الأندلس ومشاهيرها أمثال : الحميدى تلميذ ابن عبد البر في جذوته ، والضبي في بغيته ، وابن بشكوال في صلته ، وابن الأبار في تكملته .^(٣)^(٤)^(٥)^(٦)

كانت الحرب الأهلية سجلاً بين القرطبيين والبربر وعندما دخل البربر قرطبة ثانية في (٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م) قاموا بقتل جَمِّ غفير من العلماء لجرد أنهم

(١) انظر بهجة المجالس ١ / ٣٥٠ .

ولعل قراءة الكتب تعنى قراءة القرارات التي يتخذها الأمير وتلقى في حضرته على الحاشية ومن ثم إلى الأمة ، والأبيات هي :

ما يشتهى قرب السلاطين	غير ضعيف العقل مجنون
لا تقرب منهم فما صحبهم	منهم على دنيا ولادين
دنياهم بالحزى موصولة	ولا تسئل عن دين مفتون
حيرهم فاعلمه لا يرتجى	وشرهم ليس بمأمون
لا رأى لى . فى نيل دنياهم	حسبى بأن يسلّم لى دينى

(٢) (٣) الصلة : ابن بشكوال أعلاه : ٢٥٣ .

الحميدى : حدود المقتبس : ٢ .

(٤) الصى : بغية المنتهى : ١ .

(٥) ابن بشكوال : الصلة : (١) .

(٦) التكملة : لكتاني الموصول والصلة ١ / ٧ .

تقلدوا وظائف في حكومة ابن عبد الجبار أو أنهم لم يتحيزوا لأحد في الفتنة لحماقة الطرفين المتنازعين وكان ابن الفرضي ضحية هذه الفتنة الهوجاء التي اختلطت فيها الأمور ، فقتل مع من قتل وذلك يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة (٤٠٣ هـ) .^(١)

(٢)
وقال ابن حزم :

« أخبرني من رآه بين القتل ، ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف : لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكَلِّم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يسيل دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك » ، وكان ابن الفرضي قد دعا الله في الكعبة أن يرزقه الشهادة . وللظروف الصعبة التي كانت تمرُّ بها قرطبة كان الناس يخشون القتل إذا شاركوا في دفن مثل هؤلاء العلماء ، وأخبر ابن عبد البر بأن ابن الفرضي « بقي في داره ثلاثة أيام » .^(٤)

وذكر ابن حيان أن ابن الفرضي « وُورِيَ مُتَغَيِّراً من غير غُسل ولا كفن ولا صلاة »^(٥) ، ومع هذا فابن عبد البر لم ينس واجبه تجاه شيخه : فجازف بنفسه وشارك مع القلة التي شاركت في دفنه جلوساً عرفانا له بالفضل ، وأداء لحق الأستاذية والصحبة .

خامساً : عبد الوارث بن سفيان بن جبرون :

كان يكنى بأبي القاسم ويعرف بالحبيب من قرطبة . كان لعبد الوارث تأثير مهم في بناء ابن عبد البر العلمي والأخلاقي . لأنه من أوائل الشيوخ الذين تلقى عليهم العلم ، وهو من أقران والده ، وكانت ولادته في قرطبة سنة سبع عشرة وثلاثمائة حسبما أخبر بذلك أبو عمر بن الحذاء نشأ^(٦)

(١) ابن بشكوال : الصلاة : ٢٥٣ .

(٢) الصلاة : لابن بشكوال : ٢٥٤ ، وانظر نفح الطيب للمقري : ١٣٠ / ٢ .

(٣) (٤ ، ٣) الصلاة : ٢٥٢ ، وترتيب المدارك : ٤ / ٦٣٩ .

(٤) الصلاة : ٢٥٣ .

(٦) الصلاة : ابن بشكوال : ٣٨٣ .

عبدالوارث في مجالس العلم طالبا مُجداً نبهاً وتدرج حتى تلقى عن كبار الشيوخ في عصره أمثال : وهب بن مسرة ، وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفى ، وقاسم بن أصبغ وغيرهم^(١).

وقد أثنى أبو عمر بن عبد البر عليه بقوله :
« كان من ألزم الناس لأبى محمد قاسم بن أصبغ ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال : إنه قلما فاتته شىء مما قرىء عليه ، سمع منه في سنة اثنتين وثلاثين إلى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة »^(٢).

أى أنه بدأ التلقى عن العلماء الكبار في الحديث وسنه خمسة عشر عاما ولعل هذا سن التحديث في زمانه .

ولم تكن لعبد الوارث رحلة إلى المشرق ، لذلك تجده يلزم كبار العلماء ، ممن كانت لهم رحلة ، ويروى عنهم ما نقلوه من المؤلفات إلى الأندلس ، وكان يتحرى أعلى الأسانيد ، لذلك نجده يلزم قاسم بن أصبغ^(٣) الذى روى لنا كثيرا من المؤلفات بأسانيد عالية ، لتلقيه ، عن مُصنِّفى الكتب مباشرة ، أو من تلاميذهم المقربين ، فقد روى مباشرة عن إسماعيل بن إسحق القاضي ، وأبى بكر أحمد بن زهير بن حرب ، المعروف بابن أبى خيثمة . وأبى بكر أحمد بن أبى الدنيا ، وغيرهم .

وروى كذلك عن أبى محمد مضر بن محمد ، صاحب بن معين ، وإبراهيم بن عبد الله ، صاحب وكيع بن الجراح ، وهم ممن لقيهم بن أصبغ ، فلازم بن عبد البر عبد الوارث ليحصل على هذه الذخيرة القيمة من المؤلفات في العلوم الإسلامية المختلفة في الحديث ، والفقه ، والتاريخ ، واللغة وغيرها . وصرح بذلك ابن عبد البر بقوله : « ورأيت كثيراً من أصول قاسم بن أصبغ فرأيت سماعه في جميعها وحدث بعلم جَم .. وقرأت عليه »^(٤).

(١) نفس المصدر : ٣٨٢ ، الجذوة : الحميدى : ٢٩٥ .

(٢) الجذوة : الحميدى : ٢٩٥ وعند ابن بشكوال بدأ سنة ٣٣٣ ، وانظر الصلة ٣٨٢ .

(٣) (٤ ، ٣) جذوة المقنن : الحميدى : ٢٩٥ ، ٢٩٦ وانظر بغية الملتبس : الضبى : ٤٠٠

فقرأ عليه ابن عبد البر مؤلفاته ، وكثيراً من مؤلفات غيره ، ومروياتهم ، وقد نقل لنا ابن خير الإشبيلي قوائم بالمؤلفات والمصنفات التي رواها عن عبد الوارث بن سفيان من طريق ابن عبد البر في شتى العلوم ونقلها لنا الحميدى كذلك .

(١) فمن مؤلفات عبد الوارث التي رواها ابن عبد البر عنه : (الأنساب) ، (فضائل قریش) ، (وأحكام القرآن) وهو على نسق كتاب إسماعيل بن إسحق القاضي ، (وحديث مُسَدَّد بن مُسَرَّهَد) ، (وغرائب حديث مالك مما ليس في الموطأ) ، (والمُجتبى في الفقه) .

وروى عنه ابن عبد البر مما ليس من مؤلفاته مما أورده ابن خير الإشبيلي في فهرسته ، ومن ذلك :

(تاريخ ابن أبي خيثمة)^(٢) ، (وكتاب المغازي لابن أبي خيثمة)^(٣) كذلك (والمغازي لموسى بن عقبة)^(٤) (وسيرة رسول الله ﷺ) لمحمد بن إسحق رواية البكاء^(٥) . (وأعلام النبوة) لابن قتيبة^(٦) . (وكتاب المعارف لابن قتيبة)^(٧) (وكتاب القطعان) لمحمد بن وضاح^(٨) . (وجامع سفيان الثوري الكبير)^(٩) . (ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة « ج ١ »)^(١٠) (ومصنف وكيع الجراح)^(١١) (وكتاب غريب الحديث

وانظر الصلة : ابن بشكوال : ٣٨٢ .

(١) الفهرسة : ابن خير : ٥١ — ٥٢ وما بعدها ...

(٢) نفس المصدر : ٢٠٦ وانظر التاريخ : ابن الفرضي : ٣٦٦ .

(٣) الاستيعاب : ابن عبد البر : ١ / ٢٢ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٢١ وانظر فهرسة ابن خير : ٢٣٠ .

(٥) الفهرسة : ابن خير ٢٣٣ .

(٦) نفس المصدر : ١٥١ .

(٧) نفس المصدر : ٣٧٧ وانظر جلوة المقتبس : الحميدى : ٢٩٦ .

(٨) نفس المصدر : ١٥٠ .

(٩) نفس المصدر : ١٣٦ .

(١٠) نفس المصدر : ١٣٧ .

(١١) نفس المصدر : ١٢٦ وانظر الجنوة : ٩٤٠ .

لابن قتيبة^(١) ، (وكتاب الدلائل) لقاسم بن أصبغ^(٢) (وأحكام القرآن) لإسحق بن إسماعيل القاضي^(٣) . (وكتاب الزهد) لجعفر بن محمد بن شاعر الصائغ^(٤) (وكتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي^(٥) وغيرها من الكتب التي ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس .

كان عبد الوارث إلى جانب هذا العلم الجرم والثقافة « شيخا صالحا عفيفا يتعيش من ضيعة ورثها عن أبيه^(٦) » مما جعله لا يطلب بعلمه جاها ولا وسيلة يتوصل بها إلى الحكم وهذا الصنف من العلماء كان سمة وسمتا لكثير من علماء الأندلس .

وبعد رحلة طويلة عبر ثمان وسبعين من السنين توفي عبد الوارث بن سفيان « يوم السبت لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ... ودفن بمقبرة قریش وصلى عليه عبد الرحمن بن محمد بن فطيس القاضي^(٧) »

ومضى بذلك علم من أعلام الإسلام بعد أن قدم جهداً خيراً ضمه إلى تلك الجهود التي سبقت لبناء الحضارة الإسلامية .



(١) الجنوة : الحميدى : ٢٩٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢٩٦ وانظر الفهرسة : ابن خير : ١٢٤ .

(٣) الفهرسة : ابن خير : ٥١ — ٥٢ .

(٤) نفس المصدر : ٢٧١ .

(٥) نفس المصدر : ٣٤٩ .

(٦) الصلة : ابن بشكوال : ٣٨٣ .

(٧) الصلة : ابن بشكوال : ٣٨٣ .

المبحث الثاني

تلاميذ ابن عبد البر

لا شك أن ما اتصف به ابن عبد البر من سعة الاطلاع وقوة الحفظ والهمة في التأليف ، فضلا عن حيازته لمؤلفات شيوخه والمؤلفات التي رواها عن علماء الأندلس السابقين جعله محط أنظار طلاب العلم في مختلف الأصقاع فأقبلوا يتعلمون عليه أو يتبادلون معه الرواية إن كانوا من أقرانه وطبقته بل إن أجيال العلماء الذين جاءوا من بعده كانوا يحرصون على لقاء تلاميذ ابن عبد البر بل تلاميذ تلاميذهم لثلا يفوتهم سند الرواية عنه^(١) ولم تقتصر الرغبة في التلمذ على يد ابن عبد البر على الرجال فقط ولكن طالبات العلم من النساء كنّ حريصات على هذا الأمر كذلك فمن فضليات النساء اللواتي رَوَيْنَ عنه : ابنته زينب وطونة بنت عبد العزيز ، وكفى بابن عبد البر فخرا أنه قدم لنا جيلا من العلماء الأعلام الذين بقيت أسماؤهم غرة في جبين التاريخ .

فكان من تلاميذه علماء القراءات المشهورون أمثال : أبي داود سليمان بن نجاح (٤١٣ — ٤٩٦ هـ) — مولى المؤيد بالله الأموي — مقرئ الأندلس وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الشاطبي المقرئ المعروف بابن الروش (ت ٤٩٦ هـ) .

ومن أعلام الأندلس في الحديث الذين هم ثمرة علم ابن عبد البر ، أبو علي الحسين بن محمد الحيراني (ت ٤٩٨ هـ) وهو من جهاذة المحدثين وكبار المسندين في الأندلس .

وأبي محمد عبد الرحمن بن عتاب (ت ٥٢٠ هـ) الذي انتهى إليه علو الإسناد في الأندلس ، وكان مدار الرحلة في عصره .

وعلى رأس الموسوعيين من تلامذة ابن عبد البر ، الإمام أبو محمد علي بن أحمد

(١) من هؤلاء : أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد (٤٧٠ — ٥٧٦ هـ) سافر إلى الاسكندرية للقاء تلاميذ ابن عبد البر لعدم حصوله على فرصة للرحلة إلى الأندلس (انظر : مقدمة الاستذكار : الملفى : مخ الظاهرية ورقة : ١) .

ابن حزم الذى كان من الذين تتلمذوا على ابن عبد البر فى علم الحديث خاصة ، وروى عنه بالإجازة والتحديث المباشر كما سنبين ذلك .

ولم يقتصر الأندلس على شيوخ تلاميذ ابن عبد البر فيه ، بل إن أحد تلاميذه كان من أساتذة المدرسة المستنصرية فى علم القراءات ، وهو محمد بن عتيق القيروانى المعروف بابن كدية (ت ٥١٢ هـ) .

وسنُعرف فيما يلى ببعض تلاميذه المشهورين ، والذين كان لهم دور فى الحركة العلمية فى الأندلس ولتُعرف على قوة الصلة بينهم وبين شيخهم بن عبد البر : وقد أفردت ملحقا بتلاميذه لاستيفاء ذكر أسمائهم .

أولا : حسين بن محمد بن أحمد الغسانى الجياني :

يعد أبو على الحسين بن محمد الغسانى من أنبغ تلامذة ابن عبد البر الذين نقلوا عنه ، وقد اشتهر اسمه فى الآفاق ، لبراعته فى العلوم الإسلامية ، وبخاصة علوم السنة ، فوصل فى وقته إلى رتبة رئيس المحدثين بقرطبة ، وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المُسندين .^(١)

وأصله من الزهراء ، وولادته بقرطبة سنة سبع وعشرين وأربعمائة « فى آخر الساعة الثانية من ليلة الأحد لخمس خلون من المحرم » .^(٢)

وكانت عائلته قد تركت قرطبة إلى جيان ، واستقرت فيها فنسب إليها أبو على ، وكان والده من الزهاد المعروفين ، وعرف بالصلاح ، وحبّه للعلم والعلماء ، مما شجع أبو على على الدرس والتحصيل ، وحضور حلقات المساجد وملازمة الشيوخ .

وقد أخذ أبو على عن كبار شيوخ زمانه ، واشترك مع ابن عبد البر فى الأخذ عن بعضهم مثل : أبى عمر الطلمنكى ، وأبى عبد الله محمد بن عتاب ، وأبى

(١) انظر : الصلة : ابن بشكوال ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) المعجم : ابن الأبار : ٧٨ .

الوليد الباجي وغيرهم . وتنقل بين حواضر الأندلس طلبا للعلم ، ولم تُسَنَح له الفرصة للرحلة إلى المشرق . مثله في ذلك مثل شيخه بن عبد البر وغيره .^(١)

وقد نال من علو الرتبة في العلم « وكان من جهاذة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، وعنى بالحديث وكتبه وروايته وضبطه ، كان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له بصر باللغة والإعراب ، والمعرفة بالغريب ، والشعر ، والأنساب ، وجمع في ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته ، ورُحِل إليه ، وعولوا في الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد الجامع بقرطبة ، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وفقهائها وجُلَّتْها ، ... ووصفوه بالجلالة ، والحفظ والنباهة ، والتواضع ، والصيانة »^(٢) ، « وكان آخر المسندين بقرطبة »^(٣) .

من خلال هذه الثقافة الواسعة ، والمكانة المرموقة قدّم أبو علي الغساني للمكتبة الإسلامية مؤلفات قيّمة كانت لها الحُجّة بين العلماء . ومن أهم كتبه التي ذاع صيتها في الآفاق ، وتسابق العلماء على تقييدها ، ووصل إلينا بعضها :

(١) كتاب (تقييد المُهمَل وتُمييز المُشكَل من الأسماء والكُنَى والأنساب مما ذكر في الصحيحين) .

وقد رتبهُ الغساني على حروف المعجم ، وتوجد نسخ من الكتاب — الذي مازال مخطوطا — في مكتبات العالم .^(٤)

(٢) كتاب مختصر تاريخ ابن الفرضي .^(٥)

-
- (١) الصلة : ابن بشكوال ١٤٢ وانظر المعجم : لابن الأبار : ٧٧ .
- (٢) الصلة : ابن بشكوال ١٤٣٠ .
- (٣) المعجم : لابن الأبار : ٧٨ .
- (٤) انظر بروكلمان : ٦ / ٢٦٤ وذكر له عدة نسخ منها :
- نسخة برلين : ١٠١٦١ عمومية ١٢١١ (WEISWERILER) : ٩٦) بآتته : ٥٣٨ / ٢ :
- ٣٨٩٦ — بنكيور : ١٢ / ٦٩٧
- وانظر مصورات المغرب الثانية : معهد المخطوطات
- وانظر مخطوطات مكتبة الأوتاف — بغداد برقم (١٠٦١) وقد اطلعت عليها .
- (٥) بروكلمان : ٦ / ٢٦٤ ذكر له نسخه في جازن ١٤٤٩ وى بريل : ط١٣١ : ط٢ / ٧٧٣ .

- (٣) كتاب الكُنى والألقاب .^(١)
 (٤) كتاب تسمية شيوخ أبي داود .^(٢)
 (٥) الاستدراك على الاستيعاب لابن عبد البر .^(٣)

وغير ذلك من الكتب التي تدل على سعة علمه وفضله .

وقد كانت صلة أبي على الغساني بشيخه ابن عبد البر وثيقة جداً ، فكان يؤم بيت ابن عبد البر ليقراً عليه ، ويسمع منه عن قُرب . وبلغ من ثقة ابن عبد البر بعلم تلميذه أنه طلب منه إكمال كتابه الاستيعاب الذي شُهر به ابن عبد البر فقال لأبي على :

« أمانة الله في عُنقك ، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره إلا ألحقته في كتابي في الصحابة ... »^(٤)

وقد أكثر أبو على الغساني النقل عن شيخه ابن عبد البر رواية ، وإجازة ، ولو ألقينا نظرة في فهرسة ابن خير الإشبيلي لوجدنا أنه ما من كتاب روى بسند عن ابن عبد البر ، أو مؤلف نسب إليه إلا كان اسم أبي على الغساني تنتهي إليه سلسلة السند ، الذي يروى به الكتاب ، أو المؤلف عن ابن عبد البر . فكان خير حافظ لعلم أستاذه ومبلغ له من بعده .^(٥)

وقد نقلت لنا المصادر كلاماً يدل على عظم المكانة التي يحتلها ابن عبد البر في نفس تلميذه مقتدياً بذلك بشيخه ابن عبد البر في الثناء على شيخه فيقول :

« سمعت أبا عمر بن عبد البر يقول : « لم يكن أحد يبلدنا مثل أبي محمد قاسم ابن محمد وأبي عمر أحمد بن خالد الجباب : قال أبو على : وأنا أقول إن شاء الله :

(١) بروكلمان : ٦ / ٢٦٥ ذكر له نسخه في لاله على بتركيا : برقم : ٢٢٨٩ .

(٢) الفهرسة : ابن خير : ١٢٠ .

(٣) أسد الغابة : ابن الأثير : ١ / ١٩ .

(٤) الروض : السهيلي ٦ / ٣٣٤ .

(٥) انظر الفهرسة : (٢٤ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٩١ .. الخ) .

إِنَّ أبا عمر لم يكن بدونهما ولا متخلفاً عنهما» (١)

وبعد تطواف أبي على بالأندلس عاد إلى قرطبة ليستقر فيها ، فأصيب بمرض أقعده في الدار ، فلزم بيته قبل موته ، حتى وافته مَنِيَّتُهُ في ليلة الجمعة الموافق الثاني عشر من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ودُفِنَ يوم الجمعة بمقبرة المربض بعد عمر قضاؤه في تبليغ العلم وتعليمه . (٢)

ثانياً : عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن :

ينتسب عبد الرحمن إلى عائلة مشهورة بكونها من الأسر العلمية التي يغلب على أفرادها الاشتغال بالعلم وطلبه . وولد في قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة فنشأ في بيئة هيأت له من أول يوم كل ما يعينه على طلب العلم والمعرفة ، وكان لوالده محمد الفضل في ذلك لأنه كان من أجلة العلماء بقرطبة ، الذين برعوا في علوم زمانهم ، فوصفه ابن بشكوال بقوله :

« كان بصيراً بالحديث وطُرقه ، وعالماً بالوثائق وعللها ، مُدَقِّقاً لمعانيها لا يُجَارَى فيها ... مُتَفَنِّئاً في فنون العلم ، حافظاً للأخبار والأمثال والأشعار» (٣) ووصفه أبو علي الغساني بأنه « كان من جُلَّةِ الفقهاء وأحد العلماء الأثبات ومن عني بالفقه ، وسماع الحديث دَهْرُهُ ، وقِيْدُهُ فَأَتَقَنُهُ ، وكتب بخطه علماً كثيراً ، وكان حسن الخط (٤) جيد التقيد » وكانت له اجتهادات واختيارات من أقاويل العلماء يأخذها في خاصة نفسه لا يعلو بها إلى غيره (٥) مما يدل على بلوغه درجة الاجتهاد في الفقه فضلاً عن أدبه في تناول الأحكام تحلوها من التعصب الذميم الذي ينحو إلى اعتبار الرأي الاجتهادي مُلْزِماً للغير .

(١) انظر : الجُلُود : الحميدى : ٢٦٩ ، الصلة : ابن بشكوال : ٦٧٨ .

(٢) الصلة : ابن بشكوال : ١٤٤ انظر المعجم : ابن الأبار : ٧٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣٤٨ وانظر الديباج : ابن فرحون : ٢ / ٤٧٩ .

(٤) الصلة : ابن بشكوال : ٥٤٤ .

(٥) نفس المصدر : ٥٤٦ .

(٦) نفس المصدر : ٥٤٥ .

في ظل هذا الوالد تعلم عبد الرحمن فاغترف من علم والده منذ نعومة أظفاره
« وسمع منه معظم ما عنده وكان المُعسك لكتب أبيه للقارئ عليه فكثرت لذلك
روايته عنه »^(١)

ولم يكتف عبد الرحمن بعلم أبيه فقط بل اتجه إلى أقران والده للأخذ عنهم ،
فأخذ عن أبي مروان ابن حيان المؤرخ كل كتبه ، وأجازته ، مروياته . وتلقى علم
القراءات على مكى بن أبي طالب المقرئ ، وقرأ بالقراءات السبع على أبي محمد
عبد الرحمن بن محمد بن شعيب المقرئ وجود القرآن عليه . فكان ابن عتاب
بذلك « حافظاً للقرآن العظيم كثير التلاوة له عارفاً بروايته وطرقه واقفاً على كثير
من تفسيره وغريبه ومعانيه » .

وكان ملازماً لابن عبد البر فهو صينو أبي الغساني في التلقي عن ابن عبد البر ، فقد
أجازته ابن عبد البر كل مروياته ، ومؤلفاته مما يدل على اعتزازه به .
فلو استقرأنا فهرسة ابن خير لوجدنا صدق ذلك ، فما من كتاب رواه ابن خير
بسند فيه ابن عبد البر إلا وكان عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أحد الرواة عن ابن عبد
البر وقد نال ابن عتاب بجده واجتهاده وملازمته لكبار علماء عصره مرتبة عالية وصيتاً
واسعاً حتى كانت « الرحلة في وقته إليه ، ومدار أصحاب الحديث عليه لثقتهم
وجلالته ، وعلو إسناده وصحة كتبه ، وهو آخر الشيوخ الجلة الأكابر بالأندلس
في علو الإسناد وسعة الرواية »^(٢) ، وكان يؤدي زكاة علمه بتبليغه « صابراً على
العود للناس مواظباً على الاستماع يجلس لهم يومه كله وبين العشاءين »^(٣) ، « ثم إنه
شور في الأحكام بعد والده بقية عمره وكان صدرا فيمن يستفتى لسنه وتقدمه » .

وطال عمره وسمع منه الآباء والأبناء والكبار والصغار^(٥) . « حتى توفي رحمه الله

(١) الصلة : ابن بشكوال : ٣٤٨ .

(٢)(٣)(٤) الصلة : ابن بشكوال : ٣٤٩ .

(٥) الديباج : ابن فرحون : ١ / ٤٧٩ .

ظهر يوم السبت ودفن ظهر يوم الأحد الخامس من جمادى الأولى من سنة عشرين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة الرّبض قبلى قرطبة ^(١) حيث دُفن صديقه أبو علي الغساني .

ثالثا : طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز عبد الله المعافى :

وكان يُكنّى بأبى الحسن ، وهو من عائلة معروفة برجالها الذين برزوا في مختلف المجالات ، فمنهم من تولّى القضاء ، ومنهم من اختير للمشاورة في الأحكام ، وآخرون اشتهروا بالتدريس والإفتاء ، فمن هذه الدوحة كان طاهر بن مفوز ، الذى ولد في شاطبة في شوال سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، ونشأ في بيئة عائلته الصالحة يدرج في مدارج العلم ، ويُقبل على حلقاته ^(٢) ، فحفظ القرآن في مساجد شاطبة ، وتعلم الخط وشهد له بحسن خطه وجودة ضبطه ، واعتنى بطلب الحديث عناية كاملة حفظاً وإتقاناً ، وتُتلمذ على شيوخ عصره ، فكان من شيوخه : ابن حيان ، وأبى القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي ^(٣) .

وإضافة إلى براعته في الفقه والحديث كان ينظم الشعر . وله شعر حسن نقلته المصادر ، وجمع إلى علمه فضلاً وصلاً مع ورع وتواضع ^(٤) .

وكان طاهراً وثيق الصلة بشيخه ابن عبد البر ، وقد كان من الملازمين له في أواخر حياته ، وإليه انتهى علمُ ابن عبد البر واعتبر سنده أعلى الأسانيد ، وروى عن ابن عبد البر كثيراً ، وتعتبر مروياته من أوثق الروايات عن ابن عبد البر ، وكان شيخه ابن عبد البر يميل إليه ، وينبسط معه في الحديث ، وطاهر هو الوحيد الذى نقل إلينا أصبح ماروى في تاريخ ولادة ابن عبد البر وذلك بقوله : « أرانيه الشيخ — ويقصد ابن عبد البر — بخط أبيه عبد الله بن محمد رحمه الله . »

(١) الغنية : القاضى عياض : مخ ٩٢ — ٩٣ .

وانظر : البغية : الضبى : ٣٥٧ .

(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٢٤٠ .

(٣) الصلة : لابن بشكوال : ٢٤١ .

(٤) البغية : الضبى : ٣٢٧ .

وهو كذلك الذى صلى على ابن عبد البر عند وفاته ، مما يدل على قوة صلته بشيخه وحُبّه إياه ، فضلا عن مكانته فى قومه الذى أهله للصلاة على عالم كان ملء السمع والعين .

وكانت « وفاة طاهر بن مفوز فى شاطبة يوم الأحد الموافق الرابع من شعبان سنة أربع وثمانين وأربعمائة » .

رابعا ابن حزم على بن أحمد الأندلسى :

هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم كان فى بيت معروف المكانة وكان والده أحمد بن سعيد من وجوه قرطبة وأعيانها تولى الوزارة للحاجب المنصور بن أبى عامر .

وكانت ولادة ابن حزم فى قرطبة ليلة الأربعاء من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ^(١) .

نشأ ابن حزم ، وترعرع فى بيئة غنية تُعجّ بالخدم والحشم فترى على أيدي التُربيات اللواتى كُنَّ فى قصر أبيه ، وتعلم على أيديهن قراءة القرآن ، ورواية الأشعار وحفظها ، فضلا عن الاهتمام بالخط وتحسينه ^(٢) ، وكان يرافق والده فى صباه إلى مجالس المظفر العامرى الأدبية ، فيسمع ابن حزم فيها كبار الشعراء يلقون شعرهم أمثال صاعد اللغوى ، وغيره من رواد مجلس المنصور ^(٣) .

وفى حدود سنة أربعمائة اتّجه لطلب الفقه والحديث إثر خطأ وقع فيه استوجب الانتقاد عليه ، فعقد العزم على التبحر فى الفقه . فوقى بعهدده وبلغ الغاية ، وتألّق نجماً ساطعاً بما ألفه من غرر الكتب التى تداولها الناس إلى زماننا هذا ، حتى قال عنه تلميذه صاعد الطليطلى : « أخبرنى ابنه الفضل المكنى بأبى

(١) الجذوة : الحميدى : ٣٠٩ ، والبغية : ٤١٦ .

وانظر طبقات الأمم : صاعد الطليطلى ٩٩ .

(٢) طوق الحمامة : ابن حزم : ٧٥ .

(٣) الجذوة : الحميدى : ٢٤١ .

رافع : اجتمع عندي بخط أي من تواليفه في الفقه والحديث والأصول ، والنحل والمِلل ، وغير ذلك من التاريخ ، والنسب ، وكتب الأدب ، والرد على المعارضين نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وهذا شيء ما علمناه من أحد ممن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تأليفاً^(١) .

وقد تعرضت عائلة ابن حزم إلى محنة سياسية اضطر معها للخروج من قرطبة بعد هيمنة البربر عليها وذلك سنة (٤٠٤ هـ = ١٠١٤ م) قاصدا المرية واختلف مع حاكمها خيران مما اضطره لسجنه فترك المرية بعد ذلك إلى بلنسية ، والتقى بالمرتضى الأموي وانضم إليه ، وتوجه معه إلى قرطبة لاستعادة الخلافة من الحموديين ، ولكنه أسر في غرناطة سنة (٤٠٨ هـ) ولم يتمكن بن حزم من العودة إلى قرطبة إلا سنة (٤٠٩ هـ) . وبقي فيها ، ولما تولى الخلافة عبد الرحمن المستظهر سنة (٤١٤ هـ) جعله وزيرا عنده . ولم يمر إلا شهر ونصف حتى قتل المستظهر وسجن ابن حزم ثم عفى عنه ، ولما تولى هشام المعتمد ولي ابن حزم الوزارة كذلك . ولكن بن حزم لم يلبث أن ترك العمل السياسي^(٢) . واتجه للعمل العلمي ، والتأليف ، واستمر على ذلك تتجاذبه المناظرات العلمية المختلفة ، فقهية وفلسفية وكلامية ، مما جعله يحتك بكثير من أهل عصره ولعل ماوقع بينه وبين أبي الوليد الباجي صورة صادقة لتلك المناظرات^(٣) .

أما طبيعة العلاقة بين ابن حزم وابن عبد البر فقد كانت علاقة تلمذة وصداقة ، فقد تلقى ابن حزم عن بن عبد البر علم الحديث^(٤) ، وصاحبه في الأخذ عن شيوخه كذلك أمثال : ابن الفرضي وابن الجسور . ولو تصفحنا كتاب « الأحكام

(١) طبقات الأمم : صاعد الطليطلي : ٩٦ .

وانظر لسان الميزان : ابن حجر : ٤ / ترجمة رقم : ٥٣١ .

(٢) انظر : ابن حزم مؤرخا د. عبد الحليم عويس : ٤٨ — ٥٠ ، ٥٥ .

(٣) انظر : ابن حزم مؤرخا : د. عبد الحليم عويس : ٥٧ ، ٦٠ — ٦٢ .

(٤) ترتيب المدارك : ٤ / ٨٠٩ .

وانظر سير أعلام النبلاء : الذهبي : مع دار الكتب المصرية لوحة ١٨٤ .

في أصول الأحكام » لابن حزم لو جدنا أنه يروى عن ابن عبد البر في مواضع عدة من الكتاب بلفظ السماع مرة ، و بلفظ الإجازة مرة أخرى ، وروى عنه في كتب أخرى كذلك^(١) . وقد توهم البعض في أن ابن عبد البر كان تلميذا لابن حزم^(٢) ، ولعل ذلك سبب شهرة ابن حزم التي نالها لعلمه ، فضلا عن الظروف السياسية التي مرّ بها ، والمناظرات الحادة التي ناظر بها علماء عصره . ولكن بتتبع ما كتبه ابن عبد البر من الكتب المطبوعة ، وبعض ما وقعت عليه من المخطوط لم أجد إشارة تشير إلى أنه قد نقل عن ابن حزم أو روى عنه .

ثم إن ابن حزم يذكر ابن عبد البر في رسائله ، ويُضفي عليه صفة الإمامة والاجتهاد ، «^(٣) وحسبك بأبي محمد مُثْنِيًّا ، وكان من أقرانه ، وجرت بينهما مناظرات ومناقرات ومع ذلك فيروى عنه بالإجازة^(٤) ، وكان يُثنى على مؤلفات ابن عبد البر ، وقد قدم لنا ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس قائمة بهذه المؤلفات القيّمة^(٥) . ويبدو أنه لم يتعرض لابن عبد البر بلفظ شديد ، أو جارح على ما عُرف به ابن حزم على الرغم من أن ابن عبد البر قد ردّ على ابن حزم في كتابيه (الاستدكار)^(٦) ، (والتمهيد) ، ولكن هذه الردود كانت تليحاً وليست تصريحاً ، ومع هذا الاختلاف في الرأي فإن ابن عبد البر « كان ينبسط لابن حزم^(٧) . ويأنس به » .

(١) انظر الأحكام : ابن حزم : ٨ / ١٠٦٧ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ... الخ .

وانظر رسالة في فضل الصحابة : لابن حزم : ١١٥ نسخ سعيد الأفغاني ونقل عنه في كتاب الفصل في الملل والنحل ٤ / ٧٤ ، ١١٢ ، ١٣٤ بلفظ « حدثنا وقال لي » .

(٢) هب إلى ذلك جوثالث بالثيا في كتابه : تاريخ الفكر الأندلسي . وذكر أن ابن عبد البر من مدرسة ابن حزم التي أطلق عليها اسم الحزمية : ٢٣٧ .

(٣) حوامع السيرة ورسائل أخرى : ٣١٨ .

(٤) مقدمة الاستدكار للحافظ السلفي مخطوط الظاهرية ورقة ١٢٠ ضمن مجموع رقم ٧١ .

(٥) انظر : فضائل الأندلس لابن حزم ملحق بكتاب تاريخ الأدب الأندلسي لإحسان عباس : ٣٥٩ .

(٦) انظر : الاستدكار : ابن عبد البر : ١ / ١٠٢ ، ١٠٦ .

وانظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب : ٢ / ١٧٦ .

(٧) سير أعلام النبلاء : الذهبي : مخ دار الكتب المصرية ورقة : ٧١٤ .

وبعد أن بلغ ابن حزم ستا وستين سنة من العمر قضاهما في رخاء وشدة ، وفرح ، وحزن ، وطمأنينة وخوف ، وخاض الأحداث السياسية في عصره مساهما في النهضة الحضارية في عصره بعلمه وتدريسه ، بعد هذه الحيوية والنشاط انطفأت هذه الجذوة ليلة الاثنين في ثمان وعشرين من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة في قرية مِنت لبشَم من أعمال لَبْلَة .^(١)

خامسا : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي :

وهو المشهور بالحميدي ، نابغة آخر من تلامذة ابن عبد البر ، وهو من أهل قرطبة ولد فيها قبيل سنة (٤٢٠ هـ) عشرين وأربعمائة^(٢) ، واهتم به أبوه منذ صغره . فكان يحمله على كتفه وهو ابن خمس سنين ليسمع من العلماء مما جعل ذهنه يتفتح للعلم وسماعه ، وكان أول سماعه سنة ٤٢٥ هـ على أصبغ بن راشد وعلى حداثة سنه كان يقول : « كنت أفهم ما يقرأ عليه وأفصح من يقرأ عليه » ، وعندما شب بدأ يلزم مَشِيخَة بلده أمثال : ابن حزم ، وابن حيان وابن عبد البر ، وكان من شدة انكبانه على العلم والاجتهاد فيه « ينسخ بالليل في الحر ، ويجلس في إجماعة ماء يتبرّد به »^(٤)

وكان لقاءه بابن عبد البر على الأرجح في دانية أو شاطبة لأن ابن عبد البر كان في شرق الأندلس يوم أن ترك الحميدي الأندلس إلى المشرق وكان ذلك سنة (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) فاتجه إلى بغداد ماراً بمصر فتناظر مع شيوخها ، وحمل عنهم العلم وحملوا عنه ، ثم واصل رحلته فحلّ ببغداد والتقى بشيوخها

(١) انظر : الذخيرة تح . إحسان عاس : ابن بسام : ١ : ١ / ١٦٨

وانظر معجم الأدباء : ياقوت الحموي : ٢ / ٢٤٨

وقد قدم الصديق عبد الحليم عويس رسالة دكتورة بكلية دار العلوم بإشراف أستاذنا الدكتور/ أحمد شلبي ، عنوانها « ابن حزم مؤرخا » استوفى الكلام فيها عن جوانب شخصية ابن حزم .

(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٥٦٠ وانظر نفح الطيب ٢ / ١١٢ .

(٣) نفح الطيب : المقرئ : ٢ / ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) تذكرة الحفاظ : الذهبي : ٤ / ١٢١٩ .

والإجماعة : إناء كبير كالإناء الذي تغسل فيه الملابس عندنا

وقد تألّق نجم الحميدى فى بغداد حيث روى عن أكبر عالّمين من علماء عصره حافظ المغرب ابن عبد البر وحافظ المشرق الخطيب البغدادى مما هيا له ثروة علمية ضخمة ، فوصفه الذهبى بقوله : « كان إماما فى علم الحديث ومعرفة مُتونه ورواته ، مُحققاً فى علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث مُتبحّرا فى علم الأدب والعربية »^(١) ، وترك لنا تراثاً قيماً فى جوانب المعرفة ، ومن مؤلفاته التى ذكرت له واشتهر بها :

١ — جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب :

وهو كتاب فى تاريخ الأندلس ، ومشاهير أعلامه أُلّفه فى بغداد بناءً على طلب البغدادين فكتبه من حفظه ، ومن بعض المصادر التى أتاحت له ، واعتذر هو لذلك فى مقدمته عن هذا الأمر^(٢) . مما جعله يتوهم فى بعض الأمور التى ذكرها فى كتابه ومنها ذكر سنة ولادة شيخه ابن عبد البر ، وسنة وفاته ، فذكر أنه ولد سنة (٣٦٢ هـ = ٩٧٠ م) وتوفى سنة (٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م) وقد حققنا ذلك فى الفصل الأول من هذا المبحث .

ومع هذا فيعتبر كتابه من أهم الكتب التى أرخت للأندلس سياسياً وحضارياً ، ومصدرا لا يستغنى عنه كل باحث فى التاريخ الأندلسى .^(٣)

٢ — الجمع بين الصحيحين :

ويعنى به الجمع بين صحيح البخارى وصحيح مسلم وقد نال الحميدى بهذا الكتاب شهرة فى علم الحديث ، وتناقله العلماء وكثرت نُسخه فى مكتبات العالم ، ولم يحقق إلى الآن وقد اطلعت على نسخ عديدة منه^(٤) .

(١) تذكرة الحفاظ : الذهبى : ٤ / ١٢١٩ ونفح الطيب ٢ / ١١٣ .

(٢) جذوة المقتبس : الحميدى : ٥ .

(٣) وقد نشر عدة مرات منها :

طبعة عزت عطار الحسينى ، تحقيق محمد بن تاويت ، القاهرة ١٩٥٦ .

وطبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٦ ، القاهرة .

(٤) وقد اطلعت على عدة نسخ منها

٣ — جزء فيه أخبار وأشعار :^(١)

أما صلته بابن عبد البر فكانت وثيقة . فقد لازم ابن عبد البر ملازمة انتفع بها ، ولو راجعنا كتابه الجذوة مثلاً لوجدنا أن النصوص المروية^(٢) عن ابن عبد البر تأتي من ناحية الكثرة بعد النصوص التي رواها الحميدى عن ابن حزم ، وذلك فيما يختص بتراجم الأندلسيين ومشاهيرهم ، ومصادر الحميدى في ذلك رواية شيخه التاريخية وصيغتها « قال لنا ابن عبد البر » و « أخبرنا شيخنا » . والمصدر الآخر هو مؤلفات ابن عبد البر المكتوبة ، وفهرسة شيوخ ابن عبد البر على رأسها ، وكان ينقل عنها بصيغة : « ذكره ابن عبد البر في شيوخه » أو « من شيوخ ابن عبد البر » ثم إن ابن عبد البر قد أجاز الحميدى بأغلب مؤلفاته ومسموعاته في مختلف العلوم التي كتب فيها أو تلقاها عن مشايخه^(٣) .

وقد استمر الحميدى مُقيماً ببغداد متصدراً لحلقات العلم حتى وافته ممّيته في دار رحلته ببغداد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وذلك في شهر صفر من هذه السنة ودُفن في مقبرة باب حرب عند قبر الرجل الصالح بشر بن الحارث الحافى^(٤) ، الموجود قبره إلى الآن في منطقة الأعظمية المعروفة ببغداد مجاور جامع الإمام أبى حنيفة رحمهم الله تعالى .

نسختان في مكتبة الأوقاف / بغداد

وثلاث نسخ في معهد المخطوطات بالقاهرة

وأربع نسخ في دار الكتب المصرية

الأولى برقم (١٩٠٠ حديث) الثانية : (ب / ٢٠٣٣٢) الثالثة برقم (٢٠٠ حديث تيمور) الرابعة :

(٣١٢ حديث تيمور)

(١) منه نسخة في دار الكتب المصرية ذكرت في فهرس الدار برقم (ب ٢٥٥٧١) .

(٢) عدد النصوص التي أسندها صراحة إلى ابن عبد البر كانت واحداً وثمانين نصاً ، ولعله نقل عنه نصوصاً أخرى لم يسندها إلى ابن عبد البر لأنه ألف كتابه وهو بعيد عن كثير من مصادره ومكتوباته وقد اعتذر لنفسه بذلك في مقدمة كتابه : ١ ، ٢ .

(٣) انظر : الصلة : ٥٦٢ .

وانظر : تذكرة الحفاظ : الذهبى : ٤ / ١٢١٨ .

(٤) انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٥٦٣ .

وانظر : تذكرة الحفاظ : الذهبى : ٤ / ١٢١٩ .

المبحث الثالث أقران ابن عبد البر

كان القرنان الرابع والخامس قرني الازدهار الحضاري في الأندلس انتعشت فيهما الحياة العلمية بكل جوانبها ، وعاش في ظل هذا الانتعاش الحضاري آلاف العلماء الأعلام الذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس .

وكان ابن عبد البر أحد دعائم الحركة العلمية في هذه الفترة التي كانت تزخر بالعلماء من كل اختصاص وفي كل جانب من جوانب المعرفة ، وقد ربطت ابن عبد البر بكثير منهم الصُّحبة والمُعاصرة ، وقد ثَبَّوْا كثير من هؤلاء الأصحاب والأقران مكانة مُتميزة في المجتمع الأندلسي خاصة والمجتمع الإسلامي عامة ، فمنهم من تولى الوزارة ، أو القضاء أو التدريس ، وخفق علمهم بالآفاق وتطلعت إليهم الأعناق .

وقبل أن نتحدث عن أشهر أقران ابن عبد البر وأكثرهم صلة به ، لا بد أن نشير إلى أنه كان هناك من العلماء من ربطته بابن عبد البر المعاصرة وطلب العلم ، ولكن المصادر لم تُورد لنا تفصيلات عن طبيعة العلاقة بين ابن عبد البر وبعض أقرانه ، ومعاصريه المشهورين ومن هؤلاء : ابن حيان أبي مروان حيان بن خلف بن حُسين بن حيان (٣٧٧ — ٤٦٩ هـ = ٩٨٨ — ١٠٧١ م) ، المؤرخ المشهور صاحب (المقتبس تاريخ الأندلس) وغيره من الكتب ، التي أرّخ فيها للأندلس . ومن الغريب أن ابن حيان لم يذكر ابن عبد البر موضوع البحث في كتبه التي وقعت تحت يد الباحث ، ولربما ذكره في كتبه المفقودة التي لم يُكشف عنها . ومن أقرانه : ابن سيدة اللغوى ، وأبو عمر الداني المُقرى وغيرهم .

وستتحدث فيما يلي عن مجموعة من أشهر أقرانه وأصحابه :

أولا : إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي :

هو عميد الأسرة العبادية ، وبه دخلت الحياة السياسية بالأندلس زمن الطوائف « صَنَجِبَ أبا عمر بن عبد البر في السَّماع قديما على بعض شيوخه » ، وكان مُعْتَنِيًا بالعلم وطلبه فروى في قرطبة عن أبي محمد الأصيلي ، وأبي محمد الباجي ، وتدرج

في طلب العلم حتى بلغ الغاية ، وعَدَّوه « آية من آيات الله علماً ومعرفة ، وأدباً ، وحكمة »^(١) ، وكان « معلوماً بوفور العقل ، وسُبوغ العلم والزكّاة مع الدّهاء وبُعد النّظر »^(٢) ، وضَمَّ إلى هذا العلم المقدرة على الكَسْب ، والتدبير فكان صاحب تجارة ، وزراعة ، فأثرى حتى كان من الأغنياء المعدودين في الأندلس .

ولعل هذه المكانة التي بلّغها جعلت المنصور بن أبي عامر يختاره لقضاء إشبيلية ، واستمر في هذا المنصب حتى سقطت الخلافة ، فتولّى تسيير شؤون إشبيلية وتوابعها على أحسن وجه ، حتى نزل الماء في عينيه ، فأناّب ابنه أبا القاسم القيام بأمر القضاء « واقتصر هو على شياخة البلد ، وتدبير الرأى فيها فحمى إشبيلية من سطوة البربر النازلين حولها بالتدبير الصحيح والرأى الرجيح ، والنظر في الأمور السلطانية إلى أن أتاه أجله في سنة أربع عشرة وأربعمائة »^(٣) .

وللصلة القوية بين ابن عبد البر وابن عباد جعلت ابن عبد البر يتوجه إليه بعد خروجه من قرطبة عند وقوع الحرب الأهلية في قرطبة ، فوجد بجوار صديقه ورفيق دراسته الراحة والاطمئنان ، ونستطيع معرفة مدى حُب ابن عبد البر للقاضي ابن عباد ، ومدى الاحترام الذي يُكَنُّه له من خلال أبيات نظمها له يمدحه وينصحه فيها ببعض النصائح الطيبة ، وقد ضَمَّن هذه الأبيات في كتابه الأدبي « بهجة المجالس »^(٤) .

والأبيات هي :

ياسلِيلَ الكِرَامَ من آل لَحِيم	وأخا الرأى والدّها والوفاء
إنّ لي من سِقَامِ جِسْمِكَ سُقْمًا	ثابتاً في الفؤاد والأحشاء
وبقلبي مما بجِسْمِكَ ضَعْفُ	للذي تُشْتَكى من الأدواء
وبودّى لو كُنْتُ عنك فداءً	بدلاً عند هجمة الضّراء

(٢١) الحلة السيرة : لابن الأبار ، تحقيق حسين مؤنس ٢ / ٣٧ .

(٣) البيان المغرب : ابن عذارى ٣ / ١٩٤ .

والحلة السيرة : ٢ / ٣٧ ، وانظر : تاريخ قضاة الأندلس : البناهي : ٨٤ .

(٤) (انظر : ١ / ٣٩١) .

فاقبل التَّصَحُّعَ سَيِّدِي واسْمَعْ الْقَوَى لَ فَإِنِّي أَحْكِي عَنِ الْحُكَمَاءِ

.....
وعليك الدَّعَاءُ فَاللَّهُ يُشْفِي لَيْسَ شَافٍ سِوَاهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ
نِعَمَ عَوْنِ الْعَلِيلِ ثَوْبَةُ صَدِيقٍ وَكَذَا الْبِرُّ جَالِبٌ لِلشِّفَاءِ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِثْنَى ذَابَا مَا جَرَى الدَّمْعُ قَاطِعاً لِلسَّمَاءِ

ثانيا : أبو عمران موسى بن عيسى بن حاج النُّجُومِي :

وأبو عمران هذا كان لصيقاً بابن عبد البر ، وقد صاحبه يوم أن جاء من مدينة فاس بالمغرب ليأخذ العلم عن علماء قرطبة في عصره ، بعد أن تتلمذ على أيدي كبار العلماء في بلده أمثال أبي الحسن القاسمي وغيره ^(١) .

فكان من حُسن حظهِ أن التقى بابن عبد البر أول قدومه قرطبة ، فتولى ابن عبد البر مُهمّة إيصاله بعلماء وشيوخ قرطبة الذين كان يتلقى عنهم مثل : عبد الوارث بن سفيان ، وسعيد بن نصر ، وأحمد بن قاسم البراز ، « وقال ابن عبد البر : كان صاحبي عندهم ، وأنا دَلَّتُهُ عليهم » ، وكان هذا قبل سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) بمُدّة ^(٢) .

وقد أثنى العلماء على أبي عمران لِعِلْمِهِ ، وَفَضْلِهِ « فكان فقيهاً عالماً بفنون العلم منها : القرآن وعلومه ، والحديث وعلله ورجاله ، والفقه البارِع مع الورع الثام والهيبة والوقار والسكينة » ^(٣) .

وكانت لابن عمران رحلة إلى المشرق للأخذ عن كبار عُلمائِهِ ، فضلاً عن تأديته لفريضة الحج ، فأخذ في مصر علم القراءات عن أبي الحسن بن عبد الكريم

(١) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان : لابن الدباغ ٣ / ١٥٩ .

(٢) بغية المتسنى : الضبي : ٤٥٧ .

الصلة : ابن بشكوال : ٦١١ .

(٣) معالم الإيمان ابن الدباغ : ٣ / ١٦٠ ، الديباج : ابن فرحون : ٢ / ٣٣٧ .

بن أحمد بن أبي جدار ، ثم توجه إلى مكة ، وأخذ عن أبي إسحق عبد الله بن محمد بن أحمد السَّقَطِي^(١) .

وبعد أداء الفريضة توجه إلى العراق ، فدخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وحضر مجلس أبي بكر بن الطيب بن الباقلاني القاضي ، وسمع منه ومن غيره ، وبعد هذه السباحة العلمية رجع إلى القيروان ، فأقرأ فيها القرآن مُدَّة ثم درَّس الفقه ، وأسمَعَ الحديث ، واشتهر بها الشهرة التامة ورحل إليه طلبة العلم من البلاد المختلفة ، وطارت فتاواه في المشرق والمغرب^(٢) .

ولقد نقل لنا ابن عبد البر تاريخ ولادة هذا العالم لشدة اعتزازه به فقال : « ولدت مع أبي عمران في عام واحد سنة ثمان وستين وثلاثمائة »^(٣) ، مما يدل على أن أبا عمران قد أخبره بذلك .

وكان أبو عمران ذا هبة عند العامة والخاصة لصلاحه ، وقوته في الحق وكانت العامة تهرع إليه عندما تقع واقعة ، أو تنزل نازلة لاستفتائه فيها^(٤) .

ومن هيبته واعتزازه بالحق موقفه من طبيب المعز بن باديس — بن عطاء اليهودي — عندما جاء ليسأله مسألة شرعية فطرده أبو عمران فرجع إلى سيده فقال له : « والله ياسيدي ماظننت بإفريقية ملكاً غيرك إلا يومى هذا »^(٥) ، ولم يسع المُعزُّ إلا احترام هذا الفقيه العامل هبةً منه .

وفي الثالث عشر من رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة ، وافته منيته ، وحضر الصلاة عليه جميع أهل القيروان ، وكان على رأس المُشيعين المُعز بن باديس ودُفن

(١) الصلاة : ٦١٢ ، والبغية : ٤٥٧ ومعالم الإيمان : ٣ / ١٥٩ .

(٢) معالم الإيمان : ابن الدباغ : ٣ / ١٦٠ ، الديباج : ابن فرحون ٢ / ٣٢٧ .

(٢) الصلاة : ابن بشكوال ب ٦١ والبغية : الضبي : ٤٥٧

ومعالم الإيمان : ابن الدباغ ٣ / ١٦٣ .

(٤) معالم الإيمان : ابن الدباغ : ٣ / ١٦٠ — ١٦٣ .

(٥) نفس المصدر ٣ / ١٦١ .

(١)
في داره .

ثالثاً : سليمان بن خلف بن سعد الشجيبى الباجى :

وهو من طبقة ابن عبد البر وأقرانه وإن كان يصغرُه سناً ، فقد ولد سنة ثلاث وأربعمائة ببُطْلُوس في يوم الثلاثاء من النصف من ذى القعدة (٢) .

تدرج في مدارج العلم فطلب العلم على يد مشايخ قرطبة ومأان حلت سنة ست وعشرين وأربعمائة حتى سمت نفسه للرحلة إلى المشرق لاستكمال علمه فغادر الأندلس ماراً بمصر فأقام فيها مدة ، وأخذ عن علمائها (٣) .

يَمَم وجهه بعد ذلك شطر المسجد الحرام مُتَجِّع العلم والعلماء فحجَّ وجاور هناك لمدة ثلاث سنوات لازم فيها كبير مَشِيخَةِ الْحَرَم أبى ذَر الهَرَوى (ت ٤٣٤ هـ ١٠٤٢ م) يَخْدُمُهُ ويرافقه في جِلَّهِ وتِرحالِهِ ، ويتصرف له في جميع حوائجه (٤) .

ثم توجه بعد ذلك إلى بغداد فلقى فيها الإمام أبى إسحق الشيرازى إمام الشافعية ، وأبى الطَّيِّب طاهر بن عبد الله الطبرى إمام الشافعية ، والقاضى أبى عبد الله الحسن بن على الصيرمى إمام الحنفية ، فأقام فيها ثلاث سنوات يُدِّرس الفقه ، ويقرأ الحديث ، « فبرغ في الحديث وعلمه ورجاله ، وفي الفقه وغوامضه » (٥) حتى « تيقن أهل العراق أن بالأندلس رجلاً » (٦) . ثم ترك بغداد متوجهاً ، إلى الموصل فلقى فيها أبا جعفر السمنانى ، وأقام معه سنة يأخذ عنه

(١) معالم الإيمان : ابن الدبائع ٣ / ١٦٣ وانظر الدياج : ابن فرحون ٢ / ٣٣٨ .

(٢) الصلة : ابن بشكوال : ٢٠٣ ، الذهبى : التذكرة ٣ / ١١٧٨ .

(٣) نفع الطيب : المقرئ : ٢ / ٧٦ .

(٤) الصلة : ٢٠١ ، التذكرة : الذهبى ٣ / ١١٧٩ ، نفع الطيب ٢ / ٦٩ ، ٧٠ .

(٥) نفع الطيب : المقرئ ٢ / ٧١ .

(٦) الذخيرة : ابن بسام : ٢ : ١ / ٩٥ .

علم الكلام^(١).

انتقل بعد ذلك إلى حلب في بلاد الشام ، وأقام فيها عاماً ، وتولى قضاءها لفضله وشهرته^(٢)، ثم سار إلى دمشق فسمع فيها من السَّكَن بن جُميع الصَّيْدَاوى ، وأبى طالب عمر بن إبراهيم الزُّهرى وطبقتهم^(٣).

وبعد هذه الرحلة الطويلة والحصيلة العلمية الكبيرة التي جمعها أبو الوليد « نازعه هوى نفسه إلى مسقط رأسه ومنبت غرسه من أرض الأندلس »^(٤)، « فكَرَّ إليها بحراً لا تخاض لججه وفجراً لا يطمس منهجه »^(٥).

وقد ضرب لنا أبو الوليد الباجي في رحلته لطلب العلم أروع الأمثلة في العفة والشغف بطلب العلم ، فقد واجهته ألوان من المعاناة جعلته يعمل أى عمل يُعينه على كسب قوته مع غنى نفسه ، فعمل حارساً ليلاً في طُرقات بغداد وكان يسهر ليلته يقرأ تحت الفوانيس^(٦). بل أكثر من هذا أخذ نفسه لشيخه أبى ذر الهروى يتصرف له في قضاء حوائجه رغبة في ملازمته أطول مدة^(٧).

وعند عودته إلى الأندلس « كان مُقلّاً في دُياه ... يَتَوَلَّى ضرب ورق الذهب للغزل .. وقيل : إنه كان يخرج للإقراء وفي يده أثر المَطْرِقة »^(٨)، « وتَوَلَّى عقد الوثائق »^(٩) كذلك واضطر إلى « تولى قضاء أماكن تصغر عن قدره كأريولة ، فكان

(١) (٣ ، ١) انظر الصلة : ابن بشكوال : ٣٠١ ، والتذكرة : الذهبي : ٣ / ١١٧٩ .

(٢) انظر الذخيرة : ابن بسام ٢ : ١ / ٩٥ وانظر النفح : المقرئ ٢ / ٦٨ .

(٤) الذخيرة : ٣ : ١ / ٩٥

(٥) النفح : ٢ / ٧٤ .

(٦) انظر التذكرة : الذهبي : ٣ / ١١٨١ وانظر : الديباج : ابن فرحون ١ / ٣٧٩ .

وانظر : النفح : المقرئ : ٢ / ٧٦ ، ٧٧ .

(٧) الصلة : ابن بشكوال ٢٠٠ ، نفح الطيب : ٢ / ٦٧ .

٨ ، ٩ الديباج : ابن فرحون : ١ / ٣٧٩ ، النفح : ٢ / ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٧ .

وضرب : ورق الذهب للغزل بمعنى : طرق صفائح الذهب وجعلها خيوط ذهبية تستعمل في نسج الثياب أو تزيينها .

يبحث خلفاءه وربما أتاها المرة ونحوها»^(١).

ولما عاد إلى الأندلس وجد «ملوكها أضداداً ، وأهواء أهلها ضغائن وأحقادا ، وعزائمهم في الأرض فساداً وإفساداً»^(٢) ، فسأه هذا التمزق الذي تُعانيه الأندلس ، فرأى أنه من الواجب عليه العمل على حثّ أمراء الطوائف على جمع كلمتهم لمواجهة الخطر الصليبي الذي يهددهم من الشمال يدفعه إلى ذلك تقواه وتدينه الذي يأبى مثل هذه الفرقة فجال في كثير من مدن الأندلس ، «ثم زاد نشاطه اشتداد حال الأندلس سوءاً منذ حادثة بَرَبَشْتُر (Barbastro) سنة (٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) ، وما من شك أن هذه الحادثة أثارت الغياري من الناس ونهبتهم أكثر إلى الخطر الكامن وراء هذه الأحداث فحركاتهم بازدياد»^(٣).

«فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماً واعية ، بل نفخ في عظام ناخيرة ، وعكف على أطلال دائرة»^(٤) وكان ملوك الطوائف «يُجلُّونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن ، ويستبردون عته ، ولم يُفد شيئاً»^(٥) ، وما هذا إلا لسوء حظهم ، واختلاف قلوبهم الذي أرداهم .

وقد سَمَّا أبو الوليد الباجي إلى مكانة عظيمة بين علماء الأندلس فضلاً في شهرته عند علماء المشرق ، وقد أثنى عليه ابن حزم مع أنهما كانا مختلفين في وجهات النظر في بعض المسائل ، بل إن ابن حزم قد أفحم من قبل أبي الوليد في مناظرة ميورقة لأول دخول أبي الوليد الباجي الأندلس^(٦).

فنقل لنا بن بسام عن ابن حزم أنه كان يقول^(٧) :

(١) التذكرة : الذهبي : ١١٨١/ ٣ ، النفح : المقرئ : ٦٧ / ٢ .

(٢) الذخيرة : ابن بسام : ٢ : ١ / ٩٥ .

(٣) التاريخ الأندلسي : د. عبد الرحمن الحجى : ٣٤٠ .

(٤) الذخيرة : ابن بسام : ٢ : ١ / ٩٥ .

(٥) نفح الطيب : المقرئ : ٧٧ / ٢ .

(٦) نفح الطيب : المقرئ : ٧٧ / ٢ وانظر الحياة العلمية : كريم عجيل : ٤١٠ ، ٤١١ .

(٧) الذخيرة : ٢ : ١ / ٩٥ ، وانظر : الديباج : ابن فرحون / ١ / ٣٨٠ .

« لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي »
« ومما يفتخر به أنه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر
والخطيب البغدادي وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر »^(١).

وتقل لنا بن بسّام^(٢) كذلك ما أبداه مجاهد العامري للمُظفرين الأفطس في
مدح أبي الوليد الباجي ، وذلك ضمن الرسالة التي كتبها أبو محمد عبد الله بن
عبد البر فيقول : « والفقيه الحافظ أبو الوليد الباجي غَدِي نعمتك ، ونشأة
دولتك هو من آحاد عصره في علمه ، وأفراد دهره في فهمه ، وما حصل امرؤ من
علماء الأندلس مُتفَقَّها على مثيل حظّه وقسمه وقد تقدّم له بالمشرق صيت وذكر ،
وحصل بجزيرتنا ، ولك فيه جمال وفخر » .

ساهم أبو الوليد الباجي في النهضة العلمية في الأندلس فدرس وألف وتنقل في
أكثر بقاع الأندلس يتسابق أمراء الطوائف في أن يحظوا به ليفتخروا بذلك على
غيرهم .

وقد ترك لنا أبو الوليد الباجي مؤلفات كثيرة في العلوم المختلفة^(٣) ، وكتابه
« المُتَقَيّ » في الفقه المالكي من أشهرها

وقد عمل بعض العلماء على الجمع بينه وبين كتاب (الاستذكار لابن عبد
البر) وذلك لأهمية الكتابين في المذهب

وله في الفقه كذلك كتاب (الإيماء) خمس مجلدات وكتاب (السراج في
الخلاف) لم يتم ، (ومختصر المختصر في مسائل المدونة وكتاب الحدود) . وله في
أصول الفقه : كتاب (الإشارة) وكتاب (أحكام الفصول في أحكام
الأصول) .

(١) نفح الطيب المقرئ : ٧١ / ٢ .

(٢) الذخيرة : ٢ : ٩٧ / ١ .

(٣) انظر نفح الطيب : ٦٩ / ٣ .

وله في الموطأ مؤلفات نفيسة منها :

كتاب (المعاني شرح الموطأ) جاء في عشرين مجلدا عديم النظر ، وله كتاب (اختلاف الموطآت) .

وله كتاب في الجرح والتعديل اسمه « التعديل والتجريح » وغيرها من الكتب .

وأما طبيعة الصلة بين ابن عبد البر وأبي الوليد الباجي فلم تكشف لنا المصادر بصورة جلية واضحة عنها ، ولكن طبيعة حركة الباجي وابن عبد البر وتنقلهما في عدد من المدن الأندلسية في الأوقات نفسها تقتضي أنهما قد التقيا .

وقد التقيا بالفعل . وروى أحدهما عن الآخر وقد ذكر الباجي ابن عبد البر في كتابه « الفرق » كما أورد القاضي عياض في ترتيب المدارك ^(١) .

ولكن « لم يكن الذي بينهما بالحسن لتجاذبهما سؤدد العلم في وقتها » ^(٢) ولعل السبب في ذلك ما قاله أبو الوليد من أن النبي ﷺ كان يعرف الكتابة وذلك عند كلامه على حديث البخاري في يوم الحديبية فرد عليه بعض العلماء في ذلك وشنع عليه بعض الفقهاء . فدافع عن نفسه قائلا :

برئت ممن شَرى دُنْيا بآخرة وقال إنّ رسول الله قد كتبنا

وألف رسالة في ذلك .

أما أن يكون سبب عدم حسن العلاقة المنافسة لذاتها فهذا بعيد ولا ينسجم مع منهج ابن عبد البر وأخلاقه ليحسد الباجي للمنافسة أو غيرها .

وكان آخر استقراره عند المقتدر بن هود في المرية ^(٣) « ليلة الخميس بين العشاءين وهي ليلة تسعة عشر خالية من رجب ودفن يوم الخميس بعد صلاة

(١) ترتيب المدارك : القاضي عياض ٤ / ٨٠٩ ، وانظر : التاريخ الأندلسي : للحجى .

(٢) نفس المصدر .

(٣) النفع : للمقرئ : ٢ / ٧٤ .

العصر سنة أربع وسبعين وأربعمائة ودفن بالرباط على ضفة البحر وصلى عليه ابنه
أبو القاسم «^(١)



(١) الصلة : لابن بشكوال : ٢٠٢ ، وانظر : التذكرة : الذهبي : ٣ / ١١٨٢ نفح الطيب : للمقرئ : ٢ /
٧٦ .

الفصل الرابع
رحلات ابن عبد البر وثقافته ومكانته

المبحث الأول رحلات ابن عبد البر

الرحلة وأثرها في وحدة العالم الإسلامي الفكرية : نتيجة لاتساع رقعة العالم الإسلامي أصبحت بعض المدن مراكز علمية وثقافية مثل : مكة ، والمدينة ، وبغداد ، والبصرة ، والقاهرة ، ودمشق ، والرّى ومرو ، وبخارى ، والقيروان ، قرطبة ، وإشبيلية ، ومع سعة الرقعة الإسلامية التي كانت مقسمة إلى كيانات سياسية مستقلة بعضها عن بعض في إدارة شؤونها لم يكن هناك ما يمنع الفرد من أن يتنقل بين هذه الكيانات وبلدانها بحرية مطلقة لأنه يتنقل في دار الإسلام لذا لم يكن هناك إحساس بإقليمية ولاعنصرية ، وكان العالم المسلم يتولى التدريس في بلد . والقضاء في آخر ، والوزارة في ثالث وهكذا ، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى ، فكان هذا المعنى مُشجّعاً على ظاهرة الارتحال بين أقطار العالم الإسلامي وعاملاً مُهماً في تنميتها ثقافياً ومدنياً .

ثم إن ظاهرة الارتحال أخذت مظاهر شتى ومتنوعة حسب القصد الذي دفع إليها ، فكانت هناك الرحلة الدينية والعلمية والتجارية والسياسية . فالرحلة الدينية كانت لأداء فريضة الحج ، وأما الرحلة العلمية فكان الدافع لها طلب العلم والمعرفة واستدراك ما يفوت العالم في بلده فضلاً عن ملاقة العلماء المشهورين في مختلف الاختصاصات ، وطلب الإسناد العالي ، وكان هذا النوع من الرحلات من مستلزمات العالم وتوثيق علميته « وكانت قيمة الطالب في نظر الناس تتناسب مع مقام به من رحلات لطلب العلم »^(١) ، « وكان جلة الباحثين وطلاب العلم يرحلون في حماسة ظاهرة عبر القارات الثلاث ثم يعودون إلى بلادهم كما يعود النحل مُحَمَّلاً برحيق الأزهار »^(٢) فيتجهون إلى تبليغ هذا العلم الذي جمعه لمئات الطلبة الذين يُقبلون عليهم ، ومنهم من كان يعكف على تدوين هذا العلم في أمهات للكتب بقيت موارد صافية لكل طالب علم على مدى الأزمان . وكان طُلاب العلم الأندلسيون حريصين على هذا النوع من الرحلات أكثر من غيرهم .

(١) تاريخ البرسة . أستاذنا الدكتور أحمد شلى : ٣٢٠ .

(٢) نفس المصدر نقلاً عن (PROFESSOR NICHOLSON) : ٣٢٠ .

وهناك عوامل ساعدت العلماء على تنشيط هذا النوع من الرحلات ، ولعل الحج يُعتبر من أهم هذه العوامل ، ففضلا عن كونه فريضة يُتقرب بها إلى الله كان بمثابة مؤتمر عالمي ثقافي يؤمه العلماء وطلبة العلم من أقطار العالم الإسلامي فيفيدون ويستفيدون علما ومعرفة ، ويتعرفون على أحوال المجتمع الإسلامي بعامة ^(١)

ولما كان تباين الظروف المناخية واختلاف الأمزجة والأعراف الاجتماعية يؤدي إلى تنوع الصور الحضارية للحياة في البيئات المختلفة ، إلا أن نمو العلاقات المختلفة في ظل شريعة الإسلام جعل أجزاء المجتمع الإسلامي تلتقي في تيار الحضارة الإسلامية التي ميزت هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات المعاصرة له ، « ولولا الرحلة العلمية في طلب العلم لوجد طابع فكري محلي في كل مدينة من المدن الإسلامية بسبب العزلة العلمية ، لكن الروح العلمية والهمة العالية التي تحلي بها العلماء دفعتهم إلى جوب الأفاق وأخذ العلم من شتى المراكز الفكرية في العالم الإسلامي » ^(٢)

الرحلة العلمية في الأندلس :

ارتبطت الرحلة العلمية في الأندلس في أول عهدها بالرحلة إلى الحج ، ولم تبدأ رحلة الحج في الأندلس إلا بعد أن استقرت الدولة الإسلامية في الأندلس ، وذلك في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل الذي ولي الحكم في الأندلس في سنة (٧٥٦ م) إلى (٧٧٦ م) « والفوج الأول من الحجاج الأندلسيين وافق خروجه في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري ^(٣) ، وما أن حل القرن الثالث الهجري حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسعون إليه كأنه فريضة ثقافية يؤدونها وهي تطول أو تقصر حسب اكتفاء الطالب بالتحصيل ولم تعد الرحلة العلمية أمراً منوطاً بالنية الدافعة للحج بل أصبحت هي نفسها ضرورة

(١) انظر : أثر رحلة المسلمين في تعريف المجتمعات الإسلامية عند العظم عوده ، أبو سرحان (مجلة الفيصل : عدد ٢٥ — رجب — ١٣٩٩ — يونيو — ١٩٧٩ : ص ٢٦) .

(٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة : ٢٤ .

وانظر تاريخ التربية الإسلامية : أستاذنا الدكتور أحمد شلبي ٣١٧ — ٣٢٦ .

(٣) انظر : الرحلات بين المشرق والأندلس . د. محمود علي مكى ، مجلة البيئة المغربية عدد ٢ — ذي الحجة =

لازمة ولم يُعد يكتفى الطالب الأندلسي بالرحلة القصيرة في داخل الأندلس^(١) ، وكان الطالب الذي تفوته الرحلة إلى خارج الأندلس يستدرك ذلك بلقاء العلماء الذين رحلوا إلى المشرق وعادوا بأمّهات المصادر الثقافية المتنوعة وخاصة في الحديث والفقه والتاريخ والأدب واللغة وغيرها من جوانب المعرفة التي قام عليها بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس .

وكان هناك عامل آخر تداخلت معه الرحلة العلمية في الأندلس وكان سببا مباشرا لها ، ذلك هو العامل السياسي وبخاصة عند وقوع الحرب الأهلية المسماة بالفتنة القرطبية سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) أو سبب خلافات ملوك الطوائف وتنكيلهم بمن لا يقف في صفّهم لذلك بدأت كثير من العائلات ترحل عن مواطنها إلى مواطن أكثر استقرارا هروبا ونجاة من الفتن ، فخرج نتيجة ذلك كثير من العلماء من مدنهم وخاصة أهل قرطبة ينجون الأندلس ومنهم من رحل خارج الأندلس .

وأما الذين دفعهم العامل السياسي للرحلة داخل الأندلس خاصة فكان الأمران : الاضطراب ، أو إصلاح ذات البين .

فالأمر الأول الاضطراب أو الرحلة الاضطرابية فكان سببها : الفوضى السياسية والعنت المباشر ، أو غير المباشر الذي أصاب عائلات بعينها ، أو أشخاص بعينهم ، وأحيانا يكون العنت عاما يُصيب الجميع ، كما وقع في بلنسية بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها مبارك ومظفر العامريان مما دفع أغلب أهل بلنسية إلى تركها إلى المدن الأخرى .^(٢)

١٣٨١ - ١٩٦٢ ، ص ٣٧ .

والمقصود أن رحلة الحج على هيئة أفواج بدأت في آخر القرن الثاني ولا يعنى هذا تعطيل فريضة الحج قبل هذا التاريخ لأن أفراد الحش الإسلامي الفائح كانوا يشادون السفر إلى مكة والمدينة وقد صادف ذلك موسم الحج فتودون الفريضة .

(١) انظر الحركة اللعوية في الأندلس : د. السر حبيب مطلق ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) انظر السان المغرب ٣٠ / ١٥٨ - ١٦٣ ، ٣٠٢ وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٢٢٥ ، ودولة الطوائف : ٢١٧ - ٢١٩ .

أما الأمر الثاني وهو إصلاح ذات البين أو الرحلة الإصلاحية وكان القصد منها إصلاح ما أفسدته الفرقة والصراعات السياسية ، ونزعة التفرد بالسلطة لدى أمراء الطوائف حيث كان كل واحد منهم يودُّ أن يُحاكى صولة الأسد ، خاصة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، وقد تبّنى هذا النوع من الرحلة صفوة من العلماء المعروفين أمثال : أبو الوليد الباجي وأبو بكر المصنّفي وغيرهما كثير من أهل الغيرة على وحدة المسلمين ، الذين كانوا يُسِفرون بين هذه الدويلات لرأب الصدع والتقريب بين أمراء الطوائف ، ولنشر الوعي بين أفراد الرأي العام الإسلامي يبينون للناس أصل الداء ليتسنى لهم التدارك والعلاج ، وحثّهم على مطالبة أمرائهم بذلك ، وكانت حلقات الدرس التي يعقدونها ميدانا لهذه الدعوة فضلا عن مجالس الأمراء التي يرتادها العلماء والأدباء ووجوه الناس فيصفون الدواء الناجع من وجوب مراقبة الله تعالى في الحُكم ونبد الفرقة والاختلاف والتنادي بالتوحيد لمواجهة الأخطار المحيطة بالأندلس وخاصة من النصارى وقد مر تفصيل هذا الأمر في التمهيد .

رحلات ابن عبد البر :

اقتصرت رحلات ابن عبد البر على شبه الجزيرة الأندلسية ، ولانعلم سبباً واضحاً منع من تخروجه إلى المشرق ولعله لم يخرج من الأندلس حرصاً منه على المشاركة في إصلاح الأوضاع السياسية بالنصح ، والتذكير وبيان حقيقة الداء .

وكانت أغلب رحلاته التي قام بها بين مدن الأندلس غربيّة وشرقيّة اضطرارية ، وكان العامل السياسي هو السبب — غالباً — في عدم استقرار ابن عبد البر في مكان واحد ، أو كما عبّر عنه في تعليقه على قول الإمام مالك : « لا ينبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير الحق ... فقال أبو عمر : أما قول مالك هذا فمعناه إذا وجدَ بلداً يُعمل فيه الحق في الأغلب »^(١) لذلك يبدو أن أبا

(١) التذكرة في أحوال الموقر والآخرة : للقرطبي المفسر : ٢ / ٦٢٩ .

عمر بن عبد البر كان يُغيّر مكان إقامته كلما رأى ميلاً شديداً عن الحق ، وينتقل إلى الإمارة التي يظن أن أمير هذه الدولة يغلب عليه الصلاح ، وحُسنُ سياسة الرعية بعيداً عن الظلم .

الرحلة الأولى : بعد انتشار العقد :

ساءت الأحوال السياسية في قرطبة إثر سقوط العامريين ، وتأجج القتال بين البربر وأهل قرطبة ، واشتعلت فيها الحرب الأهلية (٣٩٩ هـ) ، واستمر القتل والسلب والنهب فيها ولم ينبج أحد من آثارها السيئة كما بينا سابقاً . لذا غادر ابن عبد البر وأسرته قرطبة متوجهين نحو إشبيلية . وقد ذهب البعض أنه قد ترك قرطبة سنة (٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م) متوجهاً إلى بطليوس^(١) ومنهم من قال : بأنه قد خرج من قرطبة سنة (٤٤٣ م = ١٠٥٢ م) متوجهاً إلى غرب الأندلس^(٢) . والمصادر لم تُحدد بالضبط المدينة التي توجه إليها بعد خروجه من قرطبة ، ولكننا نجد أن هناك مُسنوفاً شديداً يدعوهُ للتوجه إلى إشبيلية ، ألا وهو صديقهُ ورفيقهُ في طلب العلم القاضي إسماعيل بن عباد عميد العائلة العبادية ورئيسها ، الذي تولّى زمام إدارة شؤون إشبيلية « فنظر في صلاح أمورها وتصريفها على السداد إلى أن نزل الماء في عينيه »^(٣) ، فأناب ابنه أبا القاسم بن عباد في القضاء واقتصر هو على شافة البلد ، وتدير الرأي^(٤) وذلك عند اضطراب الأمور في قرطبة خلال الفتنة في العقد الأول من القرن الخامس الهجري ، ثم إنه من استقراء النصوص يرجح أنه خرج من قرطبة بعد سنة (٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م) وقبل سنة (٤١٤ هـ = ١٠٢٣ م) لأنه حضر في قرطبة تشييع شيخه ابن الفرضي سنة ٤٠٣ هـ كما سبق أن ذكرنا عند الترجمة لابن الفرضي في فصل شيوخه .

(١) رسالة محسن بن معنوا (ابن عبد البر وجهوده في الحديث والفقه) إسماعيل النووي ، مقدمة إلى دار العلوم سنة ١٩٦٤ م .

(٢) مقدمة تحقيق « كتاب الدرر في المغازي والسبر لابن عبد البر » : الدكتور شوقي صيف .

(٣) السان المغرب : ابن عداري : ٣ / ١٩٤ .

(٤) الصلة : ابن شكوال : ١٠٢ .

والدليل على أن ابن عبد البر كان في قرطبة قبل سنة ٤١٤ هـ قوله :

« دخلت على الشيخ أبي الوليد — يقصد إسماعيل بن عباد — عائداً له من بطن
كان يشكوه قد اشتد عليه ... فانصرفت من عنده ثم كتبت إليه :

ياسليل الكرام من آل لحيم وأخا الرأي والذها والوفاء
إن لي من سقام جسمك سُقماً ثابتاً في الفؤاد والأحشاء
وبقلبي مما بجسمك ضعف للذي تُشتكى من الأدوية^(١)
وبودي لو كنت عنك فداء بدلاً عند هجمة الضراء^(٢) »

وبعد وفاة إسماعيل بن عباد استمر ابن عبد البر في كنف ابنه أبي القاسم بن عباد
الذي يُعتبر مؤسس إمارة بني عباد^(٣) ، ويبدو أن ابن عبد البر قد أخذ على أبي
القاسم بن عباد بعض المآخذ^(٤) ، وقدم إليه النصيح فلم يستجب له أبو القاسم بن
عباد ، بل جفاه ولم يُقدّر فيه صلته بوالده القاضي إسماعيل ، فرأى ابن عبد البر
ذلك عقوقاً من أبي القاسم ، فترك العاصمة إشبيلية وتنقل بين مدن إشبيلية
الأخرى ، وقد نظم ابن عبد البر قصيدة يدل على استيائه من أبي القاسم وفي
مطلعها يُعنف ابن عبد البر زوجته التي يبدو أنها اعترضت على الترحال بعد
الاستقرار . فقال :^(٥)

وقائلة مالي أراك مُرحّلاً فقلت لها: صه واسمعي القول مجملاً
تَنكّر من كُنّا نُسرُّ بقربه وعاد زُعافاً بعد أن كان سَلَسلاً
وَحُقَّ لجارٍ لم يوافقَه جاره ولا لائمتُه الدَّارُ أن يَتَحَوَّلاً
إذا هانَ حُرٌّ عند قوم أتاها ولم يَنأ عنهم كان أعمى وأجهلاً

وانطلق ابن عبد البر يطوف في أرجاء كورة إشبيلية^(٥) وأقاليمها فسكن مدينتي

(١) بهجة المجالس : ابن عبد البر : ١ / ٣٩١ .

(٢) انظر : البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ١٩٥ ، ٣١٦ والحلة : ابن الأبار : ٢ / ٣٦ .

(٣) انظر البيان المغرب : ٣ / ١٩٦ والحلة : ابن الأبار : ٢ / ٣٧ .

(٤) بهجة المجالس : ١ / ٢٤٣ .

(٥) والكورة : مصطلح إداري بمعنى الإقليم وكان يتبع هذا الإقليم مدناً عدة تتفاوت بحسب سعته

قَبْتُور^(١)، وقبْطِيل^(٢)، التابعتين لإقليم الشرف^(٣)، وغيرهما من قُرى هذا الإقليم الذى كان يتكون من ثمانية آلاف قرية .

ولعلّه بعد أن ترك العاصمة إشبيلية بضجيجها مُتّجها إلى الأقاليم كان يعقد حلقات العلم أينما حَلَّ ، ويستدرك لنفسه كذلك ما فاتته بقاء العلماء الذين يجد عندهم ما فاتته ، فالتقى بإسماعيل القُرْشِي^(٤) (ت ٤٢١ هـ) . « وَكَتَبَ عَنْهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَدَرَسَ عَلَيْهِ ، وَاقْتَبَسَ مِمَّا لَدَيْهِ وَقَدْ ذَكَرَهُ فِي تَارِيخِ شَيْوَنِهِ »^(٥) ، وحدث عنه بكتاب « ألى إسحق بن شعبان (مختصر مالىس فى المختصر لابن عبد الحكم) (وبكتابه الأشربة) ، (وكتاب النساء)^(٦) ، ويبدو أنّه اتّجه إلى التأليف فى هذه الفترة لطول المدة^(٧) التى قضاها فى إشبيلية وأقاليمها التابعة لها أو أنه أعاد النظر فى بعض مؤلفاته مُستغلاً الاستقرار النسبى الذى أتاح له هذه الفرصة ، وليس لدينا من المعلومات ما يكشف لنا حركته خلال هذه الفترة حتى ظهر فى دانية فى العقد

انظر جغرافية الأندلس من كتاب المسالك والممالك ، للبكرى تحقيق د. عبد الرحمن : ١١٥ ، معجم البلدان : ياقوت الحموى : ١ / ٣٦ .

وخبر تنقله فى إقليم الشرف ومدنه لم ينقله لنا كتاب التراجم ولكن ابن عبد البر نقل لنا ذلك ضمن أبيات شعر يصف فيها مناخ هذه المدن وكثرة يعوضها الذى عانى منه الأمرين بشيء من السخرية ويبدأ القصيدة بقوله :
يعوض قَبْتُورَ والقَبْطِيلَ والشَّرِفَ قد أذنت بذهاب النفس والتلف
انظر بهجة المجالس : ٢ / ١٠٥ ط ١ .

(١) وهى من قُرى إقليم الشرف بإشبيلية البغدادي : مراصد ٣ / ١٠٦٢ ، والروض المعطار : ١٤٩ .
(٢) وهى من قُرى إقليم الشرف وادى طرطوشة الروض : الحميدى : ١٥٠ مراصد : ٣ / ١٠٦٢ .
(٣) والشرف جبل وسمى بذلك لأنه يُشرف على إشبيلية وطوله ٨٠ ميل وعرضه ١٢ ميل ويبعد عن إشبيلية ثلاثة أميال . جغرافية الأندلس : ١١٤ ، والروض : ١٠٩ ، ١٠١ .

(٤) جذوة الحميدى : ١٦٣ .

(٥) نفح الطيب : المقرئ : ٦٩ / ٣ .

(٦) جذوة : ١٦٣ .

(٧) والدليل على أنه مكث مدة طويلة فى إشبيلية وأقاليمها ، قوله :
بُلَيْتَ بَحْمَصَ والمُقَامَ بَيْلِدَةَ طويلاً لعمري مُخْلَقُ يُوْرثُ الْبَيْلَى
« انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٤٣ .

ونقل بأنه جال فى غرب الأندلس مدة « الجذوة : ١٦٨ . »

الرابع من القرن الخامس أى حوالى سنة (٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) .

الرحلة الثانية : من إشبيلية إلى دانية :

ولعلّه لما تناهى إلى سمع ابن عبد البر عن مجاهد العامرى من اهتمامه بالعلم والعلماء ، ودعوته لمشاهيرهم إلى إمارته ثوّجه إليه زاغبا في جواره مبتعدا عن تنكر له ، ولم يعرف له فضله ، ولا يرضى ذلك عالم حر ، وقد يكون مجاهد نفسه قد كتب إلى ابن عبد البر يستقدمه إلى دانية على عادته في دعوة العلماء إلى إمارته ، فحلّ ابن عبد البر دانية قبيل سنة (٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) أو بعدها بقليل بعد أن « جال في غرب الأندلس مدة »^(١).

والذى دعا إلى هذا التخمين ورود إشارة في ترجمة أحد تلاميذه بأنه قد سمع عن ابن عبد البر كتابه التّقصي بدانية سنة (٤٣٢ هـ)^(٢).

مكث ابن عبد البر في ظل مجاهد العامرى (ب ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م)^(٣) .
يلقى دروسه على الطلاب الذين يفدون إليه من شتى البقاع ففى « الأفق الدانى الذى ظهر علمه وعينه ملوكه خفّق علمه »^(٤) ، وكان مجاهد يحضّر مجالس ابن عبد البر ويسمع منه^(٥).

وكان يغلب على أهل دانية اهتمامهم بالقراءات وعلوم القرآن ، وكان مجاهد العامرى يشجع العلماء على التأليف فى هذا العلم ، ولما كان ابن عبد البر عالما فى القراءات وعلوم القرآن ، فيبدو أنه فى دانية ألف مؤلفاته^(٦) فى هذا العلم استجابة لطلابه ، أو بطلب مجاهد نفسه لأنه كان من البارعين فى هذا العلم ، « ولم يُشغله

(١) الصلة : ابن بشكوال : ٦٧٩ ، وانظر التذكرة : الذهبي : ٣ / ١١٣٠ .

(٢) التكملة : ابن الأبار : ٣٩٠ .

(٣) الجذوة : الحميدى : ٣٥٣ .

(٤) المغرب : ابن سعيد الأندلسى : ٢ / ٤٠٧ .

(٥) التكملة ابن الأبار : مخ : القسم الثالث .

(٦) الاكتفاء فيما فى قراءة نافع وأبى عمر بن العلاء والمدخل للقراءات وغيره .

في ذلك عظيم ما مارسه في الحروب براً وبحراً»^(١)، وكان كثير التولع بالمقرئين للكتاب العزيز»^(٢)، واستمر ابن عبد البر يؤلف ويراجع ما ألف ويصححه لاسيما التمهيد، وكان الطلاب يتسابقون على رواية كتبه ومما روى عنه بدانية (كتاب الاستيعاب)، (وأخبار القاضي المنذر بن سعيد)، وذلك سنة (٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م)^(٣)، وقد آنسه تقدير مجاهد للعلماء فاستمر بقاؤه في دانية مُشتغلاً بالتدريس، والتأليف حتى توفي مجاهد وخلفه ابنه عليّ الملقب بأقبال الدولة وذلك سنة (٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م)^(٤)، ولعل بعض تصرفات عليّ ابن مجاهد تجاه بعض العلماء مثل بن سيّده^(٥) (٤٨٥ هـ) تركت آثارها في ابن عبد البر الذي كان يعتز بكرامته وشخصيته، ويبدو كذلك أن عليّ لم يكن مثل والده «وأنه وإن سَخداً حذو أبيه في الإقبال على العلماء إلا أنه كان ذلك تطبعاً منه لا طبعاً»

الرحلة الثالثة : عوداً إلى الغرب

شعر ابن عبد البر بجفوة عليّ ابن مجاهد فلم تُهنأ نفسه ولم تستقرّ وهو الحرّ الأبى، فلما سمع بأن المظفر بن الأفطس (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م)^(٦) قد ولي الأمر في بطليوس بعد وفاة والده عبد الله بن مسلمة (ت ٤٣٧ هـ — ١٠٤٥ م)^(٨). ونمى إلى سمعه اهتمام المظفر بالعلم والعلماء

(١) البيان المغرب : ابن عذاري ٣ / ١٥٥ .

(٢) المغرب : ابن سعيد ٢ / ٤٠١ وانظر الأعمال : لسان الدين بن الخطيب ٢ / ٢١٨ .

(٣) الشكلمة : ابن الأتار ١ / ١٨٠ .

(٤) البيان المغرب : ابن عذاري ٣ / ١٦٥ وانظر أعمال الأعلام : لسان الدين ٢ / ٢٢١ .

(٥) عليّ بن أحمد بن سيّده « حادثة الحميدى : ٣١١ » وكان من أقران ابن عبد البر . وعالم اللغة المشهور في الأندلس .

(٦) المغرب : ابن سعيد ٢ / ٤٠١ .

(٧) الحلة السراء : ابن الأتار ٢ / ٩٧ وتعليق د. حسين مؤنس .

(٨) البيان المغرب : ابن عذاري ٣ / ٢٢٠ .

وانظر سير أعلام النبلاء : الدهي : مع دار الكتب : ٢ : ١ / ٥٦٤ .

لأن المظفر كان شاعراً أديباً ، وعالماً ليبياً ، وبطلاً شجاعاً ^(١) ، وفي إمارته « كانت أيام بنى الأفطس بغرب الأندلس أعياداً ومواسم ، وكانوا ملجأ لأهل الآداب تُخلدت فيهم ولهم قصائد شادت بمآثرهم ^(٢) » ، وكان المظفر عوضاً لابن عبد البر عن مجاهد الذى كان يماثله فى السمات والاهتمامات ، وكان ورود ابن عبد البر فى سنة (٤٣٧ هـ) أو بعدها بقليل ، فاستقبله المظفر أحسن استقبال وأكرم نُزلة بما يكافىء منزلته .

اهتم المظفر بمقدم ابن عبد البر الذى كان يتبارى الأمراء على كسب وُدّه ودعوته إلى القدوم إليهم لجلالة فضله ، وعظيم مكانته التى فاحَ نفحُها فى ربوع الجزيرة الأندلسية ، فعقدَ له المظفر مجلساً يحضره كبار رجال دولته ، وكانت السُمة الأدبية والتاريخية هى التى تغلب على ما يدور فى هذا المجلس لشغف المظفر بهذا اللون من الثقافة ^(٣) ، حتى أنه ألف كتاباً سماه المظفرى « ألفه بخاصة نفسه ، ولم يستعن فيه بأحد من العلماء إلا بكتابه أبى عثمان سعيد بن خيرة ، واحتوى هذا الكتاب على الأخبار والسير » ^(٤) . ثم إن هذه الاهتمامات المظفرية والأجواء الأدبية شحذت همّة ابن عبد البر فكان يؤنس مجالسيه بما يلقيه عليهم من نوادر الأخبار والأشعار والحكم ، ثم جمع ذلك فى كتابه « بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس » ، وأهداه إلى المظفر .

ونال ابن عبد البر ثقة المظفر بغزير علمه ، ودقيق فقهه ، وجميل أدبه فولاه قضاء مدينتى الأشبونة وشنترين ، فكانت هذه الوظيفة شحذاً للعقلية القضائية لابن عبد البر ^(٥) .

ثم إن الصراع قد انفجر بين مملكة بطليوس وإشبيلية ، ووالى المعتضد بن

(١) البيان : ابن عذارى : ٣ / ٢٣٦ .

(٢) المعجب : المراكش : ٤٩ .

(٣) انظر : نفع الطيب : المرقى : ٣ / ٣٨٠ .

(٤) البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ٢٣٦ أعمال : ابن الخطيب : ٢ / ١٨٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء : الذهبي : مخ دار الكتب ٢ : ١١ / ١٨٣ .

عباد حرب ابن الأفطس في شهور سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، واستولى على عدة حصون ، وخرّب كثيراً من الأراضي الزراعية مما أدى إلى وقوع مجاعة في مملكة بنى الأفطس ، ومع هذا فإن المظفر بن الأفطس لم يستطع أن يردّ المعتضد شبراً واحداً حتى تدخّل ابن جهور للصلح بينهما ، فوفق إلى ذلك في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة^(١) .

وفي خضم هذا الصراع الذي فُني فيه كثير من الناس بدر تصرّف غريب من قبل المظفر أضعف مكانته بين وجهاء الأندلسيين وقوبل بامتعاض شديد وهذا التصرف هو إرساله إلى قرطبة رسوياً « يلتبس شراء وصائف مُلهيات يأنس بهنّ نافياً بذلك السُمّانة عن نفسه ، ولم تكن له عادة بمثله ... فوجد له صبيّتين مُلهيتين عند بعض التجار لاطائل فيهما فاشترهما^(٢) » .

« ومضى أولو النّهي يعجبون مما شَهر به نفسه من البطالة أيام الحروب المُحرّمة لإظهار النساء على فحول الرجال العاقدة الأزرّة على ما كان يدعيه لنفسه من الأدب والمعرفة^(٣) » .

وقد تتبّع ابن حيان الأمر فوجده محض مُعاندٍ للمعتضد ليس أكثر^(٤) ويبدو أن هذا التصرف من المظفر لم يُرض ابن عبد البر مما زهده كذلك بالمظفر فشدّ رحاله عائداً إلى شرق الأندلس مرة أخرى وهذه المرة إلى مدينة بلنسية في ظلّ عبد العزيز بن أبي عامر (٣٩٧ — ٤٥٢ هـ = ١٠٠٥ — ١٠٦٠ م) .^(٥)

(١) البيان المغرب : ابن عذاري : ٣ / ٢١٠ — ٢١٣ ، ٢٤٢

وانظر أعمال الأعلام : ابن الخطيب ٢ / ١٥٦ ، ١٨٤ — والتاريخ : ابن خلدون : ٤ / ١٥٦ ،

١٦٠ .

وانظر دول الطوائف : عنان : ٤١ — ٤٢ ، ٨٥ ، الذخيرة : ابن بسام ٢ / ١ : ٢٤ .

(٢،٣،٤) البيان المغرب : ابن عذاري ٣ / ٢١٢ ، وانظر الذخيرة : ابن بسام : ١ / ١ : ٣٦١ — ٣٦٥ .

(٥) البيان المغرب : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .

الرحلة الرابعة : من بَطْلْيُوس إلى مُرُوج بَلَنْسِيَّة :

عاد ابن عبد البر إلى شرق الأندلس ثانية ولما كان قد نرك دانية لأسباب ذكرناها فلم يعد إليها هذه المرة وإنما توجه إلى بلنسية وكانت تحت إمرة عبد العزيز بن أبي عامر ، ورُبَّما يكون ابن عبد البر قد وصلها قبيل سنة (٤٤٤ هـ - ١٠٥٢ م) أو بعدها بقليل ، والذي يُستَوَغ هذا ماورد من أخبار بأن بعض تلاميذه رووا عنه بعض كتبه بعد هذا التاريخ فقد روى عنه عبد الله بن أحمد بن مَيْمُون سنة (٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م)^(١) ، ومحمد بن عبد الله بن سعيد المأموني سنة (٤٤٧ هـ = ١٠٥٢ م)^(٢) ، ثم إن ابن عبد البر كان في سنة (٤٤٩ هـ - ١٠٥٧ م) يتردد ما بين بلنسية وشاطبة يغشاه فيهما طلبة العلم^(٣) .

الرحلة الخامسة : نهاية المطاف في شاطبة :

كان ابن عبد البر يَنَعُم بالهدوء والرعاية في ظل عبد العزيز بن أبي عامر أمير بلنسية الذي كان يحترم العلماء ويقربهم إليه ، وعندما وافت المنية عبد العزيز ولى الأمر بعده عبد الملك^(٤) ابنه الذي كان قد اختاره والده وليا لعهد ، ولكن عبد الملك لم يكن أهلا لهذا الأمر لسوء أخلاقه ، فقد وُصف بأنه كان « منهمكا في الشراب ضارباً عن الخصال المحمودة مع رقة الديانة ، ونقص المروءة ، وكثرة الاستهمال والانحطاط في مهاوى اللذات لا يصغ لوعظ واعظ ولا يقبل لتصح ناصح »^(٥) ، فلعل هذا كان أحد العوامل التي جعلت ابن عبد البر يُغادر بلنسية إلى

(١) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٩٢٩ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٤٠٦ .

(٣) انظر : اعتاب الكتاب : ابن الأبار : ٢٢٠ .

وانظر الصلة : ابن مشكوال : ٢٨٨ ، ٣٤٦ ، ٦١٠ وانظر المهرسة : ابن حجر : ٧٧ ، ٨٨ ، وانظر التكملة : ابن الأبار : ١ / ١٤٠ ، ٢٩٨ ، ٣٩٨ ، ٤١٠ ، ٤٠٣ ، ٢ / ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٨٠٨ ، ٩٢٩ .

(٤) تولي الإمارة صبيا بعد والده سنة ٤٥٢ هـ « انظر ابن عذاري : البيان : ٣ / ٣٠٣ » وانظر محمد عبد الله عنان : دول الطوائف : ٢٢٣ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب : ٣ / ٣٠٣ .

ولعل ابن عبد البر كان يقصده بالذم في أبيات من الشعر أولها :
واصلت في شرب الشمول سفاهة حتى غدوت كأن أنفك دُمْل

شاطبة^(١) ليستقر فيها ، واتخذ فيها منزلاً كان مثابة لطلاب العلم يقصدونه لتلقى العلم ، وكانت له في شاطبة بستان أطلق عليها اسمه بعد ذلك ، وكان يرتادها وطلابه على عادة علماء الأندلس في الترفيه عن أنفسهم وطلابهم في التنزه في فترات متفاوتة للاستجمام ليقبلوا بعد ذلك بصفاء فكر على طلب العلم . وقد تلقى عنه في شاطبة كثير من العلماء المشاهير^(٢) .

واستمر ابن عبد البر في شاطبة ولم يخرج منها إلى أن وافته المنية في يوم الجمعة لصلاة العصر آخر يوم من شهر ربيع الآخر ، وقد أفنى من عمره خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام ، ودفن في اليوم نفسه وبذلك ودّعت الأندلس بل العالم الإسلامي علماً من الأعلام الأفاضل الذي يُعدّ مدرسة بذاته .



انظر بهجة المجالس : ١ / ٥٢٥ .

(١) غادر بلسية بعد ربيع الآخر سنة ٤٥٣ هـ على ما أورده ابن خير الإشبيلي في الفهرسة : ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ٢١٥ ، إلخ .

(٢) ومن هؤلاء الذين روا عن ابن عبد البر في شاطبة :

— أبو علي الفسائي في ٣٥٤ هـ (انظر الفهرسة : ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٩) .

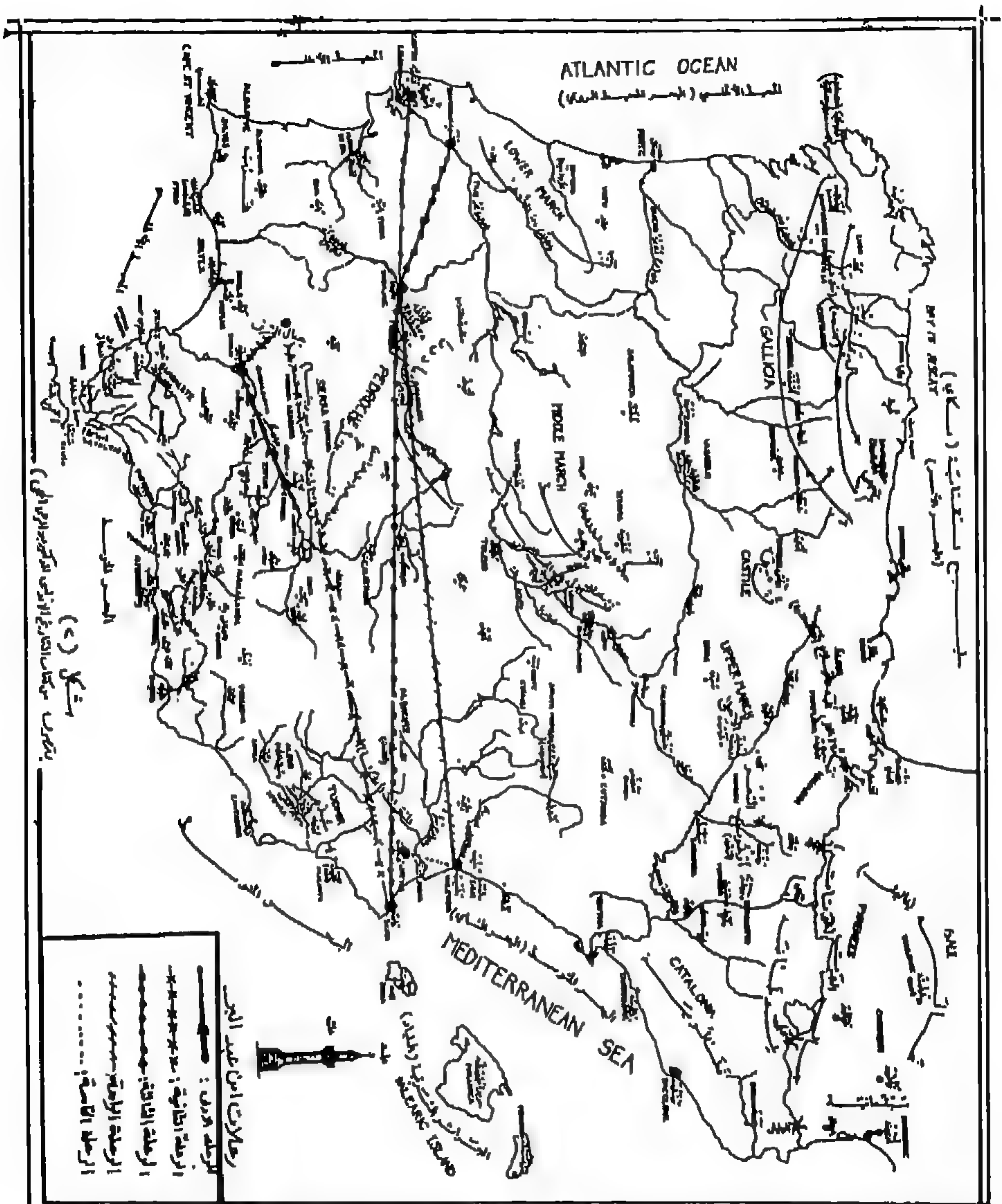
— عبد العزيز بن ثابت بن سليمان في ٤٥٣ هـ (انظر الحلل : شكيب أرسلان ٣ / ٢٨٠)

ثم أحاز له ولابنه عبد الرحمن بن عبد العزيز مرة أخرى في ٤٦٠ هـ .

— عبد الرحمن بن عبد الله في ٤٥٦ هـ (انظر الحلل السندسية : ٣ / ١٩٥)

— مروان بن محمد بن عبد العزيز التجيبي وابناه أحمد وعبد الله في سنة ٤٦٠ هـ (انظر الحلل السندسية :

٣ / ١٨٧ — ١٨٨) وغيرهم كثير .



المبحث الثانى

ثقافة ابن عبد البر ومكانته

إن المرحلة التاريخية التى نشأ فيها بن عبد البر كانت من أخصب الفترات التى انتعشت فيها الثقافة الإسلامية بكل جوانبها ، وعاش عصرها الذهبى فى الأندلس ، وهما القرنان الرابع والخامس ، وكانت تعتبر مرحلة العطاء فى الحضارة الإسلامية فى الأندلس .

الروافد العامة للثقافة الأندلسية :

كانت روافد الثقافة فى هذا العصر متعددة منها : المساجد ، وهى حلقتها ، ومجالس الخلفاء والأمراء التى كانت تعقد فيها الندوات العلمية المختلفة تتدارس فيها علوم الشريعة ، والأدب ، والتاريخ كمجالس الناصر والمستنصر وابن أبى عامر ، وملوك الطوائف كمجاهد العامرى ، والمظفر بن الأفطس وبنى عباد وغيرهم كما مر تفصيل ذلك .

وكذلك الرحلة إلى المشرق ، التى كانت تعتبر الرافد الغنى الذى كان يُثرى الحركة العلمية فى الأندلس كما بينا ذلك .

فكان الأندلسيون ينقلون الكتب فى مختلف العلوم إلى الأندلس فتتلقى بالاهتمام والفخر والاعتزاز ، ويتسابق طُلاب العلم على كافة المستويات فى قراءتها أو نسخها عنهم .

ولانسى أفواج القادمين إلى الأندلس من العلماء على اختلاف تخصصاتهم ، وأثرهم المباشر على الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، فهؤلاء القادمون من الفقهاء والشعراء والأدباء وغيرهم ساهموا فى دفع عجلة الحركة العلمية فى الأندلس^(١) .

روافد ثقافة ابن عبد البر :

هذه هى المؤسسات الثقافية وروافدها التى تلقى فيها ابن عبد البر ثقافته الموسوعية والتى كانت مضرب المثل .

(١) انظر الجذوة : ٣٦٧ ، وانظر الذهبى : سير أعلام النبلاء قسم ٢ : ١١ / ١٨٣ .

فالمسجد — وحلقات العلم — ومجالس الخلفاء — ولقاؤه بالمشاركة القادمين إلى الأندلس وأخذه عنهم — وأخذه عن الأندلسيين الراحلين إلى المشرق عند رجوعهم بأحمال من المعارف المختلفة في كل جوانب الحياة . كُلُّ هذا جعل ابن عبد البر فارس ميدان في تحرّى الاستزادة من العلم والحرص على اقتناء المصادر المختلفة . ولعل الرحلة التي كان يعتبرها أهل الأندلس مؤهلاً مهماً للعالم كان ينقص ابن عبد البر وآخرين من أقرانه ومشايخه ، ولكنهم استطاعوا التعويض عنها بالروافد الأخرى بجد واجتهاد . ثم إنّ المقصود بالرحلة كما يقول العراقي في فتح المغيث : (١)

« أمران : أحدهما تحصيل علو الإسناد وقدم السماع » .

والثاني : لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم فإذا كان الأمران موجودين في بلد الطالب ، ومعدومين في غيره فلا فائدة في الرحلة ، فلاقتصار على ما في البلد أولى^(١) ، وقد اكتفى ابن عبد البر بما كان في بلده في الحفاظ الذين علا سندهم وبأن فضلهم ، واستدرك كذلك بمكاتبة كبار علماء الأمصار فأجازوه مروياتهم ومؤلفاتهم أمثال : أبي محمد النحاس ، وعبد الغنى بن سعيد بمصر وأبي ذر الهروي بمكة ، وأبي نصر الداودي بالقيروان وغيرهم من جهابذة العلماء .

ميزات ثقافة ابن عبد البر وجوانبها :

تميزت ثقافة ابن عبد البر بأنها موسوعية ، وهي إن كانت صفة لاينفرد بها ، لأنها ديدن العلماء المسلمين ، ولكنه استطاع أن يُتقن علوم عصره ، ويرع فيها كأحسن ما يكون المتخصص ، « فسارت بكتبه الركبان » « وكانت تيجاناً على رؤوس العلماء »^(٢) وبقي ذكره على كل لسان مع أن هناك من مشايخه لا يذكره الناس إلا لما مع تقدمه وذلك الفضل لله يُوتيهِ من يشاء .

(١) انظر فتح المغيث : ٢ / ٨٦ .

(٢) انظر مطمح الأنفس : ٦٣ .

ولو ألقينا نظرة إلى كُتب الفهارس الأندلسية ، وخاصة فهرسة ابن خير والقاضي عياض ، وابن عطية لوجدنا اسم ابن عبد البر يتكرر كثيرا في ثناياها تروى عنه الكتب المختلفة ، وتُعتبر الكتب التي نقلت أو رويت عن طريقه من أوثق الكتب والروايات ، وأغلب هذه الكتب في الدراسات الإسلامية عموما ، وهي تمثل الجانب الأساسي من ثقافة ابن عبد البر . كما أن هناك مؤلفات له لم يُشير إليها ابن خير وإنما وردت متناثرة في كُتب التراجم مثل : الجذوة ، والصلة وغيرها من كتب التراجم الأندلسية .

وقد أُلقيت نظرة فاحصة على قائمة الكتب التي رواها عن شيوخه في العلوم المختلفة من خلال فهرسة ابن خير فإذا بها تكون مكتبة ضخمة تحوى جوانب العلوم الإسلامية المختلفة .

وكان ابن عبد البر يتحرى أن يروى الكتاب بأكثر من طريق ، ويحدث به عن أكثر من شيخ^(١) ، كاهتمامه برواية (سُنن أبي داود) التي تعتبر روايته له من الأسانيد العالية^(٢) .

وكرواية « جامع سفيان الكبير في الفقه والاختلاف »^(٣) ، وكتاب « إسحق بن إسماعيل في أحكام القرآن »^(٤) .

ويذكر سنة التحديث^(٥) ، ويروى الكتاب بطرق الرواية المختلفة عند المحدثين ، فمرة يذكر تلقّيه للكتاب بصيغة القراءة^(٦) ، ومرة بالإجازة^(٧) ، وأخرى بالمكاتبة^(٨) ، أو بالمناولة^(٩) ، وأحيانا يجمع بين القراءة والمناولة لكثرة الأجزاء ،

(١) فهرسة ابن خير : ١٥٨ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٨ .

(٢) نفس المصدر : ٤٥ ، ٥١ .

(٣) فهرسة ابن خير : ١٣٦ .

(٤) نفس المصدر : ٢١٦ ، ٢٧٩ .

(٥) نفس المصدر : ٢١٧ ، ٢٨٠ .

(٦) نفس المصدر : ٧٧ ، ٢٧٩ .

(٧) نفس المصدر : ٦١ ، ٨٧ ، ١٤٠ .

(٨) نفس المصدر : ٤٤ ، ٢١٧ ، ٣٤١ .

(٩) نفس المصدر : ١٣٩ .

فيقرأ بعض الأجزاء ويناوله الكتاب جميعه ، وكما في « مسند ابن أبي ناجية »
فهو في مائة وثلاثين جزءا . قرأ اثنين منه وناوله الباقي (١)

وكان يروى بعض المصنفات عن بعض الشيوخ المشهورين فإن لم تكن كاملة
فيكملها بالرواية عن شيخ آخر كما في « مصنف سعيد بن منصور البلخي » رواه
عن أبي محمد عبد الله بن أسد الجهني ناقصاً ، ثم رواه عن أبي محمد عبد الله بن
محمد بن عبد المؤمن^(٢) وكذا مسند أبي بكر بن أبي شيبة^(٣)

وفضلاً عن العلوم الأساسية التي برع فيها ابن عبد البر علوم الكتاب والسنة
واللغة وآدابها والتأريخ الذي هو سجل الأمة ، فإنه قد أضاف إلى هذه العلوم
علوم أخرى رأى أنه يجمل بالعالم أن يأخذ قسطاً منها وجعلها من الضروري ، من
ذلك علم الجغرافيا فقال :

« ومن الضرورة أيضا علّم الناس أن في الدنيا مكة والهند ومصر
والصين »^(٤) ولم يكتف بهذا بل أضاف أنه من المطلوب كذلك معرفة علم
الجغرافية البشرية وعلم الأجناس بقوله « وبلدانا عرفوها وأما قد خلت »^(٥)
وكتابه « القصد والأمم »^(٦) دليل على ما ذهب إليه فتكلم فيه عن الأمم
وأجناسها وأمكناتها وما عرفت به من العلوم والصناعات .

وقد أشار ابن عبد البر إلى ضرورة الترجمة كعلم مُكَمَّل يفتح للعالم باباً إلى
علوم الأمم الأخرى لم يكن ليلجهُ لولا الترجمة فقال : « والعلم عند غير أهل
اللسان العربي فيما ذكروا يجوز أن يترجم باللسان العربي ويترجم معرفة ، ويترجم
فهماً »^(٧) .

(١) نفس المصدر : ١٤٢ .

(٢) نفس المصدر : ١٣٥ .

(٣) نفس المصدر : ١٣٧ .

(٤) (٤ ، ٥ ، ٧ ،) جامع بيان العلم : ٢٨٧ .

(٦) سمعنا بهذا الكتاب في الباب الثاني .

وقد حثَّ على تعلُّم الطب ، والحساب ، والهندسة ، والتنجيم وبين فوائد هذه العلوم للأمة وأنها تأتي بالمرتبة الثانية بعد علوم الشريعة .

والطب عنده علمٌ واسع يشمل علوما قد تميزت في زماننا هذا واختصت بها علوم أخرى يقول :

« وأما الطب فَلِفَهِم طبائع نبات الأرض وشجرها ، ومياهها ، ومعادنها ، وجواهرها وطعومها وروائحها ، ومعرفة العناصر والأركان وخواص الحيوان ، وطبائع الأبدان والغرائز والأعضاء ، والآفات العارضة وطبائع الأزمان والبلدان ، ومنافع الحركة والسكون ، وضروب المداواة والرفق والسياسة »^(١)

وقد درس ابن عبد البر الطب فكان له معرفة بالأمراض والأدوية ، وله أبيات شعرية يُقدِّم فيها نصيحة طبية لإسماعيل بن عباد قاضي إشبيلية منها :^(٢)

واقبل النَّصحَ سيدى واسمَعْ القَو ل فإني أحكى عن الحكماء
لايدأوى الأسهال بالاحتساء لا وبالأوراق والباقيـلاء

ومما يدل على ثقافته الطبية أنه قدم لنا وصفا لمرض الطاعون فقال :
الطاعون غدة تخرُجُ في المَراق والآباط وقد تخرج في الأيدي والأصابع وحيث شاء الله »

وأما عن علم الحساب فيقول :

« فالصحيح عندهم منه ، معرفة العدد والضرب والقسمة والتسمية وإخراج الجذور ومعرفة حمل الأعداد ... والحساب علم لا يكاد يستغنى عنه ذو علم من العلوم^(٤) » هذا مما يدل على أن ابن عبد البر برع فيه كذلك ومن المعلوم أن علم

(١) جامع بيان العلم : ٢٩٠ .

(٢) بهجة المجالس : ١ / ٣٩١ .

(٣) العدوى بين الطب وحديث المصطفى : د. محمد علي البار : ١٥ .

(٤) جامع بيان العلم : ٢٨٨ .

الفرائض ميدان تطبيقى بالنسبة للحساب فضلا عن الاستعمالات المهمة الأخرى .

« والهندسة تختص بمعرفة معنى الخط والدائرة ، والنقطة ، وإخراج الأشكال بعضها من بعض وماشاكل ذلك »^(١) .

ولم يكتف ابن عبد البر بهذه العلوم وإنما أفاض فى بيان ما لعلم التنجيم (الفلك) من أهمية للأمم وفرق بينه وبين التنجيم المنهى عنه فقال :

« وأما التنجيم فثمرته وفائده عند جميع أهل الأديان جربة الفلك ومسير الدارارى ، ومطالع البروج ، ومعرفة ساعات الليل والنهار ، وقوس الليل من قوس النهار فى كل بلد وفى كل يوم . وبعد كل بلد عن خط الاستواء .

ومن المنجر الشمالى ، والأفق الشرق والغرب ، ومولد الهلال وظهوره ، واطلاع الكواكب للأنواء وغيرها ، ومشيتها واستقامتها ، وأخذها فى الطول والعرض ، وكسوف الشمس والقمر ووقته ومقداره فى كل بلد ، ومعنى سبب الشمس والقمر وسبب الكواكب »^(٢)

ولكن بعض أهل العلم قال : « والمتخرفون بالنجامة كالمختصين بالعيافة والزجر ، وخطوط الكف ، والنظر فى الكف ، وفى مواضع قرض الفأر ، وفى الخيلان ، والعلاج بالفكر ، ومليك الجن ، وماشاكل ذلك ما لاتقبله العقول ، ولايقوم عليه برهان ، ولايصح من ذلك كله بشيء »^(٣) .

ويعترض ابن عبد البر على أهل زمانه ممن يدعى أن علم الفلك مرفوض بحجة أن بعض المشعوذين . العلم بالنجوم والأبراج ، وادعاء علم الغيب من خلال هذا العلم . فادعاء هؤلاء لايسوغ ترك الاستفادة من هذا العلم المهم فى حياة الناس .

ثم إنه يستدل للحث على الأخذ بعلم الفلك بقول عمر رضى الله عنه « تعلموا

(١) ، ٢ (جامع بيان العلم : ٢٨٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢٨٩ .

وهذه كلها من أعمال الشعوذة التى تشيع فى المجتمعات وهى من الأمور المنهى عنها فى الشرع ولايستسيغها عاقل .

من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا »
تبين لنا مما قدّمه ابن عبد البر أنه كان نموذجاً للعالم المسلم الذي لا يفوته أن يغترف من ينابيع المعرفة ، ولا يغفل الانتقاء من الإنتاج الحضارى للأمم الأخرى لما يستقيم مع عقيدته . فتراه يدعو بشدة للأخذ بعلوم الطب ، والهندسة ، والحساب . ويُرغّب في الاستفادة من علم التاريخ ، والمنطق ، والترجمة ، والأدب المن أراد أن يُكوّن لنفسه ثقافة واسعة . إضافة إلى تخصصاته الأخرى .

وقد أخذ هو بهذا المنهج الذى نراه مبثوثاً في عموم كتبه مما يشهد له بعلو المرتبة والمكانة

★ ★ ★

أماكن دراسة ابن عبد البر :

ومن أماكن دراسة ابن عبد البر التى كان يرتادها طلباً للأئمة من الشيوخ المساجد ، والبيوت حتى ولو بعدت عنه ، لأن قرطبة كانت قد توسعت ونشأت حولها مدن جديدة وكل مدينة من هذه المدن تقسم إلى أحياء يسمى الواحد منها رِيس^(١)

ولهذا السبب كان العلماء يتوزعون في السُكنى بين قرطبة وهذه الأرياض . وكان طلبة العلم يدورون وراء العلم حيث دار . وكان ابن عبد البر يتنقل كما يتنقل غيره بين العلماء في مساجدهم ، أو دورهم ، أو دكاكينهم .

والأماكن التى قصدتها ابن عبد البر للتلقى عن العلماء : هى :

١ — مسجد مهران بمَحَجَّة فَخْلُون بقرطبة .

أخذ فيه عن محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٣٩٠ هـ) وهو من أحفاد موسى بن نصير ، وكان كثير الرواية ولم يكن في عصره أحد أكثر منه دواويناً جمع فيها العلم

(١) انظر قرطبة في العصر الإسلامى : د. أحمد فكرى : ١٦٩ .

الذى نقله عن شيوخه^(١) .

٢ — مسجد عيسى بن سعيد بن سعدان (٣٩٠ هـ)

أخذ عنه ابن عبد البر علم القراءات وكان يُقرء بمسجده . وكان أطيّب الناس صوتاً^(٢) .

٣ — مسجد سُريج .

تلمذ ابن عبد البر فيه على أحمد بن قاسم التّاهرتي (ت ٣٩٥ هـ) وكان يسكن في منطقة مسجد مسرور وكان شيخاً صالحاً زاهداً^(٣) . قال ابن عبد البر :
لقيته وسمعت منه كثيراً^(٤) من ذلك^(٥) : كتاب « أحاديث خراش » في علم الحديث ، وكتاب « المختصر الأوسط » في الفقه لعبد الله بن عبد الحكم « وطبقات بن سعد » في التاريخ ، « وصریح السنة » ، « وفضائل الجهاد » للطّبري .
(٦)

٤ — مسجد ابن طوريل بالجانب الغربي :

وكان أحمد بن عبد الله بن شريعة اللّخمي الباجي (ت ٣٩٦ هـ) يدرس فيه ووصفه ابن عبد البر وصفاً يدل على تقدّم أي عمر الباجي بالعلم وقد مضى تفصيل الكلام عنه عند التعريف بشيوخه .

وقد روى عنه ابن عبد البر « غريب الحديث » لأبي عبيد ، وابن قتيبة وكان يحفظهما حفظاً حسناً ، وكان يدرس علم الحديث ، والفقه ، والعقائد ،

(١) انظر الصلة : ٤٩٩ ، ومحنة فحلود تعني : شارع أو سكة فحلود ، انظر : قرطبة في العصر الإسلامي ١٧٧ ، ١٨٦ .

(٢) انظر الجذوة : ٢٩٨ ، طبقات القراء لابن الجزري : ١ / ٦٠٨ .

(٣) انظر : الجذوة : ١٤١ والصلة : ٨٤ — ٨٥ طبقات القراء : ابن الجزري : ١ / ٨٧ .

(٤) انظر الجذوة : ١٤٢ .

(٥) انظر نفس المصادر : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٩٨ .

(٦) وهي المدينة التي بنيت في غرب قرطبة . انظر قرطبة في العصر الإسلامي : ١٧٢ .

والرجال^(١). وروى عنه كذلك « كتاب رجال الموطأ لابن مزين »^(٢)، « مسند بقي بن مخلد » « والتجريح والتعديل لأصحاب الحديث »^(٣) وغيرها .

٥ - مسجد مكرم بغدير ثعلبة :

وكان الذى يدرس فيه ويصلى بالناس عبد الرحمن بن يحيى بن محمد أبو زيد العطار (ت ٣٩٦ هـ) كان يسكن بمنطقة غير منطقة المسجد واسمها غدير ثعلبة ويبدو أنه من العُدران التى تُحيط بقرطبة^(٤)

وقد روى عنه ابن عبد البر^(٥) : كتاب « جامع بن وهب » فى الحديث وروى عنه فى التاريخ: « تاريخ يحيى بن معين » ، « وتاريخ أبى بكر البغدادى » .

٦ - بلاط مُغيث بالجانب الغربى :

وهذا أحد أرباض المدينة الغربىة المعروفة بالجانب الغربى^(٦) . وكان يسكن فيه أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الجسور (ت ٤٠١ هـ) وكان يدرس فى منزله فكان ابن عبد البر يقصده للتعلم منه . فقد كان بارعاً بالحديث والفقه وعلم الرجال^(٧). روى عنه ابن عبد البر : « ذيل المُذيل » للطبرى فى التاريخ « ورسالة التبصير إلى أهل طبرستان » و« فضل الجهاد » للطبرى .

٧ - مسجد أبى عُبيدة :

وهذا المسجد من مساجد قرطبة ، وكان أحمد بن فتح المَعافِرى التاجر (ت ٤٠٣ هـ) المعروف بابن الرّسان يعقّد حَلَقَتَه العلمية فيه مع أنه كان يسكن

(١) انظر الجذوة : ١٢٨ .

(٢) نفس المصدر : ٩٣ .

(٣) فهرسة ابن خير : ١٤١ .

(٤) انظر الجذوة : ٢٧٩ — ٢٨٠ والغدير : القطعة من الماء يتركها السيل . اللسان : ٣ / ٣٢١٦ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٢٢٩ .

(٦) انظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٧٢ .

(٧) انظر الصلة : ٢٣ — ٢٤ .

(٨) انظر الجذوة : ١٠٧ / ١٤٠ .

فى الجانب الغربى خارج قرطبة ، بحوانيت الريحانى ، فكان ابن عبد البر يقصده إلى مسجده الذى يصلى فيه . ولعله كان يذهب إلى منزله أحيانا ، على عادة علماء قرطبة .^(١)

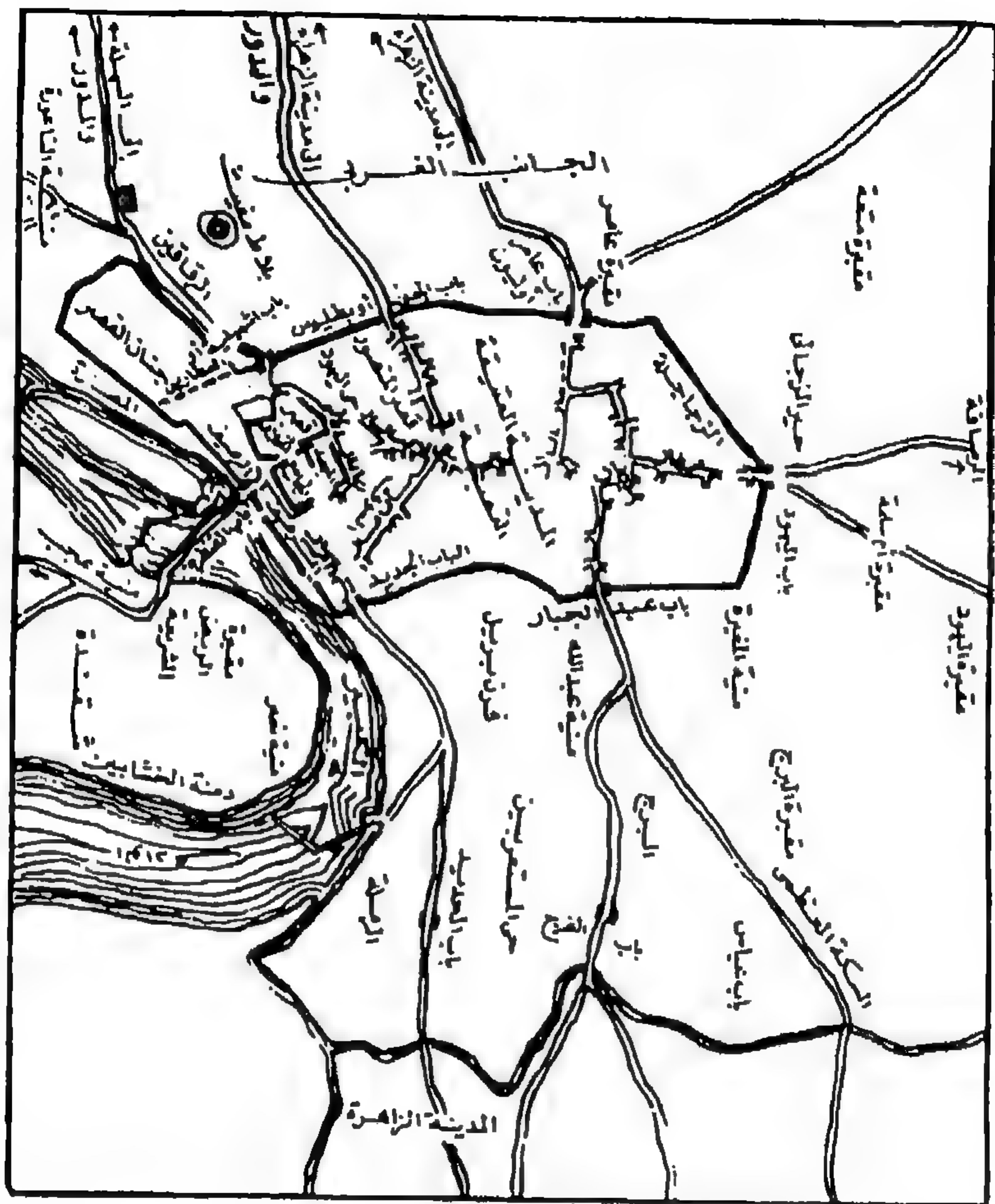
وكان من أهل الرحلة إلى المشرق فحج إلى مكة مارا بمصر فروى عن شيوخ البلدين . وهو رجل صالح على هدى وسنة . وكان مُختصاً بالفرائض ، وألف فيها كتابا حسنا .

وكان من شيوخ ابن عبد البر فى التاريخ روى عنه كتاب « الدار » و« مقتل عثمان » لعمر بن شبة^(٢) .



(١) انظر الصلة : ٢٦ .

(٢) انظر الجذوة : ١٤١ .



مخطط تقريبي لمدينة قريظة في القرن العاشر الميلادي
 "الربيع الهجري"
 شكل (٢)

نقلت عن كتاب طوق الحمامة لابن حزم
 تحقيق الدكتور طاهر مكي

جوانب أخرى من ثقافته : (١)

إن ابن عبد البر فضلا عن أنه قد برع في العلوم الشرعية . فإنه كان مشغوقا بالأدب عموما شعره ونثره ، وكان هذا سمت الأندلسيين . وظاهرة بارزة في المجتمع الأندلسي ، فحتى من لم يقرض الشعر بديهة فإنه ينظمه صناعة .

وقد أدلى ابن عبد البر بدلوه في هذا المجال فألف كتابه بهجة المجالس الذي نال به شهرة واسعة لضخامة الكتاب وقيمة مادته حيث جمع كثيرا من شعر الأندلسيين وغيرهم فضلا عن حسن التبويب ونظافة العبارة ورقتها فلم يخض فيما هو جارج وقد بينا ذلك عند التعريف بالكتاب في مؤلفاته .

وكانت لابن عبد البر نظرات نقدية في الشعر تدل على حس مرهف وذوق عال وفحص دقيق^(١) .

وقد نظم ابن عبد البر قصائد ومقطوعات في أغراض متعددة^(٢) . أوردنا مقتطفات منها في ثنايا البحث .

مكانة ابن عبد البر وثناء العلماء عليه :

لقد نال ابن عبد البر الاحترام الوفير من أهل عصره من الأمة وعلمائها وحكامها ، فقد تسابق الجميع إلى أن ينهلوا من ثقافته الواسعة ويتعلمون من خلال مجالسه العلمية .

(١) انظر بهجة المجالس : ١ / ٣٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر جامع بيان العلم : ٦٩ ، ١٢٠ ، ١٩١ — ١٩٢ ، ٢٩٢ ، ٥٣٢ .

وانظر بهجة المجالس : ١ / ١٦٥ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٥٢٥ ، ٢ / ١٠٤ — ١٠٥ .

وانظر نفع الطيب : ١ / ٥٥ ، ٣ / ٢٣٥ — ٢٣٦ ، ٤ / ٢٨ — ٢٩ ، ٣٢٧ .

وانظر الديباج المذهب : ٢ / ٤٠٨ .

ومخطوط روض الأنس : ١٢ مغرب أولى / مكتبات خاصة .

وقد جعله الدكتور منجد مصطفى بهجت أحد الفقهاء الأندلسيين الذين درس شعرهم في رسالته للدكتوراه (الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي) المقدمة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر (١٠٤١ هـ — ١٩٨١ م)

(١)
وقد فخر ابن عبد البر بذلك في قوله :

إذا فاخرت فافخر بالعلوم ودع ما كان من عظم رميم
فكم أمسيث مطرحاً بجهل وعلمى حل بي بين النجوم
وكم من وزير سار نحوى فلا آمنى ملازمة الغريم
وكم أقبلت متبداً مهابة فقام إلى من ملك عظيم
وركب سار من شرق وغرب بذكرى مثل عرف في نسيم

فكان العلماء يتسابقون للرحلة إليه للسمع عنه ، فهذا أحد طلابه أبو علي
الجيانى يرحل إليه من جيان إلى بلنسية ثم إلى شاطبة ويسمع على ابن عبد البر في منزله
وذلك سنة (٤٥٣ هـ)^(٢) .

وكذلك أحمد بن محمد بن رزق الأموى (٤٧٧ هـ) الذى كان مدار طلبة
الفقه في قرطبة في المناظرة والمدارس كان ممن رحل إلى ابن عبد البر فسمع منه^(٣) .

ولم يكن مقصد طلبة العلم فقط بل قصده الأمراء فمجاهد العامرى أمير
دانية ، كان يسمع عليه في مجالسه العلمية . وينال ابن عبد البر منه كل تقدير
واحترام^(٤) .

ثم إن المعتضد قد وجه إليه رسالة بخط ابنه عبد الله الذى كان يشغل منصب
الوزارة عنده يقول له فيها^(٥) :

« إن كنا لم نتعارف ترائياً ، ولم نتلاق تدانياً ، ففضلك في كل قطر
كالمشاهد ، وشخصك في كل نفس غير متباعد ، فأنت واحد عصرك ، وقريع

(١) المغرب : لابن سعد الأندلسي : ٢ / ٤٠٨ . لعله ينصح انه الذى كان يرى نيل المنزلة بالتقرب إلى الأمراء
والحكام .

(٢) انظر فهرسة ابن حجر : ٨١ ، ٨٥ ، ١٠٩ .

(٣) انظر الصلة ٦٥٠ .

(٤) انظر التكملة ، القسم الثالث مخطوط

(٥) الذخيرة : ٣ : ١ / ٢٣٤ طبعة إحسان عباس .

دهرك ، عَلَمًا بيدك لواءه . وَكُنْتَ كذلك والناس موفورون ، والشيوخ أحياء يُرزقون ، فكيف وقد دَرَسَ الأعلام والكُدى ، وانتزع العلم بقبض العلماء ، فانقضى .. ولم تزل نفسى إليك جانحةً ، وعينى نحوك طامحة انجذابا إلى العلم ورغبة فيه .

ولاغربة فى هذا الأمر فقد شاع مدحُه وثناء العلماء عليه بما هو فيه فقد شهد له تلاميذه بذلك .

فابن حزم يقول عنه : « وممن أدركنا من أهل العلم على الصفة التى من بلغها استحق الاعتداد به فى الاختلاف ... يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التمرى »^(١).

« وحسبك بأبى محمد مُثنيا وجرت بينهما مناظرات ومناقرات ، ومع ذلك يروى عنه بالإجازة »^(٢).

ولعلنا لو أكثرنا عن الأندلسيين لظنّ ظان بأنه تعصّب أندلسى ، ولكنّ شهادات أهل الأمصار تشهد بذلك .

فيقول الذهبي عنه : لقد كان أبو عمر من بُحور العلم ... واشتهر فضله فى الأقطار^(٣) . ووصفه السيوطى بأنه « ساد أهل الزمان بالحفظ والإتقان »^(٤) ولذلك « فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين »^(٥).

فلذلك فإن الأندلسيين كانوا يصفون الفترة التى عاشها ابن عبد البر (عصر ابن عبد البر)^(٦) فقد ألف يوسف بن عبد الله بن أبى زيد بن عياد من

(١) الإحكام فى أصول الأحكام : ٢ / ٦٧٣ — ٦٧٤ .

(٢) مقدمة الاستذكار : ورقة : ١٢٠ مخطوط الظاهرية .

(٣) العلو للعلو العقار : ١٨٢ .

(٤) طبقات الحفاظ : ٤٣٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء : للذهبي : ٢ : ١١ / ١٨٢ مخطوط دار الكتب .

(٦) انظر المحلل السندسية : ٣ / ٢١٨ .

المرّة كتاباً سماه (طبقات الفقهاء من عصر ابن عبد البر) فأرّخ بعصره وكفى به فضلاً .

ولم ينس الشاطبيون فضله فقد خلّدوا ذكره بروضه من رياض شاطبة الغناء ، وكان يُدفن فيها كبار العلماء^(١) .

علاقته بحُكّام زمانه :

وأما علاقته بحُكّام زمانه فكانت علاقة العالم الذى يعتزّ بنفسه ويؤثر عدم الإكثار من خلطة الأمراء . ولكن طبيعة الظروف السياسية التى مرت بها الأندلس وتفتت الدولة الواحدة إلى دويلات . والصراع المستمر بين الأمراء وتفاوت هؤلاء الأمراء فى أخلاقهم وسياساتهم جعلت العلماء الذين تركوا قرطبة يحارون فى المكان الذى يصلح فيه الاستقرار ، وخاصة كإمام مثل ابن عبد البر الذى نال الشهرة والفضل فقد كان الأمراء يرغبون فى استمالته ، ولكنه كان يختار مكانه بحسب اجتهاده ، فلذلك كانت رحلته كما رأينا مستمرة وإقامته غير مستقرة .

وكان إذا حَسُن ظنه بأحد الحُكّام مال إليه بما لا يخرم مروءته ويُنقص من قدره ، فإذا كان غير ذلك تفرّ وسافر ، كما حدث مع أبى القاسم بن عباد فى إشبيلية^(٢) .

وكان ابن عبد البر لا يمتنع عن أخذ هدايا الأمراء وهو أمر اختلف فيه بحسب الدافع . وقد بين ابن عبد البر ضوابط ذلك من خلال باب كتبه فى كتابه جامع بيان العلم . أسماه : « باب ذم العالم على مداخله السلطان »^(٣) . أورد فيه من الأقوال ما يقرّع من تساهل فى ذلك .

ويعقب بقوله : « وهذا الباب كُله فى السلطان الجائر الفاسق ، وأما العدل فمنهم الفاضل فمدخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال

(١) نفس المصدر : ٣ / ٢٨٩ ، ٤٨٠ .

(٢) وقد مر الكلام عن هذا فى مبحث رحلته .

(٣) جامع بيان العلم : ٢١٧ — ٢٢٦ .

البر»^(١) ومع هذا يبدو أنه خلّص إلى نتيجة كانت هي الضابط الذي سلكه فيقول :

« وإذا حضر العالم عند السلطان غيا — بصورة متقطعة — فيما فيه الحاجة وقال خيراً ، ونطق بعلم كان حسناً ، وكان في ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه ، ولكنها مجالس الفتنة فيها أغلب . والسلامة منها ترك ما فيها »^(٢)

هكذا يختم كلامه بعد طول تجربة مرّ بها في هذا الأمر .

وقد انتقده بعض العلماء فردّ عليهم . ولعل ابن عبد البر كان يرى أن إصلاح أحوال الأندلس يقتضي مخاطبة هؤلاء الأمراء لإعادة الوحدة إلى الأندلس التي مزقتها الصراعات ، وأغرت الأعداء بهم . وهذا هو الأمر الذي كان يدفع ابن عبد البر إلى خلطتهم غيباً كما وصف ذلك بنفسه .

وظائفه :

لهذه المنزلة والعمق في الثقافة والإمامة في الدين . تسابق الأمراء إلى كسب ودّه لأن استمالة المشهورين من العلماء كانت سمة ملوك الطوائف وكانوا يفتخرون بذلك .

ولكن ابن عبد البر كان هو الذي يختار موقعه وخاصة بعد خروجه من القضاء للمظفر بن الأفطس الذي أكرمه ، وكان يُبدي اهتمامه بالعلماء — وقد مرّ الكلام عن ذلك في رحلاته — وكان ذلك في الفترة بعد (٤٣٧ هـ) أي بعد تولى المظفر الإمارة فتولى قضاء أشبونة وشنترين^(٣) . وقضى ردحا من الزمن عند المظفر ألف خلاله « كتاب بهجة المجالس » ، الذي كان يلقيه في مجالس المظفر الأدبية . ولعله ألف كتابه : « الكافي » في الفقه في هذه الفترة كذلك ، لأنه كان

(١) نفس المصدر : ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٢) جامع بيان العلم : ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٣) انظر جذوة المقتبس : ٣٦٩ وسير أعلام النبلاء : ١١ : ٢ / ١٨٢ مخ دار الكتب .

على نُسق كُتب الإفتاء ، وكان خاصا بمذهب مالك فقط لأن فقه مالك كان هو السائد في الأندلس .

وقد مدح ابن حزم هذا الكتاب وأثنى عليه في رسالته فضائل الأندلس .



الفصل الخامس
مؤلفات ابن عبد البر وآثاره

ابن عبد البر المصنف وآثاره :

كان ابن عبد البر ذا ثقافة متنوعة موسوعية ، وهى ثمرة جد واجتهاد فى تلقى العلم عن كبار علماء عصره فى الأندلس ، ممن كانت لهم الصدارة فى اختصاصاتهم ، ومكاتبه مشاهير علماء المشرق ليجيزوه رواية كتبهم ، فحاز بذلك على مصادر كثيرة فى العلوم المختلفة كما سنرى .

وبهذه الحصيلة المباركة صقلت مواهب ابن عبد البر ، وشحذ ذهنه ، وقويت حافظته ، وأصاب نظره ، وبذلك ملك القدرة على التأليف ، بل بلغ حدّ البراعة ، وكان « مُؤَقِّفاً فيه مُعَاناً عليه »^(١) ، « فجمع وصنف وضعف ووثق »^(٢) بسارت بتصانيفه الرُّكبان ، ووصفت مؤلفاته بأنها « تيجان رؤوس العظماء وأسوة العلم والعلماء »^(٣) ، وكانوا يتسابقون فى روايتها ، ونسخها ، واختصارها ، أو شرحها .

ولقد شهد له بالبراعة فى التأليف كذلك ابن حزم الأندلسى الذى عاصره وأخذ عنه العلم بقوله : « ولصاحبنا ابن عبد البر كتب لامثيل لها »^(٤) .

وشهد له ابن سعيد بقوله : « انظر إلى آثاره تُغنك عن أخباره »^(٥) .

وكانت أمنية بعض العلماء الارتحال إليه ، بل الارتحال إلى تلاميذه للأخذ عنهم مارووه من العلم عن شيخهم ابن عبد البر ، فهذا الحافظ الذى طار اسمه فى الآفاق أبو طاهر السلفى (٤٧٠ — ٥٧٦ هـ = ١٠٧٧ — ١٠٧٨ م) « كان فى نيّته اختراق بلاد المغرب ، والأندلس للأخذ عن أصحاب أبى عمر بن عبد البر »^(٦) ،

(٢٠١) سير أعلام النبلاء : الذهبى ، مخ : ١١ / ٢ : ورقة ١٨٣ .

وانظر الكتانى : فهرس الفهارس ٢ / ٢١٨ ومطمح الأنفس : ٦٢ .

(٣) الدحيرى : ابن سناء ، مخ : القسم الثالث : لوحة ٢٦ معهد المخطوطات برقم (٩٣ مغرب ثانية) .

(٤) نفح الطيب : ٣ / ١٦٩ — ١٧٠ .

(٥) المغرب : ٢ / ٤٠٧ .

(٦) المعجم لابن الأبار : ٤٩ .

فترك صيدا سنة (٥١١ هـ = ١١١٧ م) متوجها إلى الإسكندرية لإتمام هذه الرحلة ، ولكن اجتماع أهل الإسكندرية عليه وإلفه لهم جعله يكتفى بمكاتبة تلاميذ ابن عبد البر وطلبه الإجازة منهم ، فكتب إليه أبو عمران موسى بن أبي تليد (٤٤٤ — ٥١٧ هـ = ١٠٥٣ — ١١٢٣ م) ، وأبو محمد عبد الرحمن بن عتاب (٤٣٠ — ٥٢٠ هـ = ١٠٣٩ — ١١٢٦ م) وأبو علي حسين بن قيرة بن سكره (٤٥٢ — ٥١٤ هـ = ١٠٦٠ — ١١٢٠ م) وأبو بحر سفيان الأسدي (٤٤٠ — ٥٢٠ هـ = ١٠٤٨ — ١١٢٦ م) وغيرهم .

وأثنى أبو طاهر على ابن عبد البر ومؤلفاته بقوله : ^(١)
« وبالجملة فالرجل جليلُ القدر واسع العلم وكُتُبُهُ مُتَعَدِّدَةٌ كثيرة ، وقد قلت فيها لحسنها وكثرة فوائدها .

يأمنُ يُسافر في الحديث مُشْرِقاً ومُغْرِباً في البحر بعد البر
مأن يرى أبداً لكتب صاغها بالغرب حافظها ابن عبد البر
« فمن نظر إلى مصنفاته بأن له منزلته من سعة العلم وقوة الفهم » ^(٢)

وقد حاول هذا البحث أن يستقصى حسب الإمكان مؤلفات هذا العالم الفذ ^(٣) ، وذلك بعملية جرد للكتب التي عنيت بالترجمة له ، أو لتلاميذه ومن روى عنه ، وفهارس الكتب المخطوطة والمطبوعة فضلا عن اقتناص أسماء بعض مؤلفاته من كتبه ، أو كتب غيره التي تُحيل إلى كتب ابن عبد البر على حسب موضوعاتها .

وبذل جهدا آخر لتحقيق عناوينها وإزالة الوهم ، أو الخطأ الذي ارتبط ببعض هذه المؤلفات ، ثم توثيق نسبة هذه الكتب إلى ابن عبد البر حسب الإمكان .

(١) مقدمة الاستدكار : مخ ورقة ١٢٢ : ضمن مجموع برقم (٧١ حديث) المكتبة الظاهرية .

(٢) سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٢ .

(٣) وقد أعانني في البحث عن المطبوع في مكتبات القاهرة القديمة محقق تاريخ أبي زرعة الدمشقي الأستاذ شكر الله نعمة الله خلال رحلته العلمية للقاهرة سنة ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

وبعد الاطلاع على تلك المؤلفات القيّمة في العلوم الإسلامية المتنوّعة يبدو للباحث أنّ أنسب حُطة لتصنيف مؤلفات ابن عبد البر التصنيف الموضوعي حسب الآتي :

- أولا : علم القراءات .
- ثانيا : الحديث وعلومه .
- ثالثا : الفقه وما يتصل به .
- رابعا : التاريخ وما يتعلق به .
- خامسا : الأدب والثقافة العامة .

وسيعرض البحث كل قسم على حده . ويعرض لمؤلفات ابن عبد البر في كل فن على وجه الإجمال ، أما الجانب التاريخي وما يتعلق به ، فسيفرد له الباب الثاني لدراسته بالتفصيل ، ولعل البحث بذلك يكون قد استدرك ما فات البحوث^(١) السابقة من الكشف عن مؤلفات ابن عبد البر والتي بلغت في هذا البحث ثلاثة وخمسين مؤلفا ما بين كتاب ورسالة ، وهذا مع ذلك هو غيض من فيض ابن عبد البر .

أولا : علم القراءات :

اهتم المسلمون بالقرآن وتلقيه من أول يوم أنزل فيه ، إلى يومنا هذا ، يتعبّدون بتلاوته والعمل بما بين دفتيه من أحكام لكل جوانب حياة الإنسان ، تقوم عليها وتصلح بها . « فاشتدت العناية به في زمن الصحابة ، والدواعي التي توفّرت في

(١) ذكر له صالح أحمد رضا سبعة وعشرين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع ومفقود ، انظر : رسالته للدكتوراة بعنوان « مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبد البر » قدمت بجامعة الأزهر — كلية أصول الدين — قسم الحديث سنة (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) لم تطبع بعد .

وذكر له : الطاهر بن الصادق الأنصاري ثلاثين مؤلفا ، أورد له ذلك في رسالته للماجستير بعنوان « ابن عبد البر القرطبي محدثا » قدمت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة — كلية الشريعة — قسم الكتاب والسنة سنة (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م)

وذكر له د. محمد ولد ماديك الموريتاني واحداً وعشرين مؤلفا انظر كتاب الكافي لابن عبد البر « دراسة وتحقيق » قدمه لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر — كلية الشريعة — (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) .

نقله وحمايته ، وحفظه وحراسته حتى حصل العلم بكل شيء فيه من حروفه وإعراجه وقراءته ودراسته مع صدق العناية والاهتمام البالغ ^(١) وقد تنوعت علوم القرآن الكريم والمؤلفات فيها فمنها ما شمل تاريخ القرآن ، تنزله وجمعه ، ومنها ما اختص بقراءاته وتجويده ومنها ما اهتم بتفسيره ومصطلحه .

وقد شارك ابن عبد البر في هذا العلم مشاركة البارِع فيه المُتمكّن منه ونقل ^(٢) عنه العلماء المتخصصون ، مما يدل على قيمة رأيه فاعتمدوه .

كان لأهل الأندلس اهتمام خاص بهذا العلم وخاصة في مدينة دانية حيث كان أميرها مجاهد العامري يشجع العلماء في التأليف في هذا الفن ولعل ابن عبد البر كتب كتبه هذه عندما حلّ دانية إبان حُكم مجاهد العامري (٤٣٦ هـ — ١٠٤٤ م) .

وأما الفرق بين علمي التجويد والقراءات فُيُبينه لنا محمد المَرْعُشِي الملقَّب بساجقُلي زاده (ت ١١٥٠ هـ) في كتابه المخطوط جُهد المقل : « إن قلت ما الفرق بين علمي التجويد والقراءات ؟ قلت : علم القراءات : علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها ، فإذا ذكر

(١) مفتاح السعادة : طاش كبرى زادة : ٣ / ٧٥ .

(٢) انظر : « المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » لأبي شامة عبد الرحمن المقدسي (٥٩٩ — ٦٦٥ هـ) ، طبعة بيروت — ١٩٧٥ ص ١٠٠ . « التذكار في أفضل الأذكار في فضل القرآن وقارائه ومستمعه والعامل به » لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق ثروت محمد نافع . القاهرة ١٩٧٩ ، انظر : ٤٨ .

(منجد المقرئين ومرشد الطالبين)

لمحمد بن محمد الجزري (ت ٨٢٣ هـ) تحقيق د. عبد الحى الفرماوى ط . القاهرة — ١٩٧٧ انظر : ٩٦ ، ٩٧ ، ٢٢٤ .

(لطائف الإشارات لفنون القراءات) :

لابن العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بشهاب الدين القسطلاني (٨٥١ — ٩٢٣ هـ) تحقيق : الشيخ عامر عثمان والدكتور : عبد الصبور شاهين ، ط : القاهرة : ١٩٧٢ م انظر : ج ١ : ٣٢ ، ٣٤ ، ٧٠ .

فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تميم إذ لا يتعلق الغرض به .

وأما علم التجويد : فالغرض منه معرفة صفات الحروف فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تميم ^(١) «

ولابن عبد البر في هذا العلم المؤلفات الآتية : ^(٢)

١ — المدخل في القراءات . ^(٣)

٢ — الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه ^(٤) .

٣ — التجويد والمدخل إلى علم القرآن بالتحديد ^(٥) .

٤ — البيان عن تلاوة القرآن ^(٦) .

ثانيا : الحديث وعلومه :

لما كانت السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع مع القرآن الكريم ، لذا فإن جهود العلماء انصبّت على العناية بها رواية ^(٧) ودراية ^(٨) فألفت فيها المؤلفات

(١) محاضرات في علوم القرآن : غانم قدرى حمد . ط : ١٩٨١ بغداد .

(٢) وكل هذه المؤلفات في حكم المفقود .

(٣) كشف الظنون : ٢ / ١٦٤٤ ، وهدية العارفين : ٢ / ٥٥ .

(٤) الجذوة : ٣٦٨ ، البغية : ٤٩٠ مقدمة الاستدكار : ورقة ١٢١ .

وفي نفخ الطيب ٣ / ١٧٠ نقلا عن ابن حزم « والحجة لكل منهما » يدل « بتوجيه ما اختلفا فيه » .

(٥) مقدمة الاستدكار : للسلفي نقلا عن كتاب الجذوة : ورقة ١٢١ ، وانظر الجذوة : ٣٦٨ .

والبغية : ٤٩٠ .

(٦) الجذوة : ٣٦٨ ، البغية : ٤٩٠ فهرسة بن خير الإشبيلي : ٧٢ ، مقدمة الاستدكار : ١٢١ سير أعلام

النبل : ورقة ١٨٣ ، وذكره صاحب كشف الظنون بعنوان (البيان في تأويلات القرآن) ولم يذكره بهذه الصيغة

غيره ولعله تصحيف أو كتاب آخر : ١ / ٢٦٣ .

(٧) علم الحديث رواية : « هو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول من حيث أحوال رواته

ضبطاً وعدالة ومن حيث حال السند اتصالاً وانقطاعاً وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقاد الحديث » انظر

مفتاح السعادة ٢ / ٦٠ .

(٨) علم الحديث دراية : « وهو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المعنى المراد منها مبتنيا

على قواعد اللغة العربية وضوابط الشريعة ومطابقاً لأحوال النبي » انظر مفتاح السعادة : ٢ / ١٢٨ .

العظيمة التي ظلت غرراً في جبين التاريخ تشهد بعظمة الأمة المسلمة التي حفظت حديث نبيها . وتفرّدت بمنهج في النقل لم تدانيها فيه الأمم الأخرى .

وقد اعتنى أهل المغرب والأندلس كما اعتنى جمهور علماء العالم الإسلامي بكتب السنة المشهورة واعتنوا بالصحيحين — البخاري ومسلم — وموطأ مالك ، والسنن المعروفة : أبو داود ، والحاكم ، والترمذي ، وابن ماجه .

ولم تخل فهارس ، وبراج العلماء في المغرب والأندلس من هذه الكتب ، ولكن جُل اهتمامهم كان بالموطأ للإمام مالك بن أنس باعتباره إمام دار الهجرة وإمام المذهب التابع في المغرب الأندلسي .

مشاركة ابن عبد البر في هذا العلم :

أوقف ابن عبد البر نفسه على خدمة حديث رسول الله ، فاهتم بالموطأ اهتماماً كبيراً ، وقدم لنا دراسات متعددة عليه ، فشرحه مُرتباً على شيوخ مالك على حروف المعجم في كتابه (التمهيد) . وشرحه كاملاً على الوجه الذي كتبه الإمام مالك وسمى هذا الشرح بالاستذكار . ووصل أحاديثه المرسلة وأسند بلاغاته ، وغيرها في الدراسات التي سنوردها .

وبلغ من رتبة ابن عبد البر في الحديث « أن أصحاب الحديث اختاروا سبعة من الحفاظ جعلوهم ساقية الستة المشهورة ، وأطبقوا على أنهم أحسنوا التصنيف ، وأن مصنفاتهم وقعت عظمة النفع ومن هؤلاء أبو عمر بن عبد البر الثمري »^(١)

(١) مفتاح السعادة : طاش كبرى زادة ٢ / ١٤١ ، ١٤٣ .

وانظر : ابن حزم : رسالة في فضل الأندلس تحقيق إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر قرطبة : ٣٥٩ .

ويقصد بالكتب الستة :

صحيح البخاري — وصحيح مسلم — سنن النسائي — وسنن أبي داود ، وسنن الترمذي — وسنن ابن ماجه .

وأهم مؤلفات ابن عبد البر فى هذا العلم هى :^(١)

أولا : المطبوع منها

١ - التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد :

هذا الكتاب من أجمل مؤلفات ابن عبد البر الحديثية وبه اشتهر ، وهو شرح لكتاب الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى ، وقد أمضى ابن عبد البر ثلاثين عاما فى هذا الكتاب ، ويبدو أنه ابتداء بتأليفه مبكرا لكثرة ما يخیل^(٢) إليه فى كتبه الأخرى ، وبلغ من اعتزاز ابن عبد البر بالتمهيد أنه نظم فيه أبياتا من الشعر يقول فيها :^(٣)

سمير فؤادى فى ثلاثين حُجَّةً
وصاقلُ ذهنى والمُفرِّجُ عن همى
بسطتُ لهم فيه كلامَ نبيهم
لما فى معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به
إلى البرِّ والتقوى وينأى عن الظلم

وقد رتبه حسب حروف المعجم^(٤) ، على أسماء شيوخ مالك فيورد اسم الشيخ الذى روى عنه مالك ، وعدد الأحاديث التى رواها عنه .

واقصر ابن عبد البر فى التمهيد على ماورد عن رسول الله ﷺ من الحديث

(١) أما كتب علم الرجال الذى وضع لخدمة علم الحديث والذى ألف فيه ابن عبد البر معظم مصنفاته ، فيعتبر فرعا من فروع التاريخ فلذلك ذكرناها فى المؤلفات التاريخية .

(٢) انظر الاسماء : ١ / ٣١٨ ، ٢٤١ ، ٣ / ١٦٠ ، ٤ / ٧٠ .

(٣) انظر ترتيب المدايك : ٢ / ٨١٠ .

(٤) حسب ترتيب حروف المعجم عند أهل الأندلس والمغرب . وهى : « أ ب ت ث ج ح د ذ ر ز ط ط
ك ل م ن د ص ض ح خ ف ق س ش ه و ي » .

متصلاً^(١) أو منقطعاً^(٢) ، أو موقوفاً^(٣) ، أو مرسلًا^(٤) ، دون مافي الموطأ من أقوال مالك وغيره .

واعتمد فيه على رواية يحيى بن يحيى الليثي (٢٣٣ هـ)^(٥) لأنها المشهورة في الأندلس ، وإذا فات يحيى رواية حديث من أمهات أحاديث الأحكام فإنه يذكره من غير رواية يحيى .

ثم إنه قدّم المتصل ، ثم ماجرى مجراه مما اختلّف في اتصاله ، ثم المنقطع ، والمرسل^(٦) . وقام ابن عبد البر بوصل كل مقطوع ، وكل مرسل جاء مُسنداً من غير رواية يحيى .^(٧)

وعندما يشرح الحديث يقدّم له بترجمة موجزة لرجال السند الذين روى عنهم الإمام مالك إلى رسول الله ﷺ^(٨) ، ومن ثم يورد أقاويل العلماء في تأويل

(١) المتصل (الموصول) : الحديث الذي سمعه كل واحد من رواه ممن فوقه إلى نهاية السند يُقبل إذا استوفى باقي شروط القبول « انظر : معجم المصطلحات الحديثية لنور الدين عتر : ٨٧ » .

(٢) المنقطع : الحديث الذي لم يتصل إسناده وهو ضعيف
انظر نفس المصدر : ١٠٧

(٣) الموقوف : الحديث الذي أضيف إلى أحد الصحابة نفس المصدر : ١٠٩ » .

(٤) المرسل : الحديث الذي رواه التابعي عن النبي ﷺ ولم يذكر الواسطة بينه وبينه ، وهو ضعيف عند الحديثين
انظر نفس المصدر : ٩٣ .

(٥) أصله من البربر من قبيلة مضمودة رحل إلى مكة والمدينة والتقى بالإمام مالك وروى عنه الموطأ وسمع بمكة من سُفيان بن عيينه وبمصر من الليث بن سعد سماعاً كثيراً ، ثم رجع للأندلس وكان مدار فتوى الأندلس عليه في زمانه . انظر : الانتقاء : لابن عبد البر : ٥٨ — ٦٠ ، وانظر : تعريف بفقهاء المالكية مخ ضمن مجموع ورقة : ٦٠٥

انظر التمهيد : ١ / ٨ ، ٢٩٥ ، ٢ / ٣ ، ٨ ، ٢٤٢ ، ٣ / ٧ ، ١٨٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٦ .

(٧) نفس المصدر : ١ / ١١٥ ، ٢ / ٢٦ ، ١١٦ ، ١٣٤ ، ٢٦٦ ، ٣ / ١٥١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ ، ٤ / ٣٣١ ، ٣٢٢ .

(٨) نفس المصدر : ١ / ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٦ ، ٢ / ٢٧ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ١٠٧ ، ٣ / ١ ، ٢٤١ ، ٢٧٢ .

المعاني^(١)، ويشرح ما استعجم من الألفاظ مستنداً إلى أقوال أهل اللغة^(٢)، ويورد الشواهد من الشعر^(٣)، ويقوم باستنباط الأحكام الفقهية ويستوعب أقوال العلماء على اختلاف مذاهبهم، منها ما يُحيله إلى المصادر التي نقل عنها^(٤)، ومنها ما نقله حفظاً عن شيوخه^(٥).

اهتمام العلماء بكتاب التمهيد :

أقبل العلماء على التمهيد واهتموا به ، لأنه كان موسوعة حديثة تمثلت في شرح الموطأ متناً وسنداً ، وأفاض المؤلف في جميع العلوم المتصلة بموضوع الكتاب ، كالفقه والقراءات واللغة والتاريخ عند شرحه للأحاديث الواردة في الموطأ ، لذلك حرصوا على روايته وتلقيه وقراءته في مجالس العلم في مختلف العصور^(٦).

وقد اهتم به العلماء وتفتنوا في ذلك فأقبلوا على اختصاره لتيسيره لمبتدئي الطلاب^(٧) ، أو نظمه شعراً ليسهل حفظه وضبطه^(٨) ، ومنهم من أقبل على شرحه حلاً لبعض إشكالاته في العبارة ، واستدراك بعض ما فات ابن عبد البر^(٩).

(١) نفس المصدر : ١ / ٣٤ ، ١٠٢ ، ١٦١ ، ٢ / ١١٠ ، ٦٢ / ٣ ، ١٨٦ ، ٣٦ / ٤ . ١٣٤ ، ٤٤ ، ١٠ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٢٤٤ / ٢ ، ٨٦ ، ٥ ، ٤ / ٣ ، ٢٧٥ ، ٢٤٤ ، ٧ / ٤ ، ٧٠ ، ٧٠ ، ٥٨ / ٤ ، ٢٦٦ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ١٠٣ ، ١٠٧ ، ٢ / ١٢٣ ، ١٢٠ / ٣ ، ١٧٩ ، ٨٨ / ٤ ، ١٠٦ ، ٧ / ١١٠ . (٤) نفس المصدر : ١ / ٣٦٦ ، ٣ / ٢٨ ، ٤ / ١٤ ، ٢ / ١١٤ ، ٣٠ .

(٦) انظر فهرسة بن خير : ٨٦ الحلل : أرسلان : ٣ / ٢٤٠ .

الصلة : ابن بشكوال ٣٥١ ، ٨٥ التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٤٦٧ .

(٧) اختصره (محمد بن أحمد بن فرج القرطبي (ت ٧٦١ هـ) منه نسخة في مكتبة القرويين بفاس تحت رقم (٥٢٣) (انظر بروكلمان ٣ / ٢٧٦) .

(٨) نظمه القاسم بن خيرة الرعيني الشاطبي في قصيدة دالية في خمسمائة بيت من حفظها أحاط علماً بكتاب التمهيد . انظر الديباج المذهب : ابن فرحون : ٢ / ١٤٩ .

(٩) شرحه أبو عبد الله الأنصاري في القرن الخامس بعنوان « التقريب للكتاب التمهيد » نسخة منه في مكتبة القرويين بفاس برقم (٥١٩) انظر بروكلمان : ٣ / ٢٧٦ .

ولما كان التمهيد والاستذكار شرحين للموطأ حاول بعض العلماء الجمع بينهما إتماماً للفائدة ^(١).

وانصبَّ اهتمام البعض الآخر على وصلِ البلاغات ^(٢) التي لم يستطع ابن عبد البر وصل سندها .

ونال ابن عبد البر بكتاب (التمهيد) التقدير والاحترام — إضافة إلى غيره من المؤلفات — حتى اشتهر به ، وكان إذا أريد التعريف بابن عبد البر قيل صاحب التمهيد ، وجعله ابن حزم — تلميذ ابن عبد البر ومعاصره — مفخرة من مفاخر الأندلس تفضل به الأندلس غيرها من أقطار الإسلام فقال فيه : « لم أر مثله فكيف بأحسن منه » ^(٣) . وهذا وإن كان لا يخلوا من المبالغة في الثناء ، ولكن تواتر الثناء على هذا الكتاب من قبل أهل المشرق كذلك ليثبت قول ابن حزم .

ويقع التمهيد في سبعين جزءاً ^(٤) حديثاً على زمان ابن عبد البر وهو الآن في نحو عشرين مجلداً متناثرة في مكتبات العالم لا تحوى مكتبة منها نسخة كاملة ^(٥).

وقد تبنت وزارة الأوقاف المغربية مشروع تحقيقه بعد أن جمعت أشتات هذا الكتاب من مكتبات ، الخزانة العامة ^(٦) ، والخزانة الملكية بالرباط ^(٧) ، وخزانة جامعة القرويين ^(٨) ، بفاس وصورت ما تنائر من نسخه في مكتبات : تركيا ^(٩) ، والعراق ^(١٠) ،

(١) جمع بينها هشام بن أحمد المعروف ابن العود الفقيه القرطبي المؤرخ ولم يتمه لوفاته (٤٥٢ — ٥٠٩ هـ) انظر : الغنية للقاضي عياض ١٢٦ — ١٢٨ : مخ دار الكتب .

(٢) البلاغات : هي كل حديث ورد عن مالك في الموطأ بلفظ (بلغني) أو (عن الثقة عندي) انظر تدريب الراوي ١ / ٢١٢ .

(٣) رسالة في فضل الأندلس ملحقه : بكتاب تاريخ الأدب الأندلسي لإحسان عباس ص ٣٥٩ .

(٤) الجذوة : ٣٦٨ وليس هناك اتفاق على حجم الجزء بين المحدثين .

(٥) التمهيد مقدمة المحقق : ١ / ٤ .

(٦) التمهيد : مخطوطات رقم : ج ١٣ ، ج ٥٩ ، ج ١٢٤ ، ق ٦١ ، ق ١٤ .

(٧) نفس المصدر : مخطوطات رقم : ٩٢٧ ، ٤١٨٦ .

(٨)(٩) تاريخ التراث : فؤاد سركين : ٢ / ١٢٦ .

(١٠) في مكتبة المدرسة القادرية المنسوبة للشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد .

ومصر^(١) ، والسعودية ، وسوريه^(٢) ، والفاثيكان^(٣) ، وماحقق منه إلى الآن صدر في عشرة مجلدات .^(٥)

ومازال التحقيق جاريا لإخراج متبقى الكتاب وهو كثير إذا ما حقق ، فقد يربو عدد مجلداته على العشرين وسيكون بذلك موسوعة حديثة يرتوى منها أهل العلم ومحبه من الباحثين وغيرهم من المهتمين بالدراسات الإسلامية .

٢ - التقصى لحديث الموطأ وشيوخ مالك :

وهذا الكتاب عبارة عن مدخل مختصر لكتاب التمهيد بعد أن حذف ابن عبد البر منه أقوال العلماء ومذاهبهم واحتلافهم . مقتصر على ماورد من الحديث في الموطأ فقط ولذلك سُمى الكتاب بتجديد التمهيد^(٦) كذلك .

وبين لنا ابن عبد البر الدافع بقوله : « وعلمنا أن أكثر الناس من قصرت همته ،

(١) فهرس الخديوية: ١ / ٢٢٨ .

(٢) تاريخ التراث: ٢ / ١٢٦ ، بروكلمان: ٣ / ٢٧٦ .

(٣) فهرس الحديث للمكتبة الظاهرية: ٤٧ ، حديث .

(٤) بروكلمان: ٦ / ٢٦٤ .

(٥) الجزء الأول: بعنايه: مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى . الرباط ١٣٨٧ هـ / ١٩٦١ م .

الجزء الثانى: حققه مجموعة من العلماء .

الجزء الثالث حققه محمد التائب العبدى (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) الرباط

الجزء الرابع: حققه محمد التائب العبدى وسعيد أحمد أعراب (١٣٩١ هـ - ١٩٧٤ م) الرباط .

الجزء الخامس: حققه سعيد محمد أعراب (١٣٩٦ - ١٩٧٦) الرباط .

الجزء السادس: حققه مجموعة من العلماء (١٣٩٧ - ١٩٧٧) الرباط .

الجزء السابع: حققه عبد الله الصديق (١٣٩٩ - ١٩٧٩) الرباط .

الجزء الثامن: حققه محمد الفلاح (١٤٠٠ = ١٩٨٠) الرباط .

الجزء التاسع والعاشر: حققه سعيد أحمد أعراب (١٤٠١ = ١٩٨١) الرباط .

وقد كان الفضل للمرحوم الشيخ عبد الغنى عبد الخالق رئيس قسم أصول الفقه الأسبق ، بكلية الشريعة بجامعة الأزهر - (ت ١٤٠٣ هـ) فى إعارته الأجزاء الأربعة الأولى . وأما الأجزاء الأخرى فاستعرتها من الشيخ الفاضل يحيى إسماعيل المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر - قسم الحديث .

(٦) أثبت ناشر كتاب التقصى حسام الدين القدسى هذا العنوان واستوحاه من مقدمة ابن عبد البر بكتاب .

وضعت عنايته ، ودعاه إلى القناعة بأقل من ذلك طلب راحته ، أو ضيق معيشته ، رأينا أن نُجرد تلك السُّنن التي جعلناها أصل ذلك الكتاب « ^(١) .

وقسم فيه شيوخ مالك قسمين :

- الأول : من عرف باسمه منهم ^(٢) .
الثاني : من لم يعرف باسمه وعرف بكنيته ^(٣) .

ويبدو أن الناسخ قد تصرف في ترتيبه فرتبه على حروف المعجم عند أهل المشرق ولم ينبه الناشر إلى ذلك .

أُلحق بكتاب التقصى بابا في « مالم يرد في رواية يحيى بن يحيى من حديث مالك » ، ووعد ابن عبد البر في معرض كلامه بأنه سيفرد كتابا يذكر فيه ما شذ عن رواية يحيى بن يحيى ^(٤) .

وقد اهتم العلماء بكتاب التقصى فأقبلوا على تبادله وكان يعتبر من الكتب التي يجب على الطالب دراستها ^(٥) . وشرحه ^(٦) العلماء لأهميته ، وكان أبو الوليد الباجي (٤٧٤ هـ — ١٠٨١ م) وأبو عمران الفاسي يفضلان ^(٧) التقصى لأبي عمر

(١) التقصى : ٩ .

(٢) التقصى : (١١ — ٢٣٨)

(٣) التقصى : (٢٣٩ — ٢٤١) .

(٤) التقصى : ٢٥٩ وقد نفذ ابن عبد البر وعده وألف في ذلك كما سيأتى .

(٥) انظر : فهرسة بن خير الإشبيلي : ٩١ ، التكملة لابن الأبار ٢ / ٧٣٨ ، ٨٤٤ ، المعجم لابن الأبار :

٦٧ ، فهرس بن عطية : لوحة : ٢٢ ، برنامج الوادياشي : تحقيق د. ناطق صالح المطلبوب : ١ / ٤٢ ، ٣٦٧ ،

رسالة دكتوراة لم تنشر بعد ، بعنوان « فهرس شيوخ العلماء في الغرب والأندلس » .

(٦) شرحه محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي وسمى شرحه « التقصى في فوائد التقصى » انظر : التكملة

لابن الأبار : ٢ / ٦٧٦ ، وشرحه أبو عبد الله الأنصاري محمد بن الحسين بن أحمد الظاهري (٥٣٢ هـ) ،

وسمى شرحه (التقريب لكتاب التقصى) توجد منه نسخة بجامعة القرويين ،

انظر : تاريخ التراث لسزكين : ٢ / ١٢٦ .

(٧) الغنية : فهرس عياض : ٥١ ، ١٣٠ .

وانظر الرسالة المستطرفة : ١٥ .

النمرى على الملخص^(١) للقباس (٤٠٣ هـ — ١٠١٣ م) لسهولة تناوله وإيجاز عبارته فهو كالمعجم بالنسبة للتمهيد .

ولم يطبع إلا مرة واحدة بعناية حسام الدين القدسي سنة ١٣٥٠ هـ صاحب مكتبة القدس بالقاهرة واعتمد في نشره على نسختي المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ونسخة دار الكتب المصرية .

٣ — الاستدكار في شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالك في موطنه من الرأي والآثار :

وهو شرح آخر غير التمهيد ، شرح فيه الموطأ على نسق ترتيب الإمام مالك له ، يشرح فيه الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين فضلاً عن إيراد أقوال مالك التي بنى عليها مذهبه واعتماده على رواية أهل المدينة^(٢) ، ثم يردفه بأقوال سائر فقهاء الأمصار مابقي منهم ومن اندثر وحتى آراء بعض الفرق والطوائف أمثال الشيعة والمعتزلة والخوارج . ويتتبع الحديث بالنقد والتمحيص متناً وسنداً ميناً ودرجته ومنزلة رواته^(٣) . ويحيل فيه إلى كتبه وإلى مصادره التي اعتمد عليها .

وقد اهتم العلماء بهذا الكتاب فأقبلوا عليه بالاختصار^(٤) وبالجمع^(٥) بينه وغيره من

(١) الملخص : كتاب جمع فيه ما اتصل بإسناده من حديث مالك في الموطأ رواية بن القاسم . انظر الرسالة المستطرفة : ١٤ .

وقد جمع بن مرحون عبد الله بن محمد البعمرى (٧٦٩ هـ) بين التقصى والملخص بكتابه (الدر الخالص من التقصى والملخص) انظر : الرسالة بالمستطرفة : ١٥ .

(٢) الاستدكار : ١ / ٥٧ .

(٣) انظر : الاستدكار ١ / ٧٨ ، ١٤٠ .

(٤) اختصاره : محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصارى الإشبيلي (٦٣٠ هـ)

انظر الكملة : ٢ / ٦٣٠ ، واختصاره : علي بن إبراهيم بن علي الجنامى القاضى (٥٥٥ — ٦٣٢ هـ) الدهاج : ٢ / ٢١٥ ، واختصاره : أبو بكر القرطبي : انظر برنامج الرعي : ١٣ .

(٥) شرح الجمع به بين التمهيد هشام بن أحمد المعروف بابن العواد الفقيه القرطبي ولم يكمله لوفاته (٤٥٢ هـ — ٥٠٩ هـ) انظر : الثمينة : لمياض : ورقة ١٢٦ ، ١٢٨ .

وهناك من جمع بينه وبين المتقى للناحى . ومن ذلك :

— جمع لعل بن عبد الله اللماضى المعروف بالمالطى نزيل المربة (٣٥٧ هـ) انظر : المعجم لابن الأبار :

المؤلفات المشابهة له إتماماً للفائدة .

وعمل على تحقيقه الدكتور على النجدى ناصف ولم ينشر منه إلا السطر الأول بمجلدين ولا زالت الأسفار الأخرى تتوزعها مكتبات العالم تنتظر من ينفذ عنها التراب .

ولأهمية هذا الكتاب ووقوعه موقع القبول لدى العلماء قدم له أبو طاهر السلفى مقدمة^(١) شملت ترجمة وافية لابن عبد البر ، ويذكر فيها الأجازات التى حصل عليها لرواية كتب ابن عبد البر ومنها الاستذكار . وإعجابه به نظم فيه هذه الأبيات :

واكتب الاستذكار تغن به عن كل جمع من بعد كتب الموطأ
فابن عبد البر المصنف ماقصر في الاختيار شرحاً وبسطاً

٤ — الزيادات التى لم تقع فى الموطأ عند يحيى بن يحيى ، ورواها غيره فى الموطأ^(٢)

- ٢٨١ -

— الأنوار فى الجمع بين المنتقى والاستذكار لأبى عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) انظر : عنوان الدراية : ٢٨٥ ويوجد جزء منه فى معهد المخطوطات برقم ٣٦ مغرب ثانية .

— المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار للقاضى بن عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومى اليعفرى التلمسانى (٦٢٥ هـ) من عشرين سفراً نحو ثلاثة آلاف ورقة (انظر : التكملة : ٢ / ٦٢٣ عنوان الدراية : ٣٧٤ ويوجد منه الجزء الأخير فى معهد المخطوطات برقم ١٧٠ مغرب ثانية .

(١) مخطوطة ضمن مجموع بالمكتبة الظاهرية بدمشق مجموع رقم (٧١) حديث وعندى صورة عنها وانظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، قسم الحديث للشيخ الألبانى / ٣٠٢ .

(٢) وقد أشار سزكين أنه توجد مخطوطة من هذه الزيادات فى مكتبة صائب بأنقرة فى تركيا كتبت فى القرن السابع الهجرى .

وكان العنوان كالأق « الزيادات التى لم تقع فى الموطأ عند يحيى بن يحيى عن مالك » ثم قال : وطبع فى القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ . انظر تاريخ التراث ٢ / ١٢٢ .

ثم إن ابن عبد البر قد أشار إلى أنه سيجمع فى كتاب كُتِلَ ما شُدَّ عن رواية يحيى بن يحيى وأكثر الرواة عن مسند حديث مالك عن شيوخه . انظر التقيى : ٢٥٩ .

ولاندرى هل المخطوطة التركية التى ذكرها سزكين هى نفس الكتاب الذى وعد ابن عبد البر بتأليفه ، أو أنه نسخة ثانية من الزيادات الملحقه بكتاب التقيى . ومع أن سزكين قد قطع بأنها نسخة ثانية من المخطوطة القاهرية لكن اختلاف العنوان يوحى بأن النسخة التركية هى الكتاب الذى وعد ابن عبد البر بتأليفه : لأن عنوان

وهى رسالة صغيرة تحتوى على الزيادات التى لم يذكرها يحيى بن يحيى الليثى فى روايته للموطأ ، وإنما ذكرها غيره من رواة الموطأ عن الإمام مالك ^(١) .

وقد رتب ابن عبد البر هذه الرسالة على النسق الذى سار عليه فى كتابه التقصى والتمهيد ، حيث رتبته على شيوخ مالك بحسب حروف المعجم .

وألحق ناسخ كتاب التقصى هذه الرسالة بالكتاب ، يدل على ذلك العبارة التى ختم بها التقصى بقوله :

« كُمل كتاب التقصى » ^(٢)

ثم صَدَّر الصفحة التالية بعنوان : « باب نذكر فيه ما لم يذكر فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى » ^(٣) .

ومما يدل على أن هذا الباب هو رسالة منفصلة أنه ختمها بقوله : « تمت الزيادات التى لم تقع فى الموطأ عند يحيى بن يحيى ورواها غيره فى الموطأ » ^(٤) ولكن ناشر الكتاب لم يشر إلى ذلك .

ثانيا : المخطوط من كتب الحديث :

(٥)

الأجوبة الموعبة فى المسائل المستغرية فى كتاب البخارى :

المخطوطة القاهرية ينص على ذكر الزيادات التى أوردها رواة الموطآت الأخرى غير يحيى بن يحيى بينما العنوان الذى على المخطوطة التركية يطلق ذكر الزيادات ، ولم ينص على كون الزيادة لرواة الموطأ أو غيرهم . أو أنها ذكرت فى الموطأ أو خارجه . أو أنها لراوى من رواة الموطأ خارج الموطأ .

(١) هناك أربعة عشر رواية للموطأ وقد ذكر سركين ست روايات منها ثلاثة روايات كاملة فقط وهى رواية يحيى بن يحيى الليثى (٢٣٤ هـ) طبع القاهرة ١٩٥١ بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ورواية محمد بن الحسن الشيبانى (١٨٩ هـ) طبع فى لوديانا ١٨٧٦ م وفى لوكنو بالهند ١٨٨٠ م ورواية يحيى بن عبد الله بن بكير القرشى (ت ١٥٤ هـ) وطبع فى الهند فى عليكره ١٩٠٧ م . انظر تاريخ التراث : ٢ / ١٢٢ - ١٢٤ .

(٢) التقصى : ٢٥٨ .

(٣) نفس المصدر : ٢٥٩ .

(٤) نفس المصدر : ٢٧٩ .

(٥) ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٣ .

توجد منه نسخة فى تركيا نسخت فى أوائل القرن التاسع « انظر : نوادر المخطوطات العربية فى مكاتب =

أول الكتاب : « الحمد لله الكبير المتعال .. أما بعد .. وذكرت أنه استعجم عليك من الجامع الصحيح للبخارى أحاديث استغلقت عليك معانيها وسألتني شرحها ... »

(١) ويبدو أنه قد ألفها قبل كتابه الاستدكار لأنه يحيل إليها في الاستدكار .

الكتب التي ذكرتها المصادر وهي في حكم المفقود :

- ١ — الاستظهار في طُرُق حديث عمار . (٢)
- ٢ — اختصار كتاب التحرير . (٣)
- ٣ — اختصار كتاب التمييز . (٤)
- ٤ — التغطا بحديث الموطأ . (٥)
- ٥ — حديث مالك خارج الموطأ . (٦)
- ٦ — الشواهد في إثبات خبر الواحد . (٧)
- ٧ — عوالي ابن عبد البر في الحديث . (٨)
- ٨ — وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل . (٩)

= تركيا : لرمضان شيشن ، بيروت ١٩٧٥ .

وقد نقل لي ذلك الدكتور سعدى الهاشمي أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في رسالة بعثها .

(١) الاستدكار : ١ / ٢٦٥ .

(٢) هدية العارفين : ٢ / ٥٥ وأحال إليه ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب ٢ / ٤٤٨ ، ٣ / ١١٣٩ .
والحديث هو : « تقتلك الفئة الباغية » .

(٣، ٤) ترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ .

(٥) هدية العارفين : ٢ / ٥٥ .

(٦) ترتيب المدارك : ١ / ٢٠٠ .

(٧) جذوة المقتبس : ٣٦٨ وأحال إليه ابن عبد البر في التمهيد : ١ / ٢ .

(٨) الغنية فهرس القاضي عياض : ورقة ٩٤ .

« والعالي : هو الإسناد الذي قل عدد الوسائط فيه مع الاتصال يحتاج به إذا استوفى شروط القبول » انظر :

معجم المصطلحات الحديثية لنور الدين عتر : ٦٤ . ويوصف السند بالعلو للرواية الحديثية أو رواية كتاب من

كتب الحديث المعتمدة . انظر تفصيل ذلك في تدریب الراوى للسيوطي : ٢ / ١٥٩ — ١٧٠ .

(٩) « وبمجموع الأحاديث التي لم يسندها مالك في الموطأ واحد وستون حديثاً وقد وصلها ابن عبد البر ، من غير »

٩ — منظومة في السُّنة . (١)

١٠ — مسند ابن عبد البر . (٢)

ثالثا : مؤلفاته في الفقه وما يتعلق به :

(٣)

الفقه : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية» أو هو هذه الأحكام نفسها وتشمل أحكام العبادات والمعاملات . (٤)

وابن عبد البر كان عُلَمَاء من أعلام هذا العلم فضلا عن تضلّعه في الحديث وعلومه ، وكان من أهل الاجتهاد وعالما بإجماع العلماء واختلافهم . وله مؤلفات ورسائل جليلة تناقلها الخلف من بعده ، ومابقى من القليل منها يدل على مرتبة الرجل وفضله . (٥)

ومع أن ابن عبد البر كان مالكي المذهب لكنه لم يجر فيه مجرى التقليد وإنما كان مجتهدا في المذهب يختار ما وافق الدليل بعد النظر والتححيص من غير تعصب ونلمس اعتداله في كثير من المسائل ، وتسجلى ملكته الفقهية في قوة الحفظ وسعة الاطلاع وحسن الانتقاء ، وكان يميل في بعض المسائل إلى رأى الشافعي (٦) .

أولا : الكتب المطبوعة :

١ — الكافي في فروع المالكية :

وهو من كتب ابن عبد البر الجلية في فروع المذهب المالكي ، وألفه بناء على

- طريق مالك ، بطرق صحاح إلا أربعة منها قال عنها : لا تعرف . ووصلها الحافظ بن الصلاح (٦٤٣ هـ)

صاحب المقدمة المشهورة بتأليف أفرده لها . انظر الرسالة المستطرفة : ١٥ .

(١) وأولها : تبارك من يُحيى العظام وينشر ، وأظن أنها في المصطلح .

انظر : المعجم لابن الأثير : ٣٢٠ .

(٢) الدلائل السمعية : ٧٤١ .

(٣) التعريفات : الجرجاني : ١٤٧ .

(٤) الوجيز في أصول الفقه : الأستاذ الدكتور / عبد الكريم زيدان : ٦ .

(٥) رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم : ملحقة بجوامع السيرة لابن حزم : ٣١٨ .

(٦) جذوة المقتبس : ٣٦٧ .

طلب بعض طلبة العلم وجعله مختصراً « اقتصر فيه على ما بالفتى الحاجة إليه ، وبوبه وقربه ، فصار مُغنياً عن التصنيفات الطوال »^(١) ، واعتمد فيه المنشهور من المؤلفات التي تُعتبر من أصول المالكية وهي :

- ١ — الموطأ للإمام مالك بن أنس (٩٧ / ٧١٦ — ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) .^(٢)
- ٢ — المدونة الكبرى : لسحنون بن سعيد التنوخي توفي بالقيروان سنة (١٦٠ / ٧٧٦ — ٢٤٠ / ٨٥٤ م) .^(٣)
- ٣ — المختصر الكبير : لعبد الله بن عبد الحكم توفي بمصر سنة : (١٥٥ — ٢١٤ هـ = ٧٧١ — ٨٢٩ م) .^(٤)
- ٤ — المبسوط في الفقه : للقاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادى (٢٠٠ — ٢٨٢ هـ = ٨١٦ — ٨٩٥ م) .^(٥)
- ٥ — الحاوى في الفقه : لأبي الفرج عمر بن محمد الليثي البغدادى (٣٣١ هـ = ٩٤٣ م) .^(٦)

-
- (١) رسالة في فضل الأندلس : نفح الطيب : ٣ / ١٧٠ .
 - (٢) وهو أول مألّف من كتب الحديث الشريف وضمنه اجتهادات الصحابة والتابعين ، فصلا عن اجتهاده واستغرق في تأليفه أربعين عاما .
انظر : شجرة النور : ٥٣ .
 - (٣) ويتضمن مرويات بن القاسم العتقى (١٣٢ — ١٩١ هـ) تلميذ مالك مع مسائل فقهية سأله عنها أهل العراق فقرأها سحنون وهدبها وأسمّاها بالمدونة الكبرى فكانت مدار المالكية في القيروان والمغرب والأندلس وطبعت في القاهرة وبيروت .
 - انظر : بروكلمان : ٣ / ٢٨٠ ، تاريخ التراث : لسركين : ٢ / ١٣٨ .
 - (٤) وله كذلك المختصر الأوسط والصغير في الفقه (انظر شجرة النور : ٥٩) .
وتوجد من المختصر الكبير قطعة بجامعة القرويني بفاس في ثلاثين ورقة .
انظر : تاريخ التراث : ٢ / ١٣٦ — ١٣٧ .
وانظر ترجمة : تعريف بفقهاء المالكية : ورقة ٣ — ٤ مخطوط .
والانتقاء لابن عبد البر : ٥٢ — ٥٣ .
 - (٥) إماما علامة وله مختصر للمبسوط : (انظر : شجرة النور : ٦٥)
الديباج المذهب : (١ / ٢٨٢) .
 - (٦) الإمام الفقيه المحدث انظر شجرة النور ٧٩ والديباج ٢ / ١٢٧ يوجد . نسخة من كتابه في جامعة

- ٦ — المختصر في الفقه : لأبي مصعب أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث الزهرى (١٥٠ — ٢٤٢ هـ = ٧٦٧ — ٨٥٦ م) توفى بالمدينة .^(١)
- ٧ — الموطأ الكبير : لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشى (١٢٥ هـ — ١٩٧ = ٧٤٢ — ٨١٣) .^(٢)
- ٨ — كتاب الموازية : لمحمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندري المعروف بابن المَوَّاز توفى سنة (١٨٠ — ٢٦٩ هـ = ٧٩٦ — ٨٨٢ م) بدمشق .^(٣)
- ٩ — المختصر الكبير في الفقه : لمحمد بن أبي يعقوب زكريا الوقار (٢٦٩ هـ = ٨٨٢ م) .^(٤)
- ١٠ — العتبية في الفقه : لمحمد العتبي وهو : محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة القرطبي قيل توفى سنة (٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م أو ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) .^(٥)
- ١١ — الواضحة في الفقه : زيد الملك بن حبيب السلمى القرطبي (١٧٤ — ٢٣٨ هـ = ٧٩٠ — ٨٥٢) توفى بقرطبة .^(٦)

المقروء بنى بقاء .

- (١) انظر : شجرة النور : ٧٣ والديباح : ١ / ٣٢٣ وتاريخ التراث : ١٤٣ / ٢ .
- (٢) وله كذلك الموطأ الصغير والكبير وقد صرح مالك عشرين سنة .
انظر : شجرة النور : ٥٨ وتاريخ التراث : ١٣٤ .
- وانظر : تعريف بفقهاء المالكية : لأبي عبد البر : ورقة ١ — ٢ .
- (٣) انظر : شجرة النور : ٧٦ والديباح : ١٦٦ / ٢ ،
تاريخ التراث : ١٤٨ / ٢ .
- (٤) له مختصرين الكبير منهما في سبعة عشر جزءاً يُفصِّلُه أهل القبروان على مختصر ابن عبد الحكم . انظر : شجرة النور : ٦٨ والديباح : ١٦٨ / ٢ .
- (٥) قال فيه ابن لسان : لم يكن هنا أحد يتكلم مع العتبي بالفقه ولا كان بعده أحد يفهم إلا من تعلم عنده .
والعتبة هي المستخرجة من الأسمعة بما ليس في المدونة ، انظر : تاريخ التراث : ١٤٤ / ٢ وانظر شجرة النور : ٧٥ والديباح : ١٧٦ / ٢ .
- (٦) لم يؤلف مثلها . انتهت إليه رئاسة العلماء بالأندلس بعد يعقوب بن يعقوب الليثي كتب ألفاً وعشرين كتاباً .
انظر : شجرة النور : ٧٥ تاريخ التراث : ١٣٧ / ٢ — ١٣٨ .

ويحيل ابن عبد البر كذلك إلى كُتبه : التمهيد^(١) ، والاستذكار^(٢) ، واختلاف أصحاب مالك^(٣) ، لمن أراد التفصيل .

يعرض أقوال مالك وأصحابه واختلافهم ويرجح ما يراه من هذه الأقوال حسب اجتهاده فتراه يكثر من عبارات : « وهو الصحيح عندي »^(٤) ، « وهو أحبُّ إليَّ »^(٥) « وهو أولى بالصواب »^(٦) ، « والأول أصح »^(٧) ، « وهو الصحيح إن شاء الله »^(٨) ، « وهو أصح ما يروى »^(٩) .

ويعرض آراء بعض المذاهب الأخرى ، ويميل في أحيان كثيرة إلى رأى الشافعي^(١٠) .

وقد حقق كتاب الكافي كجزء من رسالة الدكتوراه المقدمة من قبل الدكتور محمد ولد ماديك الموريتاني سنة ١٣٩٦ — ١٩٧٦ في قسم الفقه المقارن بكلية

(١) الكافي : ١ / ٢٠٥ ، ٢٣١ ، ٢ / ٢٩٣ ، ٣ / ٦٧٦ ، ٧٤٨ ، ٤ / ٩٨٦ ، ١٠٠٤ ، ١٠٣٦ .

(٢) نفسه : ٣ / ٧٠٦ .

(٣) نفسه : ١ / ٢٥٩ ، ٢٥٥ / ٢ — ٤٠٣ / ٤ — ١٠٣٦ .

(٤) نفسه : ١ / ٢٣٨ — ٢ / ٢٧٢ ، ٣٩٥ / ٣ — ٥٦٣ / ٤ — ٨٦٢ .

(٥) نفسه : ١ / ٢١٧ .

(٦) الكافي : ٢ / ٣٩١ .

(٧) نفسه : ١ / ٢١٥ — ٢ / ٢٩٥ ، ٥٢٢ / ٣ — ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٩ / ٤ — ٨٨٠ ، ٨٩٠ ، ٨٩٣ .

(٨) نفسه : ١ / ٢١١ — ٣ / ٦٩٢ .

(٩) نفسه : ٣ / ٧٥٥ .

(١٠) نفسه : ١ / ١٩٦ — ٢ / ٣١٣ ، ٣٩٤ ، ٥٠٦ ... الخ .

(١١) وقد تفضل بإعارتي نسخته الخاصة من هذه الرسالة :

المرحوم الشيخ عبد الغنى عبد الخالق رئيس قسم أصول الفقه الأسبق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر والمحقق المدقق الذى أكمل تحقيق « التكملة » لابن الأنار بعد وفاة محققه الشيخ عزت العطار الحسينى ، وقد نشرت مكتبة الخانجي جزئين من التكملة فقط سنة ١٩٥٥ م .

وكان قد فتح لى مكتبته أنزود منها كيف أشاء . وهذا سمته مع طلاب العلم أحياء به سيرة السلف الصالح تغمده الله برحمته .

وقد طبعت هذه الرسالة مؤخرا فى مجلدين فى مكتبة الرياض بالسعودية سنة ١٩٨١ .

الشرعية جامعة الأزهر بإشراف الدكتور محمد أنيس عباده ، وهي في قسمين بأربعة مجلدات :

القسم الأول : يتضمن الدراسة عن ابن عبد البر وكتابه الكافي ، وقد استوعب الصفحات ١ — ١٦٠ من المجلد الأول .

القسم الثاني : وهو النص المحقق وقد استوعب الصفحات من ١٦٦ — ٢٨٦ من المجلد الأول ، إضافة إلى المجلد الثاني والثالث والرابع .

وقد اشتمل الكافي على « ٣٤١ بابا وكتابا على نسق كتب الفقه فجاء الكتاب في ٩١٠ صفحات » .

٢ — الإنصاف فيما بين المختلفين في بسم الله الرحمن الرحيم^(١)
في فاتحة الكتاب من الاختلاف :

وهو رسالة صغيرة كتبها بناء على طلب بعض طلاب العلم جمع فيها أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار في قراءة البسملة في أول فاتحة الكتاب والأحاديث والآثار التي كانت سبب اختلافهم ، ومن خلال الجمع بين الأدلة ، وتمحيصها يرجع ابن عبد البر ضمنا قول من يقول بقراءة البسملة والجمهور بها في الصلاة الجهرية والإسرار بها في الصلاة السرية وهو قول الشافعي .

وهذه الرسالة وإن كان يغلب عليها الاستشهاد بالحديث والأثر ولكنها مرتبطة بالفقه لأن الكلام يدور حول حكم قراءة البسملة في الصلاة .

وقد عني بنشر هذه الرسالة المفيدة إدارة الطباعة المنيرية سنة (١٣٤٣ هـ —

(١) ذكره الذهبي بعنوان « الإنصاف في بسم الله الرحمن الرحيم »

انظر : سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٣

وذكره صاحب كشف الظنون بعنوان : « الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف » وقد اختير هذا العنوان للمطبوعة .

والعنوان الذي ذكر أعلاه أورده ابن عبد البر في الاستدكار والتمهيد : ٢ / ٢٣٠ .

١٩٢٣ م) وقد طبعت في المطبعة العربية لصاحبها خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام .

وقد أحال إليه ابن عبد البر في كتاب التمهيد^(١) والاستذكار^(٢) .

ب - الكتب المخطوطة :

١ - « اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف روايتهم عنه »^(٣) :

وهذا الكتاب يبحث في الخلاف الفقهي في مذهب الإمام مالك ، والذي وقع بين الإمام مالك وأصحابه وأتباعهم .

اختصر فيه ابن عبد البر الأقوال ، فأورد الاختلاف ، ولا يذكر الدليل وينسب الأقوال إلى قائلها من رجال مذهب مالك المعروفين أمثال ابن القاسم (١٢٣ / ٧١٣ - ١٩١ هـ / ٨٠٧ م) وابن وهب (١٢٥ / ٧٤٢ - ١٩٧ هـ / ٨١٣ م) وغيرهما .

وهذا الكتاب في الأصل مُكوّن من أربعة وعشرين جزءاً^(٤) لا توجد منه إلا قطعة غير كاملة تضمنت كتاب الطهارة وبعض كتاب الصلاة محفوظة في معهد المخطوطات بالقاهرة وهي في ٤٩ لوحة صورت عن مخطوطات المغرب^(٥) .

ويبدو أن ابن عبد البر قد رتب على أبواب الفقه فهو يبدأ بكتاب الطهارة ثم يتبعه كتاب الصلاة وكتاب الطهارة يتضمن :

(١) انظر التمهيد : ٢ / ٢٣٠ .

(٢) انظر : ٢ / ١٧٨ .

(٣) ذكر الكتاب الحميدى في الحذوة : ٣٦٨

وانظر البغية : ٤٩٠ .

وقد أحال إليه ابن عبد البر في الاستذكار ٢ / ٣٣ .

(٤) انظر : البغية : ٤٩٠ .

(٥) انظر مخطوطات المغرب : برقم ٤ مغرب أولى / الخزائن الملكية ، وعندى صورة عنها . وقد صورتها على الورق مجزأة فجاءت في ٩٨ صفحة وقد أحلت إليها بحسب تجزأتها .

- بابا فى المياه وما يتعلق به من مسائل ^(١)
- بابا فى الوضوء وما يتعلق به من مسائل ^(٢)
- بابا فى الغسل والجنابة وما يتعلق به من مسائل ^(٣)
- بابا فى المسح على الخفين وما يتعلق به من مسائل ^(٤)
- بابا فى التيمم وما يتعلق به من مسائل ^(٥)
- بابا فى الحيض والنفاس وما يتعلق به من مسائل ^(٦)

وكتاب الصلاة يتضمن :

- باب فى الصلاة وما يتعلق به من مسائل ^(٧)
- باب فى الآذان وما يتعلق به من مسائل ^(٨)
- باب فى صلاة الجماعة وما يتعلق به من مسائل ^(٩)
- باب فى الإمامة وما يتعلق به من مسائل ^(١٠)

ج : الكتب التى فى حكم المفقود :

(١١)

١ — « الإشراف على مافى أصول الفرائض من الإجماع والاختلاف » :

هذا الكتاب فى علم الفرائض الذى يبحث عن أحوال قسمة التركة على مستحقيها ، على فروض مقدرة فى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع أمة رسوله .

-
- (١) انظر المخطوط : من ورقة ٢ إلى ورقة ١٤ .
 - (٢) من ورقة : ١٤ إلى ورقة ٢٧ .
 - (٣) من ورقة ٢٧ إلى ورقة ٣٧ .
 - (٤) من ورقة ٣٧ إلى ورقة ٤٠ .
 - (٥) من ورقة ٤١ إلى ورقة ٤٩ .
 - (٦) من ورقة ٤٩ إلى ورقة ٥٧ .
 - (٧) انظر المخطوط : من ورقة ٥٩ إلى ورقة ٦٨ .
 - (٨) من ورقة ٦٩ إلى ورقة ٧٢ .
 - (٩) من ورقة ٧٣ إلى ورقة ٧٩ .
 - (١٠) من ورقة ٨٠ إلى ورقة ٩٧ .
 - (١١) الغنية : فهرسة القاضى عياض : ورقة ١٢٣ .

« وهذا العلم باب في علم الفقه في الأصل إلا أنه لكثرة اعتناء العلماء به
لُعسره ، ولزيادة شرفه . أفردوه بالتدوين حتى عدوه مُستقلا ، وجُعل من فروع
الفقه » .^(١)

٢ — جوائز السلطان :

وهو موضوع تكلم فيه كثير من العلماء^(٢) واختلفوا فيه بين مجيز ، وغير مجيز ،
أو متورع عنه ، وقد أورد المقرئ في نفح الطيب^(٣) نصاً يرويه عن ابن عبد البر بسط
فيه الكلام عن هذه المسألة ، وأورد أقوال العلماء فيها ، ولعل المقرئ قد نقله عن هذا
الكتاب . وفيه أجاز ابن عبد البر جوائز السلطان ، ويبدو أنه قد أُلّفه عندما
اُتهم^(٤) بأنه يتقرب إلى الأمراء بقبول جوائزهم ، وقد عالج المسألة كذلك في كتابه
التمهيد^(٥) . وقد بينّا حقيقة رأيه في هذه المسألة كامر .

كما أن ابن حجر قد أشار إلى المسألة ، وأحال إلى ابن عبد البر بقوله :
« وأما قبول الجوائز : فلا يقدح أيضا إلا عند أهل التشدد . وجمهور أهل العلم على
الجواز كما صنف في ذلك ابن عبد البر » .

= وانظر : فهرسة ابن خير الإشبيلي : ٢٥١ .

وانظر : سير أعلام النبلاء : ١١ : ٢ / ورقة ١٨٣ .
وأسماء كتاب الفرائض .

وانظر : كشف الظنون : ٢ / ١٥٤٥ وأسماء كتاب الفراض .

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة : ٢ / ٦٠٠ .

التعريفات : ١٤٥ .

(٢) انظر الإحياء : ٢ / ١٢٧ ، والمغنى : ٧ / ٣٣١ .

وآداب الشافعي ومناقبه : ١٢٨ ، ١٦٦ — ٢١٦٧ .

(٣) ٣ / ٣٥ — ٢٣٧ تحقيق إحسان عباس .

(٤) انظر : الصلة : ٢٨٤ الحلل : ٣ / ٢٥٩ .

(٥) وذلك عند شرحه حديث زيد بن أسلم وتطرق فيه إلى آراء الصحابة والتابعين وكبار الفقهاء ٤ / ١١٤ —
١١٨ .

(٦) هدى السارى ، مقدمة فتح البارى ، شرح صحيح البخارى : ٤٢٥ ، طعة السلفية . بالقاهرة . الطعة
الأولى تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز .

رابعاً : التاريخ وما يتعلق به :

والمؤلفات التاريخية التى تمثل صُلبَ هذه الرسالة ستعَدُّ هنا ، وهى ما جُهِدَ البحث فى استقصائه . وسيدكر المخطوط منها والمطبوع ، وما هو فى حكم المفقود ، ثم يشار إلى مكان وجود المخطوط . والتعريف ، كان المطبوع منها ، وعدد طبعاته حسب الإمكان . وأما الذى فى حكم المفقود فيُحال فيه إلى المصادر التى ذكرته .

وأما الدراسة التحليلية للمؤلفات التاريخية فستأتى فى الباب الثانى بتفصيل أكثر .
وأما هنا فستذكر بصورة مجملة على التقسيم الذى مضى فى المؤلفات السابقة فنذكر المطبوع ، ثم المخطوط ، والذى فى حكم المفقود .

أ : الكتب المطبوعة :

- ١ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ^(١)
- ٢ — الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ^(٢)
- ٣ — الأنباء على قبائل الرواة ^(٣)
- ٤ — الدرر فى اختصار المغازى والسير ^(٤)
- ٥ — القصد والأتم فى معرفة أنساب العرب والعجم . ^(٥)

ب : الكتب المخطوطة :

- ١ — الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكُنَى : ^(٦)

(١) طبع عدة طبعات أهمها :

طبعة مكتبة السعادة : ١٣٦٠ هـ القاهرة

طبعة مكتبة نهضة مصر : تحقيق محمد البجاوى القاهرة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

(٢، ٣) طبع بعناية حسام الدين القدسى : صاحب مكتبة القدسى بالقاهرة ، ١٣٥٠ هـ .

(٤) نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . بتحقيق الدكتور شوق ضيف ، سنة ١٣٨٦ — ١٩٦٦ .

القاهرة . وأعيد طبعه بدار المعارف بالقاهرة سنة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

(٥) نشره حسام الدين القدسى وألحق به كتاب الأنباء سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

(٦) العنوان بهذه الصيغة أثبتته ابن خير فى فهرسته وهو أوثق صيغة ذكرت انظر الفهرسة : ٢١٤ وهناك عدة نسخ من الكتاب هى :

— نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وهى فى ١٤٤ ورقة وعندى صورة عنها وهى نسخة كاملة وقد =

ظهرت مشكلة ضبط الأسماء وتمييزها بسبب كثرة رواة الحديث ، واشتهار بعضهم بألقابهم ، أو بكنائهم ، فيورد ذكرهم بأسمائهم في رواية وتغفل في أخرى ويكتفى باللقب أو الكنية ، ولعلا يقع الالتباس ويظن أن الشخص الواحد — المذكور مرة بالكنية وأخرى باسمه — هو شخصان وجدت مصنفات تختص ببيان اسم من عُرف بكنيته ، أو كنية من عرف باسمه ، وهي كتب الكنى والأسماء .

ولاشتغال ابن عبد البر في علم الرجال من الصحابة والتابعين وتابعيهم ألف كتابه الاستغناء وقسمه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : يذكر فيه من عُرف من الصحابة بكنيته واشتهر بها ، ولم يوقف على اسمه ، أو عُرف اسمه على اختلاف فيه .

واقصر ابن عبد البر في هذا القسم على أسماء المعروفين منهم وجرده من ذكر أخبارهم ، لأنه قد قام بذلك في كتاب الاستيعاب .

القسم الثاني : يذكر فيه التابعين ومن بعدهم ممن اشتهر بكنيته . أو عُرف بكنيته ممن وُقف له على اسم ولكنه لم يُعرف به ، وإنما عُرف واشتهر بكنيته .

ووصف ابن عبد البر هذا النوع بقوله : « وهو باب من السنة طريف مُستحسن لم يزل أهل العلم بالسُّنن يُعنون به ويحفظونه ويرسمونه في كتبهم ويتطارحونه . رغبة في الوقوف عليه والمعرفة به وينتقصون من جهله » ^(١) .

أصابت الرطوبة كثيرا من صفحاتها ويصعب قرائتها وعنوان هذه النسخة التي أثبت في فهرس المعهد (كتاب في الكنى) لأن العنوان مطموس . والمكتوب على صفحة العنوان : (هذا الكتاب اشتمل على ثلاثة كتب أولها فيما عرف من الصحابة بكنيته ...) وهو برقم ١٥٥ مغرب ثانية .

— وتوجد قطعة منه في المكتبة الطاهرية بدمشق (برقم ٧٢٤٥ حديث) في عشر ورقات عدى صورة عنها . والمكتوب على صفحة العنوان (كتاب المعروفين بالكنى) من الصحابة .

— ونسخة بجامعة القرويين بفاس (برقم ٢٨٧) صمن مجموع .

انظر : (قائمة نواذر المخطوطات العربية في مكتبة جامعة القرويين بفاس : وقد ذكر لي الدكتور سعدى الهاشمي أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأن كتاب الاستغناء قد حُقق في كلية الحديث

بالجامعة كرسالة جامعية في السنة الدراسية ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

(١) انظر الاستغناء ورقة ١ مخطوطة معهد المخطوطات . ١٥٥ مغرب ثانية .

ويقول : « وإنى أرجو أن يأتي هذا الكتاب على أكثر أسماء المشهورين بالكنى ممن وقف أهل هذا الشأن على اسمه من المحدثين والفقهاء وسائر العلماء مع التعريف بهم والإشارة إلى بعض أحوالهم ^(١) .

القسم الثالث : يذكر فيه المشهورين بالكنى ممن لم يذكر له اسم سوى كنيته .
^(٢)

وقد أثنى ابن الصلاح على ابن عبد البر بقوله :
« ولابن عبد البر في أنواع منه كتب لطيفة رائعة » .

- ٢ — ترجمة الإمام مالك بن أنس ^(٣) .
٣ — التعريف بجماعة من فقهاء المالكية ^(٤) .

ج : الكتب التي في حكم المفقود :

- ١ — أخبار أئمة الأمصار ^(٥) .
٢ — أخبار القاضي مُنذر بن سعيد البلوطي (٢٧٣ / ٨٨٦ — ٣٥٥ هـ — ٩٥٧ م) ^(٦) .

(١) نفس المصدر ورقة ٢٥

وكان هذا القسم أضخم الثلاثة وهو في ٧٠ ورقة من (٢٥ — ٩٥) .

(٢) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لعبد الرحيم العراقي ٣٦٨ .

(٣) انظر : فهرس مخطوطات الرباط التي صورها اليونسكو : ٧٣ نسخة من هذا الفهرس في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مكتوبة على الآلة الكاتبة .

(٤) نسخة منه في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت (رقم ٦٢٩ تاريخ) مصورة عن مكتبة فيضي بتركيا وعندي صورة عنها .

وذكر عنوانها في فهرس معهد المخطوطات كالاتي :

(تعريف بفقهاء المالكية) .

ولكن العنوان المشت على المخطوط هو :

(كتاب فيه ذكر التعريف بجماعة من الفقهاء من أصحاب مالك)

وقد اختصت العنوان كما هو مشت لأن المخطوط يذكر فيه المؤلف تلاميذ الإمام وغيرهم .
وسمى به بتفصيل في الباب الثاني .

(٥) حذرة المقتبس : ٣٦٨ وترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ .

(٦) التكملة : لابن الأثير : ١ / ١٨٠ والقسم الثالث منها : ورقة ١٤٩ مخطوط .

عنوان فضائل منذر بن سعيد : ومنذر بن سعيد (٢٧٣ هـ — ٣٥٥ هـ) ، هو قاضي الجماعة بقرطبة

- ٣ — اختصار تاريخ أحمد بن سعيد بن حزم الصَّدْفِي (٢٨٤ — ٣٥٠ هـ = ٨٩٧ — ٩٦١ م) (١) .
- ٤ — أعلام النبوة (٢) .
- ٥ — تاريخ شيوخ ابن عبد البر (٣) .
- ٦ — كتاب في أخبار القضاة (٤) .
- ٧ — تواليف الفقيه الحافظ « أبو عمر ابن عبد البر » وجمع رواياته عن شيوخه (٥) .
- ٨ — فهرسة الشيخ الفقيه الحافظ « أبو عمر ابن عبد البر » (٦) .

تـ كان خطيباً مصقفاً وشاعراً بليغاً وله مواقف جريئة مع الخليفة الناصر .

انظر : تاريخ ابن الفرضي : ٢ / ١٤٤ — ١٤٥ والجلوة : ٣٤٨ ، والنفع : ١ / ٣٧٢ — ٣٧٥ .

(١) ترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ وانظر تاريخ الفرضي ١ / ٤٣ — ٤٤ ، الجلوة : ١٢٥ .

(٢) أشار إليه ابن عبد البر في كتاب الدرر : ٣١ .

(٣) النفع : ٣ / ٦٩ .

(٤) نقل عنه النباهي : المرقبة العليا (تاريخ قضاة الأندلس) انظر : ٤٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ .

ويقول فيه : قال أبو عمر بن عبد البر . قال القاضي أبو عمر ابن عبد البر ... الخ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٤٤٤ ولعله هو نفسه فهرسة ابن عبد البر ، وكرر ابن خير ذكرها .

(٦) الدرر : ٢٧٦ وفهرسة ابن خير : ٤٢٩ .

وقد اهتم علماء الأندلس بهذا النوع من المصنفات فكان عندهم الفهارس والبرامج والمشيكات .

وقد نوع علماء الأندلس طرائق تأليفها : فمنهم من يُرتبها على أسماء الشيوخ ومنهم من يرتبها على أسماء الكتب ، ومنهم من يجمع بين الطريقتين .

وقد درس د. ناطق صالح المطلوب الأستاذ بجامعة الموصل بالعراق في رسالته للدكتوراه التي قدمها في قسم التاريخ بجامعة عين شمس هذه الفهارس وصنفها حسب مناهجها في التأليف واعتبرها من الوثائق التاريخية التي ترصد لنا التطور الثقافي في المجتمع الإسلامي في الأندلس والمغرب . والفهارس التي درسها هي :

— فهرسة شيوخ عبد الحق ابن عطية الغرناطي (ت ٥٤١ هـ) مخ : الأسكوريال برقم ١٧٣٣٣ في ٥٧ ورقة .

— الغنية فهرسة شيوخ القاضي عياض المحيصي (ت ٥٤٤ هـ) مخ : دار الكتب المصرية برقم ١٢٨٤

تاريخ تيمور في ١٣٥ ورقة .

— فهرسة محمد بن خير الأشيلي (ت ٥٧٥ هـ) مط : تحقيق فرانشة كوديرا .

برنامج شيوخ علي بن محمد الرعي (ت ٦٦٦ هـ) مط : تحقيق إبراهيم شيوخ .

— برنامج عبيد الله ابن أبي الربيع الأشيلي (ت ٦٧٧ هـ) مط : تحقيق عبد العزيز الأهواني .

« برنامج أبي العباس أحمد بن أحمد العبريني (ت ٧٠٤ هـ) مط : تحقيق عادل توبهض .

« برنامج القاسم بن يوسف الشجيري السني (ت ٧٣٠ هـ) نسخ : الأسكوريال برقم ٣٥٣ في ٢٢٢ ورقة .

« برنامج محمد بن جابر القيسي الواديائي (ت ٧٤٩ هـ) حققه : د. ناطق صالح ، جزء من رسالة الدكتوراه ،

٩ — الذَّب عن عكرمة البربري^(١).

١٠ — محن العلماء^(٢).

١١ — المغازي^(٣).

= المقدمة في جامعة عين شمس كلية الآداب قسم التاريخ ١٩٧٨ لم تطبع بعد .
وهناك تحقيق آخر للبرنامج لمحمد علي محفوظ : نشر دار المغرب الإسلامي . أثينا — بيروت ١٩٨٠ .
فهرسة قاسم بن عيسى ابن ناحي القيرواني (ت ٨٣٧ هـ) : مخ : معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، برقم (١٥٢٢) تاريخ ، في (٧٧) ورقة .
« فهرسة محمد بن قاسم ابن الرصاع التونسي (ت ٨٩٤ هـ) مط : تحقيق محمد العناني .
« فهرسة شيوخ محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي (ت ٩١٩ هـ) مخ : الأسكوريال برقم ١٧٢٥ في ٦٣ ورقة .

والفهرس : بالكسر وهو (الكتاب الذي تجمع فيه الكتب) وهو ليس بعرف ولكنه معرب فهرسة
انظر : لسان العرب : ٥ / ٣٤٨٠ طعة دار المعارف .
« وقد اشتقوا منه الفعل فقالوا : فهرس كتابه فهرسة : وجمع الفهرسة فهارس » انظر تاج العروس
٤ / ٢١١ ط .
وقال الكتاني : وهو في الاصطلاح : الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده وما يتعلق بذلك ، انظر
فهرس الفهارس ١ / ٤٠ .
والبرنامج : ضبطه صاحب القاموس بفتح الباء والميم ، وعرفه بقوله : « الورقة الجامعة للحساب معرب برناميه » .
انظر ترتيب القاموس المحيط للزواي : ١ / ٢٦٢ .
وقال في المغرب في ترتيب المعرب : « هو النسخة التي يكتب فيها المحدث أسماء رواته ، وأسانيده الكتب المسموعة
والمقروءة » المغرب ١ / ٣٢ .
والمشيخة : أطلقت على الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده انظر فهرس الفهارس : ١ / ٢٩ .
وانظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ .
وتطلق المشيخات على المشيخات الحديثة أغلب الأحيان وإن كانت ترادف الفهرسة أو البرنامج . وانظر
فهارس . وانظر فهارس شيوخ العلماء : د. ناطق صالح رسالة دكتوراه ص ١ — ٣ م. ج وانظر معجم
المصطلحات الحديثة : ٩٩ .

(١) أحال إليه ابن حجر في التهذيب في معرض الدفاع عن عكرمة مولى ابن عباس حيث اتهم بأنه من الخوارج
وأنه يكذب على ابن عمر وقيد ذلك عبد البر وقال ابن حجر بأن عكرمة ثقة ثبت وتوفي سنة ١٠٧ هـ .
انظر : التهذيب ٧ / ٢٧٣ ونذكره الحماط : ١ / ٩٥ .

(٢) أشار إليه ابن عبد البر في التذرر مُبدياً الرغبة في إفراذ ما تعرض له الصحابة من المحن في كتاب ، ويبدو أنه
حقق ذلك مُضيفاً إليه المحن التي مرَّ بها العلماء في مختلف العصور ، وقد أحال إليه ابن قيم الجوزية في كتابه
مدارج السالكين ٢ / ٣٢٣ .

(٣) برنامج شيوخ الوادياشي : تحقيق ناطق المطلوب : ١٢٥ رسالة دكتوراه لم تطبع ، وانظر هدية العارفين
٢ / ٥٥ ولعله كتاب أوسع من الدرر .

خامسا : مؤلفاته في الأدب والثقافة العامة :

وابن عبد البر كان فارسا في ميدان الأدب شاعرا ، وناثرا ، وخاض غمار التأليف في هذا الفن ، فكانت له كُتُب كُتِبَتْ لها الحياة فوصلتنا لتعكس ، ثقافة ابن عبد البر وبراعته في هذا الجانب والتي تُمثِّل سمة من سمات أهل الأندلس الأصيلية الذين شغفهم الأدب حبا فهم يتذاكرونه ويسمرون به .

وقد شهد مؤرخو الأدب الأندلسي لابن عبد البر ، « بأنه في الأدب فارس »^(١) ، ووصفه ابن خاقان بقوله : « وأما أدبه فلا تُعبر لُجَّتُهُ ولا تُدحض حُجَّتُهُ ، وله شعر لم أجِد منه إلا مانِث به 'عن أنْفَةٍ وأوصى فيه عن معرفة' »^(٢) .

ووردت له آراء نقدية في كتبه : جامع بيان العلم ، والبهجة ، والاهتبال تدل على ثقافة واسعة وذوق أدبي .

أ : الكتب المطبوعة :

١ — « بهجة المجالس وأئس المجالس وشهد الذاهن والهاجس » :

وهو من أكبر كتبه في الأدب وأشهرها تجسّمت من خلاله مَلَكَةُ ابن عبد البر الأدبية الأصيلية التي أنعم الله بها عليه ، « فلا عجب فهو في الأدب فارس وكفاك دليلا كتابه بهجة المجالس »^(٣) وقد ألّفه ابن عبد البر بناء على طلب الأمير المظفر بن الأفطس^(٤) .

وهو سِفَر ضخّم يتكوّن من مجلدين كبيرين وقد حُقِّق^(٥) تحقيقاً علمياً جيداً ،

(١) المغرب في حلى المغرب : ٢ / ٤٠٨ .

(٢) مطمح الأنفس : ٧٠ .

(٣) المغرب : ٢ / ١٠٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٣ .

(٥) حققه : د . محمد مرمي الخولي رحمه الله ، ونشرته الهيئة العامة للكتاب بمصر في مجلدين كبار سنة ١٩٦٢ م وأعاد المحقق تصويره في ثلاثة مجلدات ونشرته دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .

وقد لخص ابن عبد البر قصده من تأليف الكتاب وبين بأن له هدفا تربويا ، وهدفا علميا تعليميا ، وهدفا ترويحيا ترفيهيا .

ولأجل هذه الأهداف حشد ابن عبد البر مادة أدبية متنوعة تضم معاني أدب الدين والدنيا .

وقسم الكتاب إلى مائة واثنين وثلاثين باباً ، يستشهد في كل باب بالآيات ثم الأحاديث التي ترتبط بموضوع الباب ، ثم يُتبعه بذكر عيون الأخبار والشعر ، والحكم والأمثال عند العرب ناقلاً ذلك كله عن أمهات المصادر^(١) ، وقد يحيل إليها في سياق كلامه فضلاً عن إحالته إلى كتبه التي سبقت التأليف ، كالتمهيد^(٢) والاستيعاب^(٣) وجامع بيان العلم وفضله^(٤) .

وقدم لنا بذلك نموذجاً من المؤلفات الأدبية في الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين .

ولقيمة الكتاب الأدبية اهتم به أدباء الأندلس فأقبلوا على روايته^(٥) واختصاره^(٦) واهتم المحدثون ببعض بحوثه وأفردوها بالنشر^(٧) .

(١) بهجة المجالس : ١ / ٥٦ ، ١٢٠ ، ٢٦٢... الخ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٥٧ ، ١١٨ ، ١٦٤... الخ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٥٨ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٥١ ، ٢٠٥ ، ٤٢٨ ، ٧٦٧... الخ .

(٥) انظر : جذوة المقتبس : ٣٦٨ .

: فهرسة ابن خير الإشبيلي : ٢٢٧

: الغنية فهرسة عياض : ورقة ١٢٣

: مرآة الجنان : ٣ / ٨٩ وأسماء بهجة المحاسن .

(٦) اختصره سعيد بن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن البوب التجيبي (٨٦١ هـ — ٧٥٠ هـ) .

وسمّاه (بغية المؤانس من بهجة المجالس وأنس المجالس) وتوجد منه نسخة في جامعة القرويني برقم : ١٣٥١

انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٦ / ٢٦٣

وهناك نسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط

انظر : فهرس المخطوطات العربية في الخزانة العامة بالرباط : ٢ / ٦٠ .

(٧) جردت الأمثال التي وردت في الكتاب وطبعت في ذيل مجلة المحيط المجلدة الخامسة : القاهرة ١٩٠٧ (انظر

بروكلمان : ٦ / ٢٦٣) .

٢ — جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله :

وموضوع هذا الكتاب يدل عليه عنوانه فقد ضمنه ابن عبد البر بحوثاً عن العلم وفضله ، وآداب العالم والمتعلم ، وما يلزم الناظر في اختلاف العلماء من الإحاطة بمذاهب علماء الأمصار ويُبين فيه كذلك المراحل التي يمرُّ بها طالب العلم ، والعلوم الأساسية التي يجب أن يلم بها : من فهم لكتاب الله ، ومعرفة بالسنة النبوية ، واللغة ، وحث الطالب على الاطلاع على العلوم المُكملة لثقافته الدينية مثل الجغرافية ، والطب ، وعلم الحساب ، والترجمة .

ثم رسم منهجاً تعليمياً لمن أراد أن يكون مُجتهداً ، فأرشده إلى التوسع في الحفظ للسنن ، والإحاطة بأصول المذاهب الإسلامية المختلفة ، والأدلة التي قامت عليها ليتسنى له النظر فيها والترجيح بينها .

ولم يفتِّه أن يرسم لمن سلك طريق العلم والعلماء أدب المناظرة ، والزاوية التي ينظر منها إلى الخلاف بين العلماء والتأدب في نقدهم ، وتوجيه كلام بعضهم في بعض .

وهو بذلك يُعد منهجاً تربوياً متكاملاً لتكوين الطالب والعالم .

وقد حشد ابن عبد البر في كتابه هذا الجامع مادة أصيلة متنوعة يغلب عليه فيها النقل في كثير من أبواب الكتاب . ملتزماً في نقله للأخبار والأشعار بالرواية على طريقة المحدثين ، ولكنه مع هذا كان يقف في بعض المواضع ناقداً^(١) ومُحللاً^(٢) ومُوضحاً^(٣) ، ومُستخلصاً للقواعد العامة من النصوص^(٤) . ويحيل فيه إلى كتبه الأخرى^(٥) .

(١) الجامع : ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ١٢٣ ، ٢١٦ ، ٣٢٣ .

(٢) نفس المصدر ٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

(٣) نفس المصدر ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ ، ٤٠١ ...

(٤) نفس المصدر ٥٢ ، ١٤٨ ، ١٧٤ ، ١٨٨ ، ٢٣٥ ، ٣١٥ ...

(٥) نفس المصدر ٩ ...

وقد ذكر هذا الكتاب كثرة من العلماء^(١) مُثْنين عليه وجلالته وعظيم فائدته طُبِع عدة طبعات^(٢) ، ومع هذا يحتاج إلى عناية أكبر في تحقيق نصوصه والكشف عن قيمته التربوية^(٣) .

٣ - الجامع :

وهو رسالة صغيرة في الأخلاق الإسلامية والآداب الشرعية ألحقها بكتابه الكافي في الفقه^(٤) ، لخص فيها كل ما يجب أن يتحلى به طالب العلم بخاصة والفرد المسلم بعامة من أخلاق شخصية في نفسه . وعائلته مع زوجته وأولاده وأقربائه وخدمه ، واجتماعية مع الناس عامة .

وعرض فيه العادات الاجتماعية الجائزة شرعاً ، والعادات التي ينهى عنها الشرع في اللباس ، والزينة ، والسلام ، والزيارة وآدابها ، والأكل وآدابه ، واللهم وأنواعه ، والرفق بالحيوان ، وغيرها من العادات .

كل ذلك عرضه لنا بعبارة سلسة ، وجمل قصيرة واضحة جلية لا يلتبس فهمها على أحد ، ولم يذكر الدليل الشرعي لها لأنها من باب تحصيل الحاصل ومما استفاضت معرفته بين المسلمين .

وهذه الرسالة ملحقة بكتاب (الكافي) مع أن موضوعها مستقل ولكنه يبدو

(١) انظر : جذوة المقتبس : ٣٦٨ بغية الملتبس : ٤٩٠ فهرسة ابن خير : ٢٦١ كشف الظنون : وذكره بعدة أسماء (فضل العلم) ، (بيان آداب العلم) انظر : ١ : ٢٦٠ ، ٢ : ١٢٧٩ .

(٢) اختصره أحمد بن عبد العزيز الحمصاني : القاهرة ١٣٢٠ المطبعة المنيرية بجزئين : القاهرة ١٣٤٦ هـ

المكتبة السلفية بالمدينة المنورة : تحقيق عبد الرحمن عثمان ١٩٦٨
دار الكتب الحديثة (الإسلامية الآن) القاهرة : ١٩٧٥ .
وهي التي اعتمدت عليها .

(٣) قدمت رسالة ما جسنر في كلية ترسة الأهر سنة ١٩٧٨ بعنوان (الفكر التربوي في الأندلس في سنة ٤٠٣ هـ ٤٧٨ م) ودرس فيها الصحيح التربوي عند ابن عبد البر وابن حزم قدمها عبد البديع عبد العزيز الخولي .
(٤) والذي يروجح أنها رسالة قائمة بذاتها وألحقها الناسخ بكتاب الكافي أن ابن حزم له رسالة بنفس الاسم والمضمون (الجامع) وقد حققها دكتور عبد الله عيسى وبشرها دار الاعتصام .

أنه ألحقه لئيبه الناظر في كتابه (الكافي) — وهو في فروع الفقه على ما يتوجب
المن كان من حملة الفقه أن يتمثل أخلاقيات الإسلام وآدابه ، وأن المعرفة العلمية
لا تُغنى وَجَدَهَا وإنما يجب أن تكون هناك أخلاق يتحلى بها من يتصدى لإفتاء
الناس وتعليمهم .

ثم إن محقق كتاب (الكافي) الدكتور محمد ولد ماديك الموريتاني لم يُنبه في
رسالته إلى مسألة هل أن الجامع رسالة منفصلة أم من ضمن كتاب الكافي ثم قام
بنشرها ^(١) بعد ذلك منفصلة من غير أن يحققها تحقيقاً علمياً .

(٢)

ب : الكتب المخطوطة :

١ — الاهتبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال :

جمع ابن عبد البر في هذا الكتاب الأبيات الشعرية التي تضمنت حكماً وأمثالاً
وكل ما يدعو إلى مكارم الأخلاق في جميع جوانب الحياة الشخصية للفرد أو
المجتمع .

وقدم لنا مقدمة بين فيها دواعي تأليف الكتاب ومنهجه فيه . وعرف بعد ذلك
بأبي العتاهية وأقوال الأدباء والمؤرخين فيه . كالمُبرد ، والفراء ، والزبير بن
بَكَّار ، وغيرهم ورُتب الأشعار على حروف المعجم ^(٣) على حسب القافية التي
ينتهي بها البيت ، وبما يوصل بالقافية من ضمير الغائب أو المخاطب . وهكذا إلى
آخر الكتاب ^(٤) . وهو في (١٦١ ورقة) .

(١) الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

(٢) منه نسخة في مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة كتبت في سنة ٩٩٢ هـ بخط محمد الصالحى الهلال
برقم (١٨ أدب) .

انظر المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة : ٦١ .

وقد صورها معهد المخطوطات برقم ١٠٣٦ أدب وعندى صورة عنها .

(٣) رتبها حسب حروف المعجم عند الأندلسيين .

(٤) يقول مثلاً : ورقة ٣٥ .

باب : الباء ما وصل بهاء في هذا الباب باب لدال وما وصل بكاف .

- ٢ — (الأمثال السائرة والآيات النادرة)^(١) .
 ٣ — (رسالة في أدب المجالسة وحمد اللسان)^(٢) .
 ٤ — (مختارات من الشعر والنثر)^(٣) .
 ٥ — (نزهة المستمتعين وروض الخائفين)^(٤) .

ج : الكتب التي في حكم المفقود :

- ١ — الإنصاف في أسماء الله^(٥) : يبدو من عنوانه أنه في أسماء الله الحسنى .
 ٢ — البستان في الإخوان^(٦) : لعلها رسالة في أدب الأخوة .
 ٣ — الرقائق^(٧) : وهو كتاب في الأخلاق والزهد .

(١) وهو قطعة من كتاب بهجة المجالس ابتداء به من (باب أدب المجالسة وحق المجلس وينتهي بباب الحق والباطل) وليس كتابا مفردا كما توهم البعض ، انظر بهجة المجالس : ١ / ٣٥ .
 وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (١٩٦٣ / أدب) في ١٣٥ ورقة ويبدو أن الناسخ اختار العنوان من مقدمة بهجة المجالس .
 (٢) وهي كسابقتها وقد ذكرها بروكلمان على أنها كتاب منفرد وهي ليست كذلك انظر (تاريخ الأدب العربي : ٦ / ٢٦٣)
 توجد منها نسختان في دار الكتب إحداهما ضمن مجموع الأولى : برقم ٥٥٢ أدب تيمور ، والثانية : برقم ١٦٦ / ٣ / أدب ضمن مجموع .
 (٣) رتبها حسب موضوعاتها في سبعين فصلا
 ذكره بروكلمان ضمن مخطوطات المتحف البريطاني
 انظر تاريخ الأدب العربي ٦ / ٢٦٣ .
 (٤) ذكره بروكلمان وأشار بأنه توجد نسخة منه في المتحف البريطاني
 وقال : لا يذكر في موضوع آخر والراجح أنه منحول .
 تاريخ الأدب العربي : ٦ / ٢٦٤ .
 (٥) تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٢٩ .
 (٦) ترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ .
 (٧) انظر درء التعارض بين العقل والنقل لابن تيمية الجزء الثاني ط ١ .
 وقد أحال إليه عند الحديث عن القدر وقد نبهني إلى ذلك :
 الدكتور محمد السيد الجليند الأستاذ المساعد في قسم الفلسفة بدار العلوم .

٤ — العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم عن العلماء والحكماء^(١).



(١) جذوة المقتبس : ٣٦٨ البغية : ٤٧٦
وكشف الظنون : ٢ / ١٤٤٠ .
وأحال إليه ابن عبد البر في كتابه بهجة المجالس
باب العقل والحمق ١ / ٥٣٢ .

الباب الثالث

إطار البحث التاريخي عند ابن عبد البر

مدخل :

تنوعت الأطر التي عرض لنا ابن عبد البر القرطبي من خلالها بحثه التاريخي فقدمه لنا مرة في إطار السيرة النبوية الشريفة ، وأخرى في كتابة التراجم وعلم الرجال ، فأرخ للحضارة الإسلامية من خلال أعلامها ، فترجم للصحابة ، والتابعين ، ومشاهير فقهاء المسلمين من السلف ، وترجم لشييوخه ، ومشاهير الأندلسيين ، ونجد ذلك مبثوثاً في كُتُب تلامذته ، أو فيما ألفه هو ولم يصلنا . وهو بذلك قد أخذ بالمنهج الموضوعي^(١) في التأليف ، وأنه لم يكن ضمن مؤلفاته كتباً في التاريخ العام .

وهذا الباب سيعرض لنا إنتاج ابن عبد البر في علم التاريخ ، ودراسة لأهم مؤلفاته التي عرض من خلالها هذا العلم ، ففي الفصل الأول سنعرض لما ألفه في السيرة النبوية .

والفصل الثاني : لما ألفه في علم الرجال والتراجم والأنساب .



(١) وفي هذا المنهج يقوم المؤرخ بالتأريخ للدولة أو لعهود الخلفاء والحكام ، أو الكتابة في التراجم والأنساب ، أو التأريخ المحلي .

انظر : (مناهج المؤرخين العراقيين في عصر الدولة البوذية) : ٢٥٨ ، رسالة ماجستير بدار العلوم قدمها عبد الرحمن العزاوي ١٩٧٩ م بإشراف د. محمد حلمي أحمد .

الفصل الأول
السيرة النبوية

أهمية تدوين السيرة النبوية ودراستها :

إن أهمية تدوين السيرة النبوية تنبع من مكانة الرسول ﷺ وطبيعة رسالته التي أرسل بها للبشرية جمعاء . فصاحب السيرة محمد بن عبد الله ﷺ الذي اصطفاه الله نموذجاً للإنسان الكامل « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »^(١) وجعله الأسوة التي يُقتدى بها « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »^(٢) . « فمواقفه الرائعة مع أسرته تُعتبر نموذجاً لكل رب أسرة ، ومواقفه الرائعة مع أصحابه تُعتبر قدوة لكل رفيق »^(٣) .

وتكمن أهمية دراسة السيرة النبوية في أن تصرفات الرسول وسلوكه تجسيدٌ حيٌّ لطبيعة رسالته كما أرادها الله تعالى أن تطبق في عالم الواقع . فتعاليم الإسلام جاءت لتكون سلوكاً إنسانياً ، ومنهج حياة شاملاً يعيشه الفرد المسلم في نفسه وشخصه ، ويمارسها في واقعه ومجتمعه ، وقد « وضع القرآن الكريم صيغة الحياة للمسلمين ونظم لهم شؤون الدين والدنيا ، وأفاض في تشريعات المال ، والتشريعات الخاصة بالمرأة ، والحدود ، والنظم والأخلاق وغير ذلك من التشريعات »^(٤) .

المصادر الأولى للسيرة ونشأتها :

بدأت دراسة المغازي في المدينة ضمن دراسة أحاديث الرسول فكان رُوادها الأوائل مُحَدِّثِينَ يَنْصُبُ اهْتِمَامُهُمْ فِي الرِّوَايَةِ عَلَى الْإِسْنَادِ ، فبه تُكَسِبُ الرِّوَايَةُ أَهْمِيَّتَهَا تَوْثِيقاً ، أَوْ تَضْعِيفاً مِنْ خِلَالِ رِوَايَتِهَا ، « وقد بقيت المغازي في الأعم الأغلب أحاديث مرتبة بشكل مترابط يُكوِّن وحدة موضوعية متجانسة »^(٥) فكتب الحديث كلها أفردت أبواباً خاصة بالمغازي أمثال : صحيح البخاري وصحيح مسلم

(١) سورة القلم الآية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي : أستاذنا د. شلبي : ١ / ١٩٣ الطبعة العاشرة : ١٩٨١ .

(٤) نفس المصدر ١ / ١٩٨ وانظر مصادر دراسة السيرة النبوية وتقويمها د. فاروق حمادة : دار الثقافة : المغرب : الطبعة الأولى ١٩٨٠ : ١٩ وانظر السيرة النبوية دروس وعبر : د. مصطفى السباعي طبعة المكتب الإسلامي ، وانظر : المجتمع المدني في عهد النبوة : د. أكرم العمري .

(٥) أصالة الفكر التاريخي : بحث د. بشار عواد : انظر مجموعة بحوث المؤتمر التاريخي العالمي ببغداد ١٩٧٣ .

وغيرهما .

ومن أوائل الذين كتبوا في المغازي أبان بن عثمان بن عفان (ت ٩٥ / ٧١٤ — ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م) وكان ثقة يروي الحديث ، ويبدو أنّ ما كتبه لم يكن كتاباً بالمعنى الدقيق وإنما كان مجموعة من الأخبار المتعلقة بسيرة النبي عليه السلام ^(١) .

وتبعه عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ = ٧١٣ م) وهو فقيه محدث مشهور ، ويُعتبر مؤسس مدرسة المغازي ، إذ كان أول مَنْ أَلَفَ كتاباً في المغازي ، ونقلت عنه المصادر ، فجاء نصوصاً مُتناثرة فيها ، فنقل عنه : ابن إسحاق والواقدي ، والطبري ، وابن عبد البر ، وابن سيد الناس ، وغيرهم . ومرويات عروة هي من أقدم ما وصلنا في تاريخ المغازي .

ومن رجال مدرسة المدينة شرحبيل بن سعد (ت ١٢٣ هـ) وهو من مُعاصري عروة بن الزبير ، وكان يُدَوِّن رواياته . فقد دَوَّن قوائم بأسماء المهاجرين وأسماء المشتركين في غزوتي بدر وأحد ، ووصفه سفيان بن عُيينة بأنه لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه ^(٣) .

وفي الجيل التالي لأبناء الصحابة اشتهر ثلاثة من طبقة كبار التابعين بإثراء دراسة المغازي وهم ^(٤) :

(٥)

— عبد الله بن أبي بكر بن حزم (توفي في ١٣٠ = ٧٤٧ أو ١٣٥ هـ = ٧٥٢ م)

(١) انظر المغازي الأولى : هورفتس : ٦ تذكرة الحفاظ : ١ / ٦٢ — ٦٣ .

وانظر : مصادر التاريخ الإسلامي : د. سيدة كاشف : ٢٥ .

(٢) قامت بجمعها وتنسيقها بحسب الموضوعات سلوى أحمد بممدوح موسى وحصلت بها على درجة الماجستير في كلية الآداب قسم التاريخ بالجامعة الأردنية عام ١٩٨٠ بإشراف الدكتور عبد العزيز الدوري ، والرسالة بعنوان : عروة بن الزبير وبداية مدرسة المغازي . وقام الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بجمع مرويات عروة ونشرها له جامعة الرياض في السعودية مؤخراً .

انظر : المجتمع المدني : ٤٠ .

(٣) انظر : المغازي الأولى : هورفتس : ٢٦ .

(٤) انظر علم التاريخ : الدوري : ٢٢ . وهورفتس : ٣٧ .

(٥) تهذيب التهذيب : ابن حجر : ٥ / ١٦٤ — ١٦٥ .

— وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت ١٢٠ هـ = ٧٣٨ م) (١)

— ومحمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ = ٧٤١ م) (٢)

وهؤلاء الثلاثة من أكابر الشيوخ الذين ينتمون إلى مدرسة المدينة ، ولم تصلنا مؤلفاتهم ، وليس لهم بين أيدينا إلا نقول اعتمد عليها ابن إسحاق والواقدي وابن عتبة (٣) .

والزهري منهم قد غلب عليه الاهتمام بالجانب التاريخي ، فلم يقتصر على رواية مغازي عروة بن الزبير فحسب بل قام بجمع روايات المدينة وأحاديثها ، وكتب كل ما سمعه . ثم قام بتمحيص هذه الروايات وتقديمها بشكل متين واضح (٤) .

ويمكن اعتبار الزهري أول من أعطى السيرة هيكلها التاريخي المعروف ، وهو أول من استعمل لفظ السيرة لتعطي مفهوماً أوسع من لفظ المغازي ولتشمل بذلك إضافة إلى الجانب الجهادي للنبي ﷺ جوانب حياته (٥) قبل الإسلام وفي مكة والمدينة ، وأصبحت المغازي بعد ذلك مرادفة للسيرة .

وراعى الزهري في كتابته التسلسل التاريخي لأحداث السيرة ، واستعمل التأريخ للحوادث المهمة ، وأدخل استعمال الإسناد الجمعي ، حيث يدمج عدد من الروايات في خبر متسلسل ، وبذلك يُعتبر هذا تحويلاً في طريقة الكتابة التاريخية (٦) .

(١) نفس المصدر : ٥ / ٥٣ — ٥٤ .

(٢) انظر التقصي لابن عبد البر : ١١٦ وتذكرة الحفاظ : ٢ / ١٠٨ — ١١٣ ، وانظر الدراسة الوافية لترجمة الزهري مُستله من تاريخ دمشق لابن عساكر ، نشرها محققه شكر الله نعمة الله الباحث بقسم البحوث وتحقيق التراث بجامعة محمد بن سعود في الرياض . نشر دار الرسالة بيروت ١٩٨٢ . وانظر : الإمام الزهري وأثره في السنة ، رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م قدمها د. حارث سليمان الضاري : الأستاذ المساعد بكلية الشريعة ببغداد .

(٣) علم التاريخ : ٢٣ والمغازي الأولى : ٢٤ .

(٤) علم التاريخ : ٢٤ .

(٥) المصدر السابق : ٢٤ وانظر مشاهير مؤرخي سيرة رسول الله : د. إبراهيم العدوي : ١٧٠ ، المجلة التاريخية المصرية مج ١٣ / ١٩٦٧ م .

(٦) انظر علم التاريخ . الدوري : ٢٣ ، ٢٤ . وتاريخ التراث : ١ / ٤٤٣ .

« وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ ، فإن الزهري أسس المدرسة التاريخية في المدينة ، ويمكننا أن نؤكد أن أسس المغازي وضعت بدراساته الجديّة »^(١) .
وظهرت ثمرة ذلك في تلميذيه المعروفين موسى بن عُقبة ، ومحمد بن إسحاق .

أما الطبقة الثالثة التي خلفت جيل الزهري فيمثلها ثلاثة من أشهر تلامذته وهم :

- موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ = ٧٥٨ م)^(٢)
- ومحمد بن إسحاق (٨٥ — ١٥١ هـ = ٧٠٤ — ٧٦٨ م)^(٣)
- معمر بن راشد (٥٧ — ١٥٤ هـ = ٧١٤ — ٧٧٠ م)^(٤)

أما موسى بن عقبة فقد عده العلماء من المحدثين الثقة وشهدوا بدقته وثبته في كتابة السيرة النبوية ، فأثنى عليه الإمام مالك بن أنس ووثق مغازيه بقوله : « عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة »^(٥) ، وورد مثل هذا عن الإمام أحمد بن حنبل^(٦) ، وقال الشافعي : « وليس في المغازي أصح من كتاب موسى ابن عقبة مع صغره وتخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره »^(٧) .

وروى له البخاري ومسلم في صحيحهما^(٨) والإمام مالك في الموطأ^(٩) مما يدل

- (١) علم التاريخ : للدوري : ١٠١ — ١٠٢ .
- (٢) انظر ترجمته : التقصي : لابن عبد البر : ١٦٦ .
- والتهذيب : لابن حجر : ١٠ / ٣٦٠ .
- (٣) انظر ترجمته : عيون الأثر : لابن سيد الناس : ١ / ١٠ — ١٧ .
- والتهذيب : لابن حجر : ٩ / ٣٨ — ٤٦ .
- (٤) انظر ترجمته : المعارف لابن قتيبة : ٢٥٣ ، ميزان الاعتدال : للذهبي : ٣ / ١٨٨ . تاريخ التراث :
- ١ / ٤٦٤ — ٤٦٥ ، التهذيب : لابن حجر : ١٠ / ٢٤٤ .
- (٥) التهذيب : لابن حجر : ١٠ / ٣٦١ .
- (٦) انظر التذكرة للذهبي : ١ / ١٤٨ .
- (٧) الجامع لأخلاق الراوي السامع : للخطيب البغدادي ، مخطوط. لوحة ١٦ الجزء الثامن : معهد المخطوطات بالقاهرة .
- (٨) انظر تهذيب الأسماء : للنووي : ٢ : ١ / ١١٨ .
- (٩) انظر التقصي لابن عبد البر : ١٩٦٥ .

على جلالته .

وكان مُتَّبِعاً في منهجه مدرسة المدينة في كتابته السيرة ، ويتضح ذلك في التزامه بالإسناد التزاماً دقيقاً ، ويهتم بالتسلسل الزمني للأحداث عند كتابة السيرة ، لذلك يستعمل التواريخ عند ذكر الحوادث المهمة ، واعتمد في تدوين مغازيه على الوثائق المكتوبة — إضافة إلى آثار شيخه الزهري — من ذلك حصوله على كتاب النبي ﷺ للمنذر بن ساوى^(١) .

ولم يصل من كتاب ابن عُقبة في المغازي غير قطعة منه عثر عليها المستشرق الألماني إدوارد سخاو في المكتبة البروسية الرسمية وقد نشرها بنصها العربي مع ترجمة ألمانية سنة (١٩٠٤ م) .^(٢)

وكتب السيرة والمغازي المتوفرة بين أيدينا نقلت كثيراً عنها ، أمثال : المغازي للواقدي ، وابن سيد الناس في عيون الأثر ، واعتمده ابن عبد البر في الدرر ، ونقل عنه ابن سعد في الطبقات الكبرى وابن حجر في الإصابة وغيرهم^(٣) .

وأما معمر بن راشد فهو من ثقافة المحدثين الذين رَوَوْا عن الزهري ، ونقلوا عنه ، وقد صَنَّف كتابه في المغازي وضمَّنه رواياته عن أستاذه الزهري ، ولم يرتب مادته ترتيباً زمنياً ، بل رتبها ترتيباً موضوعياً على غرار ما فعله في علم الحديث ، ثم إنه لم يقتصر على مادة السيرة النبوية فقط وإنما أضاف إليها تاريخ الرسل السابقين .^(٤)

وعُثر على قطعة من مغازيه مكتوبة على جلد قديم جداً محفوظ في المعهد الشرقي في شيكاغو نشرتها نبيهه عبود .^(٥)

(١) انظر : علم التاريخ : الدوري : ٢٧ .

و (موسى بن عقبة) : مقالة د. أكرم العمري : في مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد : ٥٩ العدد الأول لسنة ١٩٦٧ .

والمغازي الأولى : هورفتس : ٧١ — ٧٣ .

(٢) المغازي الأولى : هورفتس : ٧١ وتاريخ التراث : سزكين : ١ / ٤٥٩ .

(٣) موسى بن عقبة : مقالة مجلة الدراسات الإسلامية : د. أكرم العمري : ١٣ .

(٤) المغازي الأولى : ٧٣ — ٧٥ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ١٩٠ — ١٩١

(٥) انظر تاريخ التراث : لسزكين ١ / ٤٦٥

Nabia Abbott, Studies in Arabic Literory, Chicago, 1957, p, 76 .

ولقد ذكر الدكتور الدورى كتاباً لعمر في الحديث والمغازى لا يزال محفوظاً في استانبول على رَقّ الغزال ، وقد نُسخَت هذه النُّسخة في طُلَيْطلة سنة (٣٦٣ هـ = ١٩٧٣ م)^(١) .

ولكن سزكين^(٢) أورد لنا كتاباً غير (المغازى) الذى نشرته نبيهه عبود ، واسم هذا الكتاب (الجامع) وهو فى الحديث وذكر أنّ تاريخ نسخه (٣٦٤ هـ) ، مُودَع فى مكتبة صائب بأنقرة .

وتلميذ الزهرى الثالث هو محمد بن إسحاق الذى صار علماً على مألّف فى السيرة النبوية ، بلغت شهرته الآفاق وبز جميع أقرانه أو من سبقه ، بل حتى على من ألف بعده ، وخاصة بعد اختصار ابن هشام لكتاب بن إسحاق . وكان ثقة فيما يرويه فى السيرة .

(٣)

ولقد دوّن ابن إسحاق أفكاره التاريخية لثلاث مراحل تاريخية :
— المبتدأ ويختص بفترة بدء الخليقة .

— المبعث يختص بفترة ما قبل هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة
— والمغازى أرّخ فيه للفترة المدنيّة ومغازى النبى ﷺ وسراياه .
وقد اكتشفت نُسخ منه فى أمكنة متعددة ذكرها سزكين .

ونُشرت قطعة منه تضمّ المغازى بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى فى المغرب^(٤) ، وكرّر نشره الدكتور سهيل زكّار مُحققاً فى دمشق^(٥) .

وقد وثّق ابن إسحاق كثيراً من العلماء ، ولعل المقدمة التى قدمها ابن سيد

(١) مصادر التاريخ الإسلامى : د. سيدة كاشف : ٨ .

نقلا عن د. عبد العزيز الدورى وناجى معروف فى : موجز تاريخ الحضارة العربية : (بغداد ١٩٥٢) .
(٢) تاريخ التراث ١ / ٤٦٥ .

(٣) انظر تاريخ التراث ١ / ٤٦١ . وقد أشار إلى أنّ هناك أقساماً من الكتاب فى المغرب والشام .

(٤) انظر : مصادر السيرة : د. فاروق حمادة : ٥٠ ولم يذكر مَظان النسخ التى اعتمدت فى التحقيق أو عددها .

الناس في عيون الأثر قد استوعبت هذا الأمر ، فأورد أقوال الموثقين له وأقوال المضعفين . وقد مدحه الشافعي بقوله^(١) : « من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق » وقال أبو زرعة عبد الرحمن النّصري^(٢) : « محمد بن إسحاق قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، منهم سفيان الثوري^(٣) وشعبة^(٤) وابن عيينة^(٥) والحمادان^(٦) وابن المبارك وإبراهيم بن سعد . وروى عنه من الأكابر يزيد بن أبي حبيب^(٧) ، وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقا وخبرا مع مدحة بن شهاب له^(٨) .

أسباب تضعيف ابن إسحاق أمور منها :

أنه اتهم بقوله بالقدر ، وقيل إنه يتشيع وأجاب الحافظ ابن سيّد الناس عنه بأنّ

(١) عيون الأثر : ١ / ٩ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٢ — ١٧٣ ووصفه بقوله : كان أحد أوعية العلم ، حبراً في معرفة المغازي والسّير وليس بذلك المتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة وهو صدوق في نفسه مرضى .
(٢) الحافظ الثقة محدث الشام قال عنه أبو حاتم صدوق توفي سنة ٢٨١ هـ .

انظر تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٢٤ .

(٣) شيخ الإسلام سيد الحفاظ أمير المؤمنين في الحديث أثنى عليه ووثقه أئمة علم الحديث ولد سنة (٩٧ هـ) في الكوفة وتوفي سنة (١٦١ هـ) ، بالبصرة ، انظر : تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٠٣ — ٢٠٧ .

(٤) هو شعبة بن الحجاج الحجّة الحافظ شيخ الإسلام قال عنه الشافعي : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق وقال عنه الإمام أحمد : كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن يقصد علم الرجال والحديث . انظر التذكرة : ١ / ١٩٣ — ١٩٧ .

(٥) سفيان بن عيينة العلامة الحافظ شيخ الإسلام محدث الحرم ولد سنة (١٠٧ هـ) قال عنه الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز توفي سنة (١٩٨ هـ) .

انظر التذكرة : ٢٦٢ — ٢٦٥ .

(٦) وهما حماد بن سلمة الإمام الحافظ شيخ الإسلام كان بارعا بالمرية فصيحاً مفوهاً صاحب سنّة توفي سنة (١٦٧ هـ) وقد قارب الثمانين . انظر تذكرة : ١ / ٢٠٢ — ٢٠٣ .

وحامد بن زيد الإمام الحافظ المجرد شيخ العراق قال عنه يحيى بن معين : ليس أحد أثبت من حماد بن زيد . ولد سنة (٩٨ هـ) وتوفي سنة (١٩٧ هـ) انظر تذكرة : ١ / ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٧) وهو يزيد بن سويد الأزدي (٥٣ — ١٢٨ هـ) كان مفتي أهل مصر في زمانه ووصف بأنه تابعي ثقة . انظر التهذيب ١١ / ٣١٨ .

(٨) عيون الأثر : ١ / ٩ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٢ — ١٧٣ .

ذلك ليس بالسبب القائم في تضعيف أخباره مالم يكن داعياً فيها إلى بدعته (١) وقد استشهد به البخاري (٢).

والسبب الثاني : هو وصف الإمام مالك بن أنس له بأنه دَجَّال من الدجاجة ، وقد أرجع بن سيد الناس ذلك إلى كلام قاله ابن إسحاق في الإمام مالك عندما سُئل عن الموطأ فقال : أنا يبطاره فأغضب ذلك الإمام مالك ، وقوله في الإمام مالك : بأنه من موالى ذى أصْبَح ، فجري بينهما ما يجري بين الناس من خلاف . ولكنهما تصالجا بعد تُخْرُوج محمد بن إسحاق إلى العراق (٣).

والثالث : جرح هشام بن عروة لابن إسحاق ، وتكذيبه في روايته عن فاطمة بنت المنذر زوجته ، ونفى عن أن يكون ابن إسحاق قد رآها ، وليس هذا بالسبب القائم على تجريحه ، كما قال هشام . لأن بعض التابعين رَوَوْا عن عائشة رضي الله عنها من وراء حجاب ، وكذلك حال فاطمة مع ابن إسحاق . أو أنه دخل عليها وهو غلام (٤). وذكر هورفتس (٥) احتمال عدم علم هشام بدخول ابن إسحاق على زوجته ليرى عنها لكبر سنّها حيث كانت تُكْبَرُ بن إسحاق بثلاثين أو أربعين عاماً . ولوجود أمثلة أخرى لرواية الرجال عن النساء ، ولعل فاطمة كانت تأذن لابن إسحاق دون علم زوجها لهذا السبب .

ويعتبر ابن إسحاق بداية التحول في أسلوب الكتابة التاريخية وتطورها ، حيث جمع بين أسلوب القصص والمحدثين وذهب بذلك إلى أبعد من حدود مدرسة المدينة وخاصة في اهتمامها بالإسناد ، فأكثر من استخدام الإسناد الجمعي مقدماً لنا — بدجته للروايات — بناءً تاريخياً جذاباً (٦).

(١) انظر : نفس المصدر : ١١ ، ١٣ .

(٢) انظر عيون الأثر : ١١ ، ١٣ .

(٣) انظر عيون الأثر : ١١ ، ١٦ ، ١٧ وتذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٣ .

(٤) انظر عيون الأثر : ١٠ ، ١١ ، ١٦ .

(٥) انظر : المغازي الأولى : لهورفتس : ٧٨ ، ٧٩ .

وانظر تاريخ الإسلام للذهبي ٦ / ٣٧٧ .

(٦) انظر : علم التاريخ عند العرب : د. الدوري : ٢٨ ، ٢٩ .

وباختصار ابن هشام لكتاب ابن إسحاق وتخليصه من الأخبار الضعيفة — وخاصة في كتاب المبتدأ — والأشعار المنتحلة نال كتاب ابن إسحاق قبولا عند عامة المؤرخين بعد أن اقترب به ابن هشام من وجهة نظر المحدثين .^(١)

وقد ترسم كل من جاء بعد ابن هشام طريقته في سرد أحداث السيرة بالترتيب الزمني . ولم يعد من ألف في السيرة بعد ذلك أن يكون مختصراً لسيرة ابن هشام ، أو شارحاً لها أو شارحاً غريبها ومشكلها كما فعل السهيلي . أو الاكتفاء بعيونها ودورها كما فعل ابن عبد البر وابن سيد الناس . وقسم آخر نظمها شعراً .

وقد سار المحدثون على أثر من سبقهم بالاهتمام بسيرة نبيهم ، فتصدوا للتأليف فيها على اختلاف مناهجهم ومشاربهم .

فمنهم من اهتم بعرض السيرة بأسلوب أدبي قصصي جذاب^(٢) . ومنهم من اهتم بفقه السيرة يستلهم منه العبر والدلالات ليحصل التأسي به صلى الله عليه وسلم^(٣) . وهم في ذلك كله لا يخرجون عن الإطار الذي وضعه ابن هشام بعد جمعه بين جزئي سيرة

(١) انظر نفس المصدر : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) خاتم النبیین : الشيخ محمد أبو زهرة : دار الفكر العربي بالقاهرة : ١٣٩٢ هـ .

— حياة محمد صلى الله عليه وسلم : محمد حسين هيكل

نشر دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨١ م .

— صور من حياة الرسول : محمد أمين دويدار : دار المعارف بالقاهرة ١٣٩٨ هـ .

١٩٧٨ م ، ط ٤ ، نشر دار المعارف .

— على هامش السيرة : د . طه حسين ، نشر دار المعارف بالقاهرة (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) ط ٢٢ .

— الرسول القائد : محمود شيت خطاب نشر دار الرسالة ببيروت .

(٣) فقه السيرة : د . محمد سعيد رمضان البوطي

نشر دار الفكر الحديث : لبنان ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م . ط ٧ .

القول المبين في سيرة سيد المرسلين : د . محمد الطيب النجار

توزيع دار الاعتصام بالقاهرة .

السيرة النبوية دروس وعبر : د . مصطفى السباعي

نشر المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .

دراسات في السيرة : د . عماد الدين خليل

نشر دار الرسالة ببيروت : ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد شلبي أنّ الإطار الذي قدّم فيه بن هشام السيرة لا يستوعب السيرة النبوية بمفهومها الكلّي الشامل لجميع جوانب حياة الرسول ﷺ في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والإدارية .

لذا أسهم أستاذنا في ^(١) هذا الجانب وأرّخ للسيرة بمفهومها الكلّي الشامل . فعرض لنا علاقة الرسول بأزواجه ، وطبيعة حياته في بيته ، وعلاقته بالمجتمع من حوله في تعامله مع أصحابه ، وتربية الولاة ، والدعاة والقادة والقضاة وموقفه من الشباب والعمل ، ومعاملته لغير المسلمين وغير ذلك .

وأسهم بذلك في تدوين السيرة من جديد كما ينبغي بعد أن جمع مُتَنَاقِر أخبارها من مختلف المصادر، وبخاصة كتب الحديث النبوي الشريف ^(٢)، ليقدم بذلك صورة صادقة لسيرة الرسول عليه السلام الذي جعله الله قدوة للمسلمين ﷺ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﷺ، ليستطيعوا أن يتمثلوا حياته وينتفعوا بها في تربية أنفسهم وفي تصرفاتهم في كل المجالات ^(٣).

السيرة ومؤلفاتها في الأندلس

لما كان الأندلس جزءاً من الوطن الإسلامي الذي ترامت أطرافه شرقاً وغرباً في تلك الحقبة فبالضرورة فإن الثقافة الإسلامية هي البناء الفكري له بعد أن عمّت

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي الجزء الأول في طبعته العاشرة ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م .

(٢) هناك مشروع لكتابة السيرة وتوثيق نصوصها واستكمال جوانبها الشاملة بتطبيق منهج النقد عند المُحدِّثين على الروايات التاريخية .

ويشرف عليه أستاذنا الدكتور أكرم العمرى رئيس المجلس العلمي ورئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأسهم هو في هذا المشروع بكتابه (المجتمع المدني في عهد النبوة وخصائصه وتنظيماته الأولى) وقد سجّلت رسائل درجتى ليل الماجستير والدكتوراه لتنفيذ هذا المشروع وأُنجزت بعض هذه الرسائل مثل : (مرويّات غزوة بنى المصطلق) تعقّق ودراسة إبراهيم بن إبراهيم قريشي . وإشراف د. أكرم العمرى وقد قام المجلس العلمي بشهر هذين الكتابين الأول سنة (١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م) ، والثاني سنة (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) (٣) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٤) انظر موسوعة التاريخ : ١ / ١٩٧ ط ١٠ .

العقيدة الإسلامية تلك الربوع .

وبالتالى فالنمو الثقافى وإنتاجه كان امتدادا للثقافة الإسلامية فى المشرق لأنه جزء منها .

لذا فإن المصادر الأولى لكُلِّ العلوم قد نُقلت إلى الأندلس ، وكان من ضمن ما نقل من تأليف ، المصادر الأولى فى السيرة النبوية الشريفة ، وقد حفظ لنا أصحاب فهارس الكتب ومؤلفو براج العلماء والمشايخات أسماء أهم هذه المصادر .

وقد حفظ لنا ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م) الذى تعتبر فهرسته « مادة لدراسة حركة التأليف فى الأندلس »^(١) من تلك الكتب :

١ — مغازى رسول الله ﷺ^(٢)

تأليف موسى بن عُقبة (ت ١٤١ هـ = ٧٥٦ م) .^(٣)

٢ — كتاب سيرة رسول الله ﷺ لسليمان بن طَرْخان (٤٦٦ هـ / ٦٧٥ م — ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م) .^(٤)

٣ — كتاب المغازى والسير لمحمد بن إسحاق (٨٥ / ٧٠٤ — ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) بروايات تلاميذه الثلاثة :^(٥)

زياد بن عبد الله البَكَّائى (ت ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م)^(٦)

إبراهيم بن سعد (ت ١٨٤ هـ — ٨٠٠ م)^(٧) وقيل ١٨٥ هـ .

(١) كتب براج العلماء : عبد العزيز الأهوانى : مقالة فى مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة م ١ ج ١ — ٢ القاهرة : ١٩٥٥ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير : ٢٣٠ تاريخ التراث ١ / ٤٥٧ — ٤٥٩ .

(٣) انظر : طبقات حليفة بن خياط : ٢٦٧ والتقصى لابن عبد البر : ١٦٦ .

(٤) انظر سزكين : ١ / ٤٥٧ انظر فهرسة ابن خير : ٢٣١ وانظر التقريب : ١ / ٣٢٦ .

(٥) سزكين : ١ / ٦٠ — ٤٦٣ وانظر الفهرسة : ٢٣٢ وانظر التقريب : ٢ / ٤٥ وقال ثقة عابد إمام المغازى صدوق ذكره الرعيني فى برنامج ٣٨ ، ١٦٦

(٦) انظر تقريب التهذيب : ١ / ٢٦٨ وقال عنه : صدوق ثبت فى المغازى .

(٧) تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٥٢ — ٢٥٣ وانظر التقريب : ١ / ٣٥ وقال : ثقة حجة .

يونس بن بُكير (ت ١٩٩ هـ = ٨١٥ م) (١)

٤ — كتاب السير لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري (ت ١٨٥ هـ = ٨٠١ م) (٢) وقيل ١٨٦ هـ .

٥ — كتاب السير لسعيد بن يحيى الأموي (ت ٢٤٩ هـ = ٨٦٣ م) (٣)

٦ — كتاب سير الوليد بن مسلم الأموي (١١٩ — ١٩٥ هـ = ٧٣٥ — ٨٧١ م) (٤)

٧ — كتاب سيرة رسول الله ومغازيه لمحمد بن عمر الواقدي (١٣٠ — ٢٠٧ هـ = ٧١١ — ٨٢١ م) (٥)

٨ — كتاب المغازي لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ = ٨٢٦ م) (٦)

٩ — كتاب تهذيب مغازي ابن إسحاق لعبد الملك بن هشام الحميري (ت

(١) تذكرة الحفاظ : ١ / ٣٢٦ — ٣٢٧ والتقريب : ٢ / ٣٨٤ وقال عنه يخطيء

(٢) سزكين : ١ / ٤٦٧ فهرسة ابن خنير الإشبيلي : ٢٣٦

انظر تقريب التهذيب : ١ / ٤١ وقال : الإمام ثقة حافظ وكان من المجاهدين في الثغور .
الموجود من الكتاب الجزء الثاني ، مكتوب على رق غزال بقلم أندلسي سنة (٢٧٠ هـ) وعدد أوراقه : (١٨ ورقة) وهو برقم : (٣٢٠ مغرب ثانية / الخزانة العامة) في معهد المخطوطات بالقاهرة . انظر مصورات المغرب القائمة الثانية ١٩٧٠ م .

وتوجد منه مخطوطة تتضمن الجزء الأول والثالث والرابع والخامس في مجلد واحد في (٥٩ ورقة) مكتوبة بقلم أندلسي عتيق والنسخة فيها تقطيع شديد ولون الورق مائل إلى الحمرة وهي برقم (٣٢١ مغرب ثانية / الخزانة العامة) في معهد المخطوطات بالقاهرة . انظر مصورات المغرب القائمة الثانية ١٩٧٥ م .

(٣) سزكين : ١ / ٤٦٨ بن خنير الإشبيلي : ٢٣٧

انظر تقريب التهذيب : ١ / ٣٠٨ وقال عنه : ثقة وربما أخطأ .

(٤) سزكين : ١ / ٤٦٩ . فهرسة ابن خنير الإشبيلي : ٢٣٦ ، تذكرة الحفاظ : ١ / ٣٠٢ — ٣٠٤ ، انظر

التقريب : ٢ / ٣٣٦ وقال عنه : ثقة ، لكنه كثير التدليس .

(٥) سزكين : ١ / ٧٠ — ٢٧٥ ابن خنير الإشبيلي : ٢٣١

انظر التقريب : ٢ / ١٩٤ وقال عنه متروك — أي في الحديث — مع سعة علمه في التاريخ .

(٦) سزكين : ١ / ١٤٤ ابن خنير الإشبيلي : ٢٣٦

تقريب التهذيب : ١ / ٥٠٥ وقال عنه : ثقة حافظ عمي في آخر عمره فتغير .

٢١٨ هـ ٨٣٣ م (١)

- ١٠ — تاريخ أبي بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي (٢٧٩ هـ = ٨٩٢) (٢)
١١ — أعلام النبوة : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ — ٢٧٥ هـ = ٨١٧ — ٨٨٨ م) (٣)

هذه هي أمهات المصادر في السيرة النبوية التي دخلت الأندلس وكانت مدار اعتماد العلماء الأندلسيين ، وتشهد لنا بذلك فهارس العلماء التي ذكرتها وهناك كتب أخرى اعتمدها العلماء الأندلسيون إضافة إلى كتب السيرة والمغازي تناولت السيرة النبوية والمغازي ضمنا (٤) . أو أفردت (٥) جانبا من جوانب السيرة بمؤلف .

وقد تناقل علماء الأندلس مصادر السيرة السالفة الذكر وغيرها ، وكانت تروى في حلقات العلم أو تقرأ على الطلاب .

وكان أهل الأندلس يُطلقون لفظ (المَشاهد) على المغازي ، والعالم الذي يروى روايات السيرة ومؤلفاتها يوصف بأنه (حافظ للمشاهد) .

(١) سزكين ١ / ٧٥ — ٢٨٠ ابن خير الإشبيلي : ٢٣٣

وانظر فهرس ابن عطية الغرناطي : ورقة : ٢٢ ، ٢٥

وانظر الغنية : مخطوط للقاضي عياض : ورقة : ١٢١

وانظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٤٥ وقال عنه : صاحب المغازي كان أدبيا إخباريا ، توفي بمصر .

(٢) انظر فهرسة ابن عطية الغرناطي : ورقة ٢٢ وابن خير : ٢٠٦ وانظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٩٦ وقال عنه الخطيب البغدادي ثقة عالم متقن حافظ بصير بأيام الناس .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ : ١٢ / ٥٩١ وقال عنه الحكم : أبو داود إمام أهل الحديث في عصره .

(٤) كما فعل ابن سعد في طبقاته إذ أفرد الجزئين الأول والثاني للسيرة النبوية وخليفة بن خياط في تاريخه : مطبوع وكذلك كل كتب التاريخ العام مثل تاريخ الطبري والكمال لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها .

(٥) مثل : كتاب الشمائل النبوية للترمذي مطبوع

ودلائل النبوة لأبي ذر الهروي : انظر فهرسة ابن خير : ٢٨٦

ومعيشة النبي وأصحابه لأبي ذر الهروي كذلك : نفس المصدر .

وشرف المصطفى لأبي سعد محمد الواعيط النيسابوري : نفس المصدر ٢٨٩ .

وانظر كشف الظنون : ٢ / ١٠٤٥ وغير ذلك من الكتب .

فيقال : مثلاً : إن فلاناً « رحل فسمع من عبد الملك ^(١) بن هشام المشاهد ^(٢) » أو « كان حافظاً لأخبار العرب ووقائعها وأيامها ومشاهد النبي ﷺ ^(٣) » ، أو « كان حافظاً للمشاهد ^(٤) » أو « كان حافظاً للأخبار والمشاهد ^(٥) »

وشاع ذلك في القرن الثالث وأوائل الرابع ويحتمل أنه كان قبل أن يتجه الأندلسيون للتأليف في السيرة الشريفة .

وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري أو قبله بقليل بدأت كتابات الأندلسيين في السيرة النبوية الشريفة تظهر ^(٦) ، هي ثمرة من ثمرات النمو الثقافي في الأندلس بانتقاله من الأخذ إلى العطاء . ولكن الغريب أن فهارس وبرامج العلماء الأندلسيين والمغاربة الموجودة بين أيدينا ^(٧) لم تنقل لنا أغلب هذا النتاج . فهل كانت المؤلفات في هذا الفن نادرة ؟ ولا يجزم الباحث أن ذلك صحيحاً ، لأنَّ

(١) عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ الذي هذب سيرة ابن إسحاق واشتهرت باسمه : تذكرة الحفاظ ٤٥ / ٢ .

(٢) والمقصود بالرحلة هو عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتيل من أهل قرطبة توفى سنة (٢٥٦ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضي ٢١٣ / ١ .

(٣) انظر ترجمة عفر بن سعد بن عفير ابن بشر بن فضالة الغساني من أهل مورور نزيل قرطبة المتوفى سنة (٣١٧ هـ) : المصدر السابق ٣٤٣ / ١ .

(٤) انظر ترجمة : محمد بن حبيب بن كسرى اليحصبي من أهل أَسْتَجَة المتوفى سنة (٣٢٧ هـ) . المصدر السابق ١٤٥ / ٢ .

وانظر ترجمة موسى بن أزهر بن موسى بن حريش من أهل أَسْتَجَة استشهد عازيا سنة (٣٠٦ هـ) المصدر السابق ١٤٩ / ٢ .

(٥) انظر ترجمة محمد بن أبان بن سيد بن أبان اللخمي من أهل قرطبة المتوفى سنة (٣٥٤ هـ) المصدر السابق ٦٧ / ٢ .

(٦) هذا لا يعني أنه لم يكتب الأندلسيون في السيرة قبل القرن الرابع مؤلفات لكنها لم تكن تشكل ظاهرة تلفت النظر .

ولكن الاستقراء دلّ على أن ظاهرة التأليف في السيرة بصورة أكثر كثافة بدأ في النصف الأول من القرن الرابع وما بعده على الأغلب .

(٧) وقد ذكر أهمها في الفصل السادس من الباب الأول .

أهل الأندلس أهل عناية بعلم الحديث . والسيرة أكثر العلوم لُصوقاً بعلم الحديث ، فضلاً عن أنها تسجيل لحياة مَنْ صدر عنه الحديث ﷺ . أو لعل أهل الأندلس كانوا يفتخرون بالأصول التي ألفها أهل المشرق في هذا الفن فيكتفون بها ، ثم يضيفون إليها مؤلفات المشهورين من العلماء الأندلسيين أمثال الليثي ، وابن عبد البر . لكن كُتِبَ التراجم استدركت هذا النقص بذكر بعض المؤلفات خلال تراجم العلماء الأندلسيين .

ومن المحاولات المبكرة ^(١) للتأليف في السيرة النبوية أو أحد جوانبها كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي (ت ٣٠٢ هـ = ٩١٥ م) ، واختصار سيرة رسول الله ليحيى بن عبد الله الليثي (ت ٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م) وغيرهما .

وما أن أطل القرن الخامس الهجري — عصر الازدهار العلمي في الأندلس — حتى نشطت ظاهرة التأليف وغرر الإنتاج الثقافي في كل جوانب المعرفة وكان أشهر من ألف في هذا القرن في السيرة النبوية : قاضي الجماعة أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ = ١٠١١ م) ، والحافظ أبو عمر ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م) ، والحافظ ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٨ هـ = ١٠٦٥ هـ) ، وعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧ هـ = ١٠٨٥ م) وغيرهم وسنذكر مؤلفاتهم في السيرة بعد قليل .

ثم أخذت مؤلفات السيرة النبوية تكثر ، ويتفنن العلماء في طرق تأليفها والجوانب التي تتخصص فيها ، وكل ذلك على نسق أهل المشرق ^(٢) نظماً ونثراً فكتبوا في :

(١) ذكر السخاوي في الإعلال بالتوخيخ فيما صنف في السيرة عبد الملك بن حبيب (ت ٢٢٨ هـ) ولكن سقطا وقع في المخطوط أوقع في اللبس ولكن مترجم كتاب علم التاريخ د . صالح أحمد العلي عقب قائلاً « هل إن عبد الملك بن حبيب هو المؤرخ الأندلسي الذي كتب في السيرة كما نعلم » فأثبت أن له كتاباً في السيرة ولكنه لم يُحل إلى مصدر ذلك .

انظر علم التاريخ لروزنثال : ٥٢٧ .

(٢) انظر كشف الظنون عند كلام حاجي خليفة على علم السير وفنونه ٢ / ١٠١٢ .

أسماء النبي ﷺ — ومولده — ومبعثه — وخصائصه — وفضائله وشمائله
وأعلام نبوته — ومغازية — أو جمعوا بين ذلك كله .

وحاول الباحث استقصاء ما يستطيع من المؤلفات في السيرة النبوية التي ألفها
الأندلسيون : وهي على سبيل المثال لا الحصر :

— مغازي رسول الله ﷺ لعبد الملك بن حبيب ١ ٢٣٩ هـ — ٨٥٤ م (١) .

(٢) — الدلائل أو شرح غريب الحديث . .

لقاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي (٢٥٥ — ٣٠٢ هـ = ٨٦٨ — ٩١٤ م) وقد كان بدأ بتأليفه ولكنه لم يكمله وأكماله أبوه ثابت بن حزم (٣)
السرقسطي (٢١٧ — ٣١٣ هـ) بعد وفاة ابنه .

(٤) — المختار سيرة رسول الله ﷺ . .

لأبي عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي (٣٦٨ هـ — ٩٧٩ م) (٦)

(٧) — أعلام النبوة ودلائل الرسالة . .

(١) انظر الديباج المذهب : ١٣ / ٢ .

(٢) انظر فهرسة بن خير الإشبيلي : ١٩١ وتاريخ بن الفرضي ١ / ٣٦١ وصنفة السخاوي في الإعلان ضمن
كتب دلائل النبوة : انظر علم التاريخ ، وزنتال ٥٣٢ .

وقد نقل عنه ابن سيد الناس في كتابه عيون الأثر : ١ / ٢٦٥ ، وانظر مصادر السيرة وتقويمها : ٤٤ .
والموجود في الدلائل :

الجزء الثاني والثالث في معهد المخطوطات بالقاهرة ، الجزء الثاني برقم ٨٩ مغرب ثانية / الخزنة العامة
بالرباط وهو في ١٥٣ ورقة في نسخة قديمة بخط أندلسي نفيس .

والجزء الثالث من النسخة نفسها برقم ٩٠ مغرب ثانية / الخزنة العامة وهو ١٥٤ ورقة : انظر قوائم
مصرات المغرب ، القائمة الثانية / ١٩٧٥ .

(٣) انظر ترجمته تاريخ بن الفرضي : ١ / ٣٦٠ — ٣٦١ .

(٤) المصدر السابق : ١ / ١٠٠ .

(٥) انظر فهرسة بن خير الإشبيلي : ٢٣٢ .

(٦) تاريخ بن الفرضي : ٢ / ١٩٢ .

(٧) اذكره بن بشكوال في الصلة : ٣١١ وصنفة السخاوي في الإعلان ضمن كتب دلائل النبوة : انظر كتاب =

لقاضى الجماعة أبى المطرف عبد الرحمن محمد بن فطيس (٤٠٢ هـ
١٠١٢ م)^(١).

— الدرر فى اختصار المغازى والسير^(٢)

للمحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التمرى القرطبى (٣٦٨ —
٤٦٣ هـ = ٩٧٩ — ١٠٧٠ م)^(٣).

— وله أعلام النبوة .

^(٥)

— جوامع السيرة .

لأبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى (٣٨٤ — ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ —
١٠٦٤ م)^(٦).

^(٧)

— أعلام النبوة .

لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى (٤٨٧ هـ = ١٠٨٥ م)

^(٨)

— اختصار كتاب أخلاق رسول الله ﷺ .

لأبى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى (٥٢٥ هـ — ١١٥٧ م)^(٩).

علم التاريخ لروبرتال ٥٣٦

وانظر مصادر السيرة وتقويمها : ٤٤ .

(١) وهو من شيوخ ابن عبد البر وأفاض علماء الأندلس وكان من جهابذة المحدثين وله تأليف كثيرة فى علم
الرجال والسير والأخبار . انظر الصلة : ٣٠٩ — ٣١٣ .

(٢) طبع وحققه د. شوق ضيف ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م .

(٣) انظر جذوة المقتبس : ٣٦٨ . والصلة ٦٧٧ .

(٤) أشار إليه فى كتابه الدرر : ٣١ .

(٥) طبع بتحقيق د. ناصر الدين الأسد ، الدكتور إحسان عباس ومراجعة أحمد محمد شاكر ونشرته دار المعارف
بالقاهرة مع رسائل أخرى .

(٦) انظر الصلة لابن بشكوال : ٣١٥ — ٣١٧ .

(٧) انظر الصلة : ٢٨٧ وهو من تلاميذ ابن عبد البر .

(٨) وكتاب أخلاق رسول الله ﷺ لأبى محمد عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبى الشيخ المتوفى سنة

(٣٦٩ هـ) وهو فى ستة أجزاء . انظر فهرسة ابن خير : ٢٧٦ ومصادر السيرة وتقويمها : ٧٥ .

(٩) بغية المتتمس : ١٣٨ والصلة : ٢ / ٥٧٥ وقال ابن بشكوال توفى سنة ٥٢٠ .

— معراج المناقب وُغنوان الحسب الثاقب^(١).

لأبي عبد الله بن مسعود بن طيب بن فرج بن خَلَصَة بن أبي الخِصَال
(٤٦٥ — ٥٤٠ هـ = ١٠٧٢ — ١١٤٦ م)^(٢).

— الروض الألف والمَشرع الرّوى في تفسير ما اشتمل عليه كتاب سيرة رسول
الله ﷺ واحتوى^(٣) لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السَّهيلي
(٥٠٨ — ٥٨١ هـ = ١١١٤ — ١١٨٥ م).

— الشَّمائل بالنور الساطع الكامل بأربعة أسفار^(٤)
لأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الفزارى الغرناطى المعروف بابن المَعْرَى
(٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م).

— معجزات الرسول ﷺ لعبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي
(٥١٠ — ١٨٦ هـ = ٥٨١ — ١١٨٦ م)^(٥).

— شرح غريب سيرة بن هشام^(٦)
لأبي ذر الحُشنى مصعب بن محمد الجيّانى المعروف بابن أبي الرُّكْب
(٥٣٣ — ١١٣٨ هـ = ١١٣٨ — ١٢٠٧ م = ٦٠٤ هـ — ١٢٠٧ م)^(٧).

— شرح أسماء النبي ﷺ^(٨).

(١) إوهى منظومة بائية في نسب رسول الله ومعجزاته : انظر المعجم لابن الأبار ١٤٦ وانظر : برنامج شيوخ
الوادياني تحقيق د. فاطم صالح مطلوب كجزء من رسالة الدكتوراه المقدمة بجامعة عين شمس كلية الآداب قسم
التاريخ ١٩٧٩ م ولم تطبع بعد : ٢ / ١٣٠ وانظر كشف الظنون : ١ / ٩٠ وفهرسة ابن خير : ٤٢٠

(٢) انظر المعجم لابن الأبار : ١٤٤ — ١٤٩ وقال : كان عالماً بالأخبار والسير .

(٣) طبع بتحقيق عبد الرحمن الوكيل : نشر دار الكتب الحديثة (الإسلامية الآن) بالقاهرة سنة ١٩٦٧ ل
سبعة مجلدات وطبع طبعات أخرى غير محققة .

(٤) 'كشف الظنون : ٢ / ١٠٥٩ وانظر الديباج المذهب : ٢ / ١١٦ .

(٥) انظر الديباج المذهب ٢ / ٥٩ — ٦١ .

(٦) توجد منه نسخة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ضمن مصورات المغرب برقم (٤٤١ مغرب
ثانية / الخزنة العامة) .

(٧) انظر شذرات الذهب ٥ / ١٤ .

(٨) انظر نفع الطيب : ٢ / ١٠٤ .

— نهاية السؤل فى خصائص الرسول (١).

— الآيات الينات فى ذكر ما فى أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات (٢).

— المعراج (٣).

— التوير فى مولد السراج المنير (٤).

كل هذه المؤلفات من تأليف أبى الخطاب مجد الدين عمر بن الحسن بن على .
المعروف بابن دحية الدانى الأندلسى الظاهرى (٥٤٤ — ٦٣٣ هـ = ١١٤٩ — ١٢٣٥ م) (٥).

(٦)

— الاكتفاء فى مغازى رسول الله ﷺ ومغازى الثلاثة الخلفاء للحافظ الشهيد
أبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعى (٥٦٥ — ٦٣٤ هـ = ١١٧٠ — ١٢٣٦ م) (٧).

— الخصائص النبوية (٨).

لمحمد بن يوسف بن موسى الجذامى الأندلسى المعروف بابن المُستدى
(٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م) (٩).

— ملاذ المُستعيز وعباذ المُستعين فى بعض خصائص سيد المرسلين (١٠) لابن

(١) معجم المؤلفين : ١ / ٢٨٠ .

(٢) انظر نفح الطيب : ٢ / ١٠٤ .

(٣) انظر علم التاريخ لرورنثال : ٥٣٤ .

(٤) انظر نفح الطيب : ٢ / ١٠٤ .

(٥) انظر نفح الطيب : ٢ / ٩٩ — ١٠٤ هـ وشذرات الذهب : ٥ / ١٦٠ .

(٦) طبع منه جزآن، بتحقيق مصطفى عبد الواحد ونشرته مكتبة الخانجى بالقاهرة صدر الجزء الأول منه فى ١٩٦٨ م . وصدر الثانى : فى ١٩٧٠ م ولم يصدر الجزء الثالث للآن .

(٧) كان من أولى العرم والسمية والإقدام يخضر الغزوات ويأشر بنفسه القتال استشهد فى وقعة « أنيشة » قرب
بلنسية انظر الديباج : ١ / ٨٥ — ٣٨٨ .

(٨) كشف الظنون : ١ / ٧٠٥ .

(٩) انظر التذكرة : ٤ / ١٤٤٨ والنفح : ٢ / ١١٢ .

(١٠) ديباج : ٢ / ٣٧١ والنفح : ٦ / ١٤٥ .

الحجاج يوسف بن موسى المُنْتَشِقِرِي الرُّنْدِي (١)

— كتاب في معجزات النبي ﷺ (٢) .

لابن غصن محمد بن إبراهيم الإشبيلي النحوي (٦٥٣ — ٧٢٣ هـ = ١٢٥٥ — ١٣٢٣ م) (٣) .

— أرجوزة في أسماء النبي ﷺ وشرحها (٤) .

لأبي عبد الله القرطبي .

— رسالة في السيرة والمولد النبوي (٥)

لشهاب الدين الرُّعَيْنِي الغِرْنَاطِي (٧٧٩ هـ = ١٣٧٧ م) .

— رسالة في السيرة والمولد النبوي .

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي (٧٨٠ هـ = ١٣٧٨ م) (٦) .

ابن عبد البر والتأليف في السيرة النبوية :

خاض ابن عبد البر غمار التأليف في السيرة النبوية وما يتعلق بها ، وكان ذلك أمراً بذهياً بحكم اشتغاله في علم الحديث ، وما للحديث إلا كل قول ، أو فعل ، أو تقرير صدر عن النبي ﷺ . والسيرة هي صياغة هذه الأقوال والأفعال والتقاريرات في تسلسل خَدَثِيٍّ في إطار زمني مترابط يبدأ بمبعثه ﷺ وينتهي بوفاة ﷺ ، أما الحديث عن حياة الرسول قبل البعثة فقد ذكره في الاستيعاب .

وسار ابن عبد البر على أثر من تُقَدِّمه من ألف في هذا الفن ، فقدم لنا كتابه في

(١) ديباج ٢ / ٣٧١ ونفع الطيب ٦ / ١٣٨ — ١٤٥ .

(٢) نفع الطيب : ٢ / ٢٠٧ وانظر ذيل كشف الطون ٤ : ٥٠٨ .

(٣) انظر غاية النهاية : ٢ / ٤٧ .

(٤) كشف الظنون : ١ / ٩٠ .

(٥) مخطوط بدار الكتب المصرية : رقم ٤٩٤ محاميع تاريخ

(٦) مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن المجموع السابق .

السيرة ، وانتقى فيه الدرر من الأخبار ، وجعله خاصا بسيرته ومغازيه ﷺ ،
ابتدأ فيه بمبعث النبي وانتهى بوفاته ﷺ .

ثم إن ابن عبد البر قدم في صدر كتابه الاستيعاب ^(١) ترجمة مختصرة تكلم فيها
عن مولد النبي ﷺ ونسبه وتسميته وفضائله وأزواجه ووفاته « مما لا يليق بذي
علم جهلها وتحسن المذاكرة بها لتتم الفائدة للعالم الراغب والمتعلم الطالب في
التعريف بالمصحوب والصاحب » ^(٢).

وأشار ابن عبد البر في كتابه الدرر ، بأنه سيؤلف كتاباً في فنّ أعلام النبوة ^(٣)
يُفرده لذلك ، وعليه فلم يُفصل في كتاب الدرر في هذا الموضوع وإنما ذكر ما
يجمل ذكره لارتباطه بموضوع كتاب الدرر .

تنظيم الكتاب ومحتوياته :

لخصّ ابن عبد البر ذلك في مقدمة كتابه بقوله : « هذا كتاب اختصرت فيه
ذكر مبعث النبي ﷺ وابتداء نبوته وأوّل أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها ،
لأنّ ذكرت مولده وحاله ونشأته ، وعيوناً من أخباره صدر كتابي في الصحابة ،
وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه ، وأوقاته ﷺ ... فذكرت مغازيه
وسيره على التقريب والاختصار ، والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو
والتخليط » ^(٤).

ورتب الكتاب على ثمانية أبواب ، يحتوى كل باب على المادة التاريخية التي
تخصّه ، وقسم بعض الأبواب إلى عناوين فرعية .

وكان مُعتمداً في تنظيم مادة الكتاب وتسلسلها الزمني على كتاب ابن إسحاق ^(٥)

(١) انظر الاستيعاب : ٢٥ / ١ .

(٢) الاستيعاب : ٢٥ / ١ .

(٣) انظر : ٣١ ولم يصلنا هذا الكتاب ولعله مما فقد .

وأعلام النبوة عن العلامات والإرهاصات التي وقعت قبل بعثته والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد نبوته .

(٤ ، ٥) انظر خطبة كتاب الدرر : ٢٩

ولقد قام الدكتور شوق ضيف بتحقيق الكتاب تحقيقاً دقيقاً موثقاً . وقدم مقدمة قيّمة للكتاب بين فيها .

وكانت الأبواب على التسلسل الآتي :

— باب خبر مبعثه ﷺ .

— باب دعاء الرسول قومه وغيرهم إلى دين الله والدخول في الإسلام وذكر بعض مآلقي من الأذى وصبره في ذلك على البلوى ﷺ . ويحتوي هذا الباب على :

١ — دغوة الرسول قومه وغيرهم إلى الإسلام .

٢ — أول الناس إيماناً بالله ورسوله .

٣ — ذكر بعض مآلقي الرسول وأصحابه من أذى قومه وصبرهم على ذلك .

٤ — المجاهرون بالظلم لرسول الله ولكل من آمن .

٥ — المستهزئون .

— باب ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة .

— باب ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف في الشعب ومآلقوا من سائر قريش في ذلك .

— ذكر من انصرف من أرض الحبشة إلى مكة .

— ذكر إسلام الجن .

— ذكر خروج الرسول إلى الطائف وعوده إلى مكة .

— إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي .

— حديث الإسراء والمعراج مختصراً .

— عرض الرسول الإسلام على قبائل العرب .

— العقبة الأولى .

— العقبة الثانية .

— العقبة الثالثة .

= مصادر ابن عبد البر ، ومنهجه في التأليف ، وآراءه في السيرة ، وتأثر كتاب السيرة به مما يشهد بأهمية الكتاب وقيمة آراء ابن عبد البر فيه . وأعاد طبعه في سنة ١٩٨٣ م بدار المعارف بالقاهرة . وكل من يكتب عن كتاب الدرر لا يستغنى عما كتبه الدكتور ضيف بل يجعله المفتاح لما كتب .

- تسمية من شهد العقبة من الأنصار مع الاثنى عشر نقيبا .
- باب ذكر الهجرة وحياة الرسول في المدينة :
- خروج رسول الله ﷺ للهجرة .
- بناء مسجد رسول الله ﷺ .
- مؤانحة رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار .
- فرض الزكاة .
- كها اليهود والمنافقون .
- مغازي رسول الله ﷺ وبعوثه .
- غزوة ودان ويقال لها غزوة الأبواء .
- باب بعث حمزة وبعث عبيدة .
- فرض صوم رمضان .
- غزوة بواط .
- غزوة العشيرة .
- غزوة بدر الأولى .
- بعث عبد الله بن جحش .
- صرف القبلة .
- غزوة بدر الثانية وهي أعظم المشاهد فضلا لمن شهدها .
- تسمية من استشهد ببدر من المسلمين .
- تسمية من قُتل ببدر من كفار قريش .
- تسمية من أسر ببدر من كفار قريش .
- تسمية من شهد بدرا من المهاجرين .
- تسمية من شهد بدرا من الأنصار .
- فصل في بعث مشركي العرب إلى النجاشي .
- غزوة بني سليم .
- غزوة السويق .
- غزوة ذي أمر .

- غزوة بجران .
- غزوة بنى قينقاع .
- البعث إلى كعب بن الأشرف .
- غزوة أحد .
- ذكر من استشهد من المهاجرين يوم أحد .
- تسمية من قتل من الأنصار يوم أحد .
- تسمية من قتل من كفار قريش يوم أحد .
- غزوة حمراء الأسد .
- بعث الرجيع .
- بعث بشر مَعونة .
- غزوة بنى النضير .
- غزوة ذات الرقاع .
- غزوة بدر الثالثة .
- غزوة دُومة الجندل .
- غزوة الخندق .
- غزوة بنى قريظة .
- ذكر من استشهد من المسلمين يوم الخندق .
- ذكر من قتل من المشركين يوم الخندق .
- شهداء يوم قريضة .
- بعث عبد الله بن عتيك إلى قتل أوى رافع، سلام بن أبى الحقيق اليهودى
- غزوة بنى لحيان .
- غزوة ذى قرد .
- غزوة بنى المصطلق من خزاعة .
- عُمرَة الحديبية .
- غزوة خيبر .

- تسمية من استشهد من المسلمين يوم خيبر .
- قدوم بقية المهاجرين إلى الحبشة .
- فتح فَدَك .
- فتح وادى القرى .
- عُمرَة القضاء .
- غَزْوَة مُؤْتَة .
- تسمية من استشهد بِمُؤْتَة .
- غزوة فتح مكة .
- غزوة حُنين .
- تسمية من استشهد من المسلمين يوم حُنين .
- غزوة الطائف .
- تسمية من استشهد من المسلمين في حصار الطائف .
- باب في قسمة غنائم حنين وما جرى فيهم :
- أعطيات المؤلفة قلوبهم .
- موقف بعض الأنصار .
- عمرة رسول الله من الجعرانة .
- غزوة تبوك .
- بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة .
- العودة من تبوك .
- مسجد الضرار .
- حديث كعب بن مالك وصاحبيه المتخلفين .
- إسلام ثقيف .
- حجة أبى بكر الصديق .
- باب وفود العرب على رسول الله ﷺ من بلادها للدخول في الإسلام :
- حجة الوداع .

— حديث جابر في حجة الوداع .

— باب ذكر وفاة النبي ﷺ .

مصادره في كتاب الدرر :

يحدد ابن عبد البر المصادر الأساسية التي استقى منها مادته التاريخية مُبيناً ذلك في مقدمة كتابه وخاتمته . وقد أشار إلى أنه اختصر مادة كتابه من : كتاب المغازي لموسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ = ٧٥٨ م) ، وكتاب ابن إسحاق (١٥١ هـ — ٧٦٨ م) الذي كان جُلّ اعتماده عليه برواياته الثلاثة المشهورة عنه :^(١)

(٢)

رواية إبراهيم بن سعد (ت ١٨٤ أو ١٨٥ هـ = ٨٠٠ م) .

ورواية زياد البكائي (ت ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م) عن ابن إسحاق (ت ١٥١ هـ = ١١٥٦ م) برواية ابن هشام^(٣) .

ورواية يونس بن بكير (ت ١٩٩ هـ = ٨١٤ م)^(٤)

والمعروف أن ابن إسحاق « كان أحد أوعية العلم خبيراً في معرفة المغازي والسير »^(٥) والذي تقرر وعليه العمل . أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية ، مع أنه كان يشدُّ بأشياء ، وأنه ليس بحُجة في الحلال والحرام ، نعم ، ولا بالواهي بل يُستشهد به^(٦) .

والمصدر الرئيسي الآخر الذي اعتمد ابن عبد البر في كتابه هو كتاب المغازي لموسى بن عقبة ، الذي يُعتبر عند كثير من المحدثين أوثق من ابن إسحاق . وقد نقل الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م)^(٧) في كتابه « الجامع لأخلاق

(١) انظر الدرر : ٢٧٥ .

(٢) نقل عنه ابن عبد البر في : ٣١ ، ٢١١ .

(٣) نقل عنه ابن عبد البر في : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢٧٣ .

(٤) نقل عنه ابن عبد البر في : ٢١١ .

(٥) تذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٣ وانظر شذرات : ١ / ١٤٨ .

(٧) أبو بكر علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي كان يسمى حافظ المشرق وابن عبد البر بحافظ المغرب ، انظر تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٣٥ .

الراوى والسامع»^(١) أن الشافعى قال : « وليس فى المغازى أصح من كتاب موسى بن عقبة مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر فى كتب غيره »^(٢) وكان الإمام مالك يقول إذا سئل عن المغازى : « عليك بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنه أصح المغازى »^(٣).

وقد روى ابن عبد البر مغازى بن عقبة بثلاثة طرق ، ويحيل إلى كتابه الاستيعاب وإلى فهرسة مروياته لمعرفة هذه الطرق التى روى بواسطتها مغازى موسى بن عقبة^(٤) ، وهى طريقان بروايته عن شيوخه إلى موسى بن عقبة ، والرواية الثالثة عن ابن أبى خيثمة أحمد بن زهير (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) فى كتابه التاريخ الكبير^(٥).

وكانت كتب الواقدى من مصادره ، ونصّ على ذلك فى خاتمة كتاب الدرر ولكنه لم ينقل عنه فى الكتاب إلا نصاً واحداً^(٦).

ولم يورد لنا سند روايته عن الواقدى فى الدرر ، وإنما أحال إلى الاستيعاب^(٧) خشية الإطالة بذكره فى الدرر مما يُخرجه عن خطته فى الاختصار . وكُتِب الواقدى التى نقل عنها ابن عبد البر هى : « الطبقات و التاريخ » .

اكتفى ابن عبد البر بذكر بعض المصادر فى مقدمة كتاب الدرر وخاتمته خوف

(١) مخطوط فى معهد المخطوطات بالقاهرة لم يصنف بعد .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى - مخطوط ، ج ٨ : لوحة ٦ .

(٣) نفس المصدر : ج ٨ : لوحة ١٦ .

(٤) انظر الدرر ٢٧٥ يروى عنه ابن عبد البر فى الدرر ، انظر ٣٩ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ .

(٥) انظر الاستيعاب : ١ / ٢١ وانظر مقدمة الدرر : ٩ .

وترجمة ابن أبى خيثمة ، انظر تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٩٦ .

(٦) انظر الدرر - ٣٩ .

(٧) انظر الاستيعاب ، ١ / ٢١ - ٢٢ .

الإطالة^(١)، وإذا قلبنا صفحات الكتاب لوجدنا أن هناك ذخيرة كبيرة من المصادر المتنوعة نقل عنها، بعضها في السيرة، ومنها ما هو في علم الرجال، ومنها كتب رواية الحديث.

والذى يبدو من خلال مراجعة أسانيد رواياته في كتاب الدرر أن جُلَّ اعتماده على كتب السيرة التى وصلت الأندلس من المشرق، وإذا فاتته الحصول على الأصول التى نقل عنها أصحاب هذه السيرة اكتفى بما نقلوه عن تلك الأصول حتى يحصل على المصدر الأصلي بروايته الشخصية عن شيوخه. أو نقله عن كتب الحديث التى نقلت عنهم لتوثيق الرواية. ومن المصادر التى نقل عنها ولم يذكرها في مقدمة الدرر ولا خاتمته:

كتاب محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ = ٧٤١ م) ولاندرى هل وصل كتاب المغازى لابن شهاب الزهرى للأندلس أم لا؟ قالباحث لم يجد في كتب الفهارس ما يشير إلى ذلك ولكن الرواية عنه جاءت مُضمنة مصادر السيرة والحديث التى دخلت الأندلس، أمثال: سيرة ابن إسحاق^(٢)، وموسى بن عقبة^(٣) أو الوليد بن مسلم^(٤)، أو معمر بن راشد (ت ١٥٣ هـ = ٧٧٠ م)^(٥) ومُصنّف أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني في الحديث^(٦).

ومن مصادره الأخرى: كتاب السّير لسعيد بن يحيى بن سعيد الأموى^(٧)، وهو من المصادر التى دخلت الأندلس ورواها ابن عبد البر لإجازة عن أبى ذر عبد

(١) انظر الدرر : ٢٩ ، ٢٧٦ .

(٢) نقل ابن عبد البر عن الزهرى برواية ابن إسحاق : ٥٦ ، ٢٠٢ .

(٣) قارن الدرر : ٣٩ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ١٨١ ، ٢١٦ .

(٤) قارن الدرر : ٦٠ .

(٥) قارن الدرر : ٢٦٧ .

(٦) قارن الدرر : ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ١٣٩ ، وأحيانا بفرد النقل عن ابن شهاب فهل هو

نقل عن مغازيه أم عن المصادر التى نقلت عنه انظر الدرر : ٣٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ .

(٧) انظر الدرر : ٣٩ ، ٢١١ ، ٢٣٥ .

بن أحمد الهروي^(١)، وكتاب أعلام النبوة لأبي داود السجستاني برواية بن أبي داسة رواه ابن عبد البر عن شيخه عبد الله بن عبد المؤمن^(٢).

ومن ثقة مؤلفي السير الذين نقل عنهم بواسطة ابن إسحاق وغيره : سعيد بن المسيّب الخزومي (١٣ هـ - ٦٣٤ م = ٩٤ هـ - ٧١٢ م)^(٣) ، عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ = ٧١٣ م)^(٤) ، عاصم بن عمر بن قتادة المدني (ت ١٢ هـ = ٧٣٨ م)^(٥) ، أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي (ت ١٢٧ هـ)^(٦) ، أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ربيب عروة (ت ١٣١ هـ = ٧٤٨ م)^(٧) ، عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٥ هـ = ٧٥٢ م)^(٨) وغيرهم .

ولم يكتف ابن عبد البر بالمصادر التاريخية ، وإنما انتقى من كتب الحديث ما يمت إلى السيرة من أحاديث ، فطعم بها كتابه ليخرج لنا سيرة موثقة ومن الذين نقل عنهم :

الحسن بن يسار البصري (١١٠ هـ - ٧٢٨ م)^(٩) ، وشعبة بن الحجاج (٨٢ هـ - ٧٠١ م = ١٦٠ هـ - ٧٧٦ م)^(١٠) وأبو داود الطيالسي (ت

(١) انظر فهرسة ابن خير : ٤٢٨ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير : ١١٠ ونقل عنه ابن عبد البر في الدرر ولم يُشر إلى اسمه ولكن سند ما رواه من أعلام نبوة النبي ﷺ يدل على النقل عنه .

قارن الدرر : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) قارن الدرر : ١٣٩ ، ٢٦٧ .

(٤) قارن الدرر : ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٦٧ ، ١٣٩ .

(٥) قارن الدرر : ٤٣ ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٨٥ .

(٦) قارن الدرر : ٢٧٤ .

(٧) قارن الدرر : ٥٦ ، ٥٩ .

(٨) قارن الدرر : ١٥٠ .

(٩) قارن الدرر : ٣٧ ، ٤٠ .

(١٠) قارن الدرر : ٣٧ .

٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) ^(١) وسُنيد بن داود واسمه الحسين (ت ٢٢٦ هـ = ٨٤٠ م) ^(٢) ، وأبو بكر بن أبي شَيْبَةَ عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م) ^(٣) وأبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث ^(٤) وأبو بكر بن داسة محمد بن بكر التَّمَار ^(٥) .

ومن مصادره : مؤلفاته : فقد أحال ابن عبد البر إليها ولم يُفصّل في النقل عنها التزاماً بالاختصار ، وإنما ذكّرها للراغب في طلب التفصيل . وأهم هذه الكتب : التمهيد ^(٦) ، والاستيعاب ^(٧) ، وفهرسة رواياته ^(٨) ، وكتب أبدى رغبته في تأليفها مثل : كتاب محن العلماء ^(٩) الذي كان البحث في السيرة سبباً في تأليفه . وذلك عندما تكلم عن الإيذاء والتعذيب الذي تعرض له النبي ﷺ وأصحابه .

وكتاب أعلام النبوة ^(١٠) الذي أراده ابن عبد البر أن يكون مُكمّلاً لكتاب الدرر ، الذي اختصّ بذكر المبعث والمغازي لذا لم يتوسع في الكلام عن أعلام نبوته ﷺ ، التي كانت قبل نبوته من قبيل الإرهاص مثل حادثة رضاعه وما تم فيها ، أو المعجزات التي ذكرتها كتب الحديث والمغازي ، وقد أفردها العلماء بمؤلفات اختصت بهذا الجانب من السيرة .

مما مرّ يتبيّن لنا أن ابن عبد البر حرص على أن يقدم لنا كتاباً في المغازي والسير

(١) قارن الدرر : ٣١ ، ٣٥ ، ٩٦ .

(٢) قارن الدرر : ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٠ .

(٣) الدرر : ٩٨ ، ٢١٢ ، ٢٧٩ .

(٤) الدرر : ٣٠ — ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ — ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٣ — ٦٥ ، ٦٧ ،

١٣٩ ، ١٤٢ ، ٢١٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٩ .

(٥) الدرر : ٣٥ ، ٦٢ ، ٦٤ .

(٦) قارن الدرر : ٣٣ ، ١٧٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٨٧ .

(٧) قارن الدرر : ٤٠ ، ٤٤ ، ١٢٣ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ .

(٨) والفهرس سجل أو كتاب يذكر فيه مروياته عن شيوخه ويذكر معها مؤلفاته أو يفردهما كما سنذكر ذلك . انظر الدرر : ٢٧٦ .

(٩) انظر الدرر : ٤٩ وقد أُلّفه بعد ذلك ونقل عنه بن حجر في مدارج السالكين كما بينا في فصل مؤلفاته ص .

(١٠) انظر الدرر : ٣١ .

مختصراً مُنوع المصادر ، موثقاً في مادته .

منهجه في كتاب الدرر :

أثرت ثقافة ابن عبد البر الموسوعية التي اتسم بها في الحديث والفقه والأدب والتاريخ على منهجه في تدوين السيرة النبوية ، ومن أهم السمات التي تُميّزها في كتابه الدرر التي تُدُلُّنا على هذا التأثير هي :

— مزجه بين أسلوب المُحدِّثين والمؤرخين في تدوين السيرة فكان يهتم بالأسانيد في كتابته ، ولكنه لا يتقيد بها في كثير من المواضع ، مع الاحتفاظ بوحدة الموضوع والمحافظة على تسلسل الأحداث ، لذلك كان يُدخل بين الأسانيد أحياناً ليعطينا صورة متكاملة من مجموعة من الروايات ^(١) .

— الحكم على الأسانيد بضعيفا وتصحيحاً ^(٢) .

— الحكم على النصوص ، فكان يكثر من ذكر اصطلاحات الأحكام القاطعة أو المُرجحة لنص على آخر ^(٣) .

— تناول بعض المسائل الفقهية من خلال أحداث السيرة وناقش ما يحتاج المناقشة على أن لا يخرج من حُطَّته في الاختصار وإلا فيحيل القارئ إلى كتبه التي عالج فيها المسألة بتوسع ^(٤) .

— يبيِّن ابن عبد البر آراءه في كتاب الدرر ويناقش الأحداث ويرجع ما يراه موافقا لما تحصَّل لديه من معلومات عند ورود الاختلاف ^(٥) .

— لا يغفل أهمية القرآن في البناء التاريخي للسيرة وخاصة الأحداث التي كانت

(١) انظر الدرر : ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) نفس المصدر : ٣٥ ، ٦٤ .

(٣) نفس المصدر : ١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ .

(٤) انظر الدرر : ١٧٦ ، ٢١٠ ، ٢١٤ — ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٨٧ .

(٥) نفس المصدر : ٥٤ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

سبباً في نزول القرآن^(١)

— يستعين بالشعر في استكمال التعبير عن الحدث مراعيًا الاختصار^(٢).

— التفاعل مع الحدث بحيث يدعو ذلك إلى التصريح برغبته في إفراذ موضوع الحدث بمؤلف يدرسه بتفصيل كما حدث في موضوع تعذيب الصحابة والمحنة التي تعرضوا لها في مكة^(٣).

أهمية كتاب الدرر :

من خلال التعرف على ملامح منهج ابن عبد البر في كتابه الدرر اكتسب هذا الكتاب أهميته ، يضاف إلى ذلك كونه من أوائل ما ألف الأندلسيون في السيرة النبوية ، ولأن مؤلفه إمام من الأئمة المؤرخين المحدثين ، وبالتالي فقد كان هذا الكتاب مصدراً مهماً بين يدي من ألف في هذا الفن أمثال ابن حزم والسُّهيلي ، والكلاعي من الأندلسيين . وابن سيد الناس وابن كثير والصالحي ، وغيرهم من أهل المشرق . وقد حاول الباحث إثبات ذلك من خلال المقارنة بين النصوص كما سيأتي في الصفحات المقبلة .

بل إن مُحققى كتاب جوامع السيرة لابن حزم جزماً بأن ابن حزم نقل عن كتاب الدرر لابن عبد البر وذلك بملاحظتهم نقول ابن سيد الناس عن ابن عبد البر وبعد نشر الدرر تبين صدق ذلك وبما أن ابن عبد البر كان حجة الأندلس في حفظ الحديث في عصره ، ولُقِّبَ بحافظ المغرب لذا فقد قدّم لنا سيرة موثقة . وحرر فيها مواضع الخلاف ، وبث آراءه في بعض الوقائع في طياتها . مُستخدماً المصادر بحسب تاريخي مرهف في انتقاء مادته ، ونقله عن مؤلفات أصيلة كثير منها في حكم المفقود ، ليضع بذلك بناء متكاملًا موثقًا لسيرة المصطفى عليه السلام . وقد اهتم الذين جاءوا بعد ابن عبد البر من الأندلسيين وغيرهم بكتابه الدرر . وقد ذكر

(١) نفس المصدر : ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ .

(٢) نفس المصدر : ١١٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) نفس المصدر : ٤٧ ، ٤٩ .

لنا بن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري مصدرا من مصادره عنوانه (شرح
السيرة لابن عبد البر)^(١) . ومؤلف هذا الكتاب هو العلامة بن المنير^(٢) .

ولا ندري هل كتاب السيرة الذي شرحه ابن المنير هو كتاب الدرر أو هو
كتاب آخر أوسع من الدرر .



(١) انظر فتح الباري : ٧ / ٢٠٣ .

(٢) وابن المنير هذا هو أحمد بن منصور بن أبي القاسم المنعوت بناصر الدين المعروف بابن المنير الجروي
الجدامي الاسكندري . كان إماما بارعا برع في الفقه ول فنون شتى ، كاد علامة الاسكندرية وفاضلها ولي
القضاء فيها سنة ٦٥٢ هـ .

قال عنه العز بن عبد السلام : الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المير
في الاسكندرية تولى سنة (٦٨٣ هـ) .

انظر الديباج المذهب : ١ / ٢٤٣ - ٢٤٦ .

الفصل الثانى
علم الرجال والأنساب

مقدمة عن نشأة كتب علم الرجال والتراجم وأهميتها :

نشأ علم الرجال أول نشأته لدراسة أحوال رجال الأسانيد الحديثية وعندما تعاقبت الأجيال أصبحت سلاسل الأسانيد طويلة ، فبعد أن كان الراوى من الصحابة يروى عن النبي ﷺ مباشرة ، زاد في زمن التابعين راوياً آخر ، وفي زمن تابعى التابعين زاد راوياً ثالثاً وهكذا ، حتى تضخم عدد الرواة ، فأصبح من الضروري التعريف بهؤلاء الرواة ، وضبط أسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم ومعرفة العدول منهم ، وتمييز المجروحين ، ومعرفة طبقاتهم ، ومدنهم ، ورحلاتهم لتمييز الاتصال والإرسال والانتقطاع في الأسانيد ، وتمييز الأسماء المتشابهة والمتفقة لئلا يحسب الراويان واحداً . أو الواحد اثنين أو أكثر — إذا ذكر مرة بكنيته ، وأخرى باسمه ، وثالثة بنسبته — .

ولهذه العوامل ظهر التصنيف في علم الرجال ، وتنوعت المؤلفات فيه وتعددت الأساليب في ترتيب مادته وطُرق عرضها .^(١)

وقد تنوع التأليف في علم الرجال بحسب الموضوع الذى يعالجه كل مصنف من هذه المصنفات :^(٢)

- فمنها ما اختص بمعرفة الصحابة فقط .
- ومنها ما شمل الصحابة والتابعين ومن تبعهم .
- ومنها ما اهتم بتوثيق الرجال أو تضعيفهم ، وسمى هذا النوع الأخير بكتب علم الجرح والتعديل والتي كانت أكثر تخصصاً ، فاقترص بعضها على الثقات فقط .

(١) انظر : موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد . د. أكرم العمرى : ٦٩ وانظر مقدمة طبقات خليفة بن خياط . د. أكرم العمرى . وانظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة له : ٤٥ .

والمنهج الإسلامى في الجرح والتعديل : د. فاروق حمادة وأصالة الفكر التاريخى عند العرب : د. بشار عواد . بحث ضمن مجموعة بحوث المؤتمر التاريخى العالمى ببغداد سنة ١٩٧٣ : ٨٩٩ .

ومصادر التاريخ الإسلامى : د. سيدة كاشف : ٦٥ — ٦٦ .

(٢) انظر المنهج الإسلامى في الجرح والتعديل : ٣٧ .

والنوع الثانى اقتصر على الضعفاء فقط ، وأما الثالث فجمع بين الثقات والضعفاء . وهذا القسم الثالث ينقسم إلى أقسام :

- كتب الجرح والتعديل .
- كتب الأسماء والكنى والألقاب .
- كتب المؤلف والمختلف .
- كتب المتفق والمفترق .
- كتب الوفيات .
- التواريخ المحلية .
- معاجم الشيوخ .

وقد اختلفت أساليب تنظيم كتب علم الرجال وتحددت بحسب الآتى :^(١)

— التنظيم على النسب :

وهو يعنى : أن المصنف يجمع الرواة الذين هم من قبيلة واحدة فى موضع واحد ثم يقسم كل قبيلة إلى بطون وفروع . ويذكر من ينتمون إليها من الصحابة أو التابعين أو غيرهم .

— التنظيم على الطبقات :

اختلف العلماء فى تحديد الطبقة زمنياً ، وخاصة فى الأعصر الأولى ، وقد أطلق مصطلح الطبقة على القرن مجازاً ، ولم يُتفق على فترة زمنية معينة للجيل .

وأما محمد بن عثمان الذهبى (٧٤٨ هـ — ١٣٤٧ م) فقد جعلها تساوى عشر سنوات . وبذلك خالف الأقدمين الذين اعتبروا اللقيا أساس التقسيم على الطبقات ، بل خالف نهجه هو فى تذكرو الحفاظ الذى اعتبر فيه اللقيا ولم يعتبر

(١) انظر هذا التقسيم : بحوث فى تاريخ السنة : ١٦٥ — ١٩٩ .

وأصالة البحث التاريخى : ٩٠٠ — ٩١١ .

الوفيات . (١)

والتنظيم على الطبقات انفراد به المسلمون ولم يتأثروا بأية مؤثرات أجنبية كما يقول روزنتال (٢).

— التنظيم على المدن :

وهو أن يكتب المؤلف كتابا يجمع فيه رجال مدينة معينة ، فهو أقرب إلى التاريخ المحلي ، ولكن كتب التنظيم على المدن تختص برجال الحديث . أما التاريخ المحلي فلا يتقيد بذكر المحدثين فقط ، وإنما يضم إليهم أعيان تلك البلدة ، ومن أقام فيها أياً كان اختصاصه أو عمله .

— التنظيم على حروف المعجم :

وقد اهتم المحدثون وغيرهم بهذا الأسلوب من التنظيم للمادة العلمية لتسهيل الكشف عن أصحاب التراجم خاصة وأن المؤلفين القدامى لم يستعملوا الفهارس المفصلة بشكلها الحديث ، وقد رتب كثير من الكتب على هذه الطريقة مثل كتب الصحابة ، ومعاجم الشيوخ ، وطبقات الشعراء وغيرها .

— التنظيم حسب الوفيات :

واختصت بعض مؤلفات علم الرجال والتراجم بترتيب الأعلام بحسب تاريخ وفاتهم بغض النظر عن منزلة المترجم ومكانته العلمية أو مهنته ، وميزة هذا النوع من التنظيم أنه يُبين لنا طبقة الشيوخ ، والطلاب الذين أخذوا عنهم ، أو عاصروهم مما يساعد على كشف من يدعى الأخذ عن شيخ ما ، وهو في الحقيقة لم يُدركه ، وبذلك يحفظ للحديث سلامة سلسلة رواته .

★ ★ ★

(١) انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة : أستاذنا د. أكرم العمري : ١٧٤ . ١٨٤

(٢) انظر علم التاريخ عند المسلمين : ١٣٣ — ١٣٤ .

وبالنظر للموضوع الذى تخصصت فيه كتب علم الرجال ، تظهر أهميتها بكونها مصدراً تاريخياً لأنها تتضمن أخبار المترجم له وتأثيره أو تأثره بالأحداث فى عصره ، مما قد تفوت على كتب التاريخ العام التى تهتم بالأحداث الكبرى فقط ، لذلك فقد عُدد علم الرجال فرعاً من فروع التاريخ ، لأن موضوعه هو الإنسان ، العنصر الرئيسى فى البناء التاريخى .

وأما كتب التراجم : فهى تمثل نمطاً من الكتابة التاريخية القديمة التى ظهرت منذ بواكير التدوين ^(١) ، ونجدها رافقت التاريخ منذ بداية الطريق تحمل المشاعر للباحثين فى التأريخ ^(٢) ، وهى أعمُ فى الاصطلاح من كتب علم الرجال إذ علم الرجال خاص برجال الحديث . بينما التراجم قد عُنيت بتراجم الخلفاء ، والأمراء ، والقادة ، والشعراء ، وأرباب الصناعات وغيرهم ، وقد تُجمع تراجم فترة تاريخية معينة لكل هذه الأصناف من الناس ، وقد يُفرد أهل الاختصاص الواحد بمؤلف ^(٣) ، والكثير من هذه التراجم مملوءة بالأحداث التاريخية .. ومنها كتب للتراجم تؤرخ للحوادث ، وتورد أهم ما يكتنف حياة المترجم له مما يراه المؤلف مُهما لموضوع مؤلفه ^(٤) ، « وليست المادة التاريخية فى التراجم من نوع واحد ، بل هى ترتفع وتنخفض وتبسط وتتعدد ، وتتنوع وتتطرق حسب معارف المؤلف ومعلوماته ، وأمانته واعتداله وأسلوبه وقدرته على استجلاء الحقائق والتخلص من المبالغة والحزبية » . ^(٥)

وعلى هذا فإن أهمية كتب التراجم فى دراسة التاريخ الإسلامى كبيرة وشاملة لما تُلقيه من أضواء على الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلاً عن أنها تعكس لنا تطورات الحركة الفكرية من حيث تياراتها الفكرية وإنتاجها الثقافى ،

(١) موارد الخطيب : ١٧١ .

(٢) التاريخ العربى ومصادره : الأمن مدنى : ٣٢٥ .

(٣) نفس المصدرين أعلاه : ١٧١ ، ٣٢٥ .

(٤) التاريخ العربى ومصادره : ٣٢٣ .

(٥) التاريخ العربى ومصادره : ٣٢٤ .

(٦) مصادر التاريخ الإسلامى : ٦٥ .

وبالتالى الكشف عن كل من أسهم فى وضع أسس هذه الحضارة الإسلامية أو شارك فى بناء صرحها الشاىخ ويشارك ، حتى تُحقّق الهدف الذى كلّفها به خالقها بقوله .
« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » ^(١) .

مشاركة ابن عبد البر بالتأليف فى علم الرجال والتراجم :

إنّ ثقافة ابن عبد البر الحديثية الواسعة مكّنته من معرفة ثقله الحديث وأحوالهم ، وطبيعة عمله العلمى أملت عليه الاهتمام بعلم الرجال وبخاصة اهتمامه بموطأ الإمام مالك بن أنس حيث قام بشرحه ووصل أسانيد أحاديثه المرسلة والمنقطعة ، وبلاغات الإمام مالك كما بيّنّا ذلك عند الكلام عن التمهيد . وهذا العمل بالضرورة استدعاه أن يُميز الصحابة من غيرهم والتابعين وتابعى التابعين ليتسنى له القيام بعمله على خير وجه .

فألف فى بعض أنواع علم الرجال من ذلك :

— معرفة الصحابة :

وله فى هذا النوع كتابه المشهور « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » ورتبه على حروف المعجم المغربى وقد طبع عدة طبعات ^(٢) .

— الكنى :

وله فى ذلك « كتاب الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى » وهو فى ثلاثة أقسام سنينها . وقد رتبه ابن عبد البر على حروف المعجم المغربى وهو مخطوط للآن .

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٢) طبع عدة طبعات بمصر منها : طبعة السعادة بهامش الإصابة سنة ١٣٢٣ هـ وأعادت تصويرها مكتبة المتنبى ببغداد . وطبعة مصطفى محمد بمصر . وطبعة مكتبة نهضة مصر بتحقيق محمد على البجاوى (بدون تاريخ) فى أربعة مجلدات . طبعة مكتبة الكليات الأزهرية فى اثنى عشر مجلدا فى هامش الإصابة بتحقيق طه عبد الرؤوف سنة ١٩٨٠ م

وطبع فى حيدرآباد فى الهند

— الجرح والتعديل :

وله في ذلك كتاب « اختصار تاريخ أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى ^(١) » وهو في حد ذاته اختصار لتاريخ يحيى بن معين ، وهذا لا يعنى أن ابن عبد البر لم يكن إلا ناقلا للآراء فقط . لأننا إذا ألقينا نظرة في كتابه الضخم التمهيد ^(٢) لوجدناه يزخر بأقوال ابن عبد البر في جرح الرجال وتعديلهم من خلال إحاطته بأقوال المتقدمين .

— الأنساب : وله في ذلك « كتاب الأنباة على قبائل الرواه » جعله ابن عبد البر مدخلا لكتاب الاستيعاب إثارا للاختصار وعدم التطويل في الاستيعاب وقال فيه : « وجعلته دليلا على أصول الأنساب ومدخلا إلى كتابى في الصحابة ليكون عوناً للناظرين فيه » .

وذكر فيه أمهات القبائل التى ينتسب إليها الرواة عن الرسول

وأما فى التراجم : فقد كان لابن عبد البر مؤلفات لم يصل منها إلا القليل بعضها تراجم خاصة ، أى لشخصيات معينة مثل :

— أخبار المنذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة زمن الناصر . والكتاب فى حكم المفقود

— ترجمة الإمام مالك : مخطوط فى مكتبة اليونسكو .

— الدفاع عن عكرمة البربرى وهو فى حكم المفقود .
والبعض الآخر فى مؤلفاته فى التراجم العامة مثل :

— الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء مالك وأبو حنيفة والشافعى وقد طبع الكتاب وسنعرف به فى الصفحات القادمة .

(١) انظر ترتيب المدارك ٣ / ٨١٠ وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفى هو أحد شيوخ والده ابن عبد البر . وقد بلغ فى كتابه الغاية فى الإتيان . انظر فهرسة ابن خير ٢٢٧ .

(٢) انظر التمهيد : ٤ / ٢٠ ، ٣١ ، ٧٨ ، ١٤٠ ، ٢٦٢ ، ٥ / ٢٤ ، ٧٧ ، ٢٢٤ ، ٣٠٠ ، ٦ / ١ ، ١٧ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٩٥ ، ٢٢٧ ، ٣٥٩ ، ٤٣٦ .

— أخبار أئمة الأمصار ، وهذا في حكم المفقود .

— التعريف بجماعة من فقهاء المالكية : وهو مخطوط وسُنْعَرَف به .

هذا ما وصلنا من أسماء مؤلفاته في علم رجال الحديث والتراجم . وقد أثنى عليها العلماء واعتمدوها ولو تَفَحَّصنا الكثير من كتب التراجم لوجدنا رأى ابن عبد البر يحتج به عندهم في كثير من الأحيان وقد يُعترض عليه أحيانا .

وستعرض في المباحث القادمة للدراسة كتبه في علم الرجال والتراجم .



المبحث الأول تراجم الصحابة

بَيَّن لنا ابن عبد البر في مقدمة كتابه الاستيعاب أن لتراجم الصحابة ومؤلفاتها فائدتين الأولى عامة والثانية خاصة ، والعامة هي : أن البحث في أحوال الصحابة وسيرتهم أمر مهم للمسلم ليتحقق له بذلك الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم لكونهم خير القرون قاطبة ^(١) .

والفائدة الخاصة : هي علمية بحتة فمعرفة الصحابة تعرف الحديث المرسل — أى الذى سقط منه الصحاحى — من السند وهو الذى يرفعه الصحاحى إلى النبى ، ووصفه ابن عبد البر بأنه : « عِلْمٌ جسيم لا يُعذر أحد يُنسب إلى علم الحديث بجهله ، ولا خلاف عِلْمُهُ بين العلماء أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله من أوكد علم الخاصة وأرفع علم أهل الخبر وبه ساد أهل السير » ^(٢) .

وعلى ضوء هاتين الفائدتين كان إقدام ابن عبد البر على التأليف فى هذا الفن بحكم اختصاصه .

من هم الصحابة :

^(٣)

الصُّحْبَةُ فى اللغة : يتحقق مدلولها فى شخصين بينهما ملابسة ما ، أو أشخاص بينهم ملابسة ما كثيرة أو قليلة حقيقة أو مجازا .

قال تعالى : « فقال لصاحبه وهو يُحاوِرُهُ » ^(٤) . فقضى بالصحبة مع الاختلاف فى الاعتقاد .

وقال تعالى : « والصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ » ^(٥) وهو المرافق فى السفر أو الزوجة

(٢٠١) انظر الاستيعاب : ١ / ١٩ .

(٣) وفى لسان العرب : صَحْبَةٌ يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح .

والصاحب : المُعاشِر والجمع : أصحاب وأصاحيب وصُحبان وصحابة .

انظر ٣ / ٢٤٠٠ وانظر الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم : ٥٤ .

وانظر : المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ١٨٦ .

(٤) سورة الكهف آية : ٣٤ .

(٥) سورة النساء آية : ٣٦ .

ويطلق هذا الأمر على الملازمة وغيرها ، ولو صحب الإنسان رجلاً ساعة في نهار أو لازمه في بعض الأسفار .

وفي الحديث الشريف : « إِنَّكَ صَوَّاحِبُ يَوْسُفَ » أى تُحَلِّقُكَ كَأَخْلَاقِ التَّسْوَةِ اللَّائِي كَانَ لَهُنَّ مَعَ يَوْسُفَ قِصَّةٌ . (١)
وقوله سبحانه : « يَا صَاحِبِي السَّجَنَ » .

وهذا كله على سبيل الحقيقة وقد تُصرف إلى الصَّحْبَةِ الْمَجَازِيَةِ لِلْجَمَادَاتِ كَأَن يُقَالَ : صَاحِبُ الْكِتَابِ وَنَحْوُهُ ، أَوْ مِثْلُ وَصْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، بِصَاحِبِ السَّوَاكِ وَالنَّعْلَيْنِ وَالْوَسَادَةِ « فَقَدْ كَانَ يَحْمِلُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ » .

وأما في الاصطلاح :

يرى بن حجر أَنَّ الصَّحَابِيَّ : مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ «فِيَدْخُلُ فِيهِمْ لِقِيَاهُ : مَنْ طَالَتْ بِمَجَالَسَتِهِ ، أَوْ قَصُرَتْ ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ أَوْ لَمْ يَرَوْهُ ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ ، وَمَنْ رَأَاهُ رُؤْيَا وَلَوْ لَمْ يَجَالِسْهُ ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضِ الْعَمَى » .

ويخرج بقيد الإيمان ، مَنْ لَقِيَهُ كَافِرًا وَلَوْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَقِيَهُ مُؤْمِنًا بغيره كَمَنْ لَقِيَهُ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَقِيَهُ مُؤْمِنًا ثُمَّ ارْتَدَّ وَمَاتَ عَلَى الرَّدَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

ويدخل في التعريف مَنْ لَقِيَهُ مُؤْمِنًا ثُمَّ ارْتَدَّ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمَاتَ مُسْلِمًا كَالْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فَإِنَّهُ ارْتَدَّ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (٢)

وقد فُرِّقَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بَيْنَ الرُّؤْيَا قَبْلَ التَّمْيِيزِ وَبَعْدَ التَّمْيِيزِ .
ففى الأولى أثبت ابن عبد البر أن رأى النبي ﷺ صفة الصَّحْبَةِ لرؤية النبي له (٣)

(١) سورة يوسف آية : ٣٩ .

(٢) انظر : الإصابة ١ / ٧ والباعث الحثيث : ١٨١ الهامش للشيخ أحمد شاذلي .

(٣) التمييز : أى أن يميز ما يرى .

لشرف منزلة النبي ﷺ ، فهو صحابي لهذه الحيثية ^(١) . ولكنه لم يُثبت له حق الرواية ، لأنه دون سن التمييز قبل وفاة النبي ﷺ . وعَدَّ روايته كرواية التابعي ^(٢) ، وأما من رآه بعد سن التمييز فلا يختلفون في صحة روايته وحقيقة صحبته .

وقيل إنما يكون صحابيا من أقام مع النبي ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين . وهذا مذهب سعيد بن المسيب وهو مذهب الأصوليين — أى علماء أصول الفقه — الذين اشترطوا كثرة الصحبة واستمرار اللقاء بخلاف من وقَدَّ عليه وانصرف عنه من غير مصاحبة ولا متابعة فلا ينصرف إليه اسم الصحابي ^(٣) .

ونقل من اشترط الصحبة العرفية عن أنس بن مالك قوله عندما سئل : عمن بقى من أصحاب رسول الله غيره — لأنه كان من أواخر من توفى — فأجاب أنس : بأنه « بقي ناس من الأعراب قد رأوه ، أما من صحبه فلا » ، وإسناد هذا الخبر جيد حدث به الإمام مسلم ^(٤)

ومع هذا فقد تعقب علماء الحديث هذه الآراء فقال العراقي : ^(٥)
أما ما روى عن سعيد بن المسيب فهو لا يصح عنه ، لأن في الإسناد إليه محمد بن عمر الواقدي وهو ضعيف عند المحدثين .

(١) انظر : فتح الباري ٧ / ٣ وانظر التقييد والإيضاح : ٢٩٦ .

ومن هؤلاء عبد الله بن الحارث بن نوفل كان عمره سنتين ، انظر : الاستيعاب : ٣ / ٨٨٥ والإصابة ٣ / ٥٨ ، وعبد الله بن معمر : الاستيعاب : ٣ / ١٠١٣ والإصابة : ٣ / ٧٦ — ٧٨ .

(٢) أى حديثه يحكم المرسل ولكنه أعلى درجة من مراسيل كبار التابعين . الفتح ٧ / ٤ .

(٣) انظر التقييد والإيضاح : ٢٩٧ .

ولعلمهم اشترطوا ذلك لأن الملكة الفقهية تحتاج إلى صحبة النبي ﷺ فترة زمنية مناسبة لتحقيق ذلك .

(٤) نفس المصدر : ٢٩٩ .

(٥) نفس المصدر : ٢٩٧ .

ثم إنَّ هذا الرَّأْيَ خِلافَ ما اتَّفَقَ عَلَيْهِ الجُمهورُ مِنَ المُحدِّثين « لأنَّهم اتَّفَقوا على عَدِّ جَمْعِ جَيْمٍ فِي الصَّحابةِ لَمْ يَجْتَمِعُوا بِالنَّبِيِّ — بَعْدَ لِقَائِهِ الْأَوَّلِ — إِلَّا فِي حَاجَةٍ الْوِدَاعِ » .^(١)

وَأما ما رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَيُصَرِّفُ قَوْلَ أَنَسٍ إِلَى نَفْيِ الصُّحبةِ الْخاصَّةِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ ، وَلَا يَنْفِي عَنْهُمْ الصَّحبةَ الْعامةَ ، فِي رَؤْيَيْهِ ﷺ الَّتِي اصْطَلَحَ عَلَيْهَا جُمهورُ عُلَماءِ الْحديثِ مِنْ أَنَّ مَجْرَدَ الرُّؤْيَةِ فِي إِطْلَاقِ الصَّحبةِ لَشَرَفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَلالَةِ قَدْرِهِ وَقَدْرٍ مِنْ رَأَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .^(٢)

وَقَدْ نَسَبَ السَّيوطِيُّ^(٣) لابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ الصَّحابةَ : هُوَ مِنْ أَدْرَكَ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنْ لَمْ يَرَوْهُ ، وَكَذا مِنْ حُكْمٍ بِإِسْلَامِهِ تَبِعاً لِأَبُوهِ ، وَهَذَا مَبالِغٌ فِيهِ ، لِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ وَإِنْ كَانَ قَدْ نَصَّ فِي مُقَدِّمَةِ الاسْتِيعَابِ عَلَى أَنَّهُ سَيَرْجِمُ فِي كِتَابِهِ لِمَنْ أَدْرَكَ زَمَنَ النَّبِيِّ وَلَمْ يَرَوْهُ ، أَوْ مِنْ حُكْمٍ بِإِسْلَامِهِ تَبِعاً لِأَبُوهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُرِدْ مِنَ التَّرْجِمَةِ لَهُمْ اعْتِبَارَهُمْ مِنَ الصَّحابةِ بِدَلِيلٍ أَنَّهُ عِنْدَما يَتَرَجَّمُ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ يَنْفِي صِفَةَ الصَّحبةِ عَنْهُمْ ، وَإِنَّمَا تَرَجَّمُ لَهُمْ مِنْ بَابِ اسْتِيعَابِ تَارِيخِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الَّذِي وَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْخَيْرِيةِ .^(٤)

كِتَابُ الاسْتِيعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ

كَانَ الاسْتِيعَابُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ مِنْ كُتُبٍ ، لِأَنَّنَا نَجِدُ أَنَّهُ يَحِيلُ إِلَيْهِ فِي كُتُبِهِ^(٥) ، الَّتِي وَصَلْتَنَا ، وَقَدْ وَرَدَتْ إِشَارَةٌ فِي تَرْجِمَةِ أَحَدِ تَلَامِيذِهِ^(٦) ، أَنَّهُ رَوَى

(١) انظر فتح الباري : ٧ / ٤ .

(٢) انظر الباعث الحثيث : ١٨٠ وكذلك فتح الباري : ٧ / ٤ .

وقد أطلق على الصَّحبةِ الْخاصَّةِ بالصَّحبةِ الْعرفيةِ .

(٣) تدریب الترابی : ٢١٢ .

(٤) انظر الاستيعاب ١ / ١٢ ، ٢٢ .

(٥) انظر الدرر ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ١٦٢ ، ٢٢١ ، ٢٧٦ وانظر : جامع بيان العلم : ٧٠ ، ٨٥ ، ١١٠

وانظر الكافي في الفقه : ١ / ٩٠ ، ٢ / ٦٥ ، ٧٠

سهجة المجالس : ١ / ٦٠ ، ٨٧ ، ٢ / ٥٥ ، ٩٢ .

(٦) التكملة لاس الأبار : ١ / ٨٠ .

عن ابن عبد البر كتاب الاستيعاب في مدينته دانية سنة (٤٣٣ هـ — ١٠٤١ م) ، مما يدل أن الكتاب ألف قبل هذا التاريخ .

وقد أثنى عليه كثير من العلماء المعاصرين لابن عبد البر ، ومن جاء بعده ، لما امتاز به عن غيره ممن تقدمه من المؤلفين في التفصيل في الجانب الحديثي والتاريخي كما سنبين ذلك ، فضلاً عن أنه من أوائل المؤلفات الأندلسية التي وردتنا ولم يشتهر من كتب الصحابة التي ألفها الأندلسيون مثلما اشتهر الاستيعاب ، فضلاً عن أن الكثير من المؤلفات الأندلسية التي سبقته في حكم المفقود .

منهج ابن عبد البر في الاستيعاب :

أولاً : توزيع مادة الكتاب :

(١)

رتب ابن عبد البر كتابه الاستيعاب في مقدمة يذكر فيها سبب الاعتناء بالسنة الشريفة المبينة لمрад الله تعالى وأن معرفة ناقلها عن النبي ﷺ من أوكد السبل المؤدية إلى حفظها .

ثم ينتقل إلى الكلام عن عدالة الصحابة الثابتة بتعديل الله لهم ، وثناء رسوله عليهم ، ثم يذكر تفاوتهم في الفضل بحسب ملازمتهم للنبي ، وسابقتهم في الإسلام . فمن طالت مجالسته للنبي نال من الخير أكثر ممن رآه مرة أو مرتين .

ثم بين أن السابقين هم من صلى القبلتين على قول ، وفي قول آخر هم أهل بيعة الرضوان وكان عددهم ألفاً وخمسمائة وقيل أربعمائة .

ثم بين أن النبي المصطفى أخبر بأن أهل بدر والحديبية لا يدخلون النار ، وأمر الرسول كذلك بإكرام الصحابة واحترامهم .

ثم يورد ابن عبد البر وصف ، النبي لبعض الصحابة ببعض الصفات الخاصة بهم للاستدلال على فضلهم ومنزلتهم في الدين والعلم .

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ١ — ٢٥ .

ثم يذكر بعد ذلك ما يجب معرفته عن الصحابة وهو : معرفة اسم الصحابي ونسبه والبحث عن سيرتهم للاقتداء بها ، وأما عدالتهم فهي بَدْهِيَّةٌ مقطوع بها فلا يسأل فيها ولا يُستفسر عنها

وتعرض بعدها للمؤلفات التي سبقتها وبين أن مؤلفيها قد طُولوا في ذكر الأنساب وأكثروا من إيراد الروايات الحديثية ، بينما فاتهم تقصى أخبارهم وأحوالهم وبين منهجه في الأخذ عنهم مراعيًا في ذلك الاختصار .

ويذكر بعد ذلك مصادره التي اعتمدها في كتابه وذكر أهمها مُعَدِّدًا طرق روايته لها .

ثم ينبه القارئ بعد ذلك بأنه لم يقتصر على من صَحَّت صحبته ولو بُلُقِيَّةٍ واحدة أو رؤية فقط ، أو سمع منه لفظة فأداها عنه . وإنما ذكر كذلك من ولد على عهده ، ومن كان مؤمنا به ولم يَرِدْ عليه .

ثم يشير إلى أنه جعل للاستيعاب مَدْخَلًا مستقلاً يذكر فيه أنساب الرواة عن النبي على حسب قبائلهم .

(١)
وبعد المقدمة التي اختصرنا محتواها يورد سيرة النبي ﷺ مقتصرًا فيها على ما يجب الوقوف عليه « مما لا يليق بذى علم جهلها وتحسن المذاكرة بها ، لتتم الفائدة للعلم الراغب والمتعلم الطالب في التعرف بالمصحوب والمُصاحب »^(٢) ، فيتكلم في اسمه ونسبه ﷺ معرفًا بأجداده وما عرفوا به من الصفات .

ثم يُعرِّف بولادته ورضاعته في بنى سعد ، وزواجه من خديجة ، مبينا الخلاف في سِنِّها يوم زواج النبي منها .

ويورد ابن عبد البر بداية مبعثه ﷺ وسِنِّه يوم بُعث والأقوال المختلفة في ذلك

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٥ - ٥٤ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ٢٥ .

وترجيحه هو .

ويمرّ مروراً سريعاً على الأحداث التي حصلت بعد إعلانه للدعوة وفجيئته بوفاة أبي طالب عمه وزوجته خديجة ، ثم يُعرج على حادثة الإسراء والمعراج ومتى وقعت .

ويذكر لنا الهجرة ووقتها بصورة مختصرة تاركاً التفصيل في كتابه الدرر .
ثم يذكر زوجات النبي بأسمائهن ووقت زواجه منهن ويحيل إلى القسم الخاص بالنساء من كتاب الاستيعاب لمعرفة التفاصيل من خلال تراجمهن .
— ثم بعد ذلك يذكر مرضه ﷺ ووفاته .

— ثم يذكر ذرية النبي أولاده وبناته الذين رزق بهم ومن مات في حياته منهم ومن بقى رضى الله عنهم .

(١)
وعقب انتهائه من سيرة الرسول ﷺ يترجم لإبراهيم بن النبي ﷺ ، فيتكلم عن أمه مارية رضى الله عنها وعن ولادته ورضاعته ومرضته ثم وفاته عندما بلغ سنّه ستة عشر شهراً . ويبيّن كيفية دفن إبراهيم ، وأنه أوّل من رُشّ قبره ، وبكاء النبي عليه .

وفي ختام ترجمة إبراهيم بن النبي يورد وجهاً تفسيراً لأية « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٢) عن المفسّر مُجاهد بن جبر (٢٠ — ١٠٣ هـ = ٦٤٠ — ٧٢١ م) (٣) التابعى المعروف ، يجعل فيه التذاكر في أخبار الصحابة من الأمور التي تعين على ذكر الله ، لأن سيرتهم هي التطبيق الحى للإسلام والأسوة الحسنة ، وبذلك يربط ابن عبد البر بين سيرة النبي عليه السلام وموضوع الكتاب المخصّص لتراجم أصحابه ، لإبراز فضل المصحب والصاحب .

(١) الاستيعاب : ١ / ٥٤ — ٦١ .

(٢) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٣) روى عن مجموعة من الصحابة وكان من القراء المشهورين وكان من أعلم التابعين بالتفسير انظر تذكرة الحفاظ : ١ / ٩٢ — ٩٣ .

ثم يبدأ ابن عبد البر بعد ذلك بالترجمة للصحابة الرجال منهم ثم يتبعه بقسم خاص بكنى الصحابة .

ويتبع ذلك بكتاب خاص بالنساء وكناهن .

ورتب ابن عبد البر هذه التراجم على حروف المعجم على النظام الذى يتبعه أهل الأندلس والمغرب فى ترتيب الحروف الهجائية وقد أوردناه من قبل .

وقد أعاد الأستاذ على محمد البجاوى ترتيب تراجم كتاب الاستيعاب لابن عبد البر على حروف المعجم كما يراها أهل المشرق ، وعلى هذه الطبعة كان الاعتماد فى هذا البحث لسهولة استعمالها .

وعلى طريقة ترتيب التراجم على حروف المعجم سار كثير من العلماء فى مؤلفاتهم وبخاصة التى ألفت فى الصحابة أمثال : أبى عبد الله بن مندة (٣٩٥ هـ — ١٠٠٥ م) فى كتابه (معرفة الصحابة) ، وابن الأثير الجزرى (٦٣٠ هـ — ١٣٣٢ م) فى كتابه (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) وابن حجر (٨٥٢ هـ — ١٤٦٠ م) العسقلانى فى كتابه (الإصابة فى تمييز الصحابة) .

ثانيا : عناصر الترجمة :

— تفاوتت التراجم عند ابن عبد البر بين الطويلة والقصيرة فهو يسط القول فى تراجم الصحابة المشهورين ، والذين كان لهم أثر فى الأحداث أمثال : أبى بكر الصديق^(١) ، وعمر بن الخطاب^(٢) ، وعثمان بن عفان^(٣) ، وعلى بن أبى طالب^(٤) ، والزبير بن العوام^(٥) ، وعمار بن ياسر^(٦) ، ومعاوية بن أبى سفيان^(٧) ، وعمرو بن

(١) انظر الاستيعاب : ٢ / ٩٦٣ — ٩٧٨ .

(٢) نفس المصدر : ٣ / ١١٤ — ١١٥٩ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ١٠٣٧ — ١٠٥٣ .

(٤) نفس المصدر : ٣ / ١٠٨٩ — ١١٣٤ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٥١٠ — ٥١٧ .

(٦) نفس المصدر : ٣ / ١١٣٥ — ١١٤١ .

(٧) نفس المصدر : ٤ / ١٤١٦ — ١٤٢٣ .

العاص^(١) ، والحسن^(٢) ، والحسين^(٣) ، وغيرهم من الصحابة .

— يذكر الاسم والكنية وإن كان فيهما خلاف بينه ، كما يذكر أقارب الصحابي كأن يقول : عمه فلان ، وأخوه فلان ، وإذا كان مشهوراً بالكنية أحال إلى الكنى للتفصيل هناك .

— يبين تاريخ إسلام المترجم له . ويذكر الهجرة التي هاجر بها هل هي هجرة الحبشة أم هجرة المدينة .

— يسرد الوقائع الهامة التي شهد بها ، والغزوات التي شارك فيها مع رسول الله ﷺ ، أو في زمن الخلفاء والدولة الأموية .

— يوضح صفاته التي امتاز بها عن سواه ، ومهنته التي عُرف بها كأن يكون تاجراً ، أو مزارعاً ، أو حلاقاً ، أو نجاراً وهكذا ويذكر الوظيفة التي كُلف بها كأن يكون عاملاً في جمع الزكاة والصدقات ، أو كاتباً أو سفيراً وهكذا .

— يكتفى بالإشارة إلى الأحاديث التي رواها الصحابي ، أو يسرد الحديث كله ، أو يكتفى ببعضه .

— يذكر وفاة الراوى ويتعرض للخلاف الذى يرد فيها متابعاً أو مرجحاً وفي عصر أى خليفة توفى !

— يستعمل ألفاظ الجرح والتعديل لنقد الرواة ، وينقد الأسانيد ، ويُميز بينها ، ويرجح بين الروايات بقوله : (وهو الصحيح) ، (وهو الصحيح عندي) ، (وهو الأصح) ، (والصحيح ما قاله فلان) ، أو (ذلك غلط) ، (ولا يصح) ، (وهو وهم) وغيرها من الألفاظ .

(١) نفس المصدر : ٣ / ١١٨٤ — ١١٩١ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٣٨٣ — ٣٩٢ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٣٩٢ — ٣٩٩ .

— يورد الآيات القرآنية التي يكون الصحابي سببا لنزولها .

ثالثا : أهم مصادره التي اعتمد عليها : ^(١)

— كُتِبَ ومرويات موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ — ٧٥٨ م) ، وقد رواها بثلاث طرق بسنده المتصل عن مشايخه .

— كتب ومرويات محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ — ٧٦٩ م) ولا يكتفى برواية واحدة وإنما يروى عن ابن إسحاق بطريق تلاميذه المشهورين : إبراهيم بن سعد . وزيد بن عبد الله البكائي ، ويونس بن بكير ، وقد قمنا بالتعريف بهؤلاء في صفحات سابقة .

— كتب ومرويات أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ — ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ — ٨٢٣ م) وتتضمن :

— كتاب الطبقات :

تضمن كتاب الطبقات لتلميذه محمد بن سعد (ت ٢٦٣ هـ = ٨٧٦ م) أكثر مادته .

— وكتاب التاريخ :

ويروى ابن عبد البر الكتابين بسنده عن شيوخه .

— طبقات خليفة بن خياط ^(٢) (ت ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م)

— تاريخ خليفة بن خياط ^(٣) .

(١) هذه القائمة صدر بها كتابه الاستيعاب وصرح بأسماء المصادر التي نقل عنها وعدد الطرق التي يرويها بها عن شيوخه ، انظر : ١ / ٢٠ — ٢٤ .

(٢) طبع بتحقيق د. أكرم العمرى : بمطبعة العاني ببغداد : طبعة أولى : ١٩٦٧ م — ١٣٨٧ هـ ، وانظر الاستيعاب : ١ / ٢٦ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ... ٢ / ٧٤٤ ، ٣ / ٩٤٦ ، ٩٦٢ ، ١٠٧٨ ، ٤ / ١٧٠٥ .

(٣) طبع بتحقيق د. أكرم العمرى : بمطبعة الآداب بالنجف ، طبعة أولى ١٩٦٧ م — ١٣٨٧ هـ وهي التي اعتمد عليها البحث وطبع طبعة ثانية بدار القلم ببيروت ١٩٧٧ — ١٣٩٧ هـ .

وانظر الاستيعاب : ١ / ١١ ، ١١٠ ، ... ٢ / ٨١٧ ، ٨٣٥ ، ... ٣ / ٨٨٨ ، ٩١٣ .

- كتاب الموقفيات للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ = ٢٦٩ م)
- التاريخ الكبير لابن أبي خثيمة زهير بن حرب (٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م)^(٢)
- التاريخ الكبير للإمام البخارى (٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م)^(٣)
- تاريخ أبى العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج (٣١٣ هـ = ٩٢٦ م)
- ذيل المذيل^(٤) : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م)
- المولد والوفاة : لأبى بشر محمد بن أحمد بن حمّاد الدولابى (٢٢٤ — ٣٢٠ هـ = ٨٣٨ — ٩٣٢ م) .
- كتاب الحروف فى الصحابة : لأبى على سعيد بن عثمان بن السّكن (٢٩٤ — ٣٥٣ هـ = ٩٠٧ — ٩٦٤ م) .
- كتاب الآحاد فى الصحابة : لأبى محمد بن عبد الله بن محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ = ٩٣٤ م) .
- كتاب الصحابة : لأبى القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى (ت ٣١٣ هـ = ٩٢٦ م) .^(٥)
- كتاب الجرح والتعديل : لابن أبى حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازى (ت ٣٢٧ هـ = ٩٣٨ م) ١ / ٤٢٣ ، ٤٤٩ .

١٠١٧ ، ١٠٠٠ ، ٤ / ١٣٠٤ ، ١٤٥٧ ، ١٥٣٧ ، ١٠٠٠

(١) طبع بتحقيق د. سامى مكى العالى ، طبعة أولى ، بمطبعة العالى بغداد . نشر ديوان الأوقاف سنة ١٩٧٢ م — ١٣٩٢ هـ .

وانظر الاستيعاب : ١ / ١٩٨ ، ٢٥٥ ، ٢٠٠٠ ، ٤٤٢ ، ٤٥٥ ، ٩٨٧ ، ١٠٥٠ / ٣ ، ١٠٠٠ ، ١٧٨٤ ، ١٦٥٥ / ٤ .

(٢) توجد منه قطعة فى جامعة القرويين بفاس برقم ٢٤٤ انظر تاريخ التراث ١ / ٥١٣ .

(٣) طبع فى حيدر آباد سنة ١٩٤١ — ١٩٤٥ فى ٤ مجلدات بثمانية أجزاء .

(٤) طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

نشر دار المعارف بالقاهرة : ١٩٧٧ م . ط ١ .

(٥) توجد منه قطعة فى المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم : ٩٤ / ١١ . انظر تاريخ التراث : ١ / ٢٨٠ .

(٦) طبع فى حيدر آباد بالهند سنة (١٩٤١ — ١٩٥٣ م) فى ثمان أجزاء . انظر تاريخ التراث ١ / ٢٨٧ .

وقد نص ابن عبد البر على أنه نقل في الاستيعاب من مصادر أخرى ولكنه لم يُثبتها في قوائم مصادره في المقدمة . فقال : « وفي كتابي هذا من غير هذه الكتب من منشور الروايات والفوائد والمعلقات عن الشيوخ مالا يخفى عن متأمل ذي عناية » ^(١)

ولعل ابن عبد البر لم يورد أسماء هذه المصادر في مقدمة كتابه إيثراً للاختصار ولكنه مع ذلك ينص على كثير منها . ونصّ على بعضها في كتابه الاستيعاب عند الاقتباس منها ومن التي نص عليها ما يلي :

- ١ — الأنساب لهشام بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ = ٨٢٢ م) ^(٢)
- ٢ — نسب قريش لأحمد بن محمد بن عُبيد العدوي ^(٣)
- ٣ — تاريخ أبي زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو النُصري (ت ٢٨١ هـ - ٩٠٤ م) ^(٤)
- ٤ — تاريخ يحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ = ٨٤٧ م) ^(٥)
- ٥ — المغازي للوليد بن مسلم (ت ١٩٤ هـ = ٨٠٩ م) ^(٦)

(١) الاستيعاب : ١ / ٢٤ .

(٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ٨٦٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ٨٦٨ — ٤ / ١٤٧٠ .

(٤) نفس المصدر : ٢ / ٨٧١ — ٤ / ١٨١٧ حققه شكر الله نعمة الله يد الله : رسالة ماجستير بجامعة

بغداد / كلية الآداب / قسم التاريخ ١٩٧٢ م — ١٣٩٢ هـ ، وقام بطبعها المجمع العلمي العربي بدمشق

سنة (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) .

وانظر الاستيعاب : ١ / ٢٧٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٤٤٦ / ٢ ، ٥٥٠ ، ٦١٠ ، ٣٠٠ / ٣ ، ٩٠٥ ،

١٢٣٠ ، ١٤١٦ ، ٣٠٠ / ٤ ، ١٦٩٠ ، ١٧٩٧ ، ٣٠٠ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ١٥٨ ، ٢٠٠ ، ٣٦٦ حققه د. محمد نور سيف : رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر /

كلية أصول الدين ١٩٧٦ م ، ونشرها مركز التحقيق العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة (عبد العزيز

سابقاً) .

انظر الاستيعاب : ١ / ٢٠٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٣ / ٣ ، ٩٥٦ / ٤ ، ١٢٣٩ ، ٣٠٠ / ٤

١٤٠ ، ١٥٧٠ ، ١٩٣٤ ، ٣٠٠ .

(٦) نفس المصدر : ٢ / ٥١٠ .

- ٦ — المغازى سعيد بن يحيى الأموى (ت ٢٤٩ هـ = ٨٦١ م)^(١)
- ٧ — المغازى لأبى إسحاق الفزارى إبراهيم بن محمد (ت ١٨٦ هـ = ٨٠٢ م)^(٢)
- ٨ — الجهاد لعبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ = ٧٩٧ م)^(٣)
- ٩ — أخبار صفين لابن الكلبي^(٤)
- ١٠ — يوم الدار ومقتل عثمان لسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ = ٧٩٦ م)^(٥)
- ١١ — الأشربة لسيف بن عمر^(٦)
- ١٢ — الكنى : لأبى أحمد الحاكم الكبير محمد بن محمد النيسابورى (ت ٣٧٨ هـ = ٩٧٩ م)^(٧)
- ١٣ — المؤلف والمختلف للدارقطنى على بن عمر البغدادى (ت ٣٨٠ هـ = ٩٩١ م)^(٨)
- ١٤ — أحكام القرآن للسامى زكريا بن يحيى (ت ٣٠٧ هـ = ٩١٩ م)^(٩)
- ١٥ — صحيح البخارى (٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م)^(١٠)
- ١٦ — صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م)^(١١)
- ١٧ — سنن النسائى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م)^(١٢)
- ١٨ — الأذواء للمبرد^(١٣)

-
- (١) نفس المصدر : ٢ / ٥٩٨ ، ٧٥٩ ، ٨٨٨ .
 - (٢) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥١٣ .
 - (٣) نفس المصدر : ١ / ٤٠٨ .
 - (٤) نفس المصدر : ١ / ١٦٥ .
 - (٥) نفس المصدر : ٢ / ٦٤٦ .
 - (٦) نفس المصدر : ٢ / ٧٧٥ ، ٧٧٦ .
 - (٧) نفس المصدر : ٣ / ١٤٢٦ — ٤ / ١٦٠٣ ، توجد منه قطعة فى المكتبة الأهرية برقم ٢٢٨ مصطلح .
انظر تاريخ التراث : ١٠ / ٣٢٢ .
 - (٨) نفس المصدر : ٣ / ١٠٢١ ، ١١١٧ .
 - (٩) نفس المصدر : ٠ / ٢٧٥ — ٣ / ٨٨٠ .
 - (١٠) نفس المصدر : ٣ / ٨٦٨ — ٤ / ١٤٤٨ .
 - (١١) نفس المصدر : ٢ / ٦٣٧ — ٤ / ١٨٥٠ ، ١٨٦٩ .
 - (١٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٢٦ .
 - (١٣) نفس المصدر : ٢ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

١٩ — طبقات الشعراء : لأبي عبد القاسم بن سلام^(١)

٢٠ — مصنف ابن أبي شيبة في فتح العراق^(٢)

رابعاً : التأكيد على الجانب التاريخي :

إذا ألقينا نظرة فاحصة مقارنة بين ما ألفه ابن عبد البر وبين من ألف قبله في تاريخ الصحابة لوجدنا أن ابن عبد البر يتميز عن غيره بأنه أكد على الجانب التاريخي في تراجم الصحابة وقد انتقد من سبقه لأنهم « قد أضربوا عن التنبيه على عيون أخبار الصحابة التي يوقف بها على مراتبهم » وقال : لذلك « سأشير إلى ذلك بالطف ما يمكن وأذكر عيون فضائل ذى الفضل منهم وسابقتهم ومنزلته ، وأبين مراتبهم بأوجز ما تيسر وأبلغه ليستغنى اللبيب بذلك »^(٣)

وبين أن السبب الذي دفعه للتأليف في الصحابة والتأكيد على أخبارهم لكون هذا الجانب من « أوكد علم الخاصة ، وأرفع علم أهل الخبر وبه ساد أهل السير »^(٤)

وقد شهد بن الأثير المؤرخ صاحب كتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » لابن عبد البر في تميزه على من ألف في تراجم الصحابة فقال : « ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشخص ومناقبه وكل ما يعرفه به حتى أنه يقول هو ابن أخي فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية ، وكان هذا هو المطلوب من التعريف وأما ذكر الأحاديث وعللها وطرقها فهو يكتب الحديث أشبه^(٥) » فجعل ابن الأثير كتاب ابن عبد البر أقرب سمياً من التأليف التاريخي بخلاف المؤلفات الأخرى التي أكدت على الجانب الحديثي التي يجعلها إلى كتب الحديث أقرب .

(١) نفس المصدر : ٣ / ٩٠٢ — ٤ / ١٨٧١ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٤٠٨ .

(٣) انظر معرفة الصحابة لابن مندة (ت ٣٩٥) مخطوط يوجد منه قطعة في ٢٤ لوحة تبدأ بكنية (أبو حاضر وتنهي بكنية أبو صفرة : ١ / ١٩ ، ٢٠) .

(٤) نفس المصدر : ١ / ١٩ .

(٥) أسد الغابة : ١ / ١١ .

وبملاحظة المصادر التي اعتمد عليها نجد أن الذي يغلب عليها هو كتب التراجم والتواريخ والأخبار ، بل إن أهل الحديث وصفوا كتابه بأنه من أحسن ما ألف في الصحابة « وأجلها وأكثرها فوائد »^(١) ولكنهم ينقدوه لبسطه الأمور التاريخية وكثرة نقله عن المؤرخين .

وعليه فقد استوعب ابن عبد البر مساحةً زمنيةً واسعة وذلك من خلال حركة الصحابي أو التابعي ، ومشاركته في جميع النشاطات قبل الإسلام وبعده كالغزوات أو الأعمال والوظائف التي وليها الصحابي مع ذكر أسماء الخلفاء الذين تمت في عهودهم هذه المشاركات وبذلك قدم لنا ابن عبد البر مادة تاريخية تتعلق : بالعصر الجاهلي^(٢) ، وعصر صدر الإسلام لحين وفاة النبي^(٣) (١١ هـ) ، وعصر الخلفاء الراشدين (١١ — ٤٠ هـ = ٦٣٢ — ٦٣٤ م) ويتضمن :

- (٤) خلافة أبي بكر الصديق (١١ — ١٣ هـ = ٦٣٢ — ٦٣٤ م)
- (٥) خلافة عمر بن الخطاب (١٣ — ٢٣ هـ = ٦٣٤ — ٦٤٣ م)
- (٦) خلافة عثمان بن عفان (٢٣ — ٣٥ هـ = ٦٤٤ — ٦٥٥ م)
- (٧) خلافة علي بن أبي طالب (٣٥ — ٤٠ هـ = ٦٥٥ — ٦٦٠ م)

ثم تولى الحسن بن علي مدة لا تتجاوز سنة واحدة وتنازل بعدها معاوية بن أبي سفيان عام الجماعة سنة (٤١ هـ = ٦٦١ م)^(٨)

ثم أورد لنا معلومات عن الدولة الأموية (٤١ — ١٣٢ هـ = ٦٦٢ —

(١) انظر : التقييد والإيضاح : ٢٩١ والباعث الخيث : ١٧٩ وتدريب الراوي : ٢٠٧ .

(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٠ — ٢ / ٧٧٦ — ٣ / ١٩٥ ، ١٢١٠ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٢٥ — ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) انظر الاستيعاب : ١ / ٦٤ ، ٣٣٦ — ٤ / ١٣٣٤ ، ١٤٥٧ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٦٢ — ٤ / ١٣٤٨ ، ١٤٥٦ ، ١٤٧٧ .

(٦) نفس المصدر : ١ / ٣٢٧ — ٤ / ١٤٤٤ ، ١٤٤٧ .

(٧) نفس المصدر : ١ / ٣٣٥ — ١٣٤٩ ، ١٠٤٨ ، ١٤٤٧ .

(٨) نفس المصدر : ١ / ٣٨٣ .

٧٥٠ م) وتتضمن :

- (١) خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١ — ٦٠ هـ = ٦٦١ — ٦٧٥ م)
(٢) وخلافة يزيد بن معاوية (٦٠ — ٦٤ هـ = ٦٧٩ — ٦٨٣ م)
(٣) وخلافة مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥ هـ = ٦٨٣ — ٦٨٤ م)
(٤) وخلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ — ٨٦ هـ = ٦٨٤ — ٧٠٥ م)
(٥) وخلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ — ٩٦ هـ = ٧٠٥ — ٧١٤ م)
(٦) وخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ = ٧١٧ — ٧١٩ م)
(٧) وخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥ هـ = ٧٢٣ — ٧٤٢ م)

ثم نقل لنا أخبارا وقعت عندما تولى عبد الله بن الزبير حكم الحجاز والعراق
لحين وفاته (٦٥ — ٧٣ هـ = ٦٨٤ — ٦٩٣ م)^(٨)

وامتد البعد الزماني للاستيعاب للدولة العباسية : فذكر خلافة المهدي
(١٥٨ — ١٦٩ هـ = ٧٧٥ — ٧٨٥ م) والهادي (١٥٨ — ١٦٩ هـ =
٧٧٥ — ٧٨٥ م) ، والرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ = ٧٨٦ — ٨٠٨ م)
وذلك في ترجمة^(٩) سعد بن حبه الجد الأعلى للقاضي أبي يوسف (ت ١٨٢ هـ)
صاحب أبي حنيفة الذي تولى القضاء لهؤلاء الخلفاء ، وذكر حادثة^(١٠) كانت في
عهد المتوكل على الله العباسي (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ — ٨٦١ م) .

(١) نفس المصدر : ١ / ٣٢١ — ٢ / ٤٧٢ — ٣ / ٩٣٣ — ٤ / ١٣٤٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٧٤٥ ، ٨٨٥ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ٧٤٥ .

(٤) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٨٢ — ٤ / ١٣٤٥ .

(٥) نفس المصدر : ٣ / ١٠٣١ .

(٦) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦٢ .

(٧) نفس المصدر : ٣ / ١٢١١ .

(٨) نفس المصدر : ٣ / ٩٠٦ .

(٩) نفس المصدر : ٢ / ٥٨٤ .

(١٠) نفس المصدر : ٣ / ٨٧٩ .

ومفادها أن بَغا التركي (٢٤٨ هـ = ٨٦٢ م) ^(١) — مُقَدِّم قُواد المتوكل — قد اشترى سيف عبد الله بن جحش الذي أعطاه له رسول الله في معركة أحد .

ملاحظات على النسخ المطبوعة :

لقد حظى الاستيعاب لابن عبد البر بالاهتمام ، فكان من أوائل كتبه التي طبعت وأقبل العلماء عليها .

ولكن هناك ملاحظات على هذه النسخ المطبوعة التي بين أيدينا وسنختار أشهر طبعتين حظيتا بالعناية من قبل المشرفين عليها .

الطبعة الأولى ^(٢) : هي طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة (١٣٢٨ هـ = ١٩٠٨ م) وكانت بهامش كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني . وهذه الطبعة كانت على نفقة سلطان المغرب الأقصى « عبد الحفيظ بن السلطان مولاي الحسن » .

وقد أشرف عليها محمد بن العباس بن شقرون وكيل دولة المغرب الأقصى بمصر (أى سفيرها) وقد تابع هذا الإشراف ابنه عبد السلام شقرون .

وكانت هذه الطبعة اعتمدت على عدة نسخ واردة من المغرب الأقصى وعليها خطوط بعض العلماء الأعيان . وقوبلت على نسخ أخرى في المكتبة الخديوية المصرية (دار الكتب الآن) .

وطبعة مثل هذه لاشك قد توفرت لها العناية الجيدة ، لأن الجهة الناشرة لم يكن بحسبانها القصد التجارى ، وإنما حرصا على نيل فضيلة نشر هذا الكتاب الأندلسي .

وكانت كل المطبعات التجارية قد أعادت نشر هذا الكتاب اعتمادا على هذه

(١) انظر الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢١٢ وشذرات الذهب : ٢ / ١٧٧ .

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب : صفحة العنوان : وهذه الطبعة رُتبت على حروف المعجم المعرى على حسب الأصل الذى كتبت فيه .

النسخة مع بعض التغيير فى شكليات الطبع . وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد تصويرها بالأوفست .

وأما الطبعة الأخرى فهى طبعة مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، وقد نشرت سنة (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) فى أربعة مجلدات وقد أفرد الاستيعاب لوحده .

والذى يعطى القيمة العلمية لهذه الطبعة أنها طبعت محققة بعناية المحقق المعروف الأستاذ على محمد البجاوى ، الذى لم يكتف بوجود النسخة المطبوعة السابقة ، بل اطلع على نسخ أخرى من الاستيعاب . ثم استعان بمخطوطات أخرى أعانته فى تحقيقه مثل مخطوط حواشى الاستيعاب لإبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي المودع فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

وقد أعاد الأستاذ البجاوى ترتيب الكتاب بحسب الترتيب الهجائى المشرق تيسيرا للباحثين فى المشرق الإسلامى ، وقام بترقيم التراجم .

ولكن مع هذه العناية وجد الباحث من خلال تعامله مع الكتاب أن هناك فروقا واضحة فى عدد التراجم فى كل نسخة من هاتين النسختين المطبوعتين ، ثم إن النسختين المطبوعتين تزيدان فى عدد تراجمهما عن الأصل الذى كتبه ابن عبد البر .

كما وجدت زيادات فى نصوص الترجمة الواحدة من الأشعار والأخبار التى ذكرت فى طبعة ولم تذكر فى الأخرى .

الزيادات فى عدد التراجم :

ذكر الحافظ بن فتحون الأوربولى الأندلسى (ت ٥١٧ هـ) « أن ابن عبد البر ذكر فى كتابه من الصحابة ثلاثة آلاف وخمسمائة يعنى ممن ذكره باسمه أو كنيته أو حصل له فيه وهم »^(١) وقد أكد ذلك كذلك الحافظ بن حجر العسقلانى فى كتابه الإصابة^(٢) .

(١) الرسالة المستطرفة : للكتانى : ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٢) انظر الإصابة : طبعة السعادة : ١ / ٤ .

ثم إن ابن الأثير ، وهو أول المشارقة الذين اهتموا (بالاستيعاب) قد ضمن أغلب تراجمه في كتابه (أسد الغابة في معرفة الصحابة) ويبدو أنه استبعد بعض من وهم فيهم ابن عبد البر ، فبلغت عدد التراجم التي ضمنها كتابه (٣٣٦٥) ترجمة . وهي قريب مما ذكر ابن فتحون .

ولكن النسخ المطبوعة اختلفت في عدد تراجمها عن العدد الذي ذكره ابن فتحون ، وهو من أوائل من استدرك على ابن عبد البر .
وبإحصاء تراجم النسخ المطبوعة من الاستيعاب تبين أن :
مطبوعة السعادة بمصر بلغت عدد تراجمها (٣٦٢٤) ترجمة .
ومطبوعة البجاوى بلغت عدد تراجمها (٤٢٢٥) ترجمة .

والزيادة واضحة ، وبخاصة في نسخة على محمد البجاوى ، وكان من المفروض أن لا يذكرها في النص بل في الهوامش .

ويبدو أن سبب الزيادة جاءت من النسخ الذين أدخلوا الزيادات والإستدراكات على الاستيعاب ، في الاستيعاب نفسه .

فالمعلوم أن ابن عبد البر قد طلب من تلميذه المقرب أبي على الغسانى أن يلحق بكتابه الاستيعاب كل ما فاتته من تراجم الصحابة ، وجعل ذلك أمانة في عنقه .
فعمل الغسانى بوصية شيخه واستدرك ما فات الاستيعاب ^(١) .

وقد وردت بعض التراجم في الاستيعاب ^(٢) من زيادة أبي على صراحة ، حيث وردت بصيغة : (قاله أبو على) ، أو (سقط لأبي عمر وألحقه أبو على) ، أو (قال أبو على) .

ومن التراجم ما لم يصرح بنقلها عن أبي على . ولكن ذكر ذلك من ألف في الصحابة بعد ذلك ، ورأوه في مستدركه على الاستيعاب .

(١) انظر الروض الآنف : ٦ / ٣٣٤ . وتذكرة الحفاظ : ٤ / ١٢٣٤ .

(٢) انظر الاستيعاب : ٢ / ٧٣٩ ، ٤ / ١٨٤٣ وانظر الاستيعاب ١ / ٥١٥ طبعة السعادة .

ولم تكن زيادات أبي على الغساني هي وحدها التي تسلفت إلى أصل الاستيعاب ، وإنما كانت هناك زيادات لعلماء آخرين استدركوا ابن عبد البر وأدرجها النساخ في الاستيعاب وقد ذكرها ابن الأثير وابن حجر في موضعها بكتبهم .

ومن تلك الزيادات والاستدراكات على الاستيعاب :

— ذيل كتاب الصحابة : لأبي بكر محمد بن أبي القاسم خلف المعروف بابن فتحون الأريولى (ت ٥١٧ هـ) الأندلسي .^(١)

— كتاب التنبيه على أوهام ابن عبد البر له كذلك .^(٢)

— الإعلام بالخير الأعلام من أصحاب النبي عليه السلام :

لأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى المعروف بابن الأمين (ت ٥٤٤ هـ) القرطبي الأندلسي .^(٣)

— استدراك عبد الله بن علي اللخمي المُرّي الأندلسي المعروف بالرشاطي (ت ٥٤٢ هـ) .^(٤)

— استدراك أبي الوليد يوسف بن عبد العزيز اللخمي الأندلسي المعروف بابن الدباغ (ت ٥٤٦ هـ) .^(٥)

— الارتجال في أسماء الرجال : لأبي الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد الجماهيري التنوخي الشافعي (ت ٥٥٨ هـ) استدرك فيه علي مالم يذكر في الاستيعاب .^(٦)

(١) انظر : بغية المنتسب : ٧٣ وقال صاحب الصلة توفي في (٥٢٠ هـ أو ٥١٩ هـ) انظر الصلة : ٥٧٧ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٣ .

(٢) انظر : بغية المنتسب : ٧٣ وقال صاحب الصلة توفي في (٥٢٠ هـ أو ٥١٩ هـ) انظر الطلة : ٥٧٧ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٣ .

(٣) انظر : المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدوق : لابن الأبار : ٦٣ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٣ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ : ٤ / ١٣٠٧ .

(٥) نفس المصدر : ٤ / ١٣١٠ — ١٣١٢ .

(٦) انظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٤ .

— زيادات خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وقام بدج زياداته مع زيادات ابن الأمين ^(١) .

— الرد على ابن عبد البر والتنبيه على أغلاطه :
لعقيل بن عطية القضاعي المراكشي الدار الطرطوشي الأصل (ت ٦٠٨ هـ) ^(٢) .

— استدراك محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الغرناطي المعروف 'بالملاحى' (ت ٦١٩ هـ) ^(٣) .

— إكمال التذييل لأبى بكر بن فتحون على كتاب الاستيعاب :
لأبى العباسى أحمد بن عمر بن ميمون الأشعرى المانعى المعروف بابن السكان ^(٤) .

وقد استدرك ابن الأثير (٦٨٠ هـ) فى كتابه أسد الغابة كذلك على ابن عبد البر .

وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) قد ختم ذلك كله بإصابته فى تمييز الصحابة .

نماذج من الزيادات فى النسخ المطبوعة :

ثم إن مطبوعتى الاستيعاب قد اتفقتا فى بعض الزيادات وتفردت إحداها عن الأخرى أحيانا .

(١) مخطوط بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٧ تاريخ وعندى صورة عنها ، وفيه تعليقات لابن الصلاح على هامشه .

(٢) انظر الحلل السندسية : ٢٨ / ٣ .

(٣) انظر التكملة لابن الأبار : ٦١٠ / ٢ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٤ .

(٤) انظر الجغرافية والرحلات عند العرب : نقولا زيادة نقله عن رحلة العبدري فيمن لقيه العبدري بتونس : ١٧٨ .

الزيادات التي تكررت في المطبوعتين :

- (١) — صلصال بن الدِّلَهْمَس .
- (٢) — ترجمة عبد الله اليربوعي .
- (٣) — زيادة في ترجمة رقية بنت رسول الله ﷺ في آخر ترجمتها .
- (٤) — ترجمة : جُدَامَة بنت جَنْدَل .
- (٥) — ترجمة : جَرْبَاء بنت قَسَامَة .
- (٦) — جمعة بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .
- (٧) — جُمانه بنت أبي طالب .
- (٨) — جُمَيْل بنت يسار .
- (٩) — جميلة بنت أوس المزنية .
- (١٠) — جميلة بنت عمر بن الخطاب .
- (١١) — حَسَنَة أم شرحبيل .
- (١٢) — حمامة .
- (١٣) — الحُوَيْصِلَة بنت قُطَيْبَة .

(١) انظر الاستيعاب : ٤ / ٢٠٤ طبعة السعادة وقد أسماه صلصال بن الهميس وعند البجاوي صلصال بن الأيمل . وهذا من خطأ النساخ والصحيح ما أثبتناه نقلا عن استدراك ابن الأمين وابن بشكوال : مخطوط : لوحة ١٠ ، وانظر : الإصابة ٢ / ١٩٣ طبعة السعادة .

- (٢) نفس المصدر : سعادة : ٣ / ٣٩٢ والبجاوي : ٣ / ١٠٠٤ استدرکه ابن الأمين : لوحة : ١١ .
- (٣) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٣٠٢ — ٣٠٣ والبجاوي : ٤ / ١٨٤٣ .
- (٤) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٥ والبجاوي : ٤ / ١٨٠٠ استدرکه ابن الأمين : لوحة ٢٢ .
- (٥) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٧ والبجاوي : ٤ / ١٨٠٠ استدرکه ابن الأمين : لوحة ٢٢ .
- (٦، ٧) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٦ والبجاوي : ٤ / ١٨٠١ استدرکه ابن الأمين : لوحة ٢٢ .
- (٨) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٦ والبجاوي : ٤ / ١٠٨١ استدرکه ابن الأمين : لوحة ٢٢ .
- (٩) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٦ والبجاوي : ٤ / ١٠٨٢ استدرکه ابن الأمين : لوحة ٢٢ .
- (١٠) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٦ والبجاوي : ٤ / ١٠٨٣ استدرکه ابن الأمين : لوحة ٢٢ وفي البجاوي : المرة وهو من خطأ النساخ .
- (١١) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٧٨ والبجاوي : ٤ / ١٨١١ استدرکه ابن الأمين : لوحة : ٢٢ — ٢٣ .
- (١٢) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٧٨ والبجاوي : ٤ / ١٨١٣ استدرکه ابن الأمين : لوحة : ٢٢ .
- (١٣) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٧٨ والبجاوي : ٤ / ١٨١٦ استدرکه ابن الأمين : لوحة : ٢٢ .

والزيادات التي انفردت بها طبعة السعادة :

— ترجمة ربيعة بن عيدان ^(١) .

والزيادات التي انفردت بها طبعة البجاوى :

— المنذر بن أبى أسيد الساعدى ^(٢) .

— المنذر بن ساوى العبدى ^(٣) .

— المنذر بن عدى بن المنذر بن عدى بن حجر ^(٤) .

— المنذر بن كعب الدارمى ^(٥) .

— المنذر بن قيس بن عمرو بن عبيد ^(٦) .

— المنذر بن يزيد بن عامر بن حديدة ^(٧) .

— زيادة فى نسب المقداد بن الأسود ^(٨) .

— زيادات من الأشعار والأخبار فى ترجمة عاتكة بنت زيد ^(٩) .

— وأبيات شعر فى ترجمة هند بنت عتبة ^(١٠) .



(١) انظر الاستيعاب : طبعة السعادة : ١ / ٥١٥ .

(٢ — ٧) نفس المصدر : طبعة البجاوى ٤ / ١٤٤٨ استدركه بن الأمين : لوحة ١٧ .

(٨) نفس المصدر : ٤ / ١٤٨٠ .

(٩) نفس المصدر : ٤ / ١٨٧٧ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ .

(١٠) نفس المصدر : ٤ / ١٩٢٢ .

المبحث الثانى تراجم الفقهاء

أهمية كتب تراجم الفقهاء من الناحية التاريخية :

تمثل كتب تراجم الفقهاء جانباً مهماً من المكتبة التاريخية الإسلامية ، ووجه الأهمية فيها أنها تُلقى لنا ضوءاً على طبيعة مسار الثقافة الإسلامية بوجه عام والجانب التشريعى منها بوجه خاص .

وقد تنوّعت طرق عرض المادة التاريخية فى هذا النوع من التأليف :
فمنها ما يتناول سيرة إمام من أئمة الفقه المشهورين^(١) .

ومنها ما يتخصّص بفقهاء مذهب معين فيعرض طبقات فقهاء المذهب أو مشاهيرهم .^(٢)

ومن خلال المادة التاريخية التى تحويها كتب تراجم الفقهاء يتمكن الباحثون فى تاريخ التشريع أن يرصدوا ظواهر كثيرة ومتنوعة فى هذا الجانب . من ذلك : معرفة

(١) من ذلك مثلاً :

— (فضائل أبى حنيفة) ليوسف بن أحمد الصيلانى المكي (ت ٣٨٨ هـ) انظر الانتقاء : ١٢٢ / ١٣٧ .

— (مناقب الشافعى) لذكرى بن يحيى الساجى (ت ٣٠٧ هـ) انظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٧٠٩ وتاريخ بغداد : ٢ / ٢٤٠ .

— (فضائل مالك) : لأبى بشر محمد بن أحمد الدولابى (٢٢٤ — ٣١٠ هـ) انظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٧٥٩ .

— (الرحمة الغيثية فى الترجمة اللبثية) : لابن حجر العسقلانى . يترجم للإمام الليث بن سعد .

(٢) من ذلك :

— (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية) : لعبد القادر بن محمد القرشى (٦٩٦ — ٧٧٥ هـ) تحقيق د. عبد الفتاح الحلو . مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة ١٩٧٨ م ظهر منه للآن ثلاثة أجزاء .

— (طبقات الشافعية الكبرى) : لعبد الوهاب بن على السبكى (٧٢٧ — ٧٧١ هـ) تحقيق د. محمود الطناحى . وعبد الفتاح الحلو : مطبعة عيسى الحلبي القاهرة ١٩٦٤ م .

— (الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب) : لإبراهيم بن على البعجى المالكى المعروف بابن فرحون

(ت ٧٩٩ هـ) . تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور ، نشر دار التراث بمصر ١٩٧٤ م .

وقد حفظ لنا السخاوى قائمة طويلة لهذه المصنفات : انظر علم التاريخ عند المسلمين : ٧٣١ —

٧٥١ .

فقهاء الصحابة الذين اختصوا بالفتيا، ورصد نشأة المذاهب الفقهية ، ومعرفة المدثر منها والباقي ، ومعرفة أئمتها المؤسسين ، ومعرفة الأصول التي اعتمدوها في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية .

إضافة إلى ذلك فإن كتب الفقهاء وطبقاتهم تعرض لنا بعض الأحداث التاريخية التي كان الفقيه طرفاً فيها ، أو حدثت في عصره ، وتنقل لنا كذلك الحكايات والأشعار المتعلقة بموضوعاتها . وتذكر لنا المؤلفات التي ألفها المترجم لهم ، والوظائف التي تولوها ، وعلاقاتهم بحكام زمانهم ، ومواقفهم من قضايا الأمة بعامة ، وتعرض لنا الخصائص العقلية والجسمية للمترجم لهم .

مشاركة ابن عبد البر في هذا النوع من التأليف :

إن ثقافة ابن عبد البر الفقهية الواسعة لم تقتصر على العلوم التي تتضمنها هذه الثقافة أو القضايا التي تعالجها وإنما كانت تشمل هذه الثقافة معرفة مشاهير الرجال الذين برعوا في هذه العلوم وأئمتهم ومعرفة — على الأقل — موجزة عن حياتهم وأعمالهم ، لا سيما وأن الشيخ الذي كان يدير حلقة العلم معرضاً للسؤال عن الرأي الفقهي وصاحبه ودرجته في الاجتهاد ، ومكانته بين علماء عصره ونزاهته ، ومواقفه .

وبالفعل تعرض ابن عبد البر لمثل هذه الأسئلة خلال حلقات تدريسه الفقه وعرضه مذاهب العلماء في قضاياهم ، وألف بعض مؤلفاته في هذا الجانب تلبية لهذه الرغبة .

وتنقسم مؤلفات ابن عبد البر في تراجم الفقهاء إلى :

أولاً : تراجم الفقهاء الأندلسيين .

ثانياً : تراجم الفقهاء من غير الأندلسيين .

أولاً : تراجم الفقهاء الأندلسيين :

قدم لنا ابن عبد البر في تراجم الأندلسيين كتباً لم يصلنا منها شيء سوى ما تناثر في المصادر من النقول عنها ، أو ذكرت أسماؤها فقط لفقدانها ، مثلها مثل الآلاف

من كتب الاندلسيين المؤلفة في جوانب المعرفة المختلفة . منها ما فُنى لعوامل التعصب ، أو للعوامل الطبيعية . ومنها ما هو في بطون المكتبات الخاصة التي لم تُعرف للآن .

وقد وصلتنا نقول عن ابن عبد البر في بطون كتب التراجم أمثال : جذوة المقتبس للحميدى تلميذ ابن عبد البر ، وكتاب الصلة لابن بشكوال الذى كان من المهتمين بمؤلفات ابن عبد البر . وما نقله الضبى في بغية الملتبس ، والقاضى عياض في فهرسة شيوخه .

ومن أهم هذه الكتب التى سنعرف بها :

- ١ - تاريخ شيوخ ابن عبد البر .
- ٢ - أخبار المنذر بن سعيد البلوطى .

١ - كتاب تاريخ شيوخ ابن عبد البر :

وقبل أن يتناول الباحث الكتاب بالتعريف يقدم مقدمة موجزة في طبيعة هذا اللون من التأليف وأهميته : فيقول : إن هذا النوع من المؤلفات درج عليه علماء المسلمين في كافة أقطارهم يترجمون فيه لشيوخهم الذين نقلوا عنهم العلم بطرق التحمل^(١) المختلفة التى تعارف عليها علماء المسلمين : كالسمع^(٢) ، والقراءة^(٣) والإجازة^(٤) ،

(١) وهى : الطرق التى يروى بها العالم عن شيخه .

(٢) السماع : ويكون من لفظ الشيخ إملاء وتحديثاً سواء أكان ذلك شفاهاً أو قراءة من كتاب وهو أعلى مراتب التحمل : انظر التقييد للعراق : ١٦٦ انظر : الكفاية : للخطيب البغدادي : ٦٢ وتاريخ التراث : سزكين : ٩٣ / ١ .

(٣) القراءة على الشيخ حفظاً أو من كتاب وهو « العرض » عند الجمهور والرواية به سائفة عند العلماء . وهى دون السماع من لفظ الشيخ . انظر : الباعث الحثيث : ١١٠ وتاريخ التراث : ١ / ١٩٣ .

(٤) الإجازة : إذن من الأستاذ لتلميذه أن يروى عنه مروياته أو مسموعاته أو بعضها منها . انظر التقييد : ١٨٠ وتاريخ التراث : ١ / ٩٣ .

والمُناولة^(١)، والمُكاتبة^(٢)، والوِجادة^(٣). وقد كان يقوم بعض العلماء بجمع أسماء شيوخ أحد المشهورين ممن سبقهم في مؤلف^(٤). وكانت هذه المصنفات تُرتَّب على حروف المُعجم في الغالب، أو على تاريخ الوفيات، أو على بلدان الشيوخ^(٥).

وكان أهل الأندلس يهتمُّون بتدوين أسماء شيوخهم والتعريف بهم ومؤلَّفاتهم وبمروياتهم. وكانوا غالباً يطلقون عليها مصطلح (فهرسة) وقد مرَّ تعريفها. وكانوا يتفننون في تنظيمها، فمنهم من كان يُرتبها على أسماء الكتب التي رواها بسنده عن شيوخه إلى مؤلَّفيها. وأحياناً تُرتَّب على أسماء الشيوخ ثم تُذكر أسماء مؤلَّفاتهم التي رويت عنهم والكتب التي رواها المؤلف بسنده عنهم إلى مؤلَّفي هذه الكتب. ومنهم من جمع بين النظامين، أي جمع بين الشيوخ والمؤلَّفات^(٦).

ولا شك أن تاريخ الشيوخ، أو فهرس الشيوخ كانت تحوى معلومات دقيقة ينقلها المؤلف عن شيوخه لمخالطته لهم فيكون بذلك أوثق من غيره في نقل أخبارهم وأفكارهم العلمية وما قدموه من نتائج يُرى الحضارة الإسلامية

ومن المعلومات المهمة التي تُقدِّمها : إحصائيات وافية عن علماء عاشوا في جيل واحد. وقد يقتصر المؤلف على بعض من روى عنهم من العلماء^(٧).

(١) والمناولة : أن يتناول الشيخ الطالب كتاباً من سماعه ويقول له : « ارو هذا عنى » أو يملكه إياه أو يعيره لينسخه ثم يعيده إليه وسمى هذا عرص المناولة انظر : الباعث الخثيث : ١٢٣ تاريخ التراث : ١ / ٩٣ .

(٢) والمكاتبة : أن يكتب إليه بشيء من حديثه . فإن أدل له في روايته عنه فهو كالمناولة المقررة بالإجارة وجعلوها أقوى من الإحازة المجردة . انظر : الباعث الخثيث : ١٢٥ وتاريخ التراث : ١ / ٩٣ .

(٣) الوجادة : أن يجد حديثاً أو كتاباً يحط شخصي بإسناده فله أن يرويه عنه على سبيل الحكاية وهي ليست من باب الرواية . انظر : الباعث الخثيث : ١٢٧ وتاريخ التراث : ١ / ٩٤ .

(٤) تسمية شيوخ أبي داود السجستاني : لأبي علي الفسائي تلميذ ابن عبد البر : فهرسة ابن حجر / ٢٢١ . تسمية شيوخ مالك وسفيان بن عيينة وشعبة لمسلم بن الحجاج : فهرسة ابن حجر : ٢١٣ .

(٥) انظر : موارد الخطيب البغدادي : ٤١٢ .

(٦) انظر فهرس الشيوخ في المغرب والأندلس : ١ / ٢٥ — ٢٨ .

رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة بجامعة عين شمس .

وقد صنف الفهارس التي اختارها بحسب التصنيف الآنف، ومن ثم درسها بمجموعات بحسب المناطق

تأليفها .

(٧) انظر : موارد الخطيب البغدادي : ٤١٢ .

وتكشف لنا هذه المؤلفات كذلك عن مراكز الإشعاع الثقافي وذلك من خلال
توزع العلماء وكثافة وجودهم في حاضرة من حواضر العالم الإسلامي .^(١)

ومن الفوائد المهمة الأخرى التي تستقرأ من خلال هذه المؤلفات : رصد
المُصنِّفات التي كانت مدار التدريس في حَقبة من الحقب ، أو صقع من أصقاع
العالم الإسلامي ، ويستدل على ذلك من خلال كثرة تكرارها في فهارس العلماء
واستكثارهم لطرق الرواية لها أو تسجيل سماعاتهم عليها بالسند إلى مؤلفيها .^(٢)

وكان العلماء يهتمون بهذا النوع من التأليف ، لأنه يعكس كذلك جهودهم
العلمية الذاتية التي يبذلونها في تنقلهم بين المدن ، والبلدان للأخذ عن الشيوخ
بمختلف تخصصاتهم . وهذا لاشك مما يفخر به العالم على أقرانه .

وأما كتاب تاريخ شيوخ ابن عبد البر^(٣) فقد وصلتنا نقول عنه تضمنتها مؤلفات
تلاميذ ابن عبد البر وغيرهم ممن أُلِّف في تراجم علماء الأندلس ولم يصلنا الكتاب
نفسه ، ولعله موجود في بطون خزائن المكتبات الخاصة أو أنه فقد مع الآلاف المؤلفة
من المخطوطات .

ومن العلماء الذين نقلوا عنه المحدث والمؤرخ الأندلسي أبو نصر الحميدي (ت
٤٤٨ هـ) الذي تتلمذ على يد ابن عبد البر قبل رحلته إلى المشرق في سنة
(٤٤٨ هـ) ، وقد نقل عنه (أربعة وتسعين) نصا في كتابه جذوة المقتبس ،
وتفاوتت هذه النصوص طولا وقصرا بحسب نوع الخبر ، وكان الحميدي يصدر نقله
بقوله : (ذكره لنا ابن عبد البر)^(٤) ، أو (قال ابن عبد البر)^(٥) أو (أخبرنا أبو

(٢،١) نفس المصدر : ٤١٣ وانظر فهارس شيوخ العلماء في المغرب والأندلس : رسالة دكتوراة على الآلة
الكاتبة : ١ / ٣٨٧ — ٣٨٨ .

(٣) أورد المقرئ اسم هذا المؤلف في النفع انظر : ١ / ١٦٩ .

(٤) انظر الجذوة : ٣٨ ، ٢١٠ ، ٣٢٤ .

(٥) نفس المصدر : ٤٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ٣٨٦ .

عمر^(١) ، (ذكره أبو عمر)^(٢) ، (روى عنه شيخنا أبو عمر ابن عبد البر)^(٣) ،
(روى عنه أبو عمر ابن عبد البر)^(٤) .

فالحميدى أكثر فى الرواية عن ابن عبد البر فى كتابه جذوة المقتبس . ولكن الذى
فاق ابن عبد البر فى نقل الحميدى عنه هو ابن حزم^(٥) ، الذى لازمه الحميدى أكثر
من ابن عبد البر .

(٦)
وأما ابن بشكوال : فقد جعل ابن عبد البر من مصادره التى نقل عنها لجلالة
هذا العالم الفذ ، الذى عمّر ما يقارب قرناً من الزمان ، مما جعله بقية سلف يتسابق
على الرواية عنه ، لأنه قد رأى عدداً كبيراً من الشيوخ ، فأخذ عنهم ، فضلاً عن
أخذه عن رحل إلى المشرق ، وإن كانوا من تلاميذه ، فروى عنهم ما روه من كتب
لم يجدوها عند غيرهم . حتى عدا ابن عبد البر ثقافة قرن كامل .

حرص ابن بشكوال على أن يَحْصَّ شيوخ ابن عبد البر فى كتاب من تأليفه أسماه
(شيوخ أبى عمر ابن عبد البر) وأشار إليه ابن خير الأشبيلي فى فهرسته^(٧) ، ولكنه
فى حكم المفقود كذلك .

وقد احتفظ لنا ابن بشكوال فى صلاته^(٨) (بستة وخمسين) نصاً عن ابن عبد

(١) نفس المصدر : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ١٠٧ ، ١٤١ ، ١٦٤ ، ٢٢٥ ، ٣٧٧ .

(٢) نفس المصدر : ٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٨ ، ٤٠٥ .

(٣) نفس المصدر : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩ .

(٤) نفس المصدر : ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ .

(٥) نقل عنه (٢٢٠) . فى مجمل كتابه انظر ابن حزم الأندلسى مؤرخنا رسالة دكتوراة مدار العلوم : ١٨١ .

(٦) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأندلسى (٤٩٤ — ٥٧٨ هـ) كان مقدماً على أهل وقته
حافظاً حافلاً إخبارياً تاريخياً ذاكراً لأخبار الأندلس ، انظر : المعجم فى أصحاب أبى على الصدوق : ٨٢ —

٨٥ . وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٣٩ — ١٣٤١ . ونقل عنه (٥٣) نصاً .

(٧) الفهرسة : ٤٣٢ .

(٨) ونقل ابن عميرة الضبى فى بغية الملتبس (٤٦ نصاً) .

البر ، تروى أخباراً وأشعاراً ومؤلفات لشيخه ، وبصيف متعددة .

فيقول ابن بشكوال مثلاً :
(.حدث عنه ابن عبد البر) ^(١) ، (روى عنه أبو عمر) ^(٢) ، (ذكره ابن عبد البر) ^(٣) ، (أخذ عنه ابن عبد البر) ^(٤) ، وهكذا ...

★ ★ ★

٢ — كتاب المنذر بن سعيد البلوطي وأخباره :

ومن إنتاج ابن عبد البر في تراجم الأندلسيين كتاب أفردده للقاضي المنذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة (٢٧٣ — ٣٥٥ هـ) ^(٥) الذي اقترن اسمه بأسم الخليفة الناصر لدين الله ، لأنه كان يتولّى منصب القضاء في عصره ، وله مواقف عديدة من الناصر جعلته علماً للنزاهة والصلابة في الحق ، فضلاً عن نصحه ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر . إضافة إلى كونه من أهل الاجتهاد .

ومن هذه المواقف ^(٦) : نُصْحُهُ وتذكيره للناصر بسبب تخلفه عن صلاة الجمعة ثلاثة أسابيع متتالية ، لانشغاله ببناء قصر الزهراء ، وقد عرّض به في صلاة الجمعة ، ويبيّن أنّ من تأخر ثلاث جمع متتالية كُتِبَ في أهل النفاق . وكان ذلك بحضور الخليفة الناصر ، وفي نهاية الصلاة التفت الناصر إلى ولي عهده المستنصر وقال له : « والله لقد تعمّدني منذر بخطبته » ^(٧) ، فأشار المستنصر بعزله فوبّخه الناصر بقوله : « لا أم لك يُعزل في إرضاء نفس ناكبة عن الرّشد » ^(٨) .

(١) الصلة : ١١ ، ٢٣ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ٢٢٤ ، ١٠٠٥١٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢٦ ، ٣١ ، ٨٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥٥٣ .

(٣) نفس المصدر : ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٣٠٩ ، ٣٦٩ .

(٤) نفس المصدر : ٢٠٢ ، ٤٤٣ .

(٥) انظر : ترجمة : ابن القرضي ٢ / ١٤٣ — ١٤٥ .

(٦) مطمح : ٤٥ — ٤٧ . والمرقبة العليا ٦٦ — ٧٤ وجذوة المقتبس ٣٤٨ .

(٨٧٧) مطمح : ٤٠ . والمرقبة العليا : ٧٠ .

ولكن كل ما فعله الخليفة أنه انقطع عن صلاة الجمعة في جامع قرطبة ، وانتقل للصلاة في جامع الزهراء .

صورة مشرقة في التعامل بين العالم العامل الذي لا يدهن في دين الله ، والحاكم العاقل المُقِرّ بتقصيره .

(١)

والموقف الثاني : وقع عندما دعا الخليفة الناصر المنذر بن سعيد للمشاركة في افتتاح قصر الزهراء في جمع من العلماء ، والوزراء . وأعيان قرطبة . فكان المنذر هو في ثيابه الفرس المناسبة لتذكير الخليفة ، لكيلا يغره الترف الذي هو فيه ، فينسى ماقد يعانيه شعبه ، أو قد يغره الترف فتضعف فيه روح الجندية والجهاد ، وخاصة والأندلس مهددة من أعدائها . فقد طلب المنذر من الناصر إزالة سقف قبته المُحلّاة بصفائح الذهب والفضة . لأن ذلك ليس من سمات الحُكّام الحريصين على أموال الأمة . إضافة إلى أنّ المُبالغة بهذا الشكل لا يمدحها الإسلام لقوله تعالى : « ولولا أن يكونَ الناسُ أمةً واحدةً لجعلنا لمن يَكْفُرُ بالرحمن ليبيوتهم سُقُفًا من فضةٍ ومعارجَ عليها يَظهرون » ^(٢) .

فأمر الناصر بنقض سقف القبة ، وأعاد قراميدها تراباً ، وأثنى على المنذر خيراً لتذكيره في لحظة أخذته التشوة والإعجاب بالملك .

وكان من نزاهة المنذر بن سعيد البلوطي أنه « لم تُحفظ له قضية جور ، ولا جُرِبت عليه في أحكامه زُلّة » ^(٣) . وله حكم قضائي يعتبره العلماء من غرائب الاجتهاد في استنباط الأحكام من قصص السابقين الواردة في القرآن ، فقد عُرضت عليه قضية منزل لأيتام أراد الخليفة الناصر شراءه بثمن بخس وأرسل من يُغري الوصي عليهم ، فأخبرهم بأن البيع لا يجوز إلا بأمر القاضي ، فأرسل الناصر

(١) مطمح الأنفس : ٥٢ وانظر : تاريخ قضاة الأندلس : للنباهي : ٧١ — ٧٢ ، ونفع الطيب : ١ . ٥٧٠ — ٥٧٢ .

(٢) سورة الزخرف : ٢٣ .

(٣) مطمح الأنفس ومسرح الناس : ٤٩ .

من يحاول إقناع القاضي بذلك . ولكنه طلب مبلغاً مُعيناً استكثره الخليفة ، فخاف المنذر أن يتعرَّض الأيتام لبعض الضغوط ، فأمر وصيهم بنقض المنزل وبيع أنقاضه . فكان ثمنُ الأنقاض أكثر مما دفعه الخليفة ، وعندما سمع الناصر بذلك غضب ، وأرسل للقاضي وسأله :

هل أنت أمرت بذلك ؟

قال : نعم .

قال : وما دعاك إلى ذلك !!

قال : أخذت فيها بقول الله تعالى : ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾^(١) .

فقال الخليفة : نحن أوّل من انقاد إلى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا .^(٢)

ويضاف إلى هذه المواقف أن المنذر كان « حسن الخلق كثير الدعاة فرما ساء ظن من لا يعرفه ، حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الأسد الضاري »^(٣) .

ولعل ابن عبد البر أراد من عرض سيرة هذا الرجل أن يُعطى لعلماء عصره ومن بعدهم القدوة والمثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه صاحب الفكر البناء من إثارة مصلحة الأمة والحق على مصلحته الذاتية ، والجمهور بالإصلاح من خلال وظيفته المهمة (كقاضى للجماعة) في الأندلس . وكان منصبا كبيرا بمثابة قاضى القضاة في المشرق ، أو وزير العدل كما يُطلق عليه في عصرنا .

ثانيا : تراجم الفقهاء من غير الأندلسيين :

بما أن المكونات الثقافية الأساسية للحضارة الإسلامية واحدة ، لذلك لا تجد

(١) سورة الكهف : آية : ٧٨ .

(٢) مطمح الأنفس ومسرح الناس : ٤٩ .

(٣) نفع الطيب : ١٧ / ٣ .

انفصاماً بين أقطار الإسلام في التكوين الثقافى ، وإنما تجد وحدة متناسقة متكاملة بين الأقطار ، ورجال هذه الحضارة هم رجالها فى كل أقطارها يساهمون فى بناء كيانها .

وابن عبد البر هو واحد من الذين صاغتهم هذه الحضارة وساهموا فى بنائها الشاىخ . ومع هذا لم ينس حقوق من كان لهم سهم فى بنائه الفكرى خاصة ، وبناء الفكر الإسلامى بوجه عام من غير الأندلسيين .

إن أئمة المذاهب الكبرى المعروفة فى العالم الإسلامى يُعتبرون هم البناة لصرح الفقه الإسلامى ، وواضعو أصوله وقواعده ، التى استقرءوها من المصادر الأساسية ، الكتاب والسنة والإجماع ، وكانوا هم الهداة الذين صار على هديهم كل من أوغل فى طريق إثراء هذا البناء الفقهى الأصيل ، فضلاً عن أنهم المُتَّبِعُونَ من قِبل عامة الأمة .

لذلك كان لابد لابن عبد البر وهو الفقيه المجتهد — كما وصفه ابن حزم الظاهرى — أن لا ينسى فضل هؤلاء الأعلام ، وأن يُنشئ طلابه على الاعتراف بفضلهم وإسهامهم الثرى فى هذه الحضارة العظيمة . إضافة إلى أنه بذلك يعمل على محو التعصب الذى قد يتولد من الإعجاب بأحدهم واتباعه فتضيع الحقيقة العلمية فى تيار هذه العاطفة المبالغ فيها ، من غير نظر أو تدبّر .

فألف لذلك كتاب (الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعى وأبى حنيفة) بسط فيه سيرهم ، وما لهم وما عليهم ، وتعريف بكبار تلاميذهم وإيراد نماذج من اجتهاداتهم وفتاواهم ، فُعطى للقارىء صورة متكاملة متجردة موضوعية .

ومن إسهاماته الأخرى فى تراجم الفقهاء : الترجمة للإمام مالك بن أنس الأصبحى إمام المذهب الذى تبنّاه ابن عبد البر ، وبقي يفتى بموجبه مع اجتهاده ، لأنه مذهب أهل زمانه الذى ساد الأندلس والمغرب ، ولا يزال إلى الآن هو مذهب المغرب الإسلامى وأفريقية .

فقد ترجم للإمام مالك ترجمة أفردتها بمؤلف لم أستطع الحصول عليه ، وقد أفرد له ابن عبد البر ترجمة في كتابه الانتقاء وترجم له كذلك ترجمة واسعة في مقدمة كتابه التمهيد .

كما أفرد ابن عبد البر رسالة صغيرة عن تلاميذ الإمام مالك وغيرهم من فقهاء المذهب ، الذين كان لبعضهم الدور الكبير في نشره في المغرب والأندلس . وهم الذين يعتمد المالكية آراءهم لقربهم من الإمام مالك وأخذهم عنه ، وترجم لعشرين منهم .

وسنعرّف بالكتب التي استطاع الباحث الحصول عليها وهي :

١ — الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء .

٢ — التعريف بجماعة من فقهاء المالكية .

١ — كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء :

عاش ابن عبد البر في بيئة مالكية ترجع في قضائها إلى مذهب إمام أهل المدينة مالك بن أنس وكان هو وأمثاله من العلماء المجتهدين الذين أحاطوا بأخبار علماء الأمصار وأقوالهم — حريا به أن يكتب معرّفا بأئمة المذاهب الأخرى لتلاميذته الذين سألوه أن يعرفهم بأخبار هؤلاء العلماء الأفذاذ : أبي حنيفة ومالك والشافعي . الذين ساهموا في بناء صرح التشريع الإسلامي .

واقصر ابن عبد البر على الأئمة الثلاثة لا يعني أن الفقه محصور فيهم فقد كان لعلماء آخرين مذاهب امتدت حياتها حتى عاصرت ابن عبد البر . وإنما اقتصر على هؤلاء لكثرة أتباعهم ، وشيوع مناهجهم الفقهية ونيلها ثقة جمهور المسلمين باتباعهم ^(١) .

وعدم ذكر ابن عبد البر للإمام أحمد بن حنبل لا يعني عدم اعترافه بإمامته في الفقه لأنه شهد له بذلك في كتاب الانتقاء بقوله ^(٢) : « وله اختيار في الفقه على

(١) انظر الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث : د. عبد المجيد محمود : ١٢٨ .

(٢) الانتقاء : ١٠٧ .

مذهب أهل الحديث وهو إمامهم .

ولعل ابن عبد البر قد تابع أبا داود السجستاني في قوله الذي ترجم فيه على الأئمة الثلاثة اعترافاً منه بإمامتهم فقال : « رحم الله مالكاً كان إماماً . رحم الله الشافعي كان إماماً ، رحم الله أبا حنيفة كان إماماً . » ^(١)

وهو بذلك ينه المتعصبين والمغالين من أتباع هؤلاء الأئمة الذين غالوا في تعصبهم لاجتهادات أئمتهم ، مما أدى إلى الإفراط في ذلك ، والتفريط في حق غيرهم من الأئمة . ^(٢)

وأراد ابن عبد البر القرطبي بترجمته هؤلاء الأئمة وذكر ما قيل فيهم ودفاعه عنهم ، وذكر فضائلهم أن يثبت مبدأ مهمماً في أدب الخلاف وهو :

« أن الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ولا مانع من التحقيق العلمي للنزاهة في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجز ذلك إلى المرء المذموم والتعصب . » ^(٣)

ترتيب الكتاب :

قسم ابن عبد البر كتاب الانتقاء إلى ثلاثة أجزاء . خصص كل جزء منها لإمام من الأئمة .

ثم قسم كل جزء إلى قسمين متميزين بمقدمة وخاتمة ، القسم الأول : يتضمن الأخبار المتعلقة بالإمام المترجم له . والقسم الثاني : يتضمن الأخبار المتعلقة بتلاميذ الإمام المختصين به وأشهر رجال مذهبه من بعده .

(١) الانتقاء : ٣٢ .

(٢) انظر الاتجاهات الفقهية . د. عبد الحميد محمود : ١٢٨ .

(٣) من وصايا الشيخ حسن عبد الرحمن الساعاتي انظر الرصايا الخالدة : لعبد الداي صقر : ٩٥ . وانظر شرح الأصول العشرين للشيخ عبد الله البنا : ١٧ وانظر جامع بيان العلم لابن عبد البر ٣٧١ - ٣٨٣ . (باب إثبات المناظرة وإقامة الحججة) .

ثم قسم الجزء الخاص بالإمام إلى أبواب ، وفرع من هذه الأبواب فروعاً تتضمن جزئيات الموضوع . بينما القسم الثاني الخاص بتلاميذ الإمام وأشهر رجال مذهبه ، كان يتضمن تراجم هؤلاء فقط وأخبار كل واحد منهم على وجه الإجمال .

ويبدو أنّ كتاب الانتقاء عبارة عن محاضرات ألقاها ابن عبد البر في حلقات دروسه ، ثم دَوَّنَها في رسائل صغيرة ، ثم ضمَّها في كتاب جامع سمَّاه الانتقاء . والذي يشهد لذلك أنه قدَّم مقدمة لكل قسم من هذه الأجزاء الثلاثة تتضمن فحوى القسم ، وختَمَهُ بخاتمة مناسبة .

مادة الكتاب :

وُثِّبَ هنا المادة العلمية التي كان يحتويها الكتاب بأجزائه الثلاثة :
الجزء الأول : أخبار مالك وأصحابه .

القسم الأول : أخبار الإمام مالك ويتضمن : عشرة أبواب :

- باب ذكر مولد الإمام مالك ونسبه وحلقه مع قريش .
- باب الرواة عن مالك .
- باب كيف كان أخذ مالك للعلم وعمن أخذ .
- باب ذكر حفظ الإمام مالك .
- باب ذكر ثناء العلماء على الإمام مالك .
- باب قول الإمام مالك في أهل الأهواء والبدع .
- باب جامع فضائل مالك .
- باب في رئاسة مالك ووجاهته .
- باب ذكر محنة الإمام مالك مع السلطان .
- باب ذكر وفاة الإمام مالك وذكر ما رُثِيَ به .

القسم الثاني : أخبار أصحاب الإمام مالك .
وذكر فيه عشرين ترجمة لأشهر تلاميذه ورجال مذهبه^(١)

الجزء الثاني : أخبار الإمام الشافعي وأصحابه
القسم الأول : أخبار الإمام الشافعي ويتضمن أحد عشر باباً :
— باب معرفة نسبه وبلده ومولده .

- باب في طلبه للعلم .
- باب من فضائل الشافعي وثناء العلماء عليه .
- باب في حثه على حفظ السنن وكراهة مذاهب أهل الكلام والبدعة .
- باب جامع فضائل الشافعي وأخباره .
- باب أخبار الشافعي وحكايته .
- باب في فصاحته واتساعه في فنون العلم .
- باب ما امتحن به مع هارون الرشيد وهو شاب .
- باب من كلام الشافعي فيما يجرى مجرى الحكمة .
- باب تاريخ موت الشافعي ومدة عمره .
- باب ذكر المكتوب على البلاطة التي عند رأس الشافعي .

القسم الثاني : أخبار أصحاب الإمام الشافعي

- وقسمهم بحسب البلدان التي روي فيها عنه :
- من أخذ عنه بمكة وعد منهم أربعة .
- من أخذ عنه ببغداد وعد منهم سبعة .
- من أخذ عنه بمصر وعد منهم ثمانية عشر .
- ثم يذكر المرائي التي قيلت فيه^(٢)

(١) وقد رتب ابن عبد البر الأئمة بحسب أفضلية نقاعهم التي نشأ مداهم فيها . فالإمام مالك في المدينة المنورة وهي أفضل من مكة . والشافعي بمكة . وكلاهما أفضل من الكوفة مشأ مذهب الإمام أبي حنيفة انظر : الانتقاء : الهامش : ٩ .

(٢) وكان الأول أن يذكرها في القسم الخاص بأخبار الشافعي وإعلمه متى أن يدونها هناك فاسد، فكها ها أو أن

الجزء الثالث : أخبار الإمام أبي حنيفة وأصحابه

القسم الأول : أخبار الإمام أبي حنيفة . ويتضمن سبعة أبواب :

- باب في ذكر مولد أبي حنيفة ونسبه وسنه .
- باب ذكر ثناء العلماء على أبي حنيفة .
- باب جامع في فضائل أبي حنيفة وأخباره .
- باب ذكر بعض ما ذم به أبو حنيفة .
- باب ذكر طرف من فطنته ونباهته وبذ من فقهه .
- باب مذهب أبي حنيفة فيما يعتقد به أهل السنة والجماعة .
- باب في زهده وورعه .

القسم الثاني : أخبار أصحاب الإمام أبي حنيفة وترجم لأشهر ثلاثة من تلامذته فقط :

- أبي يوسف يعقوب — محمد بن الحسن الشيباني . — زفر بن الهذيل .

منهجه في الكتاب :

لقد قام ابن عبد البر بعرض مادة كتابه بطريقة أهل الحديث ، أي يورد الأخبار بأسانيدھا عن طريق شيوخه إلى راوی الخبر . فنجدہ يستعمل (أخبرنا) (وحدثنا) هذا في الرواية الشفهية .

أما في نقله عن مصادر مكتوبة فكان ينقل عنها بسند روايته كأن يقول : حدثنا أحمد بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن يونس عن بقي بن مخلد قال : قال لنا خليفة في كتاب الطبقات .

فهذا سنده لرواية كتاب الطبقات لخليفة بن خياط^(١) أو حدثنا أبو القاسم عبد

— ذلك من تصرف النساخ .

(١) انظر : الانتقاء : ١١ ، ٤٥ .

الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن اصبغ قال : حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ...

فهذا سنده لرواية (كتاب التاريخ) لأحمد بن زهير المعروف بتاريخ أبي بكر بن أبي خيثمة ^(١)

وعندما يستغنى عن ذكر السند يقول :
ذكر الدولابي في كتاب فضائل مالك ^(٢) .

أو ذكر أبو العباس السراج محمد بن إسحاق السراج في تاريخه ^(٣) — يحيل إلى كتبه الأخرى إذا اقتضى الأمر . وقد أحال إلى الاستيعاب ^(٤) .

— يورد الشعر بخاصة في رثاء من يترجم له في كتابه ^(٥) .
وأحياناً ما قاله بعض من ترجم له ^(٦) . أو قيل فيهم في مدح أو غيره ^(٧) .

— الحيدة العلمية والتجرد ومع كون ابن عبد البر مالكي المذهب .

نجده لا يقبل تُعصَّب بعض المالكية . ولا يستسيحُ كلام العلماء بعضهم في بعض ويحاول توجيه المتناقض من الأخبار في ذلك ^(٨) .

— يورد لنا أخباراً تاريخية من خلال الترجمة مثل : علاقة صاحب الترجمة بخليفة من الخلفاء ، وطبيعة هذه العلاقة ، كموقف الإمام مالك من بيعة أبي جعفر المنصور ^(٩) . ورفض أبي حنيفة تولى القضاء لأبي جعفر ^(١٠) ، ومحنة الشافعي مع

(١) انظر : نفس المصدر : ٤٣ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) انظر : نفس المصدر : ١٨ .

(٣) انظر : نفس المصدر : ٥٠ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٧ .

(٤) انظر : نفس المصدر : ١٧٢ .

(٥) انظر الانتقاء : ٤٥ ، ١١٥ — ١١٩ ، ١٧٥ .

(٦) انظر نفس المصدر : ٨٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

(٧) انظر نفس المصدر : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٥٢ .

(٨) انظر نفس المصدر : ١٥٠ .

(٩) انظر نفس المصدر : ٤٣ — ٤٤ .

(١٠) انظر نفس المصدر : ١٦٩ — ١٧١ .

هارون الرشيد^(١) وغير ذلك .

ثانيا : كتاب التعريف بجماعة من فقهاء المالكية :

وهو رسالة صغيرة ألّفها ابن عبد البر استجابة لطلب بعض طلابه ، يدل على ذلك سياق سند رواية هذه الرسالة حيث سُئل فأجاب بقوله : « وسألتم رحمكم الله عن التعريف بابن وهب وابن القاسم وأشهب ، فحد القول فيهم وفيمن حضرنى ذكره ونظرائهم من أهل الفقه من أصحاب مالك رضى الله عنهم أجمعين »^(٢)

ويبدو أنه ألّفها في حلقة درس من دروسه ودَوَّنَها بعد ذلك ، فلذلك ذكر من تذكّره من أصحاب مالك فجاءت أسماؤهم غير مرتبة بحسب طرق تأليف كتب التراجم المعهودة ، كالترتيب على الطبقات أو على حروف المعجم ، أو الوفيات أو غيرها . وكان الأولى أن يستدرك النقص عند تدوينها بإعادة ترتيبها واستيعاب تراجم تلاميذ الإمام مالك .

ولعل الذى دَوَّنَ الرسالة ليس ابن عبد البر وإنما أحد تلاميذه ولم يعرضها على شيخه .

— محتويات الكتاب :

— ترجم فيه ابن عبد البر لعشرين فقيهاً من فقهاء المالكية من تلامذة الإمام مالك وغيرهم وهم :

- ١ — عبد الله بن وهب (١٢٤ — ١٩٧ هـ)^(٣)
- ٢ — عبد الرحمن بن القاسم (١٢٨ — ١٩١ هـ)^(٤)
- ٣ — أشهب بن عبد العزيز (١٤٠ — ٢٠٤ هـ)^(٥)

(١) انظر نفس المصدر : ٩٥ — ٩٨ .

(٢) انظر الورقة ١ من المخطوط . التعريف بجماعة من فقهاء المالكية .

(٣) انظر : نفس المصدر : الورقة : ١١ — ١٢ ب .

(٤) نفس المصدر : ق : ١ ب ٢ أ .

(٥) نفس المصدر : ٢٢ أ — ٢ ب .

- ٤ — عبد الله بن عبد الحكم (١٥٠ — ٢١٠ هـ)^(١)
- ٥ — المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث (ت ١٨٦ هـ)^(٢)
- ٦ — محمد بن إبراهيم بن دينار الجهني (ت ١٨٢ هـ)
- ٧ — عبد العزيز بن أبي حازم (١٠٧ — ١٨٥ هـ)^(٤)
- ٨ — عثمان بن عيسى بن كنانة (ت ١٨٥ هـ)^(٥)
- ٩ — محمد بن مسلمة بن هشام المخزومي (ت ٢١٦ هـ)^(٦)
- ١٠ — عبد الله بن نافع الصائغ (ت ٢٠٦ هـ)^(٧)
- ١١ — عبد الله بن نافع الزبيري (١٥٠ — ٢٢٠ هـ)^(٨)
- ١٢ — عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون (ت ٢١٢ هـ)^(٩)
- ١٣ — مطرف بن عبد الله بن مطرف (ت ٢٢٦ هـ)^(١٠)
- ١٤ — يحيى بن يحيى بن كثير الأندلسي (ت ٢٣٣ هـ)^(١١)
- ١٥ — علي بن زياد التونسي (١٨٣ هـ)
- ١٦ — عبد الله بن غانم الأفريقي (١٢٨ هـ)^(١٢)
- ١٧ — معن بن عيسى بن يحيى القزاز (ت ١٩٨ هـ)^(١٤)
- ١٨ — عبد الله بن مسلمة بن قُعب القُعبني (ت ٢٢٠ هـ)^(١٥)
- ١٩ — أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الحرث الزهري (ت ٢٤١ هـ)^(١٦)
- ٢٠ — يحيى بن يحيى بن بكير التميمي (ت ٢٣١ هـ)^(١٧)

(١) نفس المصدر : ٢ ب — ٣ أ .

(٢) نفس المصدر : ٣ أ .

(٣) انظر : المصدر السابق : الورقة : ٣ أ — ٣ ب .

(٤) نفس المصدر : ٣ ب .

(٥) نفس المصدر : ٤ أ .

(٦) نفس المصدر : ٤ أ — ٤ ب .

(٧) نفس المصدر : ٤ ب — ٥ أ .

(٨) (١٣) (١٤) نفس المصدر : ١٥ .

(٩) نفس المصدر : ٥ أ — ٥ ب .

(١٠) نفس المصدر : ٥ ب .

(١١) نفس المصدر : ٥ ب — ٦ أ .

منهجه في الكتاب :

— استعمل ابن عبد البر الإسناد في إيراد الأخبار المتعلقة بالعلم الذي يُترجم له .

فكان يذكر السند مرة بالرواية عن شيوخه ^(١) وأحيانا يسند الخبر إلى قائله من غير أن يذكر الرواية وسنده إليها كأن يقول : قال ابن أبي حاتم ^(٢) ، أو قال الإمام أحمد بن حنبل ^(٣) ، أو قال الزبير بن بكار ^(٤) .

— عندما يُترجم للعلم يذكر نسبه كاملا وتاريخ ولادته . ومكانها وأحيانا لا يذكر تاريخ الولادة ^(٥)

— يذكر الشيوخ الذين روى عنهم المترجم له ^(٦)

— يذكر التلاميذ الذين روى عنهم عن العلم ^(٧) .

— يذكر أقوال علماء الجرح والتعديل فيه كقولهم ثقة أو صدوق إلى غير ذلك من الاصطلاحات ^(٨)

— يذكر ثناء العلماء عليه والصفات التي تميز بها ^(٩)

— يُفرد لنفسه رأيا بالمترجم له ويُصدر الكلام بقوله : قال أبو عمر ^(١٠) .

— ثم ينهي الترجمة بذكر وفاة العلم ومكانها ^(١١) .

(١) انظر : المصدر السابق : ورقة : أ ١ — ١ ب ، ٢ ب ، ٣ ب ، ٤ أ .

(٢) نفس المصدر : ١ ب ، ٢ ب ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ أ ، ٥ ب ..

(٣) نفس المصدر : ١ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ ب .

(٤) نفس المصدر : ٤ أ ، ٥ ب .

(٥) نفس المصدر : ١ أ ، ١ ب ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٣ ب ...

(٦) نفس المصدر : ١ أ ، ٢ أ ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٤ ب ...

(٧) نفس المصدر : ١ ب ، ٢ ، ٣ ، ٤ أ ، ٥ أ ، ٥ ب .

(٨) نفس المصدر : ١ ب ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ ب .

(٩) انظر : المصدر السابق : ورقة : ١ ب ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٤ ب ، ٥ أ ، ٥ ب ، ٦ ..

(١٠) نفس المصدر : ١ أ ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ ب .

(١١) نفس المصدر : ١ أ ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٤ ب ، ٥ أ .

المبحث الثالث

الأنساب

مدخل لنشأة هذا اللون من التأليف وأهميته :

كانت القبيلة هي وحدة النظام الاجتماعي والسياسي عند العرب قبل الإسلام^(١). لذلك « كانت كل قبيلة تحفظ نسبها وتحتفظه أبناءها لتظل نقية بعيدة عن الشوائب ، ولتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى »^(٢).

وكان نسابو كل قبيلة وشعراؤها يصوغون مفاخر القبيلة ومآثرها قصصاً وأشعاراً تُروى ولا تخلوا من المبالغة . وهي بإطارها هذا تمط من أنماط التعبير التاريخي .

وعندما جاء الإسلام « لم يمنع الاهتمام بالأنساب وإن كان قد قاوم العصبية القبلية وكل عصبية جاهلية ، ذلك لأن العصبية شيء ومعرفة الأنساب شيء آخر ، فقد حث القرآن الكريم الناس على التعارف ، ولا يكون التعارف دون معرفة الأنساب^(٣) ، « وبذلك أتاح للأنساب أن تنشط إمكانياتها التاريخية^(٤) » في ظل المنهج الإسلامي .

«وقد ظهرت بواعث جديدة للاهتمام بمعرفة الأنساب ، وكانت هذه البواعث هي ضرورات دينية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وإدارية في المجتمع الإسلامي منها :^(٥)

أن كثيراً من الأحكام الشرعية يتوقف تطبيقها على ثبوت نسب الفرد في المجتمع المسلم كأحكام الأسرة وما يتفرع منها ، وأحكام الميراث والوصايا ، والرضاع ، والديات وغيرها .

ومنها قضية العطاء — أي المرتبات وهي قضية مالية إدارية — وضبط توزيعه وما يلحق به من غنائم وفيء وخراج وخاصة في فترة الفتوحات التي اتسعت

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي : د. أحمد شلبي : ١ / ٩١ ، ط ١٠ .

(٢) نشأة التدوين التاريخي : د. حسين نصار : ٧ وانظر مصادر التاريخ الإسلامي : د. سيدة كاشف : ١٢ .

(٣) مقدمة تاريخ خليفة بن خياط : د. أكرم العمري ٣٣ م .

(٤) علم التاريخ عند المسلمين : روزنتال : ٣٤ .

(٥) موارد الخطيب البغدادي : د. أكرم العمري : ٢٠٤ .

معها الرقعة الإسلامية فاحتيج إلى تنظيم هذه المسألة فوضعت الدواوين لتنظيمها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . لذا « اعتمدت الدولة الإسلامية في هيكلها في القرن الأول الهجري على أساس من التنظيمات القبلية »^(١) ، وراعى عمر رضي الله عنه في هذا النظام « القرابة من النبي ﷺ في تسلسل القبائل التي سجلها فقدم بنى هاشم على غيرهم من العشائر القرشية وقدم قُريشاً على غيرها من القبائل العربية . »^(٢) وبعد القرابة من النبي راعى عمر في الديوان أهل السابقة في الإسلام من المهاجرين والأنصار وذرائعهم .

ومنها القضية الإدارية التي جددت بدخول أمصار جديدة إلى الإسلام حيث تطلب الأمر تنظيم إقامة الجيش الإسلامى الفاتح وهو مجموعة من القبائل ، لذا قسمت الأمصار إلى أقسام إدارية بحسب القبائل ، « فالبصرة مثلاً قُسمت إلى أخماس ، لكل قبيلة من القبائل النازلة فيها سَكَنٌ خاصٌّ بها يُسمى (رُبْع) ، كما قُسمت الكوفة إلى أربعة أقسام حسب القبائل النازلة فيها أيضاً »^(٣) .
« اجتمعت العوامل السابقة فأشعلت الروح التاريخي في السلميين » فتدوين ديوان الجند أدى إلى بحث تاريخ الفتوح . وتنظيم العطاء بحسب القرابة من الرسول ﷺ ، أو السبق في الإسلام أدى إلى الاهتمام في البحث في الأنساب وبالتالي ظهور كتب الطبقات . والفخر بأيام العرب وأنسابها انتقل إلى العناية بغزوات الرسول ودور القبيلة في الغزوات وفي الفتوح من بعد^(٥) . كل ذلك جعل القرن الثاني الهجري يشهد نشاطاً عند النسابين والأخباريين واللغويين كل في حقله^(٦) .

(١) بحث أصالة الفكر التاريخي عند العرب : د. بشار عواد : ٨٨٩ — ٨٩٠ لأن القبيلة كما ورد أنها كانت الوحدة السياسية قبل الإسلام وكانت تنظم قضاياها الاقتصادية بما يتلاءم وطبيعة ارتباطها القبلي . وقد أقر هذا التنظيم في عهد الرسول وكان لكل قبيلة عواصمها الذين يرفعون طلبات باقي أفراد القبيلة إلى رسول الله ﷺ ولكن عندما كثر العدد وجاءت الفتوحات تطلّب ذلك التدوين .

(٢) مقدمة طبقات خليفة بن حياط : د. أكرم العمرى : ٣٤ م — ٣٥ م .

(٣) بحث أصالة الفكر التاريخي عند العرب : ٨٩ ، وانظر : بن عبد الحكم : ١١٥ .

(٤) نشأة التدوين التاريخي : ١٢ .

(٥) انظر نفس المصدر : ١٠ ، ١١ .

(٦) انظر علم التاريخ عند العرب : ٣٣ .

ثم أخذ الاهتمام بالأنساب في القرون التي تلت منحي جديداً ، وخاصة عند المحدثين لأهمية الأنساب في معرفة رواة الحديث وبالتالي :

« فمادة الأنساب ليست دخيلة على علم الرجال فالأصل في كتب الرجال التعريف بالرواة بذكر أنسابهم وأمهاتهم »^(١).

لذلك فقد أخذ بعض المصنّفين في علم الرجال يُرتّبون مادّتهم على النسب . فكان المصنّف في هذا الفن يجمع الرواة الذين هم من عشيرة أو قبيلة واحدة في موضع ، كأن يجمع الرواة من قريش وبطونهم في مكان واحد . ثم يُنسّق ترتيب القبائل بحسب قرابتها من النبي ﷺ فيذكر الأصل الذي تفرّعت عنه القبيلة فمثلاً : يبدأ بمُضَرّ ثم يبدأ من مضر بقُريش ثم من قريش بنى هاشم ، ثم يورد أسماء القبائل الأخرى المتفرعة من مُضر . ومن ثمّ يذكر قحطان وما تفرّع عنه من قبائل وبطون .^(٢)

وأقدم من رتبوا مصنفاتهم على هذا التّسق محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) في كتابه الطبقات الكبرى ، وخليفة بن خياط (٢٤٠ هـ) في كتابه الطبقات ويمتاز ابن سعد عن خليفة أنه مزج في ترتيبه على النسب السابقة في الإسلام وطبقة الصحابي فيها .^(٣)

ولم يستمر المصنّفون في علم الرجال في ترتيب مؤلفاتهم على الأنساب لصعوبة الوصول إلى المعلومة الحديثة أو التاريخية ، لاسيما وأنهم لم يستعملوا نظام الفهارس المفصلة التي تُسهّل لنا في هذا العصر استعمال كثير من المؤلفات . لذا غير العلماء طرائق تأليفهم ونظّموها بأساليب تيسر على الباحثين استعمالها فكان الترتيب على حروف المعجم هو أيسر هذه الطرق فعَمّ استعماله^(٤).

(١) مقدمة طبقات خليفة : د. أكرم العمرى . ٣٧ م .

(٢) مقدمة طبقات خليفة : د. أكرم العمرى : ٣٧ م ، ٣٨ م ، ٣٩ م وكذلك مصعب بن عبد الله الرزقي

(١٥٦ — ٢٣٦ هـ) في كتابه نسب قريش . والزيير بن مكار (١٧٢ — ٢٥٦ هـ) في كتابه جمهرة نسب قريش وأخبارها .

(٤) انظر مقدمة طبقات خليفة بن خياط : ٤١ م .

وقد ظهرت أنماط جديدة لترتيب المادة العلمية لكتب الرجال كما أسلفنا في أول هذا الباب اقتضاها اتساع الرقعة الإسلامية ودخول أجناس جديدة إلى حظيرة الإسلام إضافة إلى النمو الحضارى العام . فنُظِّمت كتب الرجال تنظيمًا جديدًا ، وذلك على حسب البلدان والصنائع والمهن أو على تاريخ الوفيات .

وقيمة كتب الأنساب التاريخية أنها تُقدِّم لنا مادةً تاريخية مهمة من خلال أخبار القبائل التى تُسجل فيها مفاخرها ومواقفها فى الجاهلية والإسلام . ودور هذه القبائل فى الفتوح وطبيعة مسار هذه الفتوح وترصد لنا التوزيع الجغرافى لهذه القبائل وأثره فى نشوء المدن الجديدة . ومعرفة التحولات المختلفة من خلال اختلاط هذه القبائل بشعوب البلاد المفتوحة ، وأثر ذلك كله على أوضاع العالم الإسلامى السياسية .

وهناك نوع آخر من مؤلفات الأنساب يؤرخ لأنساب البشر بعمومهم وتوزعهم فى العالم من لدن سيدنا آدم إلى عصر المؤلف . ويعرض فيها أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وماهى إسهاماتهم فى الحضارة الإنسانية^(١) ، ومشاهير رجالها . ومن ذلك كتاب أخبار الزمان للمسعودى . وطبقات الأمم لصاعد الطُّلُطلى .

مشاركة ابن عبد البر فى هذا المضمار :

ولقد أسهم ابن عبد البر فى التأليف فى هذه الأنواع ولم يكن مُتطفلاً ، وإثما كان بارعاً فارس ميدان فى هذا الجانب من التأليف ، لثقافته الواسعة والمتنوعة فى العلوم المختلفة ، ومنها الأنساب .

وقد وصفه كثيرٌ ممن ترجم له بأنه كانت « له بسطة كبيرة فى علم النسب والخبر »^(٢) ، ووصف بأنه من المتبحرين « فى الفقه والعربية والأخبار »^(٣) .

(١) انظر التاريخ العربى ومصادره : أمين مدنى : ٢٩٥ .

(٢) الصلة ٦٦٨ وفيات الأعيان : ٦ / ٦٥ وشذرات الذهب : ٣ / ٣١٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ج ١١ قسم ٢ ورقة ١٨٣ .

وكانت من مؤلفاته التي « طارت في الآفاق »^(١) والتي تدل على أنه « كان موفقا في التأليف معانا عليه »^(٢).

كتاب : الإنباه على قبائل الرواه .

وكتاب : القصد والأم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم .

وسنعرضها في الصفحات الآتية لبيان باعه في هذا الجانب .

أولا : كتاب الإنباه على قبائل الرواه :^(٣)

الكتاب في الأصل مدخل لكتاب الاستيعاب لابن عبد البر ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الإنباه بقوله : « وجعلته دليلا على أصول الأنساب ومدخلا إلى كتابي في الصحابة ليكون عوناً للناظرين فيه ومُنْبها على ما يحتاج إليه من معرفة الأنساب »^(٤).

وقد قصد ابن عبد البر بإفراده عن الاستيعاب بالتأليف أمرين :

الأول : تيسير تتبع الأنساب وتفريعاتها في الكتاب فقدمها للقارئ مرة واحدة بكل حلقاتها .

الثاني : هو الاختصار الذي ألزم نفسه به في كتاب الاستيعاب ، وعدم الاستطراد في جوانب تكميلية لكتاب الاستيعاب ، مما قد يقطع النسيق الذي سار عليه في تقديم ترجمة الصحابي . وإن كان ابن عبد البر قد خالف ما التزم به أحيانا وتكلم في

(١) ترتيب المدارك : ٨٠٩ / ٣ . والديباج المذهب : ٣٥٨ / ٢ .

(٢) الصلة : ٦٦٨ .

(٣) هناك نسخة مخطوطة من الكتاب تحتوي على زيادة في العنوان : وهي : كتاب الإنباه في ذكر أصول القبائل والرواة : وهي من مصورات المغرب وعندى صورة عنها .

وقد ألحقه القدسي بكتاب القصد والأم وجعلها في كتاب واحد لتقارب موضوعيهما وأعطاهما تسلسلا واحدا . وقد قدم (القصد) لكونه أعم في الأنساب من (الإنباه) مع العلم أنه متأخر في التأليف عن (الإنباه) : انظر ٢١ .

(٤) القصد والأم : ٣٤ .

نسب الراوى وقبيلته .

منهجه :

وقد قدم ابن عبد البر لكتابه مقدمة ذكر فيها أهمية علم الأنساب وقال : « فلو كان لا منفعة له لما اشتغل العلماء به . لأن معرفة الأنساب علم لا يليق جهله بذوى العلم والآداب »^(١).

ثم أورد جملة من النصوص يستدل بها على ندب النبى ﷺ إلى تعلّم هذا العلم بقوله : « تعلّموا من أنسابكم ما تصلّون به أرحامكم »^(٢).

ويستشهد بقول عمر بن الخطاب : « تعلّموا أنسابكم تصلّوا أرحامكم ولا تكونوا كنبط السّواد — قبائل تسكن العراق — إذا سئل أحدهم ممن أنت قال : من قرية كذا فوالله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشىء لو يعلم الذى بينه وبينه من ذخلة الرّحم لردّعه ذلك عن انتهاكِهِ »^(٣).

ثم يقول : « وهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه كان أعلم الناس بالنسب نسب قريش وسائر العرب »^(٤) ويذكر غيرهم ممن عُرف بعلمه بالنسب .

وعلى هذا فيقول : ما أنصف القائل أنّ علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر »^(٥).

ثم يذكر بعد ذلك مصادره التى استقى منها مادة كتابه فيقول : « هذا كتاب أخذته من أمهات كتب العليم بالنسب وأيام العرب بعد مطالعتى لها ووقوفى على أغراضها »^(٦).

ومن أهم هذه المصادر^(٧) :

— كتاب أبى بكر محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)

(٢١١) الإنباه : ٤٢ — ٤٣ .

(٤٤٣) الإنباه : ٤٢ — ٤٣ .

(٥) نفس المرجع والصفحات .

(٧) نفس المرجع والصفحات .

(٦) نفس المرجع : ٤٥ — ٤٦ .

— كتاب أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) أو (٢٠٦ هـ) ^(١)

— كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى (١١٤ — ٢١٠ هـ = ٧٣٢ — ٨٢٨ م) . ^(٢)

— كتاب محمد بن عبدة بن سليمان في النسب . ^(٣)

— كتاب محمد بن حبيب مختلف القبائل ومؤلفها . ^(٤)

— كتاب أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبيد العدوي في نسب قريش . ^(٥)

— كتاب الزبير بن بكار في نسب قريش (١٧٢ — ٢٥٦ هـ) . ^(٦)

— كتاب مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش (١٣٧ — ٢٣٣ هـ) ^(٧)

— كتاب علي بن كيسان الكوفي في أنساب العرب .

— كتاب علي بن عبد العزيز الجرجاني . ^(٨)

— كتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت ٢٣٩ هـ) .

ثم هناك بعض المصادر لم يوردها ابن عبد البر في المقدمة وإثما أوردها خلال النص ولم يكتف بكتب الأخبار والأنساب . وقد نبه إلى ذلك في مقدمته بقوله : « إلى فقر قيدها من الحديث والآثار ونوادير اقتطفها من كتب أهل الأخبار » ^(٩) .

— سيرة بن هشام ^(١٠) .

(١) انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ١٤٠ — ١٤٣ وانظر تاريخ التراث : ١ / ٤٣٢ — ٤٣٧ .

(٢) انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم : ٧٩ — ٨٠ وتاريخ التراث : ١ / ٤٣٢ .

(٣) انظر الفهرست : ١٥٣ .

(٤) انظر نفس المصدر : ١٥٥ — ١٥٦ .

(٥) انظر نفس المصدر : ١٦٠ — ١٦٢ .

(٦) انظر نفس المصدر : ١٦٠ .

(٧) نفس المصدر : ١٦٠ .

(٨) تذكرة الجفاظ : ٢ / ٥٣٧ — ٥٣٨ وتاريخ التراث : ١ / ٥٨٥ .

(٩) الإنباه : ٤٦ .

(١٠) الإنباه : ٥ / ٥٩ / ١١٤ .

- (١) — طبقات خليفة بن خياط .
 (٢) — كتاب العقيلي .
 (٣) — كتاب محمد بن عمر الواقدي .
 (٤) — كتاب ابن سنجر في الحديث .
 (٥) — كتاب أحمد بن زهير بن أبي خيثمة .
 (٦) — كتاب الشرق القطامي .
 (٧) — كتاب نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيري .
 (٨) — يضاف إلى ذلك روايته الشفهية عن شيوخه .

ومن مصادره المهمة : الشعر الذي كان يستشهد به إثباتاً لآرائه أو استئناساً به في تأكيد خبر يمسُّ قبيلة من قبائل الرواة . ومن هؤلاء الشعراء الذين استشهد بأشعارهم :

لبيد بن ربيعة ، وحسان بن ثابت ، وعباس بن مرداس ، وقيس بن الخطيم ، وزهير بن أبي سلمى ، والأفلح بن يعقوب الأعشى التغلبي ، وكثير عزة ، وجريز بن عبد الله البجلي ، وعدى بن الرقاع ، وامرؤ القيس ، وكعب بن مالك ، والكميت أبو العباس عبد الله بن الناشئ .^(٩)
 وهناك أشعار كثيرة لم تنسب لقائلها .^(١٠)

-
- (١) نفس المصدر : ٥٠ .
 (٢) نفس المصدر : ٥٨ .
 (٣) نفس المصدر : ٦٨ .
 (٤) نفس المصدر : ٦٤ .
 (٥) نفس المصدر : ١١٥ .
 (٦) نفس المصدر : ٦٠ .
 (٧) نفس المصدر : ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٠ .
 (٨) نفس المصدر : ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٨ .
 (٩) انظر الإنباه : ٦ وما بعدها .
 (١٠) نفس المصدر : ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٨ .

ومن خلال استقراء أسماء القبائل نراها تنضوى تحت ثلاثة أقسام^(١)

- ١ — أنساب القبائل التي روت عن رسول الله عليه السلام من قريش .
- ٢ — أنساب القبائل التي روت عن رسول الله عليه السلام من الأنصار .
- ٣ — ذكر أنساب من روى عن الرسول ﷺ من غير قريش والأنصار .

ومن منهج ابن عبد البر عند كلامه عن كل قبيلة من القبائل : —

- يذكر الأحاديث التي يرد فيها ذكر القبيلة^(٢) .
- يذكر الأخبار التاريخية المتعلقة بالقبيلة^(٣) .
- يذكر الصفات والألقاب التي تطلق على القبيلة والسبب في ذلك^(٤) .
- ثم يختم حديثه عن القبيلة بإيراد أسماء الذين ينتسبون إلى هذه القبيلة ممن روى حديث النبي^(٥)

ومن منهجه أن :

- يذكر آراءه مُصدِّرا لها بعبارات : (قال أبو عمر)^(٦) .
- ويحيل إلى مؤلفاته^(٧) .
- يذكر درجة الحديث من الصحة والضعف^(٨) .
- يستعمل اصطلاحات الترجيح بين الأقوال ويختار ما يوافقه . ومن هذه المصطلحات : (وهذا أصح الأقوال)^(٩) ، (وهذا المعول عليه)^(١٠) ، (ويشهد

(١) انظر : الاستيعاب : ١ / ٢٤ — ٢٥ . وانظر ابن عبد البر محدثا : رسالة ماجستير . مكتوبة على الآلة الكاتبة : ١٤٥

(٢) انظر الإنباه : ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٦ .

(٣) نفس المصدر : ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ .

(٤) نفس المصدر : ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٧ .

(٥) نفس المصدر : ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ .

(٦) انظر الإنباه : ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٨٤ .

(٧) انظر الإنباه : ٩٧ ، ١٠٢ .

(٨) نفس المصدر : ٩٢ ، ١٠٥ .

(٩) نفس المصدر : ٦٧ .

(١٠) نفس المصدر : ٦٩ .

لذلك قول فلان (١) (لا أعلم خلافاً)^(٢) ، (وقد أنكره أكثر أهل العلم بالنسب)^(٣) ، (وهذا لا يصح) ، (أصبح شيء)^(٥) ، (هذا القول غير صحيح)^(٦) .

ثانيا : القصد والأهم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم :

هذا المؤلف عبارة عن رسالة صغيرة مختصرة كما أراد لها ابن عبد البر ذلك ، واختار لها عنواناً يدل على مقصده .

وكان هدفه من تأليفها إعطاء فكرة عامة عن الأجناس البشرية وأصولها . وكيف تفرّعت عنها الشعوب المختلفة وتوزّعت في بقاع العالم « وما تداخل من بعضهم في بعض على تباعد البلدان ومرّ الدهور والأزمان إذ لا يُحصى فروعهم وجماعتهم إلا الله خالقهم »^(٧) .

وقد تكلم ابن عبد البر عن تاريخ الجنس البشري من لدن سيدنا آدم ونوح عليهما السلام ومن ثم أولاد نوح الذين تفرّعت عنهم سائر الأمم .

ومع ذلك فإن ابن عبد البر كان يتوقف عن أخذ بعض الأخبار بغير تمحيص ويعقب عليها بقوله : « وليس هذا العلم الذي يقطع عليه . ولا يحتاج في الشريعة إليه . وحسب العالم أن يعلم ما قيل في ذلك ويقف عليه »^(٨) .

وأسهّم ابن عبد البر في الكتابة في هذا الفن تجريباً على عادة علماء ذلك الزمان

(١) نفس المصدر : ٨٢ .

(٢) نفس المصدر : ٨٣ .

(٣) نفس المصدر : ٨٣ .

(٤) نفس المصدر : ٨٤ .

(٥) نفس المصدر : ٩٠ .

(٦) نفس المصدر : ١٠٠ .

(٧) القصد والأهم : ٨ .

(٨) نفس المصدر : ١٩ .

إذ كان التأليف فيه دليلاً على اكتمال العالم ، وسعة اطلاعه ^(١) . أو لعله وجد من الموضوعية في التأليف أن يكتب في أنساب البشر ، ورد الأقسام الذين كانوا في عصره إلى أصولهم ، والبقاع التي سكنوها والتي يسكنوها في حال معاصرته لهم ، مع نبذة عن أحوالهم الحضارية بصورة عامة وطبيعة هذه الحضارة . لاسيما وأنه كتب عن قبائل العرب وأنسابهم في الإنباه وغيره .

ترتيب محتويات الكتاب :

وقد رتب ابن عبد البر كتابه كالآتي :

— قدّم مقدمة لحّص فيها الهدف من تأليف الكتاب ونبذة مختصرة في أصول الأمم « وما أجمع عليه أهل العلم بالأنساب والسير والأخبار من أهل الإسلام ، وما وصل إلينا عن غيرهم ممن ينسب أيضاً إلى المعرفة بتداول الأيام وانتقالها عما بعد عام » ^(٢) ، وأردفها بقوله : « وهذه آثار مجملة مفتقرة إلى التفسير والتلخيص وسيأتي ذلك في مواضعه من هذا الكتاب . » ^(٣)

— ثم أعقب المقدمة بباب عن أول من تكلم بالعربية .

فذكر في هذا الباب الروايات المختلفة التي أوردتها المصادر عن أول من تكلم باللسان العربي ، وعن أول من كتب بالعربية ، ويرجح بعض الروايات على بعضها بقوله ^(٤) . « وأولى ما قيل بالصواب في ذلك والله أعلم قول من قال إن آدم عليه السلام أول من تكلم بالعربية وبالسريانية وغيرهما . وأول من وضع الكتاب بذلك لأنه علم اللغات وعلم الأسماء كلها ، وعلم حساب الأزمنة ، والأيام والشهور وقد جاءت الآثار بذلك » ولقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » ^(٥) .

(١) نفس المصدر : (الإنباه) : ٤٢ .

(٢) القصد والأم : (الإنباه) : ٨ .

(٣) نفس المصدر : ١١ .

(٤) نفس المصدر : ١٨ — ١٩ .

(٥) سورة البقرة آية : ٣١ .

— ثم تكلم عن سام بن نوح وأولاده ، وما تفرع عنه من أجناس توزعوا في البسيطة .

— ثم الابن الثاني لنوح حام وأولاده وما تفرع عنهم من أجناس .

— والثالث يافث بن نوح وولده وما تفرع عنهم .

ثم يبدأ بعد ذلك بذكر الأقسام وإلام ينتسبون ويذكر الاختلافات التي وردت ومع ذلك فهو يحاول التوفيق والترجيح بين الروايات .

ومن الأقسام الذين ذكرهم :

— اليونانيون وهم الروم الأول .

— الروم الثانية .

— الفرس .

— الأكراد .

— البرجان .

— الديلم .

— الترك .

— الأندلس .

— الصقالبة .

— ملوك خراسان .

— ملوك الصين .

— يأجوج ومأجوج .

ويتهى الكتاب بذلك .

منهج ابن عبد البر في القصد والأهم :

— بين لنا ابن عبد البر أن الهدف من تأليف هذه الرسالة أن يقف طالب العلم على أصول العرب والعجم وتاريخ ملخص عن الأمم السابقة لأن ذلك « علم لا يليق جهله بذوى الهمم والآداب »^(١)

— وفي هذه الرسالة لم يقدم قائمة بمصادره ، فلعلّه اكتفى بما قدمه في كتاب الإنباه لأنه مُتقدم في التأليف عن القصد ، ولكنه مع ذلك يُطعم صفحات القصد بذكر مصادره ومنها ما لم يذكره في الإنباه .

ومن خلال كتابه نلاحظ أن طريقته في الإحالة للمصادر كانت كالآتي :

— روايته بالسند عن طريق شيوخه إلى ناقل الخبر .^(٢)

— يصرح بالنقل عن بعض المصادر بذكر اسم المؤلف من غير ذكر للكتاب كأن يقول : (قال ابن الكلبي)^(٣) ، (قال ابن أبي سعد الوراق)^(٤) ، أو (ذكر البخاري)^(٥) ، (قال علي بن كيسان النسابة)^(٦) ، (قال علي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة)^(٧) (ذكر الشُّرقي بن القطامي)^(٨) وأحيانا يذكر المؤلف والكتاب . كأن يقول^(٩) . (قال يحيى بن إبراهيم في تاريخه) .

— وبعض المصادر كان لا يذكرها إشاراً للاختصار كأن يقول : (زعم بعض من ألف في أخبار بغداد)^(١٠) ، أو (وأخبارهم وأخبار مصر وعجائبها يطول

(١) القصد والأهم : ١١ .

(٢) انظر القصد : ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ .

(٣) نفس المصدر : ١٢ — ٢٩ .

(٤) نفس المصدر : ١٥ .

(٥) نفس المصدر : ١٨ .

(٦) نفس المصدر : ٢٣ ، ٣٠ .

(٧) نفس المصدر : ٢٦ .

(٨) نفس المصدر : ٣٢ .

(٩) القصد والأهم : ٢٩ .

(١٠) انظر القصد : ٢٧ .

الكتاب بذكرها (١).

— ويحيل إلى بعض مؤلفاته كالإنباه (٢).

— كانت ثقافته الشرعية تجعله يُحاول دائما تأصيل مادته العلمية وتوثيقها بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة (٣).

— استشهاده بالشعر في بعض المواضع التي ورد الشعر فيها شاهداً تستدل به أمة ما لنسبها (٤).

— كان يشرح معاني بعض الأعلام وسبب تسميتها بما سميت به مثل : يثرب والجبلة والصين وغيرها (٥).

— يذكر بعض الأخبار التاريخية القديمة والمعاصرة المتعلقة بأمة من الأمم التي يذكرها أو بلد من البلدان (٦).

— وكان عند كلامه عن أصل الأمة يذكر من ادعت كون أصولها عربية : كالحبشة وبعض الروم وغيرهم (٧).

— كان ابن عبد البر يطرح آراءه في ثنيات الكتاب فيرجح مرة ويرفض أخرى ويسكت ثالثة . فيقول مثلاً (٨) (قال أبو عمر) ، (من أحسن ما قيل ..) ، (لاخلاف علمته) ، (وأظن) ، (الاختلاف كثير . والله أعلم بالصواب) ، (وأجمعوا ..)

— والمهم في منهج الكتاب كذلك أنه كان عند انتهائه من الكلام عن أصول

(١) نفس المصدر : ٢٨٠ .

(٢) نفس المصدر : ٢١ .

(٣) نفس المصدر : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٩ .

(٤) نفس المصدر : ١٥ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٣ .

(٥) نفس المصدر : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٦ .

(٦) نفس المصدر : ٢١ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(٧) نفس المصدر : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٨) انظر القصد والأم : ٩ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٣ .

الأمة ، يذكر عاداتها الاجتماعية والجوانب التي برعت بها تلك الأمة من صناعة او زراعة أو غيرها . (١)

عناية المستشرقين بالقصد والأهم :

وقد وصف المستشرق الروسي كراتشكوفسكى^(٢) كتاب القصد والأهم بأنه مُتمم للمحاولات الأولى لتفسير الحديث النبوي تفسيراً جغرافياً . وهى محاولات ترجع إلى عهد ابن عباس . وبداية اهتمام الأندلسيين بكتب الجغرافيا^(٣) ثم يقول : «^(٤) ومن الملاحظ أن تطور العلوم الجغرافية في الأندلس كان أبطأ مما في المشرق ، فمنذ القرن الحادى عشر — يقصد الميلادى — نلاحظ الاهتمام بأنماط كانت قد بدأت تتقهقر في المشرق إلى الصف الثانى هذا إن لم تكن قد اختفت تماماً ، ويقدم لنا مثلاً طريفاً المحدث الأندلسى المشهور ابن عبد البر النمرى القرطبى »

ثم يصف الكتاب بقوله : «^(٥) ويحمل الكتاب عنواناً قد يختلف من مصدر لآخر.. ويعالج مسألة ظهور الشعوب الغربية التى ورد ذكرها في الحديث ، وبعض مادته مأخوذة من العهد القديم . بل ومن أسطورة الإسكندر ذى القرنين كذلك . وهو في هذا يتفق بعض الشيء مع روايات المسعودى »^(٦)

(١) نفس المصدر : ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) وهو اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى عضو أكاديمية العلوم الروسية ولد سنة (١٨٨٣ م) وتولى سنة (١٩٥١ م) وله أربعمائة وثمانية وخمسون بحثاً مطبوعاً في جوانب الحضارة .

انظر : تفصيل ذلك في مقدمة كتاب تاريخ الأدب الجغرافى : ١ / ١ — ٧

(٣) انظر تاريخ الأدب الجغرافى : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٤) نفس المصدر : ٢٧٢ .

(٥) انظر تاريخ الأدب الجغرافى : ٢٧٣ .

(٦) وكتاب المسعودى الذى تقترب مادة كتاب القصد منه هو كتاب (أخبار الزمان ومن أباداه المحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران) نشر بعناية عبد الله الصناوى وطبعت طبعته الأولى بمطبعة عهد الحميد أحمد حنفى سنة (١٣٥٧ هـ — ١٩٣٧ م) بالقاهرة .

والمسعودى هو أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ — ٩٥٧ م) صاحب الكتب المشهورة ل التاريخ والجغرافية ومن أهمها : (التنبيه والإشراف) (ومروج الذهب ومعادن الجوهر) وغيرها . انظر ترجمته .

وبالمقارنة بين كتاب القصد والأم لابن عبد البر ، وكتاب أخبار الزمان للمسعودي تبين أن هناك توافقا في العبارة في كثير من المواضع .^(١)

ومع وجود هذا التوافق فليس لدينا ما يشير إلى أن ابن عبد البر قد اعتمد على كتب المسعودي عامة ، وأخبار الزمان خاصة . فبمراجعة الموجود من فهرس^(٢) الكتب الأندلسية والمغربية المشهورة لم نجد أحدا روى كتب المسعودي .

ولكن هناك خبراً^(٣) ينقله ابن عبد البر عن تاريخ يحيى بن إبراهيم المعروف بابن

(١) قارن على سبيل المثال :

أخبار الزمان	القصد
٧٩	ذكر سام بن نوح : ١٩
٨٠ ، ٧٩	إبراهيم : ٢١
٨٠	إسماعيل بن إبراهيم : ٢١
٦٣	حام بن نوح : ٢٣ ، ٢٤
٦٨	يافث بن نوح : ٢٨ ، ٣٨
٧١ — ٧٠	ذكر اليونانيين : ٢٩
٧٧ — ٧٦	الروم : ٣٠
٧٧	الفرس : ٣٠ — ٣١
٧٤	البرجات : ٣٢
٧٥	الترك : ٣٣
٧٤ — ٧٣	الأندلس : ٣٣ — ٣٤
٧٠ — ٦٩	الصقالبة : ٣٥
٧٨	ملوك خراسان : ٣٥ — ٣٦
٧٨ ، ٧٢ — ٧١	ذكر ملوك الصين : ٣٦ — ٣٧
٦٩ — ٦٨	بأجوج ومأجوج : ٣٨ — ٣٩

(٢) أهمها فهرسة ابن خبير الإشبيلي والواديائي والرصاص والتجيبى والغنية للقاضي عياض وكذلك : فهرس الشيوخ والعلماء في الأندلس والمغرب : رسالة دكتوراه : ناطق المطلوب حيث أحصى كل المؤلفات التي وردت في الفهارس المطبوعة والمخطوطة . وجعل لها ملحقا خاصا بها .

(٣) انظر القصد والأم : ٢٩ .

مزین^(١). وهذا الخبر موجود عند المسعودي ولكن مع الأسف لم نجد أحدا أشار إلى هذا الكتاب مع أن ابن خير^(٢) قد روى أغلب كتب ابن مزين .

ثم إن كراتشكوفسكى قد اتفق مع المستشرق الألماني نولدكه^(٣) (NOLDEKE) بأن كتاب القصد والأم ليس بذي قيمة علمية ولعله يمثل ذيلا لكتاب كبير في الأنساب لابن عبد البر^(٤) .

ومع هذا فإن كراتشكوفسكى من جانب آخر يؤيد المستشرق الفرنسي شيفير^(٥) (SCHEFER) في نشرة لقطعة من القصد والأم مصحوبة بترجمة فرنسية وهي القطعة الخاصة بأهل الصين . ووجه الأهمية في ذلك أنها أشارت إشارة دقيقة إلى عبادة الأسلاف كما توجد بها فكرة عن وجود قبائل الأينو (AINO) في شمال الصين^(٦) .

ثم يقول كراتشكوفسكى : « وفيان^(٧) (FERRAND) رغم تشككه بصدد هذه النقطة الأخيرة — التي ذكرها شيفير — إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستشهاد بمقتضى ابن عبد البر حول مسألة علاقة الصين بسكان الملايو . »^(٨)

(١) وهو أحد فقهاء قرطبة المشهورين وله عدة مؤلفات منها تفسير الموطأ ورجاله وفضائل القرآن وغيرها توفي سنة ٢٥٩ هـ ، أو ٢٦٠ هـ . انظر تاريخ بن الفرضي : ٢ / ١٨١ ، والدياج ٢ / ٣٦١ .

(٢) انظر فهرس ابن خير : ٧٠ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٣٠٣ .

(٣) تيودورنولدكه (TH. NOLDEKE) مستشرق ألماني (١٨٣٦ — ١٩٣٠ م)

(٤) تاريخ الأدب الجغرافي : ٢٧٣ .

(٥) شيفير (CH. SCHEFER) (١٨٢٠ — ١٨٩٨ م)

(٦) نفس المصدر . وانظر القصد والأم : ٣٦ — ٣٧ .

(٧) جيهيل فيران (G. FERRAND) مستشرق فرنسي خبير بالجغرافية العربية (١٨٦٤ — ١٩٣٥ م)

(٨) نفس المصدر أعلاه وانظر القصد والأم : ٣٧ .

الباب الرابع

ابن عبد البر في الميزان

الفصل الأول
روافد ثقافة ابن عبد البر التاريخية

ظهر مما سبق أن ابن عبد البر ذو ثقافة موسوعية تتميز بالتنوع والعمق وسعة الاطلاع والتمكن . وقد وضع ذلك جلياً من خلال التعريف بثقافته ، ومؤلفاته في العلوم الإسلامية عامة مثل : علم القراءات ، والحديث ، والفقه ، والأدب ، والثقافة العامة . ومؤلفاته في علم التاريخ وما تعلق به على وجه الخصوص مثل : مؤلفاته في السيرة النبوية ، والتراجم وعلم الرجال ، والأنساب .

وبالتالى فمن خلال الاستعراض لمؤلفاته المختلفة ، وبيان منهجه في بعضها ، تبين أنه يمكن حصر الروافد التاريخية لابن عبد البر في مجموعتين من الروافد :

أولاً : روافد عامة .

ثانياً : روافد تخصصية .

أولاً : الروافد العامة :

ويتصدر قائمة الروافد العامة التى أسهمت فى التكوين الفكرى لابن عبد البر : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفة ، وكتب الفقه الإسلامى .

فالقرآن الكريم يصور لنا من خلال سورة المكية والمدنية ، مرحلتين مرت بهما الدعوة الإسلامية : (١)

أولاً : المرحلة المكية وما تميزت به من تعميق للمفاهيم التى جاءت بها عقيدة التوحيد فى مواجهة الوثنية بكل صورها ، والتى لم ينبج من تأثيراتها حتى أتباع الأديان السماوية . ثم يصف القرآن ما لاقاه النبى ﷺ وأصحابه من ابتلاء فى سبيل إعادة البشرية عامة والعرب خاصة إلى دين التوحيد .

ثانياً : المرحلة المدنية وما واكبها من تأسيس للدولة ، وترسيخ لأركانها ونزول آيات

(١) انظر علوم القرآن : غانم لذورى : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

التشريع التي تنظم جوانب المجتمع الجديد . فأبطلت علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية . وأنشأت علاقات جديدة ، أو أقرت علاقات على ضوء ما أقرته عقيدة التوحيد .

إضافة إلى ذلك ، فقد جاء في القرآن الكريم شيء من أخبار العرب قبل الإسلام ، ولأسيما ذكر بعض القبائل العربية القديمة مثل : عاد وثمود . وذكر كذلك قصص الأنبياء ، وأورد ذكر بعض الأحداث مثل : أخبار ملوك اليمن والسييل العرم الذي سلطه الله عليهم ، وقصة لقمان ، وأصحاب الفيل وغيرها .^(١)

وقد جعل ابن عبد البر القرآن الكريم مصدراً من مصادره المهمة من خلال أسباب نزول الآيات ، وخاصة غزوات الرسول ، أو ما كان نزوله في حدث وقع لصحابي ، أو مجموعة من الصحابة .^(٢)

وأما الحديث النبوي فمورد ثرى لعلم التاريخ ، وتعتبر الروايات الحديثية هي الأساس الذي انبثق عنه علم التاريخ . واستمرت الرواية التاريخية متلازمة مع الرواية الحديثية تعانى التطور في أشكال التعبير التاريخي . والسيرة النبوية كانت بداية تميز الرواية التاريخية لأنها كانت تبحث سيرة النبي ﷺ وتركز على غزواته وتجمع أخبار الهجرة للحبشة وإلى المدينة المنورة . وقد مضى بيان ذلك عند الكلام عن مؤلفات ابن عبد البر في السيرة .^(٣)

بل إننا نجد أن ابن عبد البر قد تأثر بشقافته الحديثية عند كتابته التاريخ فلم يتخلَّ

(١) انظر مصادر التاريخ الإسلامي : د. سيده كاشف : ١٥ .

(٢) ينقد الدكتور أحمد شلبي : الذين يُهملون هذه المراجع المهمة ويصفهم بأنهم متأثرون بالاتجاه الإغريقي الذي يرى أن الكتب السماوية لا تصلح مرجعاً تاريخياً ويقول : وذلك إن جاز بالنسبة للتوراة والإنجيل فإنه لا يجوز بالنسبة للقرآن ، لأن الله تعهد بحفظه من التحريف .

انظر : موسوعة التاريخ ١ / ٥٨ — ٥٩ ط ١٠ ، ١٩٨١ .

(٣) انظر الدرر : ٢٨ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ .

انظر الاستيعاب : ١ / ١٠٩ ، ٢٠١ ، ٣٠٠ ، ٢ / ٤٣٧ ، ٥٦٨ ، ٦٠٠ ، ٣ / ٨٧٨ ، ١٢٨٩ ،

٤ / ١٤٧٢ ، ١٤٧٤ .

(٤) انظر مصادر التاريخ الإسلامي : د. سيده كاشف : ١٩ — ٢٧ .

أحيانا كثيرة عن الإسناد ، والاستكثار من طرق الرواية الواحدة كما سنفصل في الصفحات القادمة .

وهذان المصدران الكريمان أفادا المؤرخ المسلم من زاويتين :

- زاوية المادة التاريخية : سواء ما يتعلق بتاريخ الأمم السابقة أو بفترة الوحي .
- زاوية منهج البحث : فأسلوب التواتر في إسناد المادة ، والنظر في أخلاق الراوى قبل الحكم على روايته ، قد مهّدا لثبو التحسّ التاريخي في الفكر الإسلامى ، وتطورت عنهما بالتدرّج قواعد النقد التاريخي .^(١)

(٢) ومن الروافد العامة في ثقافة ابن عبد البر معرفته بكتب أهل الكتاب التوراة والإنجيل . وكتب حكماء الملل الأخرى ، كالفرس ،^(٤) والروم ،^(٥) وغيرهم . والمتصفح لكتب ابن عبد البر سيجد نقولاً كثيرة بثها ابن عبد البر في مؤلفاته وخاصة : (بهجة المجالس) ، و (جامع بيان العلم) ، (والقصد والأتم) .

والرافد الآخر : كتب الفقه فالمعروف أن الحُكْمَ الفقهي يُوضع ابتداءً لحاجة جَدَّت في المجتمع المسلم . أو لوقوع حادثة تُطلِّب حُكماً مُعيَّناً وهذه الحوادث لا تعدو أن تكون في نطاق العبادات أو المعاملات التي تشمل جوانب اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية . فدارس الفقه سيتعرّف من خلال الحكم الفقهي على الحدث الذي دعا لتشريع هذا الحكم . ولما كان التاريخ ما هو إلا مجموعة من

(١) انظر : اس حزم الأندلسي مؤرخاً : د. عبد الحليم عويس ، رسالة دكتوراه بدار العلوم مكتوبة على الآلة الكاتبة : ١٣٤ .

(٢) انظر بهجة المجالس : ١ / ٤٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٢٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٥ ، ٣٨٨ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٧٤٣ ، ٧٧٤ .

(٣) انظر بهجة المجالس : ١ / ٧٧ ، ١١٤ ، ١٩٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٤٠٥ ، ٤٣٨ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٦٦٩ . وانظر ٢ / ٨٧ ، ٢١٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٠٢ .

(٤) نفس المصدر : قال كسرى : ١ / ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٢ / ٢٦٩ ، ٣٠٨ ، ٣٣٣ ، ٥٣٧ ، ٦٨٨ . قال نزرجمهر : ١ / ٧٦ ، ١١٠ ، ١٩٦ ، ٣٠٨ ، ٤٤٥ ، ٢ / ١٣٠ ، ٢٠٠ ، ٢٧٩ . وانظر جامع بيان العلم : قال نزرجمهر : ١٧٧ ، ١٨٩ .

(٥) انظر بهجة المجالس : أقوال أرسطو طاليس : ١ / ١١٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٤ ، ٢ / ١٨٢ ، ١٩٩ . قال جالينوس : ١ / ١٦٨ . وانظر جامع بيان العلم : ١٣٦ .

الأحداث ، لذلك ستنمو ثقافة الدارس الفقهي من الناحية التاريخية وإن لم يقصد علم التاريخ بذاته .^(١)

ولقد وعى هذه الصلة جيل المؤرخين الرواد الذين امتزجت في دراساتهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بالجوانب التاريخية أمثال : عبد الملك بن حبيب الأندلسي ومحمد بن جرير الطبري وبقى بن مخلد ، وابن الفرضي وابن حزم ، وابن عبد البر ، فنجد مؤلفاتهم التاريخية تحوى قضايا فقهية مبنوثة من خلال سرد الأحداث التاريخية مما يدل على تناغم العلوم مع بعضها في تصور كلى يُدرس على أساسه عصر من العصور . ولا يقتصر على السرد التاريخي التقليدي للأحداث وقد أكدت الاتجاهات التاريخية الحديثة هذا المفهوم .

ولا يمكن أن نغفل كتب الأدب والثقافة العامة ، وأثرها في ثقافة المؤرخ التاريخي وأسلوبه في عرض مادته التاريخية .

فقد احتوت الكتب الأدبية على مادة تاريخية تفيد المؤرخ إذا أخذها على حذر لأن الذى يغلب على الكتب الأدبية عدم التميز في جمع المادة التاريخية . وإنما تُعرض على أن تُعشّد أكبر كم ممكن من الأخبار التى تتعلق بالموضوع الذى تعرضه .^(٣) وقد نقل ابن عبد البر عن هذه المصادر ، ولكنه التزم بموازين النقد التاريخي عند النقل عن هذه الكتب ، واكتفى بإيراد الخبر مسندا عند استثنائه ببعض هذه الأخبار .^(٤)

كما أن الأشعار التى تحويها هذه المصادر تسهم في إثراء البحث التاريخي ، لأن قائلها كانوا يسجلون بقصائدهم أحداثا قد تفوت المصادر المتخصصة ، مما تعين المؤرخ على كشف حدث مجهول ، أو تصحيح خبر خاطيء ، أو تأكيد

(١) انظر مصادر التاريخ الإسلامى : ٧٨ — ٧٩ .

(٢) انظر ابن حزم الأندلسي مؤرخنا : د. عبد الحليم عويس : ١٣٦ رسالة دكتوراه على الاله الكاتبة بكلية دار العلوم ١٩٧٨ .

(٣) انظر : مصادر التاريخ الإسلامى : ٧٥ .

وابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب : أستاذنا الدكتور إبراهيم العدوى : ٥٣ — ٥٤ .

(٤) انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٨١ ، ٣٦٤ ، ٣٤٢ ..

خبير معروف . وبالإضافة إلى ذلك فهي تضيف على الخبر التاريخي جمالاً وطلاوة ، مما يعين على تجاوز الجفاف الذي قد يشوب الكتابة التاريخية أحياناً .

وقد استفاد ابن عبد البر من هذه الموارد في بنائه الثقافي واعتمد عليها كذلك في إنتاجه التاريخي وكانت من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها في مختلف الأطر التي عرض من خلالها التاريخ الإسلامي في السيرة أو التراجم أو الأنساب مما قد أشرنا إليه في مواضعه ، وقد كان للشعر نصيب كبير في ذلك . وقد شكل ذلك ظاهرة بارزة في منهجه التاريخي . مما يدل على اطلاعه على دواوين شعرية كثيرة وحفظه الواسع الذي دلت عليه مؤلفاته الأدبية الرصينة . مثل كتاب (الاهتبال)^(١) ، (بهجة المجالس)^(٢) وغيرهما من المؤلفات الأدبية التي عرّفنا بها في مواضعها .

ومن أهم موارد ابن عبد البر في الأدب والثقافة العامة ، مما أحال إليه في مؤلفاته أورواها عن شيوخه : (الحماسة)^(٣) لأبي تمام بن أوس الطائي (والزاهر)^(٤) لابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ، (كليلة ودمنة)^(٥) ، و (الدرة اليتيمة) لابن المقفع (ت ١٤٣ هـ) ، (والبيان والتبيين)^(٦) و (الحيوان)^(٧) للجاحظ (ت ٢٥٤ هـ) و (الكامل)^(٨) و (الأذواء)^(٩) لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) و (الأمثال)^(١٠) و (الأصمعيات)^(١١) للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٤ هـ) و

(١) انظر مقدمة من الورق ١ - ٧ مخطوط بمعهد المخطوطات ، وعندى منه نسخة .

(٢) انظر : بهجة المجالس ١ / ٥٥١ - ٥٥٣ .

(٣) بهجة المجالس : ١ / ٥١٠ .

(٤) فهرسة ابن خبير الإشبيلي : ٤٤ .

(٥) بهجة المجالس : ١ / ٥٣٦ .

(٦) بهجة المجالس : ١ / ٢٢٨ ، ٣٦٢ .

(٧) نفس المصدر : ١ / ٣٦٧ .

(٨) الاستيعاب : ١ / ١٦٠ والفهرسة : ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٩) نفس المصدر : ١ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(١٠) الفهرسة : ٣٤٠ .

(١١) الاستيعاب : ٢ / ٧٩٤ ، ٣ / ١١٩٧ .

(طبقات الشعراء)^(١) لأبي عبيد محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) و (كتاب العين)^(٢) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٨٠ هـ) و (مختصر كتاب العين)^(٣) لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي وغيره من مؤلفاته ، و (الغريب في اللغة والأدب)^(٤) لابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) و (المعارف)^(٥) لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) .

وهناك كتب الزهد والرقائق والأخلاق والرسائل وهي في مجموعها تضم أخباراً وقصصاً عن الصالحين تعكس لنا طبيعة علاقة هؤلاء بمجتمعاتهم ومواقفهم من الخلفاء الذين عاصروهم ودورهم في الأحداث التي وقعت في حياتهم سلباً أو إيجاباً . ومن ذلك كله يستطيع المؤرخ أن يُقيّم دور شتى قطاعات الأمة في حركة المجتمع . وكان لهذه الكتب أثر كبير في ثقافة ابن عبد البر ، يتضح ذلك من خلال مؤلفاته حيث شكّلت هذه الموارد رافداً مهماً أثري تلك المؤلفات بأنواعها .

ومن أهم هذه المصادر :

(٦)

(كتاب الزهد والعبادة والورع) لإبراهيم بن أدهم .

(٧)

(والزهد) لابن أبي الخوارى .

(٨)

(والزهد) لجعفر بن محمد شاكر الصائغ .

(وكتاب أخلاق القرآن) و (كتاب صفة الغرباء من المؤمنين) و (رسالته إلى

(١) الاستيعاب : ٢ / ٣ ، ٥١٢ / ٤ ، ٩٠٢ / ٤ ، ١٥٧٣ - ١٨٧١ .

(٢) المهرسة : ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٣) حذوة المقتبس : ٤٦ .

(٤) بهجة المجالس : ١ / ٥٦ .

(٥) الاستيعاب : ٤ / ١٨٦٣ .

(٦) فهرسة ابن خبير : ٢٧٠ .

(٧) نفس المصدر : ٢٧٧ .

(٨) نفس المصدر : ٢٧١ .

أهل بغداد) و (كتاب فضل العلم) وغيرها . كل هذه الكتب للطبري ،^(١) و
(رسالة مالك بن أنس إلى هارون الرشيد) (والجهد لعبدالله بن المبارك)^(٢)

ثانيا : الروافد التخصصية :

والمقصود بها في هذا البحث هي المصادر المباشرة التي أسهمت في بناء الثقافة التاريخية لابن عبد البر ، والذي يُحمد عليه أنه كان يقدم لنا في كثير من مؤلفاته أهم هذه المصادر التي اعتمد عليها في إخراج موضوع الكتاب الذي ألفه . هذا على خلاف بعض معاصريه وتلاميذه مثل ابن حزم الذي كان يشير إشارة عابرة أو قليلا ما يشير إلى مصادره . بل إن ابن عبد البر كان ينثر أسماء مصادره بين سطور بحثه فضلا عن أنه يقدم قائمة للمصادر المهمة في مقدمة بحثه . وكان ينوع هذه المصادر مما يدل على توخيهِ إثراء البحث التاريخي باستقصاء مختلف المصادر التي تتضمن مادة موضوعه .^(٣)

ولقد مرّ في الباب الثاني من هذا البحث إيراد قوائم لبعض مصادر ابن عبد البر من خلال التعريف بإنتاجه التاريخي وقد ذكرت المصادر التي صرح ابن عبد البر بالنقل عنها فقط ، لأن استقصاء مصادره بصورة عامة يحتاج إلى بحث مفرد ، بل إن كتاب الاستيعاب بمفرده يحتاج إلى بحث أكاديمي لدراسة منهج ابن عبد البر فيه ودراسة مصادره التي أسهمت في بنائه وتقويمها .^(٤)

ثم إن ثقافة ابن عبد البر التاريخية كانت متنوعة وواسعة ، والدليل على ذلك تنوع

(١) نفس المصدر : ٢٨٥ — ٢٨٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢٩٧ .

(٣) سقدم ملحقا بهذه المصادر التي أسهمت بصورة مباشرة في بناء الثقافة التاريخية لابن عبد البر انظر ملحق (١)

وسقدم بعض النماذج النصية من هذه المصادر التي أسهمت في بناء مؤلفاته التاريخية انظر ملحق (٢)

(٤) وقد قدمت دراسات جامعية على هذا النمط : مثل :

« موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد » رسالة دكتوراه قدمها د. أكرم العمري بجامعة عين شمس بقسم التاريخ سنة ١٩٧٥ م — ١٣٩٥ هـ « وابن حجر العسقلاني ودراسة مصنعاته ومنهجه وموارده في كتاب الإصانة » ، رسالة دكتوراه قدمها د. شاكر محمود عبد المنعم بجامعة بغداد / بقسم التاريخ في سنة ١٩٧٦ . وهناك بحث للدكتور جواد علي عن موارد الطبري في تاريخه . منشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي .

الأطر التأليفية لإنتاجه في البحث التاريخي .

ونستطيع تصنيف موارد ابن عبد البر التخصصية التي شكّلت بناء فكره التاريخي ، وكانت العمود الفقري لبحوثه التي تدور في نطاق التاريخ إلى :

أ — موارد في السيرة النبوية .

ب — موارد في علم الرجال والتراجم والأنساب .

ج — موارد في التاريخ العام .

وقد كانت هذه الموارد تتضافر مع غيرها من الموارد الأخرى في بناء العمل التاريخي لابن عبد البر كما تبين من خلال عرض إنتاجه التاريخي في الباب الثاني .

وفي هذا الفصل سيقُتصر على ذكر الموارد المتخصصة لكل نوع من الموارد السابقة . سواء منها التي ذكرها في كتبه التي ألفها ، أو التي ساهمت في بناء ثقافته التاريخية ولم يذكرها صراحة في مؤلفاته ، وإنما روتها عنه كتب الفهارس والمشیخات الأندلسية .

أ — موارد في السيرة النبوية :

لقد اهتم ابن عبد البر بالتأليف بالسيرة النبوية كما أسلفنا في الباب الثاني ، وأسهم ببضع مؤلفات في هذا الجانب من المكتبة التاريخية وأشهرها كتاب الدرر في المغازي والسير ، وقد أفردته لسيرة النبي ﷺ من بداية البعثة إلى وفاته . وأما ما يخصُّ ما قبل البعثة فقد ضمَّنه كتاب الاستيعاب .

وقد حشد ابن عبد البر مصادر كثيرة لكتابه الدرر وقد اهتم بانتقائها وذلك بالاعتماد على ما وثَّقه مشاهير العلماء من أهل الاختصاص . فاعتمد على مغازي موسى بن عقبة الذي اشتهر توثيقه عند المحدثين^(١) . ولم يغفل ابن عبد البر سيرة ابن إسحاق

(١) قال عنه يعقوب بن معين : كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب « نقل ذلك الذهبي وأما رأي الذهبي فيه فيقول : « سمعناها وغالبها صحيح ومرسل جيد لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتنمعة » . انظر سير أعلام النبلاء : ٦ / ١١٥ — ١١٦ ، ١١٧ .

التي تلقاها العلماء بالقبول واعتبروا ابن إسحاق ثقة في تخصصه وهو المغازي . ولكنه لم يكتسب الثقة المطلقة في الحديث (١) حَدَّ قول الذهبي : « وأما في أحاديث الأحكام فينحطُّ إلى رتبة الحسن إلا فيما شُدَّ فيه فإنه يُعدُّ مُنكَرًا » (٢)

ولم يكتف ابن عبد البر برواية واحدة لمغازي ابن إسحاق وإنما نقل عن رواياتها الثلاثة ، عن البكائي وابن بكير وإبراهيم بن سعد وكلهم محدثون . (٣)

وأما كتاب المغازي للواقدي فقد أورد له في الدرر نصا واحدا ، ويبدو أن ابن عبد البر قد قدم عليه موسى بن عقبة ، وابن إسحاق لأنهما أكثر توثيقا عند عموم أهل الحديث والتاريخ . ولكنه مع هذا قد نقل عنه في كتاب الاستيعاب لغلبة الجانب التاريخي عليه .

وإضافة إلى هذه الموارد التي تعتبر أساس كتب السير والمغازي أضاف إليها ابن عبد البر كثيرا من الموارد الأخرى من كتب السير والمغازي التي دخلت الأندلس ، مثل : مغازي موسى بن عقبة ، ومسلم بن الوليد وأبي إسحاق الفزاري وسليمان بن طرخان ، وأسد بن موسى وغيرهم .

ولم يكتف ابن عبد البر بكتب السير والمغازي ولكنه أضاف إلى ثقافته في هذا الجانب ما حوته كتب الحديث من روايات المغازي والسير . وقد صرح بذلك في كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير . وقد مر الكلام عنه

وهو بذلك قد احتفظ لنا بنصوص من مؤلفات مفقودة أو في حكم المفقود . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص ابن عبد البر على الحصول على المورد الموثق الذي يُضفي على مادته الأصالة والتوثيق .

(١) وقد شهد له بن عدي (ت ٢٠٧ هـ) بقوله : « وقد فتشت أحاديثه فلم أجِد في أحاديثه ما يتبيُّ أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ أو يهمل كما يخطئ غيره ، ولم يتخلف في الرواية »
انظر : المجتمع المدني في عهد النبوة : د. أكرم العمري : ٤٢ .

(٢) قاله في كتاب (طرح التتريب شرح التريب) انظر المصدر السابق : ٤٣ .

(٣) وقد نقل عنه ابن عبد البر ما يزيد عن (٤٠٢ نصا) في كتابه الاستيعاب .

ب — موارد ابن عبد البر في علم الرجال والتراجم والأنساب :

وقد كان ابن عبد البر فارس هذا الميدان من المكتبة التاريخية . وقد أثرى ببحوثه هذا الجانب وقد شهد له بذلك علماء عصره ومن بعدهم . ولعل الدليل العملي على سعة ثقافته ، وثراء موارده ، قد تبين مما تقدم من تفصيل في الكلام عن طبيعة نشأة هذه العلوم التي كتب فيها ابن عبد البر مع التعريف بأهم مصادرها التي اعتمد عليها في بحوثه التاريخية .

وقد اطلع ابن عبد البر على أغلب ما كُتب في علم الرجال والتراجم والأنساب . وقد تَلَقَّى ذلك بطريق شيوخه المباشرين الذين تتلمذ على أيديهم ، وعن طريق شيوخه الغير مباشرين الذين أجازوه ولم يلقهم . وكان يحرص على الحصول على أصول شيوخه ، أو أصول الموارد التي يرويها عنهم . فاكْتَسَب بذلك ثقافته واسعة مَكْنَتَهُ من أن يُوثَّق ويضعَّف ويُقارَن بين الأقوال فيرجَّح ما يراه ويرد . حتى أصبح حافظ الأندلس في زمانه في الحديث وعلم الرجال والتاريخ والأنساب كما ذكر ذلك كل من ترجم له .

وقد تمثلت موارده في هذا الجانب في اطلاعه على الكم الكبير الذي سنورده^(١) في تراجم الصحابة والتابعين وتواريخ المحدثين وكتب الأنساب بعامة ومن ضمنها ما أسهم به الأندلسيون في المكتبة التاريخية . وكان ابن عبد البر يحرص على الحصول على ما يبلغ سمعه من هذه الموارد حتى لو تطلب ذلك أن يرويها عن تلاميذه بل تلاميذ تلاميذه . . ولا تخفى أهمية هذه المؤلفات من الناحية التاريخية كما بينا في الباب الثاني فإن كثيرا من الجوانب الشخصية لحياة كثير من الأعلام الذين كان لهم التأثير في مسار الأحداث التاريخية ، أو الحضارية وتطورها ، لا يمكن استخلاصها من كتب التاريخ السياسي فقط . بل إنَّ بعض الأخبار الدقيقة والمؤثرات الخفية لأحداث سياسية مهمة وخطيرة لا يمكن استجلاؤها إلا من خلال كتب التراجم بأنواعها .

(١) انظر الملاحق .

ج — موارد في التاريخ العام وما يتعلق به :

ومن الموارد المهمة التي أسهمت في بناء الثقافة التاريخية لابن عبد البر كتب التاريخ العام . والتي جعلته على اطلاع واسع على تواريخ العالم القديم والجاهلي والإسلامي ، ولعل فيما تقدم من عرض لإنتاجه التاريخي دليلاً مقنعاً . وقد كان لهذه 'المزاد الفضل في الإسهام في بناء هيكل المادة التاريخية التي ضمنها مؤلفاته في السيرة النبوية والتراجم والأنساب . وقد اقتبس منها ابن عبد البر في مؤلفاته السابقة ما يخدم موضوع بحثه ، على ضوء قوائم المصادر التي كانت تضمها مقدمات كتبه . أو ما يذكره منها خلال عرضه لمادة كتابه فيحيل إليها في مواضعها كما أشرنا إلى ذلك في مواضعه .

وقد تنوعت صور عرض المادة التاريخية في هذا الجانب فمنها : ما هو مرتب على السنين ويبدأ منذ بدء خلق الدنيا إلى عصر المؤلف وتاريخ الطبري (ت ٣١٠ هـ) على رأس هذا النوع من المصادر ويسميه أهل الأندلس (التاريخ الكبير)^(١) . ومنها ما هو مؤلف على السنين ويبدأ بالسيرة النبوية حتى عصر المؤلف مثل تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٨١ هـ)^(٢) .

ومنها ما هو مختص بالصحابة والتابعين مثل كتاب ذيل المذيل للطبري^(٣) ، و (التاريخ الكبير) للخطيب^(٤) (ت ٣٥٠ هـ) وقد رتبته على السنين كذلك ، ويبدو أنه بدأ منذ صدر الإسلام إلى عصره ، و (التاريخ الكبير) لعبد الملك بن شهيد الأندلسي (ت ٣٩٣ هـ) .

ومنها ما لم يتبع نسقاً معيناً في تنظيم المادة التاريخية ، وإنما يخلط بين التاريخ

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ١٦٥ وجامع بيان العلم : ٢٨٥ .

ونقل ابن عبد البر (١٠٤ نصوص) عن الطبري في كتابه الاستيعاب عن ذيل المذيل .

(٢) وقد نقل عنه ابن عبد البر في مجمل كتبه أكثر من (٥٧ نصاً) ذكر بعضها محقق التاريخ الأستاذ شكر الله نعمة الله .

(٤) أبو محمد إسماعيل بن علي الخطيب (كان فاضلاً فهماً عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء وصنف تاريخاً كبيراً

على السنين) انظر تاريخ بغداد ٦ / ٣٠٥ . وانظر موارد الخطيب البغدادي : ١٥١ — ١٥٤ .

الحولى والتراجم مثل كتاب (التاريخ) لأبى بكر بن أبى خيثمة (ت ٢٧٩ هـ)
ومنها ما كان يتكلم فى تاريخ مصر من أمصار العالم الإسلامى مثل تاريخ مصر
لسعيد بن عفير (ت ٢٢٦ هـ) والأوسط فى تاريخ الأندلس لأبى محمد الرازى .

ومنها ما كان يؤرخ لمدينة من المدن مثل :

(أخبار مكة) لمحمد بن إسحاق الفاكهى (ت ٢٧٢ هـ) ، (أخبار المدينة) لعمر
ابن شبة (ت ٢٦٣ هـ) (وأخبار قرطبة) لأبى أحمد التاريخى و (أخبار كورة
البيرة) لمطرف الغسانى (ت ٣٧٧ هـ) وغيرها .

ومنها ما كان يتعرض لتواريخ الخلفاء أو دولة من الدول وما آلت إليه مثل (تاريخ
الخلفاء) للحارث بن أبى أسامة ، وكتاب (المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم)
كتاب (مواعظ الخلفاء) (وحلم معاوية) لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١ هـ) . ومنها
ما كان يتعرض لتاريخ دولة من الدول مثل (مختصر تاريخ الخلفاء) للخطيبى (ت
٣٠٥ هـ) و (أخبار ملوك الأندلس) لأحمد بن محمد التاريخى ، (والباهر فى تاريخ
الدولة العامرية) لعبد الرحمن بن محمد بن أحمد الرعينى بن المشاط (ت ٣٩٧ هـ)
وغيرها من الموارد .

يتبين من نماذج الموارد التاريخية التى ذكرت والتى كان قسم منها مدار الاقتباس
من قبل ابن عبد البر فى كتبه التى صنفها — وسنشير إلى ذلك بعد قليل — ومنها ما
أسهم فى بناء ثقافته التاريخية وإن لم يرد ذكرها فى مصادره التى بين أيدينا ، ولعله
اعتمد عليها فى مؤلفاته الأخرى التى هى فى حكم المفقود ، ولعلها إن وجدت
ستلقى أضواء جديدة وثرية على الفكر التاريخى عند ابن عبد البر .

ولأهمية هذه الموارد فى ثقافة ابن عبد البر فسنرتبها فى قائمة تضم كل موارده فى
التاريخ العام وما ألحق به من تواريخ الدول والمدن والخلفاء وسنذكرها مرتبة بحسب
موضوعاتها فى ملحق مصادره .

الاستيعاب النوعى للموارد :^(١)

إن ابن عبد البر قد أسهم فى أنماط متنوعة من التأليف التاريخى كما تبين ذلك . واقتضاه هذا التنوع أن يستوعب موارده المتخصصة فى كل نوع ونمط ليقدّم لنا مادته التاريخية بحسب النوع التأليفى الذى ألف فيه . كالسيرة والتراجم بأنواعها والأنساب .

ولم يكتف بتلك الموارد المتخصصة فقط وإنما استعان بموارد عامة تعينه على استكمال الموضوع الذى يقدمه : فكانت نصوص القرآن والحديث وكتب الفقه والأدب مورداً غنياً يُثرى بحوث ابن عبد البر .

واستطاع بذلك أن يضع أمامه ما استطاع وضعه من التراث التاريخى الإسلامى بأوسع مفاهيمه وأشملها ، منذ بدايته حتى القرن الخامس الهجرى . وهو تراث هائل وغنى قد مر بعصور ازدهار التأليف عند المسلمين الذين تفننوا فى تنويعه سواء أكان فى الأشكال التنظيمية المتعددة التى عرضوه بها ، أم بالمادة المتنوعة التى احتوتها تلك المؤلفات .^(٢)

وابتغى ابن عبد البر فى استيعاب مصادره بهذه الصورة الموسوعية أن يقدم تراجمه وأخباره موثقة بالرجوع إلى موارد متعددة متنوعة يصل من خلالها إلى تقديم صورة متكاملة عن الترجمة أو الحدث .

وقد جهد ابن عبد البر على أن يستفيد من جميع المؤلفات فى كل نوع من الأنواع التأليفية التى ألف فيها ، ولو ألقينا نظرة على موارده فى السيرة النبوية مثلاً ، أو فى التراجم وعلم الرجال — وتراجم الصحابة خاصة —^(٣) لوجدنا أن ابن عبد البر استطاع أن يستوعب ما وصل إليه من تلك المؤلفات . بل نجده يروى (كتاب الصحابة) لأبى نعيم الأصبهاني الذى يعتبر من الكتب التى تأخر دخولها الأندلس ، ومع هذا

(١) أفرد الباحث ملحقا بموارده التى صرح بالنقل عنها أو ذكرتها كتب الفهارس بروايتها أو مما رواه شيوخه .

(٢) انظر : الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام : د. بشار عواد معروف : ٣٩٤ .

(٣) يرجع للملحق رقم (١) .

فقد رواه ابن عبد البر عن طريق تلاميذ تلاميذه حرصاً منه على استيعاب كل ما يصله من جديد في الباب الذي ألف فيه .

واستعمل ابن عبد البر المصادر المشرقية والأندلسية . فإضافة إلى ما رواه عن شيوخه من مؤلفات علماء المشرق فإنه لم يغب عنه تطعيم مؤلفاته بالنقل عن شيوخه الأندلسيين الذين كونوا ثقافته الإسلامية . فمؤلفات عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٩ هـ) الأندلسي في التاريخ وغيره من العلوم كانت من ضمن موارد ، وبقي بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ) وابن المكوي (ت ٤٠٣ هـ) وابن الفرضي وغيرهم من أعلام الأندلس .

لقد جهد ابن عبد البر أن ينقل من المصدر المباشر فكان يتحرى أعلى (طرق التحمل)^(١) للرواية التاريخية فإما أن يروي مؤلفات شيوخه مباشرة عنه مثلما يروي (كتاب تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي . وأصبحت رواية ابن عبد البر من أوثق الروايات له .^(٢)

أو أنه يستجيز شيوخه لرواية مؤلفاته كما فعل مع (عبد الغني بن سعيد المصري) فروى عنه (كتاب المؤلف والمختلف) وغيره .^(٣)

وأما الموارد التي ليست لشيوخه المباشرين فكان يرويها عن شيوخه إما قراءة عليهم . أو إجازة منهم له . أو أنه يجمع بين القراءة والإجازة ، فيقرأ جزءاً من المورد الذي يريد روايته ثم يطلب إجازته بباقي الكتاب ، مثلما حصل في روايته (لمسند أبي محمد عبدالله بن أبي ناجية) حيث قال عنه ابن عبد البر :^(٤)

« قرأت عليه — أي على شيوخه حلف بن القاسم — منه جزئين وناولني جميعه وأذن لي في روايته عنه وكان عنده في مائة واثنين وثلاثين جزءاً » .

(١) طرق التحمل وهي طرق الرواية كالسماع والإجازة والزيادة والنسبة كما مر تعريفها في فصل سابق ، انظر هذا البحث : ٣٥٥ . وانظر معجم المصطلحات الحديثية : ٦٣ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٨ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٢١٦ .

(٤) فهرسة ابن حجر : ١٤٣ .

وبعض الموارد كان يجد جزءاً منها عند شيخ فيرويه عنها ، ثم يستكمل النقص عند شيخ آخر ، مثلما حصل في كتاب (مسند أبي بكر بن أبي شيبة) « قال ابن عبد البر حدثنا به أبو عثمان سعيد بن نصر إلا الجزء الأول منه ... لم يكن عند سعيد بن نصر فقرأته على عبدالوارث بن سفيان بن جبرون ... وهو في عشرين جزءاً »^(١) وكان يتحرى من يجد عنده الموارد بتمامه فمثلاً : كتاب (تاريخ أحمد بن سعيد بن حزم الصدي المنتجيلي) وهو في خمسة وثمانين جزءاً . قال عنه ابن عبد البر : « لم أجده كاملاً عند أحد من رواه غيره — أي الخلف بن أحمد المعروف بابن أبي جعفر — ولم يكمل إلا له ، ولأحمد ابن محمد الإشبيلي الرجل الصالح المعروف بابن الحرّار » .

(٣) طرائق الإحالة إلى الموارد :

كان ابن عبد البر يستعمل صيغاً متعددة عند نقله عن موارد فمرة يصرح باسم المورد فيقول مثلاً (ذكر الكلبي في أخبار صيفين^(٤)) ، أو يُعقّب بعد نقل الخبر بقوله : « هكذا ذكره يحيى بن سعيد الأموي في السير^(٥) » أو « ذكر ذلك كله حفيد يونس صاحب التاريخ المصري^(٦) » وذكر الزبير في الموفقيات^(٧) ، و « ذكر ابن المبارك في كتاب الجهاد »^(٨) .

وأحياناً لا يصرح باسم المورد ولكنه ينقل الخبر مباشرة عن مؤلف المورد فيقول : « قال محمد بن إسحاق^(٩) » أو « روى ابن المبارك^(١٠) » أو « ذكر الزبير^(١١) » أو « قال

(١) نفس المصدر : ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢٢٧ وانظر جدوة المقتبس : ٢٠٦ .

(٣) قارن النصوص ملحق (٣) .

(٤) الاستيعاب : ١ / ١٦٥ .

(٥) الاستيعاب : ٢ / ٥٩٧ — ٥٩٨ .

(٦) نفس المصدر : ١ / ١٨٩ .

(٧) نفس المصدر : ٣ / ٨٧٩ .

(٨) نفس المصدر : ١ / ٤٠٨ .

(٩) نفس المصدر : ٤ / ١٨١٩ .

(١٠) نفس المصدر : ٢ / ٦٧١ .

(١١) نفس المصدر : ٣ / ٨٨٩ — ٨٩٠ .

محمد بن هشام الكلبي ^(١) .

وفي مواضع أخرى يروى ابن عبد البر بسنده إلى ناقل الخبر الأول ، أو الذي كان سبباً للحدث حال وقوعه : كأن يقول : ^(٢)

« حدثنا عبد الله بن محمد — شيخ بن عبد البر — قال حدثنا محمد بن بكر ...
قال حدثني محمد ابن اسحاق عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب
الزهري .. عن أم سلمة زوج النبي قالت : فكان الذي كلمه — للنجاشي —
جعفر بن أبي طالب « أو » ذكر محمد بن إسحاق ... قال : سألت عبادة بن
الصامت عن الأنفال فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ... » ^(٣)

(١) التصد والأُم : ٩٧ — ٩٩ .

(٢) الدرر في اختصار المعاري والسير : ١٤٢ — ١٤٦ .

(٣) نفس المصدر : ١١٦ .

الفصل الثانى
ابن عبد البر المؤرخ

توطئة :

لقد عرض هذا الفصل شخصية ابن عبد البر المؤرخ بكل جوانبها الفكرية والتطبيقية .

فعرّف برتبة التاريخ عند ابن عبد البر وفائدته ، ومفهوم الالتزام عنده .

ثم قدّم مُقدمة موجزة في نقد الخبر عند المسلمين ، بداياته ، ومنهجه ومقارنته بالمنهج الأوربي ، وعلى ضوئه درس الباحث منهج النقد عند ابن عبد البر بنوعيه الخارجى والداخلى . وردّه للأسطورة .

ثم جلّى اهتمامه بالجانب التاريخي في علم الرجال الذي كان ميدانه الأساسى لعرض التاريخ .

ثم عرج على ثقافته الموسوعية التي أثّرت في أسلوب كتابته التاريخية .

كإهتمام بظاهرة الإسناد ، لغلبة ثقافته الحديثية عليه . وذكره للأحكام الفقهية واستشهاده بالشعر في الخبر التاريخي .

ثم من خلال هذه الثقافة الواسعة والتوجيهات المتنوعة استكشف البحث مدرسته التاريخية . فهو ينتمى إلى مدرسة (المؤرخون المحدثون) من ناحية الثقافة والأسلوب من جانب وإلى مدرسة (عصر الفتنة الأندلسية) في مفهومها الإصلاحى من جانب آخر .

ثم بين البحث أثره فيمن بعده من المؤرخين ومدى هذا التأثير . وفي ختام ذلك أظهر نقد العلماء لابن عبد البر وآرائه في التاريخ وبيان المآخذ وإظهار المفاخر .

أولا : رتبة علم التاريخ عند ابن عبد البر وفائدته :

إن ابن عبد البر قد أفرد بابا بين فيه أقسام العلوم بصورة عامة وجعله ضروريا

ومكتسباً وجعل من الضروري معرفة الأمم التي قد نخلت . فقال :^(١)
« ومن الضروري أيضا علم الناس أن في الدنيا مكة والهند ومصر ، والصين
وبلداناً عرفوها ، وأما قد نخلت . »

ثم يقسم العلوم بحسب أنواعها إلى ثلاثة أقسام :^(٢)
— علم أعلى : وهو علم الدين .
— وعلم أوسط : ويتضمن علوم الدنيا كالطب والهندسة .
— علم أسفل :^(٣) ويتضمن أحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة
والفروسية والزى ، والتزويق ، والخط وما أشبه ذلك .

علمنا بأن علم التاريخ عند ابن عبد البر هو تسجيل حركة الحياة الإنسانية ، ولما
كان ابن عبد البر مسلماً فقد صنف علم التاريخ تحت أقسام علم الدين لأن مفهوم
الدين هو المنهج الذى أنزله الله لتنظيم حياة الإنسان على هذه الأرض .

وبالتالى فالعلم الذى يدرس حركة الإنسان — فى هذه الحياة — بهذا الدين من
الأولى أن ينضوى تحته فى التقسيم . فلذلك قال ابن عبد البر :^(٤)

(والقسم الثانى : معرفة مخرج خبر الدين ، وشرائعه وذلك بمعرفة النبى — يعنى
سيرته ﷺ — الذى شرع الله الدين على لسانه ويده .

ومعرفة أصحابه ، الذين أدوا ذلك عنه ، ومعرفة الرجال الذين حملوه وطبقاتهم إلى
زمانك — المقصود به علم الرجال والتراجم بصورة عامة — .

ومعرفة الخبر الذى يَقْطَعُ العذر لتواتره وظهوره — وهذا علم التاريخ العام) .

(١) جامع بيان العلم : ٢٨٧ .

(٢) انظر نفس المصدر والصفحة .

(٣) وابن عبد البر لم يرد بهذا التقسيم الخط من شأن هذه الأعمال لأنها مما تقوم به حضارة المجتمعات ولعله أراد
محض الترتيب .

(٤) جامع بيان العلم : ٢٩١ .

يتبين لنا أن ابن عبد البر قد طبق رؤيته هذه من خلال مؤلفاته التي قدمها لنا .
ومضى بحثها .

وأما فائدة التاريخ عند ابن عبد البر : فنستكشفها من خلال مؤلفاته التي ألفها
وما توخاه من ذلك .

وقد بين أن الفوائد التي تَوَاحَاها تنحصر في الفائدة التعليمية والفائدة التربوية :

١- الفائدة التعليمية : وتتضمن :

— فوائد تختص بعلم الحديث : فمن خلال تراجم الصحابة يُعرف المسند والمرسل
من الحديث . ومعرفة علم الرجال يعرف به الثقات من الضعفاء من نقلة الحديث ،
وبالتالي درجته .^(١)

— فوائد تختص بعلم التاريخ : مثل معرفة تاريخ العصر الإسلامي الأول وما يليه من
خلال سيرة النبي عليه السلام وسير أصحابه وأعمالهم ودورهم في بناء التاريخ
الإسلامي وحضارته^(٢)

وكذلك معرفة حركة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في العصور التي
تلت . من خلال معرفة تراجم رجال ذلك العصر من مُحدثين وفقهاء وقاده
وإداريين .^(٣)

وهذه الفوائد التعليمية كانت الأولى منها خاصة بالأمة الإسلامية التي تفردت بعلم
الرجال ودراسة الإسناد الذي هو طريق نقل حديث نبي هذه الأمة عليه السلام .

والفائدة الثانية وإن خرجت مخرج الخصوص عند ابن عبد البر ، ولكنها عامة في
كل أمة من الأمم ، « فالتاريخ ذاكرة الجنس الإنساني ... وبها يتلقى جيل معين تجارب
الأجيال السابقة عليه » كما يقول هرنشو .^(٤)

(١) ٢٠ ، انظر الاستيعاب : ١٩ ، والاستغناء في الكنى : ورقة : ١ .

(٢) انظر الانتقاء : ٩ والاستغناء في الكنى : ورقة : ٤٦ ، ١٨٩ .

(٤) علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي : ١٦٨ — ١٦٩ .

٢ — الفائدة التربوية :

« وتربية النشء هى العمل الأسمى فى وظائفه الإنسانية ولن تكون تربية النشء صحيحة كاملة إذا جهلنا ماضى سلالة من ترى ، وحياة أبويه وجدوده . »^(١)

« والمسلك السهل لاجتذاب تلاميذ المدارس وغير تلاميذ المدارس هو طريق السير . أى حياة العظماء ، ولاسيما الشخصيات ذوات الأثر الفعال ، وقواد البحر ، أو الجنود ، والرواد وحكاياتهم المثيرة ... فتلاميذ المدارس يستجيبون فوراً لنداء الوطنية وإلى روح التضحية ... وللحاق بأولئك الذين أنجزوا عملاً تذكرهم به بلادهم . »^(٢)

أو كما يقول بولنجبروك : « لقد بان لى أن دراسة التاريخ دون سواها أصلح الدراسات لتعويد الإنسان الفضائل الخاصة والعامة »^(٣)

وابن عبد البر كان عالماً من أعلام التاريخ الإسلامى خاصة والبشرى عامة الذين بينوا الفائدة التربوية للتاريخ ، وإشارات المتعددة فى مؤلفاته تؤكد هذا المعنى ، فاهتمامه بالسيرة النبوية وتدوينها نابع من هذا الأصل التربوى وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه من هذا البحث .

وكذلك تدوينه لسير الصحابة توخى منه التعرف على أخلاقهم وسلوكهم وتضحياتهم فى سبيل الله ، كما عبّر هو بنفسه بأن سبب الاهتمام بذلك هو : « الاهتمام بهديهم فهم خير من سلك سبيله — أى الرسول — واقتدى به »^(٤)

ونفس السبب دعى ابن عبد البر للكتابة فى سير مشاهير الفقهاء وقد لخص ذلك بقوله :^(٥)

= وانظر موسوعة التاريخ الإسلامى : ١٠ / ٣٥ — ٤٠ .

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى : ١٠ / ٤٠ .

(٢) التاريخ أثره وفائدته : A.L. ROWSE ترجمة مجد الدين حفى ناصف .

(٣) علم التاريخ : هرنشو : ١٥٨ .

(٤) الاستيعاب : ١ / ١٩ .

(٥) جامع بيان العلم : ٤٥٧ .

« فمن قرأ فضائل مالك ، وفضائل الشافعي وفضائل أبي حنيفة بعد فضائل الصحابة والتابعين وغنى بها ، ووقف على كريم سيرهم وهدىهم كان ذلك له عملاً زاكياً . »

ثم إن الإسلام منهج ألزم الله به عباده . ولا يتحقق إلا بوجود القدوة ، فكان التأكيد على الجانب التربوي فيه ، وأخذ الأسوة من الصدر الأول ومن قمم الإسلام في كل جيل مطلباً أساسياً لتحقيق الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكاً .

ثانياً : الالتزام عند ابن عبد البر :

يرى البعض من الباحثين ممن عنى بالنقد والأدب أن مبدأ الالتزام من معطيات الثقافة المعاصرة ولم يعرفها الأقدمون ، ولكن الحقيقة « أن المؤرخين والمفكرين المسلمين عرفوا الالتزام والتزموا به من مطلع الإسلام »^(١) بل إن القرآن قد وضع معالم هذا المبدأ بقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾^(٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾^(٣) . ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾^(٤) .

وقول النبي ﷺ :

« كفى بالمرء كذباً أن يُحدثَ بكل ما سمع »^(٥)

« لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا تصيفه »^(٦)

هذه هي الأصول التي يستمد منها المسلم مؤرخاً كان أو غير مؤرخ في الالتزام

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي : ١٠ / ٤٤ .

(٢) هود : آية ٨٥ .

(٣) الحجرات : آية ٦ .

(٤) الإسراء آية : ٣٦ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١ / ٧٣ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦ ، ٩٢ .

مع بنى البشر كلهم ، فضلاً عن رجال تاريخه ، وأعلام أمته ، والأحداث التاريخية التي لا يسوها .

وقد أسهم ابن عبد البر في ترسيخ أسس هذا المبدأ بالممارسة العملية في كتابته التاريخية وغيرها ، وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدلّ على سُمُو في الخُلُق ، وورع في الكلمة واحترام لها .

وقد أفرد في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)^(١) باباً نفيساً تفتقده كثير من الكتب التي ألّفت في هذا المضمار . وعنوان الباب : (حكم قول العلماء بعضهم في بعض) ، ويُلمّخص القول في ذلك فيقول بعد أن حشد الكثير من النصوص : « قال أبو عمر : هذا بابٌ غلط فيه كثير من الناس ، وضلّت به نابتة جاهلة ، لا تدري ما عليها في ذلك ، والصحيح في هذا الباب أن مَنْ صَحّحت عدالته ، وثبتت في العلم أمانته ، وبانت ثقته وعنايته ، لم يُلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته بيّنة عادلة تصحّح بها جرحته عن طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب قوله من جهة الفقه والنظر .

وأما من لم تثبت إمامته ولا عُرفت عدالته ولا صحّت ، لعدم الحفظ والإتقان روايته ، فإنه يُنظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ، ويجتهد في قبول ما جاء به على حسب ما يؤدي النظر إليه والدليل .

على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماماً في الدين قول أحد الطاعنين .

إن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب .

(١) انظر : ١٣٩ — ٥٤٧ .

وقد قدم أستاذنا الدكتور أحمد شلبي بحثاً ألقى في (ندوة السخاوي) التي أقامتها الجمعية التاريخية المصرية من ٢٨ فبراير — ٢ مارس ١٩٨١ بالقاهرة عنوانه : السخاوي والسيوطي والمعاصرة الفكرية — عالج فيه هذا الموضوع .

ومنه ما حَمَلَ عليه الحسد ... ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه بما قال القائل فيه .

وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً ، واجتهاداً لا يلزم تقليدهم في شيء منه دون برهان ولا حجة توجبها (١) .

ثم يأتي بنماذج من كلام بعض العلماء في بعض ويردُّ عليها .

ثم يُلَخِّص القول في الموقف الذي يتخذه الناظر في قول المتعاصرين بعضهم في بعض في كل عصر من العصور فيقول : (٢)

(فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الأئمة الأثبات بعضهم في بعض فليقبل قول من ذكرنا قوله من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعضهم في بعض فإن فعل ذلك فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيهاً .

وكذلك إن قبل في سعيد ابن المسيب قول عكرمة وفي الشعبي والنخعي ، وأهل الحجاز وأهل مكة ، وأهل الكوفة وأهل الشام سلي حمله ، وفي مالك والشافعي ...

فإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رُشدَه ، فليقف عندما شرطنا في أن لا يقبل فيمن صحت عدالته وتعلمت بالعلم عنايته ، وسَلِمَ من الكبائر ، ولزم المروءة والتعاون ، وكان خيره غالباً ، وشَرُّه أقلَّ عمله ، فهذا لا يُقبل فيه قول قائل لا برهان له به .)

وقد كان ابن عبد البر يُطبق منهجه هذا في سائر كتبه فمن عباراته التي استعملها : كأن يقول :

« وقد تكلم بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره » (٣) ، أو « وله أخبار من نحو

(١) جامع بيان العلم : ٤٤٢ .

(٢) نفس المصدر : ٤٥٦ .

(٣) جامع بيان العلم .

هذا زديئة لم أذكرها » (١)

ويورد أبياتا شعرية ويعقب عليها بقوله : (٢)

« وهى أكثر من هذه الأبيات تركت ذكرها لما فيها من الفخر بالجاهلية » .

وبهذا يتبين لنا أن ابن عبد البر قد طرق مبدأ مهما في كتابة التاريخ ينبغي للمؤرخ أن يضعه نصب عينيه عند كتابة تاريخ أمته في كل عصر من العصور ، « ولكن ليس معنى هذا أن تُغيّر في التاريخ . فالتاريخ مقدس ومن الخيانة أن تلعب به الأهواء » (٣) .

(فيراعى المؤرخ عدم إدانة حروب الصحابة مثلا وغيرها ، وتحاشى الغمزات التى تضر دينه ووطنه)

وبذلك يقدمه لأجيال أمته صورا تبعث القوة وتشجذ الهمة لعلنا نرى بذلك النشء تربية تجعله يحب دينه ، ويحترم الأسلاف ، ويسعد بالتراث ويرتبط به . (٤)

ثالثا : لقد اخبر عند المسلمين :

بدايات النقد عند المسلمين :

قبل أن يُدلف إلى الكلام عن نقد النصوص عند ابن عبد البر فمن المناسب أن يقدم الباحث بين يدي بحثه نبذة سريعة عن مصطلح النقد معناه ، والعوامل التى أدت لنشوئه ، والنطاق الذى يعيط به النقد . ولما كان هذا البحث حول عالم من علماء المسلمين فيقتضى ذلك معرفة مفهوم النقد على أساس نشأته الإسلامية في ظل علم الحديث النبوى لاسيما وأن ابن عبد البر كان يحدث عصره في الأندلس على ما يوصف .

(١) الاستيعاب ١٠ / ١٦٧٩ .

(٢) نفس المصدر ٢ / ٢٦٨ .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى : ١٠ / ٤٦ .

(٤) نفس المصدر ١٠ / ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

المعنى اللغوي لكلمة نقد :^(١)

الأصل في معناها هو (النقر) ، و (الالتقاط) واشتق منها (التميز) و (النظر إلى الشيء) .

فيقال : نقد الطائر الفخ ينقذه بمنقاره : أى ينقُره .

ويقال : نقد الطائر الحبّ : أى التقطه واحداً واحداً .

ويقال : نقدت الدراهم وانتقدتها : أى أخرجت منها الزيف .

ويقال : نقد الرجل الشيء بنظره ، ينقده نقداً .

ونقد إليه : أى اختلس النظر نحوه .

وأما في الاصطلاح^(٢) فالنقد يعنى : « معرفة الصحيح من الزائف » من النصوص الحديثية أو التاريخية والأدبية .

وقد كان مُبْتَنًى هذا المنهج عند المسلمين ونشأته على علم الحديث النبوى ، فكما هو معلوم أنّ الحديث هو المصدر الثانى بعد القرآن فى الشريعة الإسلامية ، لذا استوجب نقله التحرى والتمحيص لما يبنى عليه من أحكام الحلال والحرام .^(٣)

والرواية الحديثية تتكون من ركنين أساسيين :

السند : « وهو سُلْسَلَةُ الرواة الذين نقلوا الحديث »^(٤) . وهو ما يسميه المعاصرون المصدر أو الوثيقة .^(٥)

والمتن : « وهو ما انتهى إليه السند من الكلام »^(٦) وهو ما يسميه المعاصرون المضمون — أى مضمون النص — .^(٧)

(١) انظر لسان العرب : ٦ / ٤٥١٧ حرف النون طبعة دار المعارف ، ١٩٨١ م .

(٢) منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى : د. عثمان موالى : ١٠٤ .

(٣) علم التاريخ عند المسلمين : نقلا عن الإعلان بالتوبيخ للسخاوى : ٤٦٦ .

(٤) معجم المصطلحات الحديثية : د. نور الدين عثر : ٥١ ، ٨٨ .

(٦)(٧) منهج النقد التاريخى الإسلامى : ٧ ، ١٤٥ .

وقد بدأ العلماء المسلمون أعمال منهج النقد مبكراً بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حفاظاً على الأحكام ، وخشية الوقوع في الخطأ في الرواية ، مما يؤدي إلى خطأ في حكم شرعي :

(١)
لذا فأبو بكر وعمر وعلى رضي الله عنهم لم يقبلوا الحديث إلا بشاهد ، خوف الخطأ ، لا خوف الكذب ، لأن الصحابة رضي الله عنهم مبرءون من الكذب ، وإذا وصف بعضهم بعضاً بالكذب فهذا يعني الخطأ في النقل ، ولا يعني اصطناع وضع الحديث على رسول الله عليه الصلاة والسلام . (٢)

(٣)
وقد ازداد التشدد في قبول الرواية بعد استعمار الفتنة التي بدأت بالخروج على

(١) نسخة أبو بكر في السؤال عن إرث الجدة ونصبها فأحابه المغيرة بن شعبة بأنه سمع رسول الله يقول نصيبها السادس فطلب شاهداً على ذلك فشهد له محمد بن سلمة . انظر علوم الحديث : للحاكم : ١٥ .
... نسخة محمد بن الخطيب على أن موثق الأئمة في حديث الأمشاج طلب من يشهد له بذلك . انظر علوم الحديث : ٥٢ .

(٢) علي بن عادي في أمه من الثالث : « والله ما شاكركم على بعض »
وقول البراء : « ما كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه ما سمعناه منه ، ومنه ما حدثنا أصحابنا ونحن لا نكذب » .

انظر (حوث في تاريخ السنة المشرفة) : د. أكرم العمري : ٤٧ وانظر منهج النقد التاريخي .
(٣) ١١٠١ : « ... » ف تحضوا يسألوا عن الإسناد فلما وقعت الفسة قالوا : سموا سارحاً لكم « خلافاً عن المعاصرين المسلمين منهم والمستشرقين .

معول شاخت (SCHACHT) : هي الفتنة التي وقعت زمن الوليد بن يزيد (ت ١٢٦ هـ) ويقول روبسون (ROBSON) : هي فتنة ابن الزبير وقعت في حدود (٧٢ هـ) انظر : « بحوث في تاريخ السنة » : ٤٦ ، ٤٩ . وقد ذهب د. عثمان موانى إلى أنها حرب على ومعاوية : انظر « منهج النقد التاريخي » : ٣٤ .

ذهب د. شار عواد : إلى أن الفتنة تعمل على فشو الكذب ولا تحمل على فتنة بعينها
انظر : مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين : مقالة في مجلة الأقلام ، السنة الأولى : ٢٠٣ . العدد الخامس .

وأصالة البحث التاريخي عند العرب : مجموعة نوثر المؤتمر التاريخي العالمي (١٩٧٣ م) : ٨٩٨ — ٨٩٩ .

وبد ناقش د. أكرم العمري : شاخت وروبسون . ورجع كون الفتنة هي الخروج على عثمان .
وأما ما ذهب إليه الدكتور شار ، فيتحقق بما ذهب إليه الدكتور أكرم ، لأن فتنة عثمان هي أولى الفتن فهي مظهر فشو الكذب ، وقد وقع من قبل السبائير الكذب على لسان الصحابة . وبعض أهل الكوفة في اتهامهم للمولاه بما يدل على ذلك .

سيدنا عثمان رضى الله عنه وماتلاها من إحن ومحن كانت بداية الصدع في المجتمع الإسلامي وما ظهر بعد ذلك من الصراعات السياسية المتعارضة والآراء المتعصبة المتدافعة مما أدى إلى تجرؤ بعض من أسلم بعد الصدر الأول على وضع الحديث لتأييد آرائهم السياسية لأنهم لم يتذوقوا حقيقة التربية الإيمانية التي كانت تردع من ذاقها من صحابة رسول الله عن التردى إلى مهاوى الكذب^(١) على رسول مع شدة الخلاف في الرأي السياسي الذي استحكم لعوامل متعددة ليس مكان دراستها هنا .

والذي يدل على اهتمام التابعين منذ أوائل القرن الثاني الهجري بالإسناد ما روى عنهم من شدة التزامهم فقد شبهه الزهري (ت ١٢٤ هـ) وشعبة (ت ١٦٠ هـ) بخطام البعير — بقوده — وجعله عبد الله بن المبارك من الدين فقال : « الإسناد من الدين ولولا^(٢) الإسناد لقال من شاء ما شاء » وقال ابن سيرين : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وذلك لكون الحديث مدار استنباط الأحكام الشرعية .

ثم إن التزام الإسناد كان باعثاً على الراحة ، والطمأنينة ، والثقة بما يروى من جانب الراوى أولاً ، لا ستشعاره بأن المسؤولية لا تقع على عاتقه فقط وإنما يشاركه شيوخه وشيوخهم إلى الصحابة .^(٥)

ومن جانب السامع ثانياً : لأنه يجد أمامه سلسلة الرواة المرضيين كلهم يشهد بالسمع عمن قبله حتى يصل إلى الصحابي فالرسول عليه الصلاة والسلام .

== ثم إن كلمة فتنة إذا أطلقت فأول ما يتبادر إلى الذهن هي فتنة قتل عثمان لأنها كانت مقدمة لفتنة على ومعاوية بعد ذلك .

انظر : « فواتح الرحموت في شرح مسلم الفوت » في أصول العقه : لابن عبد الشكور بهامش المستصفى للغزالي : ١٥٥ ، ط ١ ، الأميرة ببؤلاق : ١٣٢٤ هـ .

(١) انظر التقييد والإيضاح للعراق : ٣٠١ .

(٢) بعوث في تاريخ السنة المشرقة نقلاً عن مخطوط الكامل لابن عدى : ٤٨ ، ٥٢ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي : ١ / ٨٧ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٣٤ .

(٤) صحيح مسلم شرح النووي ١

(٥) انظر « بعوث في تاريخ السنة المشرقة » : ٥٣ .

ونتيجة التأكيد على الإسناد والاهتمام به فقد التزمت به كتب الحديث التي دُوِّنت منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري وسميت (بالمسانيد) مثل مسند معمر بن راشد (ت ١٥٢ هـ) ومسند الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ) والتي كانت الذخيرة التي اعتمد عليها التدوين في القرن الثالث الهجري ومورداً مُهماً للكتب الستة المشهورة عند المحدثين والتي كان الالتزام الدقيق بالإسناد من أهم سماتها .

منهج النقد عند المسلمين :

إنَّ نقد الخبر عند علماء المسلمين قد تناول شقين السند والمتن ، لأهمها ركنا الرواية عند المسلمين .

نقد السند :

وبما أن السند هو سلسلة رواة الخبر لذلك قد انصب النقد على الرواة ، وذلك بمعرفة أحوالهم معرفة تُعين على الحكم على صحة نقلهم للخبر الذي يروون . وقد أورد الباحث في الصفحات السابقة أقوال العلماء في أهمية السند في معرفة صحة الخبر من خلال اتصال النقل إلى راوي الحادثة أو الخبر .

وانصب التحقيق على أهلية الراوي لقبول روايته على صفتين الواجب توفرهما فيه وهما : العدالة والضبط .

أ - العدالة :

أما العدالة فقد عرفها العلماء بأنها :

« مَلَكَةٌ تَحْمِلُ صَاحِبَهَا عَلَى التَّقْوَى وَاجْتِنَابِ الْأَدْنَامِ وَمَا يُعْلِي نَأْمُرَهُ عَنِ النَّاسِ »^(١)

(١) انظر نفس المصدر : ٥٤ .

(٢) معجم المصطلحات الحديثية : ٦٤ والمروءة هي آداب بحسبها والاحتذاء بالسلف والافتداء بهم ، ويرجع معرفتها إلى العرف والعادة فلا معنى لغير ذلك .
والمنهج الإسلامي في الجرح والتعديل : ١٥٣ وانظر المستقصى لغيره ١٥٢٢ كل حامل علم معروف العناية فهو عدلٌ محمّلٌ في أمره أبدأً على العدالة حتى يثبت له غيره من صفات العلم من كل خلف عدوله « مقدمة ابن الصلاح : ٩٥ .

وهناك عوامل تؤثر في العدالة مما يترتب عليها جرح الراوى وردّ روايته ، ويمكن حصرها في ثلاثة عوامل : الكذب ، والسفه ، والابتداع .

١ — الكذب : في اللغة هو الإخبار بالشئ بخلاف ما هو عليه ويطلق على الخبر المخالف لما أخبر عنه ماضياً أو مستقبلاً .^(١)

(٢)

وفي اصطلاح المحدثين : « أن يفتري أحد على رسول الله ﷺ قولاً أو فعلاً . »

وهو من أقوى الأسباب الباعثة على جرح الراوى لأن الكذب من أكبر الكبائر . ولا تقبل رواية الكاذب عند المحدثين ولو تاب عن ذلك وتقبل روايته عند المؤرخين وأهل الأدب إذا تاب عن كذبه .^(٣)

٢ — السفه : يرى كثير من العلماء أن السفه يسقط العدالة ، ويخرم المروءة ويوجب رد الرواية .

ولكن هناك اتفاق على معنى للسفه وخوارم المروءة . فتعددت أنواعه تبعاً لذلك فقليل هو عدم التزام أدب الحديث والفحش فيه . أو الإتيان ببعض الأفعال غير اللائقة عرفاً كالتبول في الطريق ، أو الركض وراء الدابة أو كثرة المزاح الخل والمسقط للهيبة . أو سب السلف .^(٤)

(٥)

ويرى الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) وجوب نظر العالم في سلوك من أوغل في المباحات وخرج عن الحد الشرعي ، أو جاء ببعض الأمور المخلّة باللياقة ، فإن كان ذلك من طبعه وعادته ، واعترف الراوى بخطئه في ذلك ، ولم يُعرف عنه الكذب في الخبر والشهادة وجب التساهل معه في قبول الرواية . ولكن إن كان غير ذلك فوجب ترك العمل بخبره وردّ شهادته .

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات ٢٠ / ٢ / ١٢٢ .

(٢) منهج الإسلامى في الجرح والتعديل : ٢٧٠ .

(٣) انظر الكفاية في علم الرواية : ١٩٠ .

وانظر الباعث الحثيث : الهامش : ١٠١ — ١٠٢ .

(٤) انظر الكفاية في علم الرواية : ١٨٢ — ١٨٦ والمستصفي : ١ / ١٥٧ وانظر : منهج النقد التاريخي :

١٢٥ — ١٢٦ .

(٥) الكفاية في علم الرواية : ١٨٢ — ١٨٣ والمستصفي : ١ / ١٥٧ .

وحسما للاختلاف النسبي في بعض الصفات الجارحة وضع العلماء قاعدة ذهبية وهي : (لا يُقبل الجرح إلا مُفسراً)^(١) تحقيقاً للإنصاف .

٣ - أهل الأهواء والبدع :^(٢)

يرى بعض العلماء عدم صحة رواية أهل الأهواء والمذاهب المبتدعة كالأخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم . بل منع هذا الفريق الرواية عنهم مطلقاً لأن بدعتهم فسق غير متأول على أقل تقدير ، فردت روايتهم لأن الفسق يُسقط العدالة .^(٣)

وقد ذهب فريق آخر إلى التفصيل ، فقالوا بقبول رواية المبتدع ، ولكن بشروط وذلك : بأن لا يكون داعياً إلى بدعته ، وأن يُعلم عنه أنه لا يستحل الكذب . واعتذر له بأنه فاسق متأول ، فلا يُقطع بفسقه . ذهب إلى ذلك الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) .^(٤)

وذهب أحمد محمد شاكر : إلى أن « العبرة في الرواية بصدق الراوي وأمانته وثقته بدينه وخلقه . والمتبع لأحوال الرواة يرى كثيراً من أهل البدع موضعاً للثقة والاطمئنان » .^(٥)

وفرق الذهبي بين البدعة ، الصغيرة : كالتشيع بلا غلو ولا تعصب ، وإنما تأييد على رضى الله عنه في موقفه . والتحامل على معاوية وطلحة والزبير .

(١) منهج النقد التاريخي : ١٢٦ .

(٢) وأهل البدع نسبة إلى البدعة : وهي نقص في الدين ، أو زيادة ، أو إيراد قول لم يستن قائله أو فاعله فيه بصاحب الشريعة .

(٣) انظر « الكفاية في علم الرواية » : ١٩٤ . وانظر « بحوث في تاريخ السنة » : ٨٧ وانظر : المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل : ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ .

وانظر المستصفى : ١٦٠ . منهج النقد التاريخي : ١٣٢ - ١٣٤ .

(٤) الباعث الخبيث : ١٠٠ .

(٥) انظر الباعث الخبيث الملامش : ١٠١ وانظر فواتح الرحموت ملامش المستصفى : ٢ / ١٤١ . والتحامل هنا لا يعنى القذف والافتراء وذكر مالا يلقى من الأوصاف والألفاظ . وإنما يعنى إبداء الرأى في سياسة معينة أو حدث ما . مع الأخذ بنظر الاعتبار للمؤثرات التي دفعت إلى قول ذلك كاشتداد الحماسية في الخلاف أو العصب الشديداً الذي يدعو إلى تغلّت بعض العبارات .

والبدعة الكبيرة : هي تكفير أى بكر وعمر والدعاء إلى ذلك . وقد صَنَّف الخطيب البغدادي (باباً في جواز النقل عن المبتدعة وأهل الأهواء)^(١) ، وذكر نقولاً كثيرة عن مشاهير المُحدِّثين . وبهذه الشروط التي ذكرها العلماء تتجلى الحيدة العلمية والموضوعية عندهم .

ب — الضبط :

ومعناه : « مراجعة ما حفظ الراوى وفهمه فهماً دقيقاً سواء أكان مصدره في ذلك الصدر أو الكتاب »^(٢) .

أو هو « حفظ الحديث في الصدر إلى وقت روايته أو حفظه كتابة مع صيانة الكتاب عن أى تبديل أو تغيير منه »^(٣) .

وهناك عوامل تُمسُّ ضبط الراوى ويترتب عليها جرحه وإضعاف روايته . وهذه العوامل هي :

الغفلة والشذوذ ، وكثرة الوهم والغلط والاختلاط والتغيير .

١ — الغفلة : « وهى القابلية لتصديق كل شىء دون فهم أو فطنة أو تحر أو نقد له »^(٤) .

وصورها الخطيب بقوله : « بأن يكون في كتابه — الراوى — غلط فيقال له في ذلك فيترك ما فى كتابه ، ويُحدِّث بما قالوا . ويُغيره فى كتابه بقولهم ، ولا يعقل فرق ما بين ذلك . أو يُصحِّف تصحيفاً فاحشاً يقلبُ المعنى . لا يعقل ذلك فيكف عنه » .

(١) انظر الكفاية : ٢٠٢ — ٢١٠ .

(٢) منهج النقد التاريخي : ٦٥ وانظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ١٩٨ .

(٣) معجم المصطلحات الحديثية : ٦٠ .

(٤) التقييد والإيضاح : ١٣٦ وانظر منهج النقد التاريخي : ١٣٥ .

(٥) الكفاية فى علم الرواية : ٢٣٣ .

وعلى كل حال فإن هذه الملاحظة النقدية التي اشترطها السلف في الرواية والراوى ، ليست غريبة على المنهج النقدى المعاصر الذى يشترط فى الباحث « أن يكون فطناً ، حتى يقف دون عناء كبير على التفاصيل الهامة أو الظروف الأساسية التى تؤثر تأثيراً فعالاً فى الظاهرة التى يلاحظها » .^(١)

وبذلك يسبقُ المنهج الإسلامى فى النقد المناهج الحديثة فى اشتراط تحرر المؤرخ من السذاجة والتصديق الأعمى لكل ما يقال ، مما يدل على ضيق الأفق والقصور فى التفكير » .^(٢)

٢ — الشذوذ :

ويعنى الشذوذ : مخالفة الراوى رواية الثقات ، وقد يرد ذلك إلى سوء حفظه نتيجة لضعف ذاكرته ، أو ولوع الراوى بالشاذ والمنكر من الأخبار »^(٣)

وقال الشافعى :^(٤) « ليس الشاذ من الحديث أن يروى الثقة حديثاً لم يروه غيره ، إنما الشاذ من الحديث أن يروى الثقات حديثاً فيشذ عنهم واحد فيخالفهم » .^(٥)

وقال العراقى (ت ٨٠٦ هـ) : « إذا انفرد الراوى بشيء نظر فيه فإن كان ما انفرد به مخالفاً لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط ، كان كل ما انفرد به شاذاً مردوداً وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره . وإنما هو أمر رواه هو ولم يروه غيره ، فيُنظر فى هذا الراوى المنفرد فإن كان عدلاً حافظاً موثقاً بإتقانه وضبطه قبل ما انفرد به ولم يقدح الانفراد فيه ، وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه وإتقانه لذلك الذى انفرد به كان انفرده خارماً له مُزحزحاً له عن حيز الصحيح . »

وقد أورد الخطيب البغدادى نقولاً عن العلماء المشاهير ، وأقواهم فى الحديث الشاذ .^(٦)

(١) | المنطق ومناهج البحث : د. محمود قاسم : ١٠٥ — ١٠٦ ط ٢ .

(٢) | منهج النقد التاريخى : ١٣٦ .

(٣) | انظر الكفاية : ٢٢٤ وانظر التقييد والإيضاح : ١٠١ .

(٤) | الكفاية : ٢٢٣ .

(٥) | التقييد والإيضاح : ١٠٤ .

٣ — كثرة الوهم والغلط :

إن كثرة الوهم والغلط من العوامل التي تمس الراوى ، وتؤدى إلى جرحه . ومن ثم رد روايته ، ويثبت ذلك بكثرة غلط الراوى لا بقليل الغلط .

لذلك يقول عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ) : « لا يترك حديث رجل . إلا رجلاً مُتَّهِماً بالكذب ، أو رجلاً الغالب عليه الغلط . »^(١)

ويقول كذلك : الناس ثلاثة : رجل حافظ متقن فهذا لا يختلف فيه ، وآخر يهتم والغالب على حديثه الصحة فهذا لا يترك حديثه ، وآخر يهتم والغالب على حديثه الوهم فهذا يترك حديثه^(٢) .

ثم إن الغلط والوهم حالة حسية ظاهرية قد تقع لأى إنسان ولا يسلم أحد من الغلط والوهم . ولكن فرق العلماء بين الذى يقع منه الغلط فيعترف به ويصححه ، وبين من يرفض تصحيح الغلط . فاعترفوا برواية الأول وقبلوها وجرحوا الثانى وردوا روايته^(٣) .

يقول الخطيب البغدادي : « وليس يكفيه فى الرجوع أن يُمسك عن رواية ذلك الحديث — أى الذى وقع فيه الغلط والوهم — فى المستقبل فحسب ، بل يجب عليه أن يظهر للناس أنه كان قد أخطأ فيه وقد رجع عنه » .^(٤)

٤ — الاختلاط والتغيير :

والصفة الرابعة التي يترتب عليها جرح الراوى والطعن فى روايته هى اختلاطه أو ذهاب عقله .

(١) نفس المصدر : ٢٢٧ .

(٢) انظر منهج النقد التاريخي : ١٣٨ .

(٤) الكفاية فى علم الرواية : ٢٢٩ وانظر التقييد والإيضاح : ١٥٥ وانظر الباعث الحثيث : ١٠٢ .

والمختلط هو : « الراوى الذى اختل حفظه فى آخر عمره يقبل حديثه إذا كان ثقة وعلم أنه حدث به قبل أن يختلط »^(١)

وسبب الاختلاط « إمالخوف أو ضرر أو مرض أو عرض كعبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤ هـ) لما ذهبت كتبه اختلط فى عقله . »

وقد أفاض العراقى فى ذكر أسماء من اختلط وتغير فى آخر عمره ، والسبب فى ذلك . والمدة التى تغير فيها^(٢) ، ثم إنه ناقش ابن الصلاح لذكره بعض العلماء فيمن خلط وهم ليسوا كذلك مثل أبى بكر بن مالك القطيعى^(٣) .

والحكم فيهم كما بينه ابن الصلاح : « أنه يُقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط . ولا يقبل حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط ، أو أشكل أمره ، فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده »^(٤)

مفهوم نقد السند بين المسلمين والأوربيين :

يتبين أن نقد العدالة والضبط يقابلهما فى الاصطلاح عند نقاد التاريخ الأوربي المعاصر نقد الأمانة والدقة .

فنقد الأمانة « هدفه معرفة ما إذا كان مؤلف الوثيقة لم يكذب ، ونقد الدقة هدفه معرفة ما إذا كان لم يخطئ » — أى الناقل للخبر —^(٥)

وقد فرّق علماؤنا المسلمون كذلك بين المصطلحين كما مرّ فاعتبروا الكذب إخلالاً بالعدالة ، والغلط اعتبروه إخلالاً بالضبط .

وهناك فرق فى مفهوم الأمانة عند المؤرخين الأوربيين وبين مفهوم العدالة عند

(١) معجم المصطلحات الحديثية : ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) الباعث الحديث : ٢٤٤ .

(٣) انظر التقييد والإيضاح : ٤٤٢ — ٤٦٥ .

(٤) انظر التقييد والإيضاح : ٥٦٤ .

(٥) التقييد والإيضاح : ٤٤٢ .

(٦) النقد التاريخي : لأنجلوا وسينوبوس : ترجمة د. عبد الرحمن بدوى : ١٤٠ — ١٤١ .

العلماء المسلمين ، إذ هي عند المسلمين أوسع مدلولاً وأشمل ، حيث أن الأمانة عند الأوربيين وجدانية بحتة لا ينظر فيها إلى سلوك المؤرخ الاجتماعي ، ولعل ذلك عائد لمفهوم الحرية الشخصية عندهم ، بينما عند علمائنا المسلمين العدالة تشمل الجانب الوجداني وهو ما أطلق عليه بالورع والصلاح والتدين من جانب . والسلوك الاجتماعي من جانب آخر وهو ما عُرف بالمروءة وذلك لأن الإسلام يربط بين الوجدان والسلوك ويوحد بينهما في الشخصية .^(١)

ونجد أن هناك تشابهاً بين نقد الضبط عند المسلمين ونقد الدقة عند الأوربيين . ولقد أجمال لانجلوا وسينوبوس^(٢) دوافع الخطأ كالاتي :^(٣)

١ — أن يكون المؤلف في موضع يسمح له بملاحظة الواقعة وأنه يُخيل إليه أنه لاحظها فعلاً لكن منعه من ذلك دافع باطن لم يكن على شعور به : هلوسة أو وهم .

٢ — أن يكون المؤلف في موضع لا يسمح له بالملاحظة في شرائط الملاحظة الصحيحة أن يكون الملاحظ في وضع يسمح له أن يرى بدقة ويجب أن يسجل مشاهدته فوراً .

٣ — أن يؤكد المؤلف وقائع كان في استطاعته أن يلاحظها لكنه لم يكلف نفسه بسبب كسل أو إهمال ، فأعطى معلومات كاذبة زائفة .

بذلك نرى أن المنهج الإسلامي قد كشف عن العوامل التي توصل إليها الأوربيون بعد ذلك .

(١) انظر منهج النقد التاريخي : ١٤٢ .

(٢) هو شارل فكتور لانجلوا (١٨٦٣ — ١٩٢٩ م) مؤرخ فرنسي اهتم بالتأليف في النقد التاريخي وعنى بالأدب الفرنسي بالعصر الوسيط :

انظر تصدير كتاب النقد التاريخي : ترجمة د. عبد الرحمن بدوي : ١١ .

(٣) هو شارل سينوبوس (١٨٥٤ — ١٩٤٢ م) كان أستاذاً حراً بالسوربون اهتم بالمنهج التاريخي وله كتب أخرى غير الذي اشترك به مع لانجلوا انظر المصدر السابق : ١٢ .

(٤) انظر النقد التاريخي : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

فالدافع الأول الذى قرره لانجلوا وسينووبوس هو ماعبر عنه علماؤنا بالوهم والاختلاط ، والدافعين الثانى والثالث عبر عنه علماؤنا بالغفلة والتساهل فى الأداء^(١) نقد المتن :

وأما نقد المتن فإنه يمر بثلاث مراحل للوصول إلى نص صحيح من ناحية الشكل والمضمون .

فالمرحلة الأولى : التصحيح من التصحيف^(٢)

وتتم بتصحيح المتن من الأخطاء والتصحيقات التى توقع فى اللبس عند محاولة فهم النص .

والوقوع فى الخطأ والتصحيف سببه خطأ فى سماع النص من الشيخ ، أو خطأ فى النقل من مصدر مكتوب . وقد أطلق العلماء المسلمون على الأول تصحيف السماع وعلى الثانى تصحيف البصر^(٣) .

وتصحيف السماع سببه ضعف فى سمع الراوى أو بعده عن الشيخ فى حلقة الدرس .

ومن تصحيف السماع حديث روى عن معاوية بن أنى سفيان قال : لعن رسول الله ﷺ الذين يُشققون الخطب تشقيق الشعر . صحفه وكيع بن الجراح فقال : (الخطب) بالحاء المهملة المفتوحة بدل الحاء المعجمة المضمومة^(٤) .

ومثاله كذلك تصحيف اسم (عاصم الأحول) رواه بعضهم (عاصم الأحذب) وهذا بما لا يشتبه فى الكتابة وإنما أخطأ فيه سَمْعٌ من رواه^(٥) .

(١) انظر منهج النقد التاريخى : د. عثمان موالى : ١٤٣ .

(٢) والمصحف من الحديث : هو الذى تحول فيه كلمة من اللفظ المعروفة إلى غيرها .

انظر معجم المصطلحات الحديثية : ٩٩ .

(٣) انظر منهج النقد التاريخى : ١٤٧ وانظر التقيد والإيضاح : ٢٨٤ .

(٤) التقيد والإيضاح : ٢٨٤ والباعث الخيىث : الهامش : ١٧٢ .

(٥) نفس المصدر وانظر الباعث الخيىث : الهامش : ١٧٣ .

وأما تصحيح البصر : فهو أن ينقل المُحدث ، أو المؤرخ عن مصدر فيخطيء
في نقله ، مما يؤدي إلى تغيير في المعنى .

ومثاله : التصحيح في متن رواه بن لهيعة عن كتاب موسى بن عقبة « أن رسول
الله ﷺ (احتجم في المسجد) وإنما هو بالراء (احتجر في المسجد) أى اتخذ
حجرة من خوص أو حصير يصلى فيها فصحفه ابن لهيعة لكونه أخذه من كتاب بغير
سماء» .^(١)

ولقد مارس العلماء المسلمون تصحيح الأخطاء في السند والمتن ممارسة فعلية منذ
القرون الثلاثة الأولى ، ومن مارسه الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)
والبخارى (ت ٢٥٦ هـ) ومسلم (ت ٢٦١ هـ) وأبو زرعة الرازى^(٢) (ت
٢٦٤ هـ) .

وقد تأخر التأليف إلى أواخر القرن الثالث وأول خطوة في ذلك هي (كتاب
التصحيح والتحريف وشرح ما يقع فيه) لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري
(ت ٢٨٣ هـ) ثم ألف بعد ذلك على بن عمر الدارقطنى (ت ٣٨٥ هـ) كتابا^(٣)
فيه .

المرحلة الثانية : شرح الغريب :

ولم يكتف العلماء المسلمون بتصحيح النص من الناحية اللفظية واللغوية وإنما
انتقلوا إلى خطوة أخرى مهمة لاستكمال إيضاح مقصود النص وذلك بشرح
الألفاظ الغريبة التي وردت في النص وقد أطلق عليه العلماء المسلمون شرح
الغريب .

ومن ذلك أن الأصمعي سئل عن قول رسول الله ﷺ (الجار أحق بسقبه) .

(١) التقييد والإيضاح ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) انظر منهج النقد التاريخي : ١٤٨ .

(٣) انظر الباعث الحديث : الهامش : ١٧١ وانظر التقييد والإيضاح : ٢٨٢ — ٢٨٣ .

فقال : أنا لا أفسر حديث رسول الله ﷺ ولكن العرب تزعم أن السقب : اللزيق^(١) .

وكان من أوائل من ألف في (شرح الغريب) :

النضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨ هـ) وعبد الله ابن قريب الأصمعي (ت ٢١٣ هـ)^(٢) .

المرحلة الثالثة : معرفة المتن الصحيح من الضعيف

لم يكتف المسلمون بتصحيح المتن وتفسيره بإزالة الغموض الذي يعتوره وإنما تعدوا إلى نقده لتمييز الصحيح من الزائف .

ولذلك فإن العلماء المسلمين لم يشترطوا التلازم بين صحة السند وصحة المتن فلربما يصح الإسناد لكون رواته ثقات ولا يصح المتن . والعكس كذلك ، فربما يكون المتن صحيحاً والإسناد غير صحيح فلا تلازم بينهما وهذا الذي عليه المحدثون^(٣) .

وقد قسم الشيخ طاهر الجزائري في كتابه المخطوط (توجيه النظر) مواقف علماء الحديث من هذه القضية إلى ثلاث فرق :^(٤)

الفرقة الأولى : جعلت همها النظر في الإسناد فإن وجدت متصلاً ليس في اتصاله شبهة ووجدت رجاله ممن يوثق بهم ، حكمت بصحة الحديث قبل إمعان النظر فيه . حتى أن بعضهم يحكم بصحته ولو خالف حديثاً آخر ، رواته أرجح . ويقول : كل ذلك صحيح ، وهذا أصح . وأحياناً يكون الجمع بينهما غير ممكن .

والفرقة الثانية : جعلت همها النظر في نفس الحديث فإن راقها أمره حكمت بصحته وأسندته إلى النبي ﷺ ، وإن كان في إسناده مقال ، مع أن في كثير من

(١) انظر الباعث الخفي : الهامش ١٦٧ - ١٦٨ وانظر التقييد والإيضاح : ٢٧٤ - ٢٧٥ وشرح الغريب : هو شرح ما وقع في متون الحديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها . معجم المصطلحات الحديثية : ٦٩ .

(٢) انظر المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل : ٣٤٥ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٣٤٦ .

الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة ما هو صحيح المعنى فصحيح المبنى غير أنه لم تصح نسبته للنبي ﷺ . وقد قال بعض الوضّاعين : لأبأس إذا كان الكلام حسناً أن تضع له إسناداً .

والفرقة الثالثة : جعلت همّها البحث عما صحّ من الحديث لتأخذ به فأعطت المسألة حقها من النظر فبحثت في الإسناد والمتن معاً بحثاً مؤثراً للحق . فلم تنسب إلى الرواة الوهم والخطأ ونحو ذلك ، بمجرد كون المتن يدلّ على خلاف رأى لها مبنى على الظن ، ولم تعتقد فيهم أنهم معصومون عن الخطأ والنسيان . وهذه الفرقة هي أوسط الفرق وأمثلها وأعدلها وتتناول بحث المتن بكل دقة وإمعان . كما هو شأن البحث في الإسناد . واستطاعوا من خلال النظر في المتن أن يحكموا على الحديث بالوضع وذلك في أحوال محددة مخصوصة ولو كان سنده صحيحاً .

وهذه الفرقة الثالثة هي جمهور أهل الحديث والأصول ، الذين اعتمد المسلمون كتبهم ، وأما الفرقتان الأوليان فلا يُحتج بهما .^(١)

وقد عالج ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) قضية المتن عن طريق سؤال وجّه إليه يقول :^(٢)

« هل يمكن معرفة الحديث بضابط من غير أن ينظر في سنده ؟ »

وقبل الإجابة قدم مقدمة بين فيها حال من يتصدى لبيان مثل هذه المسألة لكيلا يقول من شاء ما شاء في حديث رسول الله ﷺ . قال :^(٣)

« فهذا سؤال عظيم القدر وإنما يعلم ذلك من تضرّع في معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويُخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ، ويكرهه ، ويشعره للأمة بحيث كأنه يخاطب للرسول كواحد من أصحابه » .

(١) انظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٣٤٧ .

(٢) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : ٤٣ — ٤٤ .

وقد وضع العلماء المسلمون قواعد كلية لنقد المتن ويعمل بها في الحديث في نطاق محدد أما في غيره فبإطلاق وهي كما يلي :^(١)

١ — أن يكون فيه مخالفة صريحة للقرآن : فإن وافقه قبل وإن خالفه طرح ورُدَّ ، إن لم يقبل التأويل ليتسق مع القرآن .

من ذلك حديث في مقدار عمر الدنيا « وأنها سبعة آلاف سنة ونحن في الألف السابعة » .

فإنه يخالف نصوصاً كثيرة من القرآن في شأن قيام الساعة واستئثار الله بعلمها ووردت السنة كذلك بخلاف هذا .

٢ — مناقضة الحديث لما جاءت به السنة المتواترة : فإن وافقها قبل واعتبر صحيحاً ، وإن خالفها رُدَّ وطُرح ، ونزل عن مرتبة الصحيح هذا إذا لم يمكن الجمع بوجه من الوجوه وإلا فلا .

ولعل مبتنى هاتين القاعدتين على حديثه عليه السلام الذي نقله الخطيب البغدادي :^(٢)

« سيأتيكم عنى أحاديث مختلفة فما جاءكم موافقا لكتاب الله وسُنَّتِي فهو منى وما جاءكم مخالفاً لكتاب الله تعالى وسُنَّتِي فليس منى . »

٣ — أن يناقض الإجماع : « فإن وُجد ما يوافقه قبل واعتبر صحيحاً وإن خالفه رُدَّ ونزل عن مرتبة الصحيح ، لأن الإجماع في حكم التواتر . من ذلك « أن يدعى أن النبي ﷺ فعل أمراً ظاهراً بمحض من الصحابة كلهم وأنهم اتفقوا على كتمانهم ولم ينقلوه »^(٣) ، كالتنص على وصاية علي رضي الله عنه وخلافته . لأن الأمة أجمعت أنه

(١) انظر المنار المنيف : ٤٣ — ١٠٦ والمستقصى : ١ / ١٤٠ — ١٤٥

والكفاية في علم الرواية : ٦٠٢ — ٦٠٥ منهج النقد التاريخي : ١٥١

وانظر المنهج الإسلامي : ٢٧٦ — ٢٧٨ ، ٣٤٩ — ٣٥٢ — ٣٥٤ .

(٢) الكفاية في علم الرواية : ٦٠٣ .

(٣) المنار المنيف : ٥٧ .

ﷺ لم ينصّ على تولية أحد بعده .

٤ — العقل : وإذا لم يوجد الخبر أصلاً في الكتاب أو السنة ، أو الإجماع ، فيلجأ إلى العقل ويُعرض عليه الخبر مضموناً ومتناً ، فإن وافق صريح العقل قبل واعتبر صحيحاً وإن خالفه رُفض وردّ^(١) . ومن أمثلة ذلك يقول ابن الجوزي : (ت ٥٩٧ هـ) : (٢)

« ألا ترى أنه لو اجتمع خلق من الثقات فأخبروا أن الجمل قد دخل في سمّ الخياط ، لما نفعتنا ثقتهم ، ولا أثرت في خبرهم لأنهم أخبروا بمستحيل فلا حديث رأيت يُخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع فلا تتكلف اعتباره »

٥ — تعارض المتن مع حقائق التاريخ والأوضاع الاجتماعية المقررة التي أُجمع عليها المسلمون . فيستدل بذلك على أن الحديث إما منسوخ أو لا أصل له ، مثل ادعاء بعض أهل الكتاب : أن النبي ﷺ وضع عنهم الجزية بشهادة سعد بن معاذ ، ومعاوية بن أبي سفيان مع أن الجزية لم تكن مفروضة عام خيبر وإنما أنزلت آية الجزية عام تبوك وسعد بن معاذ قد توفي في الخندق ومعاوية أسلم عام الفتح^(٤) .

ومن ذلك ما نُسب إلى أنس بن مالك أنه دخل الحمام على رسول الله ﷺ مع أن الحمامات لم تكن معروفة على عهد النبي ﷺ .^(٥)

مما تقدم يتبين لنا أن العلماء المسلمين برعوا في نقد المتن كما برعوا في نقد السند .

حلافاً لما ادّعاه المستشرقون أمثال كايثاني (CEAITANIE) في كتابه (حوليات الإسلام) . وتبعه جولد زيهر (GOLD ZEHR) ويوسف

(١) انظر مدح العهد النبوي : ١٥٢ .

(٢) انبساط : ١٠ / ١٠٦ .

(٣) انظر المدح الإسلامي في الجرح والتعديل : ٣٥٠ .

(٤) انظر انساب النبوة : ١٠٢ — ١٠٣ .

(٥) انظر المدح الإسلامي في الجرح والتعديل : ٣٥١ .

شاخت ويونيپول^(١) وقد لخص جليوم (GUILLAUME) آراء المستشرقين في هذه القضية في كتابة (الحديث النبوى) (THE TRADITION OF ISLAM) (THE CRITICISM OF HADITH) فقال ما ترجمته :^(٢)

« إنَّ نقدهم — أى المسلمين — لم يكن مُنصباً على المضمون وإنما على سلسلة الرواة أى الإسناد . » ثم عاد فقال :

« وعلى كل حال فإنهم لم ينقدوا الحديث من مضمونه أى على أساس موافقته لصريح العقل ، حيث يمكن تصديقه ، وإنما على أساس ازدياد شهرة رواية الحديث . »

وكان من أوائل من تصدى للرد على هذه الآراء ، الأستاذ أمين الخولى فى تعليقه على مادة أصول بدائرة المعارف الإسلامية .^(٣)

والدكتور مصطفى السباعى فى كتابه القيم : (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى) .^(٤)

والشيخ سيد أحمد رمضان المُسَيِّر فى بحثه : (دفع شبهات عن الحديث والمحدثين أثارها صاحب فجر الإسلام وضحاها) .^(٥)

والدكتور عثمان موافى فى رسالته للدكتوراه : (منهج النقد التاريخ الإسلامى والمنهج الأوربى) .^(٦)

والدكتور فاروق حماده فى كتابه : (المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل) .^(٧)

(١) انظر منهج النقد التاريخى ١٤٥

(٢) نفس المصدر : ١٤٦ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية المترجمة : مادة أصول .

(٤) عميد كلية الشريعة بدمشق سابقا والكتاب رسالة دكتوراة فى أصول الدين بالأزهر طبع ، الطبعة الأولى ١٩٦١ بالقاهرة .

(٥) أستاذ التفسير والحديث بكلية أصول الدين بالأزهر ورئيس قسم الدعوة سابقا ، طبع البحث بالقاهرة سنة ١٩٧٥ م ، طبع ثانية .

(٦) أستاذ النقد العربى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية والبحث رسالة دكتوراة نوقشت فى ١٩٦٦ م وطبع الكتاب ١٩٧٦ م ط ٢ .

(٧) الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس المغرب ، والكتاب رسالة ماجستير إشراف د. على عبد الواحد وافي ، نوقشت سنة ١٩٧٥ م .

مفهوم نقد المتن بين المسلمين والأوربيين :

عُلم مما سبق أنّ المتن يقابله عند الأوربيين مصطلح المضمون ، وقد اهتموا بنقده وجعلوا الخطوة الأولى لنقد المضمون تصحيح النص من الأغلاط والتحريفات التي تطرأ عليه وقد أرجعوا أسباب التحريف إلى الإساءة في السماع حين يكتبون إملاءً أو يعود للتحريف والغلط الموجود في الأصل فينقله المؤرخ كما هو من المصدر .^(١)

ولقد عبّر لانجلوا وسينوبوس عن ذلك بالقول التالي :^(٢)

والتحريفات التي تطرأ على الأصل في نسخة منقولة ، وهي التي تسمى باسم (اختلافات النقل) ، سببها إما التزييف أو الغلط ، فبعض النساخ يحدثون عن عمد تعديلات أو يحدفون مواضع في الأصل . وكلُّ النساخ تقريباً ارتكبوا أغلاطاً في النقل ، مرجعها إلى الإدراك أو قد تحدث عَرَضاً . فالأغلاط الراجعة إلى الإدراك تقع حينما يكونون أنصاف متعلمين ، أو أنصاف أذكفاء ، فيخيل إليهم أنّ ثمت أغلاطاً في الأصل فيصححونها ، لأنهم لم يفهموها . والأغلاط العَرَضية تحدث حينما يسهُون في قراءة الأصل أو لا يعرفون أن يقرأوه ، أو حينما يسيئون السماع وهم يكتبون إملاءً ، أو حينما يرتكبون عن غير قصد سقطات قلمية .

وهذا الذي ذهب إليه الأوربيون قد مارسه المسلمون فيما أسموه معرفة المصحف .^(٣)

والخطوة الثانية في نقد المضمون عند الأوربيين هي : تفسير النص وذلك بتحديد المعنى الحرفي والحقيقي للنص (وذلك من خلال معرفة اللغة التي كُتب بها ... فلفهم وثيقة ما ينبغي معرفة لغة العصر ، أعنى معنى الألفاظ والصيغ في العصر الذي كتبت فيه الوثيقة ... وهذه القواعد لو طبقت بدقة تؤلف منهجاً دقيقاً في التفسير لا يكاد يترك أى مجال للخطأ »^(٤)

(١) انظر منهج النقد التاريخي : ١٤٧ .

(٢) النقد التاريخي : ٧٧ ترجمة د. عبد الرحمن بدوي .

(٣) انظر التقييد والإيضاح : ٢٨٢ .

(٤) النقد التاريخي : لانجلوا وسينوبوس : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ .

وقد عبر العلماء المسلمون عن هذه الخطوة شرح الغريب كما مر سابقا .
والخطوة الثالثة هي : نقد المضمون للوصول إلى النص الأصلي أو ما يقاربه ، فإن
مسلك الأوربيين أكثر ما يقوم على التخمين وحساب الاحتمالات للوصول إلى أقرب
نص من النص الأصلي ومع هذا فهو ليس النص الأصلي .^(١)

فنقد النص عند الأوربيين عاجز وقاصر عن الوصول إلى المؤلف الحقيقي للنص
والنص الأصلي أيضا . والسبب في ذلك يبدو وهو البعد الزمني بين زمن كتابة النص
وزمن دراسته ، وبخاصة الكتب اللاتينية واليونانية عندهم .^(٢)

وأما بالنسبة لنقد المتن عند المسلمين فإنهم وصلوا بعد تصحيح المتن وتفسيره إلى
معرفة أصله أي صحيحه وزائفه من خلال قواعد وضعوها لهذا الغرض . فضلا عن
أن نقد السند قد سهّل الوصول إلى المصدر الأول الناقل للخبر ، أو لشاهد العيان .
ويبقى الإسناد خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية في حفظ أخبارها .^(٣)

رابعاً : منهج النقد عند ابن عبد البر :

النقد الخارجى — الإسناد والمصدر — عند ابن عبد البر :

ولقد ما س ابن عبد البر النقد الخارجى بالنسبة لمصادره التى اعتمد عليها فى
تدوين مؤلفاته التاريخية .

وشمل نقده السند ، الذى هو الركن الأول فى الرواية عند المسلمين . لأن
الإسناد كان بمثابة الوثيقة أو المصدر الذى يحتاج به المؤرخ فى نقله للخبر أو
الحدث .

وقد حرص ابن عبد البر أن يقدم لنا مادة تاريخية موثقة إلى مراجعتها ولم يكتف
بذكر السند ، ويترك للقارئ تتبع رجال الإسناد ومعرفة أحوالهم من حيث
العدالة والضبط أو الأمانة والدقة . بل كان ابن عبد البر يتعقب السند ورجاله
بالنقد فيقبله ، أو يرده على ضوء أقوال العلماء فى ذلك الإسناد ورجاله ، ومن

(١) نفس المصدر : مقالة بول ماس فى نقد النص : ٢٥٧ .

(٢) (٣) منهج النقد التاريخى : ١٧٩ ، وانظر الباعث الحثيث الهامش : ١٥٩ ، ١٦٠ .

خلال وجهة نظره هو التي يتوصل إليها من خلال التدقيق في ذلك ، حتى اشتهر بأنه أعلم أهل الأندلس قاطبة بالإسناد في عصره .

فلذلك كنا نرى عباراته القاطعة في التضعيف والتوثيق تملأ صفحات كتبه .

وهذه بعض النماذج التي تبين لنا ذلك :

« إبراهيم الطائفي والد عطاء بن إبراهيم . لم يرو عنه غير ابنه عطاء . وإسناد حديثه ليس بالقائم ، ولا مما يُحتجُّ به ، ولا يصحُّ عندي ذكره في الصحابة وحديثه مرسل عندي » ^(١)

« أسلم بن بجرة الأنصاري حديثه في بنى قريظة أن رسول ﷺ ضرب عنق من أنبت الشعر منهم ومن لم يُنبت جعله من غنائم المسلمين . إسناد حديثه ضعيف لأنه يدور على إسحاق بن أبي فروة ، ولا يصح عندي نسب أسلم بن بجرة هذا وفي صحبته نظر . » ^(٢)

وفي وقعة بدر يقول : « وما رأيت أحداً ذكر أنها يوم الاثنين إلا في هذا الخبر من رواية ابن لهيعة عن خالد ابن أبي عمران عن حنّش ، ولا حجة في مثل هذا الإسناد عند جميعهم إذا خالفه من هو أكثر منه . » ^(٣)

« وعصام ابن قدامه ثقة وسائر الإسناد أشهر من أن يُحتاج لذكره . » ^(٤)

ولما كان القرن الثالث قد ازدهر فيه التأليف فكان الاعتماد على المؤلفات والنقل عنها قد شاع جنبا إلى جنب مع الرواية الشفوية . بل إنّ العلماء كانوا يحرصون على رواية هذه المؤلفات عن مؤلفيها بطرق التحمل المختلفة ويحرصون على اتصال سندهم بالمؤلف .

وكان ابن عبد البر يتحرى الأمانة في الإشارة إلى مصادره التي اعتمد عليها ،

(١) الاستيعاب : ١ / ٦١ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ٨٦ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ١٩ .

(٤) نفس المصدر : ٤ / ١٨٨٥ .

فكان يقدم لنا قوائم بأهم المصادر التي اعتمد عليها وقد وضع ذلك من خلال الفصل الأول من هذا الباب . وكان ابن عبد البر قد ألزم نفسه بذلك بقاعدة وضعها لنا تقول :

« إنَّ من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله » .^(١)

ومن دقته في النقل عن المصادر (مثلاً : قوله في :
« ترجمة النعمان بن عُصْر بن الربيع :

قال موسى بن عُقبة ، وابن إسحاق ، وأبو معشر ، والواقدي ، نعمان بن عُصْر بكسر العين وسكون الصاد .

وقال هشام بن محمد الكلبي نعمان بن عُصْر بالفتح .

وقال عبد الله بن محمد بن عمار . هو (لقيط بن عُصْر) .^(٢)

وكان إضافة إلى تحرى الدقة في النقل عن المصادر المكتوبة ، فإنه كان يبين وجهة نظره في دقتها في النقل ، فمثلاً في ترجمة يعلى بن أمية التميمي يقول :

قال أبو عمر أهل الحديث وأصحاب التواريخ يقولون : مُنية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان . ويقولون هي أم يعلى بن أمية .

وقال الطبري : هي مُنية بنت جابر عمة عتبة بن غزوان وأم يعلى بن أمية . وقال الزبير بن بكار : هي جد يعلى بن أمية أم أبيه ، قيل له يعلى بن منية نسب إلى جدته ولم يُصب الزبير في ذلك ، والله أعلم .^(٣)

وفي أحيان أخرى كان يحاول أن يجمع بين النصوص لدرء التناقض الذي قد يقع بين روايتين .

ففي تزويج أم حبيبة للنبي ﷺ : قال أبو عمر : هكذا في كتاب الزبير في هذا الحديث مرة زوّجها إياه عثمان بن عفان . ومرة قال زوّجها إياه النجاشي . وهذا

(١) جامع بيان العلم : ٤ / ١٥٨٧ .

(٢) الاستيعاب : ٤ / ١٥٠٣ .

(٣) الاستيعاب : ٤ / ١٥٨٧ .

تناقض ظاهر ، ويحتمل أن يكون النجاشي هو الخاطب على رسول الله ﷺ والعاقد هو عثمان . (١)

وكان يستعمل عبارات (وَهَم) ، (وَغَلَطَ) ، (وَأَخْطَأَ) استعمالاً واضحاً في نقده لمصادره.

فتراه مثلاً ينقد الزهرى على تَحْلُطِهِ بين ذى اليدين وذى الشمالين وجعلهما لقبين لرجل واحد . فيقول :

« وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ... هو غير ذى اليدين ، ذاك سُلَمَى اسمه بخرباق ، وهو صاحب حديث السهو .

وَوَهِمَ فيه الزهرى على جلالة قدره — وفي الاستيعاب على علمه بالمغازي — لأنه بنى على أنه لقب واحد ، واعتمد أبو العباس المبرد ذلك من كلام ابن شهاب فغلط . وتحقيق ذلك أن ذا اليدين روى حديثه أبو هريرة وكان إسلام أبي هريرة بعد قتل ذى الشمالين بسنين عدة » . (٣)

والمثال الثاني : تصحيحه لخطأ ابن قتيبة في كتابه المعارف في ترجمته لسمية أم عمار بن ياسر : (٤)

« قال ابن قتيبة : خَلَفَ عليها بعد ياسر ، الأزرق وكان غلاماً رومياً للحارث بن كلدة فولدت له سَلَمَةُ بن الأزرق فهو أخو عمار لأمه . وهذا غلط من ابن قتيبة فاحش .

وإنما خَلَفَ الأزرق على سمية أم زياد زَوْجَةُ مولاه الحارث بن كلدة منها . لأنه كان

(١) الاستيعاب : ٤ / ١٨٤٤ .

(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٥٠ ، ٣ / ٦٦٨ ، ١٠٨٤ ، ٤ / ١٥٢٧ .

(٣) الدرر : ١١٧ وانظر الاستيعاب : ١ / ٤٧٦

والمبرد هو صاحب كتاب الكامل في الأدب وكتاب الأذواء — أى كل من يسمى بذى مثل ذو اليدين وغيره — وعنه نقل ابن عبد البر في الاستيعاب .

انظر الاستيعاب : ١ / ٤٧٨ .

(٤) المعارف : ٢٥٦ .

مولى لهما : فسلمة بن الأزرق أخو زياد لأمه لا أخو عمار ، وليس بين سُمية أم عمار وسُمية أم زياد نسب ولا سبب ، وسُمية أم عمار أول شهيدة في الإسلام وماتت قبل الهجرة رضى الله عنها ^(١) .

النقد الداخلى — المتن — عند ابن عبد البر :

لم يكتف ابن عبد البر بالنقد الخارجى — الإسناد — للوصول إلى صحة الخبر التاريخى .

وإنما تعرض للمتن ونقده داخليا من خلال تحليله بحس تاريخى ونظر عقلى رزين . وذلك من خلال الشك والافتراض عند تحليل الخبر . ورده للنصوص التى هى أقرب إلى الأساطير من الخبر الواقعى .

وقد مارس ابن عبد البر هذا الأمر فى أغلب كتبه فنراه عندما يورد خبرا ما فإنه يتوقف قبل قبوله ، فإن كان الخبر يتعلق بشخصية ما فإنه يسترجع طبيعة تلك الشخصية وهل هذا الخبر ينسجم مع طبيعة تكوينها وسلوكها الاجتماعى أو السياسى أو الثقافى .

فمثلا يورد لنا ابن عبد البر خبراً عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فيقول : « أصبح عند على بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف فأنكر ذلك ، فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : فنيروزاً لنا إذا كل يوم ^(٢) . فتعقب ابن عبد البر هذا الخبر بالمناقشة فقال ^(٣) :

كان هذا منه رضى الله عنه — إن صح — قبل أن يدخل الكوفة وأن يكون خليفة . لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز ولا مهرجان وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه فى بيت المال .

(١) الاستيعاب : ٤ / ١٨٧٣ — ١٨٦٤ .

(٢) النيروز : هو يوم الربيع عند الفرس مثل شم النسيم . وكان أهل العراق يحتفلون فيه جريا على العرف الذى كان سائدا آنذاك . انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٨١ .

(٣) بهجة المجالس : ١ / ٢٨١ .

فهو يشك في أصل الرواية ويحتاط لنفسه ، فيحاول تأويلها ثم بيان أن سائر النص لا ينسجم وما كان عليه الإمام عليّ في سياسته .

والخبر الثاني الذي يدلنا على ملكة ابن عبد البر النقدية دفاعه عن حسّان بن ثابت شاعر رسول الله حيث اتهمه بعض رواة الأخبار بأنه كان من أجبن الناس . فيرد ذلك ابن عبد البر إذ لو كان حسّان جباناً لهجاه من كان يهجوهم حسّان في الجاهلية والإسلام من الشعراء بل لهجى ابنه عبد الرحمن بعد ذلك .

ثم يرده لكون هذا الكلام يتنافى والالتزام الذي تمسك به ابن عبد البر مبدأ في عدم قبول ما يسيء إلى رجالات الإسلام .

ثم يصف من أنكر هذه الحادثة (بأهل العلم بالخبر) ولم يصف بها من أورد هذا الخبر ، وإنما وصفهم (بأهل الأخبار) فقط .

ونص الخبر هو :

« وقال أكثر أهل الأخبار والسير : إن حسّاناً من أجبن الناس وذكروا من جنبه أشياء مستشنة أوردوها عن الزبير أنه حكّاها عنه كرهت ذكرها لنكارتها . ومن ذكرها قال : إن حسّاناً لم يشهد مع رسول الله ﷺ شيئاً من مشاهدته لجنبه .

وأنكر بعض أهل العلم بالخبر ذلك وقالوا :

لو كان حقاً لهجى به « من قبل »^(١) من كان يُهاجهم في الجاهلية والإسلام ولهجى بذلك ابنه عبد الرحمن فإنه كان كثيراً ما يُهاجى الناس من شعراء العرب » .^(٢)

(١) الاستيعاب : ٣ / ٣٤٨ والزبير : هو الزبير بن بكار المؤرخ صاحب (الموقيات) و (جمهرة نسب قریش وأخبارها) .

وقد أورد ابن إسحاق إحدى الحوادث المروية عن حسّان ، انظر السيرة النبوية : ٣ / ٢٢٨ .

(٢) الدرر : ١٨٦ .

والمثال الثالث : واقعة حدثت بين الشعبي وعبد الملك بن مروان ينقلها ابن عبد البر فيقول :

« قال الشعبي : أخطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع :
حدثني بحديث يوما ، فقلت : أعدّه عليّ . فقال :
أما علمت أنّ أمير المؤمنين لا يستعاد .

وقلت له حين أذن لي عليه : أنا الشعبي .
فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك .

وكُنيتُ عنده رجلا . فقال : أما علمت أنه لا يُكنى أحد عند أمير
المؤمنين . وحدثني بحديث فسألته أن يكتبه . فقال :
إنّا لا نكتب لا نكتب^(١) . »

وعقب ابن عبد البر على هذا الخبر بقوله :
« وهذا الخبر عندي غير صحيح لأنّ المحفوظ عن الشعبي أنه قال : ما استعدت
حديثاً قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبي . »^(٢)

الأسطورة :

«والأساطير نوع من الروايات الشفوية ، وتكثر عند الجماعات الفطرية أو في
البيئات غير المثقفة مثل : بعض القبائل أو سكان الريف أو الجُند . ويوجد عصرُ
أساطير في تاريخ كل أمة ... وفي عهود الحضارة تستمر الأساطير الشعبية فيما
يتعلق بالحوادث ذات التأثير في أذهان الناس .

وحينما تبدأ أمة من الأمم في تدوين تاريخها لا تنتهي الروايات الشفوية ... وعلى
ذلك تنشأ النوادر أو القصص المسماة بأساطير الجماعات المتحضرة مثل الإشاعات

(١ ، ٢) بهجة المجالس ١ / ٣٤٢ . والشعبي هو : عامر بن شراحيل الكوفي علامة التابعين كان إماماً حافظاً
فقيهاً متفناً ثبتاً وعنه أنه قال : ما كتبت سوداء في بُيضاء إلى يومى هذا ، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا
حفظته ولا أحببت أن يعيده عليّ . انظر تذكرة الحفاظ : / ٧٩ — ٨٨ .

والأوهام ... والحكايات التي تتركز حول بعض الشخصيات والحوادث»^(١)

والأساطير عند العرب كثيرة منها : الكلام عن السُّعلاة ، والغول ، وعَوُجُ بن عَنق ، وأحاديث الجن ، وغيرها مما كان يشيع في البيئة العربية ، وتزخر بها كتب أيام العرب وبقيت هذه الروايات الشفوية تتناقلها كتب الأدب والأسمار مثل كتب الجاحظ (كالحَيوان) و (البيان) والأغاني لأبي فرج الأصبهاني وغيرها .

وقد تصدى ابن عبد البر لهذا النوع من الأخبار بالنقد الشديد والتكذيب .

من ذلك : خبر ينقله عن الجاحظ عند تعليقه على أبيات من الشعر لأبي البلاد الطَّهَوِي يصف فيها كيفية قتاله للغول حيث ضربها ضربة فقالت له : زد — أى ضربة أخرى — فيقول الجاحظ :^(٢)

« أما قوله : فقالت : زد . فإنهم يزعمون أن الغول تستزيد بعد الضربة الأولى لأنها تموت من ضربة وتعيش من ضربتين إلى ألف ، .. فإذا ضُربت ماتت إلا أن يُعيد عليها الضارب قبل أن تقضى ضربة أخرى ، فإنه إن فعل ذلك لم تمت »^(٣)

وعقب ابن عبد البر على هذه الأسطورة بقوله : « وهذا عندي من أكاذيب الأعراب وحماقات عمرو بن بحر ومجونه »^(٤)

وبذلك يثبت ابن عبد البر ظاهرة وهي أن الأسطورة تشيع في البيئات الفطرية ، وبيئة الصحراء وما فيها من عوامل تساعد على ظهور هذه الأساطير بين قبائل العرب وغيرهم .

وبعد نقده للخبر ينقد المصدر الذي نقلها لكون الجاحظ قد غلب على مؤلفاته وخاصة التاريخية إيراد الأسمار والحكايات لقصد المتعة بذكر الطرائف والنوادر والقصص الشعبي الأسطوري .

(١) منهج البحث التاريخي : د. حسن عثمان ط ٤ : ١٣٥ .

(٢) انظر بهجة المجالس : ٢ / ١٧٦ — ١٧٧ .

(٣، ٤) انظر بهجة المجالس : ٢ / ١٧٧ .

خامسا : اهتمامه بالجانب التاريخي في علم الرجال :

سبق الكلام بأن فائدة التاريخ عند ابن عبد البر فائدة تعليمية وفائدة تربوية .
فلذلك نراه يحاول أن يوائم بين الهدفين في مؤلفاته في علم الرجال . والمعلوم أن
علم الرجال نشأ لخدمة علم الحديث فتراجم الصحابة ومعرفة طبقاتهم يعين على
معرفة الحديث المرسل من الحديث المسند كما بين هو في مقدمة كتابه الاستيعاب .^(١)

وقال في كتابه جامع بيان العلم حينما رتب العلوم التي ينبغي لطالب الحديث
معرفة : منها معرفة تراجم الصحابة والتابعين وحملات العلم عموما .^(٢)

ولما كان ابن عبد البر قد حدد لنفسه هدفا آخر وهو هدف تربوي أخلاقي
يتحقق من خلال النموذج النبوي في سيرته ﷺ وفي النماذج التي تربت في ظل
المنهج الإسلامي والتوجيه النبوي .^(٣)

فلذلك نجد أن ابن عبد البر قد التزم في التأليف في تراجم الصحابة نهجا غير
النهج الذي كان يلتزمه من سبقه ممن ألف في تراجم الصحابة خاصة ، فالسابقون
له كانوا يؤكدون على الجوانب التي تتعلق بعلم الحديث ، كما يراد نسب المترجم
له ، وذكر نماذج من مروياته الحديثية ، ونادرا ما يشار إلى أخباره الخاصة .

ولكن ابن عبد البر للأهداف التي وضعها حاول أن يعطي صورة متكاملة نوعا
ما عن الصحابي ، أو لبعض مشاهير الصحابة ، يضمنها أخبارا تاريخية متنوعة تشد
القارئ إليها ، وتقدم له الأسوة من خلال الأخبار الخاصة بالصحابي . مثل :
كيفية إسلامه ، وما عاناه في سبيل دينه من أهله وعشيرته . وهجرته وغزواته التي
شارك فيها . والوظائف التي تولاه . ومواقف التضحية والفداء والتواضع ، التي
تخلق بها ، والأخطاء التي بدرت من صاحب الترجمة ليتحقق بذلك الهدف
التربوي الذي وضعه ابن عبد البر لنفسه .

(١) الاستيعاب : ١ / ١٩ .

(٢) جامع بيان العلم : ٢٩١ ، ٤٤٦ .

(٣) الاستيعاب : ١ / ١٩٠ وانظر الاستغناء : لابن عبد البر : ورقة : ٢ .

وقد رصد هذه الظاهرة بحس تاريخي مرهف مؤرخ أصيل هو ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) صاحب (الكامل في التاريخ) و (أسد الغابة في معرفة الصحابة) حيث قال في مقدمة كتاب الأسد : (١)

« ورأيت ابن مندة وأبا نعيم قد أكثرا من الأحاديث والكلام عليها وذكرها عللها ، ولم يكثر من ذكر نسب الشخص ، ولا ذكر شيء من أخباره وأحواله ، وما يعرف به .

ورأيت أبا عمر — ابن عبد البر — قد استقصى ذكر الأنساب ، وأحوال الشخص ومناقبه ، وكل ما يعرفه به ، حتى أنه يقول : هو ابن أخى فلان وابن عم فلان ، وصاحب الحادثة الفلانية ، وكان هذا هو المطلوب من التعريف .

أما ذكر الأحاديث وعللها وطرقها فهو بكتب الحديث أشبه »

وقد اقتضى هذا الهدف التربوي ابن عبد البر أن يستقى أخباره من مختلف المصادر وبخاصة التاريخية منها لكي يقدم لنا صورة أقرب إلى واقع صاحب الترجمة . (٢)

وقد كان اعتماد ابن عبد البر في إيراد أخبار تراجمه على المصادر المتقدمة فيما يخص عصور الصدر الأول والأمويين والعباسيين ، إضافة إلى المصادر المتأخرة المعاصرة له ليشكل من ذلك كله إطار بحوثه في التأريخ ومنها : (٣)

١ (أسد الغابة : ١ / ١١ .

٢ انظر الاستيعاب : تراجم أبي بكر وعمر وعلي وعثمان ومعاوية وسعد بن عباد ونعيمان بن عمرو بن رفاعه بن موسى الأشعري وسهيل بن عمرو وابنه أبي حنبل وغيرهم .
وانظر الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء .

٣ انظر ملحق موارده التاريخية

١ . نقل على كثرة نقله عن المؤرخين هي تلك النصوص التي تملاً كتبه عنهم : فقل عن محمد بن إسحاق :
الاستيعاب (٤٠٢ نصا) وفي الدرر (٢٩ نصا) والانتقاء : نص واحد ، وفي القصد والأم والاباء :
٢٣ نصا) فيكون المجموع (٤٥٥ نصا) .

نقل عن خليفة بن خياط عن التاريخ والطبقات : في الاستيعاب (٧٨ نصا) وفي القصد والأم (نصا واحدا)
الانتقاء (نصين) . والمجموع (٨١ نصا) ونقل عن يحيى بن معين عن كتابه التاريخ : (٨١ نصا) في =

موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ) ، ومحمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) ومحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) في كتبهم في المغازى والسير والفتوح .

وسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) في كتابيه (الردة) و (الدار ومقتل عثمان) ومصعب الزيرى (ت ٢٣٣ هـ) في كتابه (نسب قريش) والزير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) في كتابيه (الأخبار الموفقيات) و (جمهرة أنساب قريش) وعمر بن شبة (ت ٢٦٣ هـ) في (الدار ومقتل عثمان) و (أخبار المدينة) و (أخبار البصرة) ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ) في كتبه في الأنساب وغيرها .

وكذلك كتب ابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩ هـ) ، ومحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) في كتابيه (التاريخ) و (ذيل المذيل) . و (التاريخ الكبير) لإسماعيل بن علي الخطيبى (ت ٣٥٠ هـ) والتاريخ الكبير للحارث بن أبى أسامة (ت ٢٨٢ هـ) وغيرها من كتب التواريخ والأنساب والسير .

إضافة إلى ذلك فهناك العشرات من كتب الرجال والتراجم والمناقب والفضائل .

وكان في أخباره الأندلسية جُلُّ اعتماده فيها ، على شيخه ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) صاحب تاريخ علماء الأندلس :

وعبد الملك بن شهيد صاحب التاريخ الكبير (ت ٣٩٣ هـ) والرازي والخشنى وغيرهم .

وكان ابن عبد البر يقدم في بعض الأحيان رواية المؤرخين على غيرهم لما في

الاستيعاب وفي الانتقاء (١٢ نصا) وفي القصد والأُم (ثلاثة نصوص) والمجموع (٩٦ نصا) ونقل عن الزبير بن بكار عن كتابيه الموفقيات وجمهرة نسب قريش : (١٦٩ نصا) في الاستيعاب و (٢١ نصا) في القصد والأُم والانباء . و (٤ نصوص) في الانتقاء . فالمجموع (١٩٤ نصا) .
ونقل عن محمد بن جرير الطبرى عن كتابيه التاريخ وذيل المذيل : (١٠٤ نصا) في الاستيعاب (وثلاثة نصوص) في الانتقاء فالمجموع (١٠٧ نصوص) .
ونقل عن أبى زرعة الدمشقى في تاريخه : (٢٤ نصا) في الاستيعاب فقط .

رواية المؤرخين من الوضوح والإحاطة بالحدث بحكم التخصص بينما كتب الحديث وإن كانت أكثر تدقيقاً وتحريماً للرواية ولكنها قد تقتصر على ما صحَّ من رواية تاريخية وتترك الجزء الذي لم يصح بموازين الرواية الحديثية مما قد يوقع في اللبس .

(١)

مثلاً في روايته لبعث بثر معونه ، فمع إيرادهِ للخبر عن سنيد (ت ٦٢٦ هـ) ، ولكنه يعقب بقوله : (وسياق ابن إسحاق لخبرهم أحسن وأبين) . (٢)

وفي تعليقه على سن عبد الله بن عباس أورد رأى أهل الحديث حيث قالوا : إنَّ ابن عباس كان عمره يوم توفى رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة وأهل التاريخ يقولون عمره ثلاث عشرة سنة .

فَعَقَّب ابن عبد البر بقوله : (ومأقاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي أصحُّ » . (٣)

ومن ذلك تقديمه لرواية ابن إسحاق في تاريخ غزوة بنى المصطلق (المُرَيْسِيع) حيث حدَّد تاريخها في شوال سنة ست . وهذا خلاف رواية موسى بن عقبة التي اختارها البخاري ومن تابعه . قال ابن عبد البر : « وقد اختلف في وقت هذه الغزاة . قيل : كانت قبل الخندق وقريظة . وقيل كانت بعد ذلك وهو الصواب إن شاء الله » . (٤)

كذلك خالف رواية أهل الحديث في أن المشادة الكلامية التي وقعت في هذه الغزوة بشأن الإفك وكانت بين أسيد بن حضير وسعد بن عباد . لا كما تذهب الرواية التي يرجحها البخاري^(٥) ومن تابعه القائل : بأنهما سعد بن معاذ وسعد بن

(١) سنيد أحد أوعية العلم كان صدوقاً وله تفسير مشهور : تذكرة : ٤ / ٤٥٩ .

(٢) الدرر في المغازي والسير : ١٧٠ .

(٣) الاستيعاب : ٣ / ٩٣٤ .

(٤) الدرر في المغازي والسير : ٢٠٠ .

(٥) وقد اعتذر بن حجر للبخاري بأن ذلك سبق قلم لأن هذا الرأى خلاف رأى الجمهور القائل بأنها في شوال سنة خمس الذي اختاره ابن حجر . وللتوفيق بين زمن الغزوة والمشادة التي وقعت بين سعد بن معاذ وسعد بن

عبادة ، لأن سعد بن معاذ قد توفي في غزوة بنى قريظة . فيقول : ابن عبد البر :
« ورواية من روى أن سعد بن معاذ راجع في ذلك سعد بن عبادة وهم وخطأ
وإنما تراجع في ذلك سعد بن عبادة مع أسيد بن حضير . كذلك ذكر ابن اسحاق
عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وغيره وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ
مات في مُنصرف رسول الله ﷺ من بنى قريظة لا يختلفون في ذلك ولم يدرك
غزوة المريسيع ولا حضرها » . (١)

ومن العبارات التي كان يستعملها ابن عبد البر والتي تدل على كثرة نقله عن
المؤرخين واعتماده عليهم في تدوين مؤلفاته من ذلك قوله : (٢)
— « قال أبو عبيدة ... وقال الزبير ... والعدوي وهذا أصح »
— « قال أبو عمر : هذا أصح ما قيل في تاريخ عام الجماعة وعليه أكثر أهل
الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر » . (٣)
— « قال الزبير وغيره من أهل العلم بالسير والخبر » (٤)
— « اتفق الزبير وعمه مصعب ومحمد بن إسحاق المسيبي ... وهؤلاء أعلم
بطريق أنساب قريش » (٥)
— « ذكر جماعة من أهل الأخبار ومنهم عمر بن شبه » (٦)
— « ذكر ابن الكلبي في أخبار صفين » (٧)

عبادة على رواية البخاري افترض أن غزوة بنى المصطلق متقدمة على الخندق لكيلا يقع التناقض فتُرد رواية البخاري

مع العلم أن البخاري قد رتب غزوة بنى المصطلق بعد الخندق وقريظة لا قبلهما . انظر فتح الباري : ٧ / ٤٣٠ .

(١) الدرر : ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ٢٤١ وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) والزبير : هو الزبير بن بكار (ت

٢٥٦ هـ) والعدوي هو أحمد بن محمد النسابة ، وكلهم مؤرخون ونسابة .

(٣) الاستيعاب : ١ / ٣٨٧ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٩٣٣ .

(٥) نفس المصدر : ٤ / ١٧٥٢ .

(٦) نفس المصدر : ٢ / ١٤٥٣ .

(٧) نفس المصدر : ١ / ١٦٥ .

وهذا الأمر جعل ابن عبد البر يتعرض لنقد المحدثين وخاصة فيما ورد في كتابه الاستيعاب حيث وصفه ابن الصلاح بقوله :

« ومن أجلها وأكثرها فوائد كتاب الاستيعاب لابن عبد البر . لولا ما شأنه به من حكايته عن الإخباريين لا المحدثين وغالب على الإخباريين الإكثار من التخليط فيما يروونه » . (١)

سادسا : أثر ثقافته الموسوعية على كتابته التاريخية

لاشك أن هذه الثقافة كان لها أثرها الذي بان في مؤلفات ابن عبد البر بعامتها ، والتاريخية بخاصة ، فقد كان ابن عبد البر يحاول أن يقدم لنا مادة تاريخية موثقة ، بلغة سهلة واضحة مقبولة ، ولا يفوته الاستنباط والتحليل ، من خلال النقل والعقل .

ومن مظاهر أثر هذه الثقافة الموسوعية : الاهتمام بالسند وذكر الأحكام الفقهية خلال سرد الأحداث التاريخية وكثرة استشهاده بالشعر كمعزض للخبر التاريخي . وسيعطى الباحث فكرة موجزة عن مدى هذا التأثير ، وأسبابه :

١ — الاهتمام بالإسناد :

لقد نشأ ابن عبد البر في البيئة الأندلسية التي كانت تهتم برواية الحديث والثقافة الحديثية ، وكان هذا هو السمت العام الذي كان عليه أغلب علماء العصر ، فكانت الثقافة الحديثية تكون حائبا أصيلا في بناء المؤرخ الأندلسي ، فعبد الملك بن حبيب مؤرخ الأندلس ، وابن الفرضي ، وابن حزم وغيرهم ، كان تكوينهم الأساسي يستند إلى الثقافة الحديثية ، ثم تفرعت الاهتمامات والاختصاصات من بعد .

وكان ابن عبد البر حافظ المغرب كما اشتهر بل إنه صنف ضمن سبعة من حفاظ

(١) مقدمة ابن الصلاح : ٢٦٢ .

الحديث الذين اُتُفِعَ بتصانيفهم بعد أصحاب الكتب الستة^(١) ولهذا الأمر لمساته وآثاره فيما كتب فلذلك نجد التزامه بالإسناد يمثل ظاهرة في معظم إنتاجه التاريخي .

والدافع الثاني الذي جعل ابن عبد البر يُسند أخباره التي يُوردها هو أمانة إرجاع القول إلى قائله لأنه يعتبر ذلك من صفات المؤرخ اللازمة .

وكان يُكرر الإسناد بطريق آخر أحيانا ليؤكد المعنى الذي توخاه من إيراد الخبر فمن ذلك ما نقله عن شيخه خلف بن قاسم في خبر تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما والخطبة التي ألقاها الحسن ، فروى ابن عبد البر الخبر بسندين مختلفين عن شيخه . الأول عن الزهري والثاني عن الشعبي .^(٢)

« وإذا أحسن بأن هناك شكاً في إحدى الروايات فإنه يُعيد ذكرها مع بيان سلسلة الإسناد لكل مظهر من مظاهر تلك الرواية » .^(٣)

فمثلاً حادث تنازل الحسن لمعاوية ، وخطبة الحسن بهذه المناسبة . فإن لابن عبد البر إسنادين حدث بهما عن شيخه إلى راوي الخبر وذلك لتعضيد الرواية .

ومن آثار ثقافته الحديثية فيه أنه كان يتكلم في الحديث تضعيفاً وتوثيقاً كأن يقول : (حديث كثير الاضطراب)^(٤) أو (إسناده ضعيف)^(٥) ، أو (كلها أحاديث صحاح)^(٦) ، أو (وهذا حديث صحيح ثابت لا مقال فيه لأحد)^(٧) . وغير ذلك من المصطلحات الحديثية .

(١) انظر الناعت الحديث : ٢٤١ .

(٢) انظر الامتيعات : ١ / ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦٥ .

وانظر ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب : ٥٥ .

(٤) الامتيعات : ٢ / ٤١٨ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٢٧٣ .

(٦) نفس المصدر : ٣ / ٩٣٥ .

(٧) نفس المصدر : ٣ / ٩٢٢ .

٢ — ذكر الأحكام الفقهية :

وكان ابن عبد البر إذا ما تعرض لذكر حدث تاريخي معين ، فإنه يورد الأحكام الفقهية المتعلقة بالحدث التاريخي ، أو أحد رجال هذا الحدث .

ففي غزوة خيبر هناك عدد من الأحكام التي تعرض ابن عبد البر لها منها :

هل يصحُّ العتاق صداقاً ؟ فالنبي ﷺ أعتق صفية بنت حيي بن أخطب بعد أن أسلمت ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها ثم قال : « وهذه مسألة اختلف الفقهاء فيها فمنهم من جعل ذلك خصوصاً له كما تُخصَّ بالموهوبة — التي وهبت نفسها للنبي — ومنهم من جعل ذلك سنة لمن شاء من أمته » .^(١)

والحكم الثاني : ما هو حكم الأرض المفتوحة إذا فُتحت عنوة — بالقتال — أو صلحا ؟

فيذهب ابن عبد البر إلى أنَّ خير فُتحت كلَّها عنوة ، ومن قال بأن خير كان بعضها صلحا وبعضها عنوة فقد وهم وغلط .

« وقال : « وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمتهما أهلها لحقن دمائهم » ، ولم يتركوها إلا بالحصار والقتال .^(٢)

والحكم الثالث الذي يذكره ابن عبد البر : هو تحريم لحم الحُمُر الأهلية الذي وقع في غزوة خيبر .^(٣)

وهناك قضايا فقهية أخرى مبثوثة في كتابه الدرر^(٤) ، والاستيعاب^(٥) . وإنما كان القصد إعطاء بعض النماذج على ذلك .

(١) الدرر : ٢١٠ .

(٢) نفس المصدر : ٢١٥ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٢١٧ وانظر الاستيعاب ٤ / ١٩٦٣ .

(٤) انظر الدرر : ٢١٤ ، ٢٣٠ ...

(٥) انظر الاستيعاب : ١ / ١٦٦ ، ٤ / ١١٤٧ ، ١٥٢٤ ، ١٥٣٠ .

٣ - الاستشهاد بالشعر في الخبر التاريخي :

لقد غلب على ابن عبد البر الاستشهاد بالشعر في معظم كتبه في الفقه والحديث وكان حظ التاريخ من ذلك كثيراً . إذ لم يغفل عن الشعر في كونه اللغة التي كان يعبر بها العرب قبل الإسلام عن أحوالهم وأخبارهم ويضمنونه الأحداث المهمة التي وقعت على مدار هذا التاريخ . فهو مرآة تعكس لنا أحوال المجتمعات .

وعندما جاء الإسلام كان للشعر دوره في مواكبة متطلبات الدعوة الإسلامية فكان شعراء الإسلام حسّان ، وكعب بن مالك ، وابن رواحة يُدوّنون التاريخ بتلك القصائد التي كانوا يقولونها في مختلف المناسبات والأغراض .^(١)

وكان العرب المسلمون أصحاب قريحة شعرية بداهة ، فكانوا يصفون غزواتهم وما يجتدّ من أحداث في هذه الغزوات .^(٢)

وكان ابن عبد البر لا يكتفى بإيراد أشعار المُلابسين للأحداث بل كان يُورد من أشعار أهل عصره من الأندلسيين لأنها تُعبّر عن موقف يراه .^(٣)

وكان يستعين بالشعر كذلك لإثبات قضايا تاريخية اختلف فيها ، مثل إثباته أن أبا بكر أوّل مَنْ أسلم .^(٤)

ويضاف إلى ذلك أن ابن عبد البر كان ينظم الشعر ويتذوّقه وينقده ويحفظ الكثير منه وقد كان يحقق هذه الملكة في إيراد ما يحفظه ، فيُضفي على تعبيره التاريخي جمالاً يستدرك به جفاف تتابع الأخبار المجردة .

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٧٥ ، ٢٢٩ ، ٢٩٣ ، ٣٧٤ ، ٥٣٦ ، ٢ / ٨١٣ ، ٨١٥ .. ٣ / ٩٧٦ ،

١٠٥٠ ، ١٠٥١ .. ٤ / ١٦٢٢ ، ١٦٧٢ ، ١٨٢٨ — ١٨٢٩ .

(٢) انظر الدرر : ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ .

(٣) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٢٨ — ١١٢٩ ، ٤ / ١١٣١ — ١١٣٣ .

(٤) نفس المصدر : ٣ / ٩٦٤ — ٩٦٥ .

سابعاً : مدرسة ابن عبد البر التاريخية :

لعل الناظر في مسار هذا المؤرخ في جميع مراحل حياته ، وخاصة عند استجلاء تكوينه الثقافي ، وفكره التاريخي ، ومنهجه النقدي ، وممارسته الحياة العامة ، وموقفه من قضايا مجتمعه ، وبخاصة وطنه الأندلسي ، يخلص إلى تحديد ملامح المدرسة التي ينتمي إليها ابن عبد البر .

فمن خلال فكره التاريخي ينطلق من خلال عقيدته الإسلامية التي تحدد للفرد نظرته إلى الكون والحياة والإنسان . فتحقق وجود الإنسان من خلال علاقته بخالق هذا الكون الذي يُجلّيه مفهوم توحيد الله ونبوة محمد ﷺ . من خلال تلك المبادئ والتشريعات التي تصوغ الحياة على هذه الأرض ، فكان مفهومه لفكرة التاريخ وأهميته ، ومفهوم الالتزام نابعاً من هذه العقيدة بمبادئها وأخلاقياتهم في إطار مُتناغم مُنسجم .

وأما في منهجه النقدي فكان لمكوناته الثقافية الأولى طابعها على منهجه فقد جمع بين منهج النقد الحديث الذي اختص بالخبر الشرعي ، وبين المنهج التاريخي الذي يعتمد الشك والفرض ، وإخضاع الخبر للنظر العقلي ، وسيلة للوصول إلى الحقيقة وقد وُفق في هذا الأمر إلى حد كبير .

وعليه فيمكننا ضمه إلى مدرسة (المؤرخون المحدثون) .

وعلى ضوء هذين الخطّين في تكوينه التاريخي تشكلت مواقفه في معالجة قضايا عصره ، وذلك بضم جهوده إلى جهود قادة الرأي من العلماء والشعراء والمفكرين أمثال : ابن حزم وأبي الوليد الباجي وابن حيان مؤرخ الأندلس والهوزني الشاعر ، وعبد الله بن يوسف بن عبد البر الكاتب وغيرهم ، للمناداة برفع الظلم ، وترك الخلافات السياسية وإعادة وحدة الأندلس ، وبينا مواقفهم في التمهيد من هذا البحث . قام ابن عبد البر بكل ذلك من خلال حركته اليومية في حلقات التدريس ودواوين القضاء ومجالس الأمراء . فكان يواجه طلابه بغرس معاني الفضيلة وتنفيرهم من الظلم ، ودفعهم إلى اتخاذ المواقف الإيجابية لحل قضايا مجتمع الأندلس الذي تُمزقه الفرقة ويُعمه الشتات .

ولم يتوان عن نصيح الأمراء في مجالسهم وخاصة عند المظفر بن الأفطس أمير بطليوس وتوابعها ، ومجاهد العامري أمير دانية والمنصور عبد العزيز بن أبي عامر أمير بلنسية .

هذه المدرسة التي كان هذا اتجاهها العمل في الإصلاح الذي دعت إليه تلك الآثار التي خلفتها الفتنة القرطبية يمكن تسميتها (بمدرسة عصر الفتنة الأندلسية) .

« ولقد كان التاريخ بالنسبة لهذه المدرسة عالماً ينزحون إليه ، يجدون عنده التسلية ... والعلاج ، ويتخذون منه مجالا لدراسة مجد الإسلام الأندلسي المهدد ... الذي يتمنون استقراره » .^(١)

« فلذلك نجد أن هذه المدرسة قد تناولت التاريخ بمنهج غير حولى لكى يُتاح لها أن تجد في التاريخ العالم الذى تنشده » .^(٢)

ونتيجة لهذا أيضا نجد أن التاريخ قد تألف في حس هذه المدرسة مع العلوم الأخرى كالفقه والأدب بأنواعه . فقدمت هذه المدرسة بمفهوم كلى شامل لا يغفل سائر العوامل والمؤثرات التى تدخل في صنع الحدث التاريخي . وقد ترجمت كتب ابن عبد البر هذا مثل (بهجة الخالس) ، (وجامع بيان العلم) ، و (الاستيعاب) وغيرها .

ثامنا : أثر ابن عبد البر فيمن بعده من الناحية التاريخية :

لقد فاح شذى عَرف ابن عبد البر في غير الأندلس ، كما شاع نفح طيبه في الأندلس ، حتى غدا معلماً على القرن الذى عاشه .

وقد حمل تلامذته آراءه وأفكاره إلى بقاع العالم الإسلامى الأخرى ، وأقبل علماء المسلمين على اقتناء كتبه التى سارت بها الركبان .

(١) ابن حزم مؤرخنا : عبد الحليم عبد الفتاح عويس : ١٧٧ — ١٧٨ . رسالة دكتوراه ، مكتوبة على الآلة الكاتبة .

فلذلك لا تجد كتاباً في السيرة أو تراجم الصحابة والفقهاء . إلا ويستشهد بقول لابن عبد البر أو رواية له .

وأما كتب الرجال فلم تستغن عن أقوال ابن عبد البر في الجرح والتعديل .

وسنذكر في الصفحات القادمة أثر ابن عبد البر في هذه الأنواع التأليفية في المكتبة التاريخية ، وسنختار نماذج لتوضح هذا الأثر ومداه مما يُبرز مكانة الرجل وقيمة آرائه .

ثم يعقب ذلك الكلام عن بعض الجوانب التي تتبعه العلماء فيها في هذه الجوانب التاريخية .

أ : أثره في مؤلفات السيرة النبوية :

لقد شارك ابن عبد البر في التأليف في السيرة النبوية . وله في ذلك رسائل وكتب ذكرت في فصل مؤلفاته . وأشهر كتبه التي وصلت إلينا هو : (كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير) والذي كان مدار اعتماد مؤلفي السيرة في عصره وما بعده ، وسنختار نموذجين ممن تأثروا به من كتاب السيرة وهما : ابن حزم القرطبي تلميذه وقرينه (ت ٤٥٦ هـ) وابن سيد الناس اليعمرى (ت ٧٣٤ هـ) .

١ - أثره في ابن حزم :

تأثر ابن حزم تلميذ ابن عبد البر ومعاصره بما كتب شيخه وهو يكتب السيرة النبوية، ومن البديهي أن مؤلفي ذلك العصر كانوا إذا أرادوا أن يؤلفوا في موضوع ما فإنهم يبحثون عن مصادره أولاً فهي إما روايات شفوية ينقلونها عن شيوخهم بالسند إلى متناه . أو أنهم ينقلون عن الكتب التي يرووها عن شيوخهم من مؤلفاتهم أو مما أجازهم إياها العلماء الآخرون .

وقد كتب ابن حزم كتابه في السيرة ، وأسماه : (جوامع السيرة) ، قدم لنا فيه مغازي رسول الله ﷺ وبعض سيرته بأسلوب يغاير أساليب أهل العصر في نهجه .

فقد تجاوز فيه عن :

الإسناد فقد خلّى كتابه تماما من الإسناد .

والأخرى أنه لم يذكر قائمة مصادره كما درج أهل عصره . وقد نقل عن خليفة ابن خيَّاط والواقدي . وأنى حسان الزياتي وصرح بذلك النقل^(١).

وعند مطابقة نصوص كتاب جوامع السيرة لابن حزم مع كتاب ابن عبد البر الدرر في اختصار المغازي والسير وجدنا أن ابن حزم قد تابع كتاب شيخه في النسق العام في أغلب المواضع فضلا عن نقله نصوصاً كثيرة بنص عبارتها عن ابن عبد البر :

والملاحظة الثانية على ابن حزم أنه تابع ابن عبد البر حتى في الأخطاء التي وقعت في نسخة شيخه .

هذا مما يدل على أن ابن حزم قد وضع كتاب الدرر نصب عينيه وهو يكتب سيرة المصطفى ﷺ .

وقد لاحظ محققا جوامع السيرة هذا الأمر من خلال النصوص التي نقلها ابن سيد الناس في (عيون الأثر) ولكنهما افترضا أنه من الممكن أنهما ينقلان عن مصدر ثالث^(٢) . وهذا فرض ضعيف « لأن ابن عبد البر عيّن في سيرته مصادره التي نفذ من خلالها إلى وضع كتابه بينما لم يذكر ابن حزم » في المواضع التي اتفق فيها معه مصدرا آخر .

وإن ابن حزم وإن كان يتابع ابن إسحاق في ترتيب أحداث السيرة إلا أنه في الواقع يتابع ابن عبد البر . للتوافق الذي ذكرناه .

(١) انظر جوامع السيرة : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ .

(٢) انظر مقدمة جوامع السيرة ، تحقيق دكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس : ٨ .

(٣) انظر مقدمة كتاب الدرر : الدكتور شوقي ضيف : ١٥ .

- وهذه نماذج تدل على أن ابن حزم قد نقل عن ابن عبد البر :
- ١ — متابعته في ترتيب الغزوات .^(١)
 - ٢ — نقله بعض الغزوات نصاً من كتاب الدرر .^(٢)
 - ٣ — موافقته لابن عبد البر في تصحيحه لبعض الأحداث مثلاً :
— موافقته في أن أبا موسى الأشعري لم يكن ممن هاجر إلى الحبشة وإنما وافق قدومه
قدوم مهاجري الحبشة فوقعت الشبهة من هنا .^(٣)
 - يتابعه في أن ذا الشمالين استشهد ببدر ، وهو غير ذي اليمين ، على خلاف
ما ذهب إليه الزهري^(٤) .
 - اتفاقه مع ابن عبد البر في تحديد وقت غزوة بني المصطلق وهو شوال سنة ست .
وإنها كانت على حين غرة . وأن المشادة التي حدثت فيها كانت بين أسيد بن
حضير وسعد بن عباد ، وليس سعد بن معاذ .^(٥)
 - ٤ — متابعته لابن عبد البر في بعض الأخطاء اللغوية التي وقعت في النسخة التي نقل
عنها ، ومع هذا لم يُصححها . من ذلك :
 - هناك خطأ وقع في كتاب الدرر حيث قلب اسم أنس بن النضر إلى النضر بن
أنس ، وقد ورد نفس الخطأ عند ابن حزم وصححه المحققان .^(٦)
 - وهناك لفظة وردت في جوامع السيرة موافقة للفظه ابن عبد البر عند كلامه
عن غزوة أحد وجرح رسول الله حيث قال : وأكبت عليه الحجارة . فاستبدلها
المحققان ب (ألبت) ، وأكبت هي الأصح .^(٦)

(١) انظر جوامع السيرة : غزوة بن سليم : ١٥٢ . والدرر : ١٤٧

غزوة السويق : ١٥٢ — ١٥٣ والدرر : ١٤٧ ، غزوة ذي أمر : ١٥٣ . والدرر ١٥٣ غزوة بدر الثالثة :
١٨٤ ، الدرر : ١٧٧ ، غزوة دومة الجندل : ١٨٤ — ١٨٥ ، الدرر : ١٧٨ ، فتح فذك : ٢١٨ ، الدرر :
٢٢٠ ، فتح وادي القرى : ٢١٩ الدرر : ٢٢٠ بعث خالد إلى أكيدر دومة : ٢٥٣ الدرر : ٢٥٦ .

(٢) (٣) (٤) نفس المصدر : ٥٨ ، ١٤٦ ، ٢٠٣ — ٢٠٦ .

(٥) نفس المصدر : ١٦٠ ، والدرر : ١٥٦ .

(٦) انظر جوامع السيرة : ١٦٠ والدرر : ١٥٦ .

— يتابع ابن عبد البر في خطأ آخر وقع في اسم واقف .

فعندما يذكر ابن عبد البر من حضر العقبة الثانية يذكر واقفاً فقط . ولو أن ابن حزم نقل عن ابن إسحاق ذلك لذكر واقفاً وواثلاً بحسب تلك الرواية ولكن يبدو أنه نقلها عن ابن عبد البر .^(١)

— وقد تفرد ابن عبد البر بذكر عمير بن عدي بن خطمة في شهاداء أحد وتابع ابن حزم ذلك وقد نص محققا الجوامع بأن ابن حزم نقله عن ابن عبد البر ولم يحيل إلى مصدر والأكثر نقلا عن ابن سيد الناس في عيون الأثر .^(٢)

من ذلك نخلص إلى أن ابن حزم قد وجد بين يديه سيرة محررة لا تعتمد على كتب السيرة وحدها بل تعتمد على كتب الحديث ورواية الموثقين مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة ، ومع الوفاء بدقة الأعلام مع المعرفة الواسعة بعلم الحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه .^(٣)

أثره في ابن سيد الناس :

وابن سيد الناس هذا هو أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد اليعمرى الإشبيلي . وهو من أسرة أندلسية استقرت في مصر .

وقد وصلت نسخة من الدرر إلى ابن سيد الناس عن طريق والده رواية بطريق شيوخه عن ابن خير الإشبيلي ، واطلع عليها . وضمن كثيرا من جوانبها المهمة كتابه المعروف « عيون الأثر في فنون المغازي والسير » .^(٤)

(١) انظر جوامع السيرة : ٧٣ . والدرر ٧٣ .

(٢) نفس المصدر : ١٦٩ . والدرر ١٦٣ .

(٣) انظر مقدمة الدرر : الدكتور شوق ضيف : ٤ .

(٤) انظر شذرات الذهب : ٦ / ١٠٨ وانظر عيون الأثر : لابن سيد الناس : ٢ / ٣٤٧ .

وقد كثرت نقول ابن سيد الناس عن ابن عبد البر ومخاصة الدرر والاستيعاب .
وكانت نصوصه التي ينقلها عن الدرر طويلة في غالب الأحيان .^(١)

ولعل من أهم النصوص التي ينقلها عن ابن عبد البر في السيرة :

١ — نقل ابن سيد الناس عن ابن عبد البر ما يتعلق بالمجاهرين الذين كانوا يعذبون
الصحابة في مكة . ومخاصة من لا أنصار له من قبيلته .^(٢)

٢ — ينقل الفقرة الخاصة بالمستهزئين الذين كانوا يتندرون ويستهزئون بصحابة رسول
الله ﷺ^(٣)

٣ — يتابع ابن عبد البر في ذكر باب الهجرة إلى الحبشة وينقل منه نصاً أغلب
الخبر .^(٤)

٤ — وينقل خبر دخول شعب بنى هاشم بنصه عن ابن عبد البر وهو خبر طويل .^(٥)

٥ — وينقل عن ابن عبد البر خبر مقاسم خير كله ، ثم يناقش ابن عبد البر في
بعض القضايا الفقهية التي تتعلق بهذه القضية .^(٦)

بهذه النقول الموسعة التي كانت تتضمن أحيانا بابا كاملا أو فصلا . إضافة إلى
المنثور من الآراء المنقولة عن ابن عبد البر — التي أحصى الباحث مواضعها —
» تحولت سيرة ابن سيد الناس فيها إلى ما يشبه نسخة أخرى من كتاب الدرر في
اختصار المغازي والسير » .^(٧)

(١) وكان مجموع ما نقله ابن سيد الناس في عيون الأثر (١٢٨ نصا) .

من الدرر (٩٢ نصا) ومن غيره مجملا (٣٦ نصا) .

(٢) انظر عيون الأثر : ١ / ١١١ وقارن الدرر : ٤٦ .

(٣) انظر عيون الأثر : ١ / ١١٣ وقارن الدرر : ٤٩ — ٥٠ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ١١٥ — ١١٨ . وقارن الدرر : ٥٠ — ٥٤ .

(٥) انظر عيون الأثر : ١ / ١٢٦ — ١٢٨ — وقارن الدرر : ٥٦ — ٥٩ .

(٦) نفس المصدر : ٣ / ١٣٦ — ١٣٧ . وقارن الدرر : ٢١٤ — ٢١٦ .

(٧) مقدمة كتاب الدرر : دكتور شوقي ضيف : ١٩ .

ولم يكتف ابن سيد الناس بالنقل المُسهب عن ابن عبد البر بل يوافقه في بعض آرائه في السيرة ، من ذلك :

١ — موافقته في رد قول من قال بأنّ أبا موسى الأشعري من مهاجرة الحبشة ونقل هذا الرأي عن ابن عبد البر نصا .^(١)

٢ — يوافقه في تاريخ غزوة بني المصطلق وما ورد فيها من قضايا مثل : أن النبي ﷺ هاجمهم وهم غارون ، وأنّ الصحابييين اللذين تناقشا هما سعد بن عباد وأسيد بن حضير وليس سعد بن معاذ لأنه قد توفى بعد قريظة .^(٢)

٣ — يوافقه في أن مكة المكرمة مؤمنة ولم تُفتح عنوة . والأمان كالصلح .^(٣)

بذلك يتبين لنا مدى اهتمام مُدوني السيرة النبوية بكتاب ابن عبد البر الدرر وأن ابن سيد الناس قد احتفظ بنسخة الدرر الأندلسية التي ورثها عن أبيه الذي رواها عن محمد بن أحمد السراج عن خاله ابن خير الإشبيلي الذي اعتنى بكتب ابن عبد البر في فهرسته المشهورة .^(٤)

وقد اهتم مؤرخو السيرة في أنحاء المعمورة بالنقل عن كتاب الدرر لابن عبد البر ومن هؤلاء :

أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١ هـ) في كتابه (الروض الأنف) .
وسليمان بن موسى الكلاعي (ت ٦٣٤ هـ) في كتابه (الاكتفاء في مغازي رسول الله ^(٦) والثلاثة الخلفاء) ومحمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٢ هـ) في كتابه

(١) انظر عيون الأثر : ١ / ١١٨ وقارن الدرر : ٥٤ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٩١ ، ١٠٢ وقارن الدرر : ٢٠٠ ، ٢٠٢ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ١٧١ وقارن الدرر : ٢٣٠ .

(٤) انظر عيون الأثر : ٢ / ٣٤٧ .

(٥) وقد نقل عن ابن عبد البر (٥ نصا) قارن الصفحات على سبيل المثال : ١ / ٧٨ ، ٤٣٤ ، ٣ /

٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٤٩ ، ... ، ٤ / ٩٥ ، ١٦٨ ، ١٠٢٥٢ ، ٥ / ١٧٣ ، ٣٤٨ ، ٠٠٣٥٠ ، ٦ / ٤٠ ،

١٨٩ ، ١٩٢ ، ٣٢٤ ، ٧ / ٤٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٤٥٥ ،

(٦) انظر مثالا : ٢ / ٢٢٢ ، ٢٣٢ .

(سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) . (١)

ب : أثر ابن عبد البر في مؤلفي تراجم الصحابة وعلم الرجال والتراجم :

علمنا مما سبق أنّ لابن عبد البر مؤلفات قيمة في تراجم الصحابة والفقهاء ،
وعلم رجال الحديث ، وقد حاز ذلك بما منحه الله له من قوة في الحفظ وصفاء في
الذهن ورغبة شديدة في البحث والتتبع .

فأصبحت مؤلفاته تضم عُصرة علمه الواسع فأقبل عليها العلماء في الأجيال التي
بعده بالاهتمام واعتبروها من أهم مصادرهم ، فلا تجد مؤلفاً في الصحابة ، أو تراجم
الفقهاء ، أو الجرح والتعديل ، إلا واسم ابن عبد البر يتردد في صفحاته .

ومن الذين اعتمدوا على ابن عبد البر في هذا الجانب كثير لا يُحصيهم العدّ وإنما
نختار نموذجين من الذين كان لهم القدح المُمعَلّى في الأخذ عن مؤلفات ابن عبد
البر ، ومن هؤلاء الإمام المؤرخ|ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) صاحب (الكامل
في التاريخ) (وأسد الغابة في معرفة الصحابة) وابن حجر العسقلاني (ت
٨٥٢ هـ) المحدث المدقق والمؤرخ .

فقد اعتمد عليه الأول في تراجم الصحابة عند تأليفه كتابه (أسد الغابة) .
والثاني جعله من مصادره الأساسية في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) ، و
(تهذيب التهذيب) في رجال الحديث .

١ — أثره على ابن الأثير :

لقد جعل ابن الأثير كتاب ابن عبد البر الاستيعاب أحد مصادره الأساسية التي

(١) وقد نقل عنه في مواضع منها:

١ / ٢٨٢ ، ٤٦٤ ، ٤٠٥ / ٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٨٦ / ٣ ، ٢٤٤ ، ٣١٩ ، ٥٢٧ ،

٤ / ٢٥ ، ٢٩ ، ٢٢٥ .

اعتمد عليها وأثنى عليه لما يحويه من مادة تاريخية خلاف غيره ممن ألف في تراجم الصحابة الذين كانت كتبهم أقرب إلى الحديث من التاريخ .^(١)

ومُجمل ما نقله عنه ابن الأثير في كتابه أسد الغابة (٣٣٦٥ نصا) في مجمل مجلداته السبعة .^(٢)

وقد جمع ابن الأثير في كتابه أربعة كتب من كتب الصحابة ، ورتب كتابه على حروف المعجم وهي كالآتي :

الأول : لابن منده أي عبد الله محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٠١ هـ)
الثاني : لابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ)
الثالث : لابن عبد البر يوسف بن عبد الله الثمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)
الرابع : أبو موسى الأصفهاني : محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى (ت ٥٨١ هـ)
استدرك على ابن منده في كتابه الصحابة :

وقال ابن الأثير : « فرأيت أن أجمع بين هذه الكتب وأضيف إليها ما شذ عنها مما استدركه أبو علي الغساني على أبي عمر ابن عبد البر ، وكذلك ما استدركه عليه آخرون » .^(٣)

٢ — أثر ابن عبد البر في ابن حجر العسقلاني :

لقد كان كتاب الاستيعاب أحد المصادر الأساسية لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ولو أنه انتقد ابن عبد البر على تسميته لكتابته بالاستيعاب ظلماً منه بأنه استوعب أسماء الصحابة .^(٤)

(١) انظر أسد الغابة : ١ / ١١ .

(٢) نقل عنه في المجلد الأول (٥١٣ نصا) . وفي الثاني : (٦١١ نصا)

وفي الثالث : (٥٥٦ نصا) وفي الرابع : (٤٠٥ نصراً)

وفي الخامس : (٥٤٦ نصا) وفي السادس (٢٧٤ نصا)

وفي السابع : (٣٦٠ نصا)

(٣) انظر أسد الغابة : ١ / ١٠ .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٣ طبعة السعادة .

والذى يَتميّزُ به كتاب الإِصابة عن غيره حسن تبويبه ودقَّتُه في الإِحاطة بكل ما يتعلق بترجمة الصحابي . فقد قَسَم ابن حجر كتابه إلى أربعة أقسام :^(١)

الأول : فيمن وردت صُحْبُهُ بطريق الرواية عنه أو من غيره سواء كانت بطريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ما يدل على الصحابة بطريق ما .

الثاني : ذكر فيه الصحابة من الأطفال الذين ولدوا على عهدهِ ﷺ وماتوا وهم دون سن التمييز .

الثالث : عن المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

الرابع : فيمن ذكر في كتب الصحابة على سبيل الوهم والخطأ وتحقيق ذلك .

وقد تجلّى أثر ابن عبد البر في كتاب الإِصابة من خلال النقول الكثيرة التي أوردها عنه ابن حجر ، فقد نقل عنه في (١٧٨٢ موضعا) كما أحصى ذلك د . شاکر عبد المنعم في رسالته عن ابن حجر وموارده في الإِصابة .^(٢)

ومن نماذج نقله عنه في الإِصابة :

١ — السائب بن أبي حبيس بن المطلب

« وقال أبو عمر هو الذى قال فيه عمر ذاك رجل لا أعلم فيه عيباً ، بخلاف غيره وقد روى أن عمر قال : ذلك في ولده عبد الله بن السائب وكان شريفاً وسيطاً أيضاً »^(٣)

٢ — سُلَيْط بن سُفْيَان بن خَالِد بن عوف الأسلمى :

« قال أبو عمر : هو أحد الثلاثة الذين بعثهم رسول الله ﷺ طلائع في آثار

(١) نفس المصدر ١ / ٤ — ٥ .

(٢) انظر (ابن حجر العسقلاني ودراسة موارده ومصنفاته ومنهجه في كتاب (الإِصابة) د. شاکر عبد المنعم :

٢٩٦ / ٢

رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة طبع الجزء الأول منها فقط .

(٣) الإِصابة : ٢ / ٩

المشركين يوم أحد» .^(١)

٣ — نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يَعْمُر الكِنَافِي
« قال أبو عمر مات في خلافة يزيد بن معاوية » .^(٢)

٤ — أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد القرشي^(٣)
كان من المسلمين السابقين إلى الإسلام ومن مهاجرة الحبشة ، ونقل أبو عمر
عن طريق محمد بن إسحاق أن اسمه عبد الله الحارث .

وقد كان ابن عبد البر بما ألفه من مؤلفات أخرى في علم الرجال والتراجم مصدراً
لكثير من المؤلفات التي جاءت بعده . وابن عبد البر قد ضمن كتابه التمهيد كلاماً
في الرجال تضعيفاً وتوثيقاً . لاسيما وأنه يتكلم في معاني الأسانيد ورجالها من خلال
كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس . وقد مرّ التعريف بكتاب التمهيد ومنهج ابن عبد
البر فيه في فصل مؤلفاته .
وكانت كتبه الأخرى كالاستيعاب والاستغناء في الكنى تحفل بهذا .

نقله عنه في تهذيب التهذيب :

وهو الكتاب الثاني الذي نقل فيه ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) عن ابن
عبد البر في علم الرجال الذي ذكر فيه زبدة أقوال المُحدثين في رجال الكتب
الستة : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم .

وقد أورد ابن حجر في كتابه الذي يقع في اثني عشر مُجلداً أقوال ابن عبد البر في
جرح الرجال وتعديلهم . وقد نقل عنه ابن حجر وعلّق عليه في (٤١٧ موضعا) .

٣ — نقل الصالحى عن ابن عبد البر في عقد الجمان :

وأما النموذج الآخر الذى نقل عنه فى تراجم الفقهاء فهو كتاب (عقد الجمان

(١) نفس المصدر : ٢ / ٧١ .

(٢) نفس المصدر : ٣ / ٥٧٨ .

(٣) نفس المصدر : ٤ / ١٦٠ — ١٦١ .

في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (للمؤرخ المحدث محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٢ هـ) .

(١)

فقد نقل في هذا الكتاب تلك اللمسات التى يتسم بها ابن عبد البر في إنصافه للعلماء والفقهاء الأعلام فقد ردّ عن أبي حنيفة سهاماً كان سدّها طيش التعصب أو الحسد أو ثورة غضب .

وقد دافع ابن عبد البر عن أبي حنيفة في كتابه جامع بيان العلم فقال : « أفرط أصحاب الحديث في ذمّ أبي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك » (٢)

وقال : وكان أبو حنيفة يُحسد وينسب إليه ما ليس فيه ، ويُختلق عليه ما لا يليق به (٣) وقال عنه نقلاً عن أبي داود السجستاني « رحم الله أبا حنيفة كان إماماً (٤) وكان الصالحى يصف ابن عبد البر بالناقد ، وبالمنصف لما توخاه ابن عبد البر من معالجة الأمور بموضوعية من غير تعصّب مذهبي ، أو علمي ، فابن عبد البر كان مُحدثاً ومالكى المذهب .

هذه نماذج أردنا أن نوضح فيها أثر ابن عبد البر في مؤلفى تراجم الصحابة ، والفقهاء ، وعلم رجال الحديث .

★ ★ ★

تاسعا : نقد العلماء لابن عبد البر :

كلُّ أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ .

وابن عبد البر اجتهد في أن يُدلى بآرائه من خلال ثقافته الواسعة واجتهاده الشخصي ، فوفق في أشياء كثيرة ، واستحكم عليه ما يستحكم على البشر من الخطأ والوهم والنسيان . فكان ذلك مدخلاً للعلماء لمناقشة آرائه وتقويم خطأه أو

(١) وقد نقل عنه في (٢٠ موضعاً من كتابه « عقد الجمان ») .

(٢) انظر عقد الجمان : ٢٨٦ .

(٣) نفس المصدر : ٣٨٨ .

(٤) نفس المصدر : ٣٩٠ .

إزالة وهمه .

آراء ابن عبد البر التاريخية :

وسيحاول الباحث أن يعرض النقد الموجه لآرائه في بعض القضايا التاريخية . وإنتاجه التاريخي ، وسيفتصر على كتاب الاستيعاب لأنه هو ثمرة الفكر التاريخي عند ابن عبد البر والذي حوى الجانب التطبيقي لآرائه في التاريخ فيما يخص تاريخ الصدر الأول والخلفاء الراشدين وصدر من العصر الأموي .

(١)

وقد أوجز ابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) نقد العلماء له في قضيتين :

— رواية ابن عبد البر عن الإخباريين لا المحدثين .

— وإيراده كثيرا مما شجر بين الصحابة .

أما القضية الأولى فقد مضى الكلام عنها خلال عرض اهتمامه بالجانب التاريخي في علم الرجال والتراجم من هذا الفصل .
أما القضية الثانية : فهي ذكره ما شجر بين الصحابة وسيأتي الحديث عنها .

موقفه من قضية المفاضلة بين الصحابة :

وهذه القضية هي ثمرة بعض الآراء الخاصة التي وضعها ابن عبد البر لنفسه من خلال استقراءه نصوص الأحاديث النبوية في هذا الجانب والتي يمكن أن نلخصها فيما يلي :^(٢)

١ — الصحابة أفضل القرون بالنسبة للمجموع لا الأفراد .

٢ — من مات من الصحابة في حياته — ﷺ — أفضل ممن بقى بعده .

٣ — أفضل الصحابة : الأولون من المهاجرين ثم الأولون من الأنصار ثم من بعدهم

(٢) انظر علوم الحديث المعروف بالمقدمة : ٢٦٢ .

(٢) انظر : مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبد البر : ٢٤١ رسالة دكتوراه : لصالح أحمد رضا ، مكتوبة على الآلة الكاتبة .

مع عدم القطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل من الآخرين في طبقته .

٤ — الاتفاق على أفضلية الخلفاء الراشدين بحسب ترتيبهم في الخلافة .

(١) أما قضية أفضلية القرن الأول على باقي القرون :

فقد ذهب ابن عبد البر إلى أن الأفضلية بالنسبة للقرن الأول هي أفضلية مجموع وليست أفضلية أفراد ، واحتج ابن عبد البر بحديثين :

الأول : « أُمَّتِي كَالْمَطَرِ لَا تَدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ » .^(١)
والثاني : « خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ » .

وهما يعارضان حديث : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ...
الحديث » .^(٢)

ولدفع التعارض قال ابن عبد البر :^(٣)

« وَالَّذِي يَصِحُّ عِنْدِي — وَاللَّهِ أَعْلَمُ — فِي قَوْلِهِ : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي) أَنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْعُمُومِ وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ ، بِالْدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ فِي أَنَّ قَرْنَهُ — وَاللَّهِ أَعْلَمُ — فِيهِ الْكُفَّارُ وَالْفُجَّارُ كَمَا كَانَ فِيهِ الْأَخْيَارُ وَالْأَشْرَارُ . وَكَانَ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ وَالْفُسَّاقُ ، وَالزُّنَاةُ وَالسُّرَّاقُ ، كَمَا كَانَ فِيهِ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالْفُضَلَاءُ وَالْعُلَمَاءُ .

فالمعنى على هذا كله عندنا أن قوله عليه السلام : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي) . أى : خَيْرُ النَّاسِ فِي قَرْنِي كَمَا قَالَ تَعَالَى : (الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ) أى فِي أَشْهَرِ مَعْلُومَاتٍ . فَيَكُونُ خَيْرُ النَّاسِ فِي قَرْنِهِ أَهْلُ بَدْرِ وَالْحَدِيثِيَّةُ وَمَنْ شَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ خَيْرُ النَّاسِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

(١) قاله ابن حجر العسقلاني : وهو حديث حسن له طرق قد يرتقى بها إلى الصحة . انظر فتح الباري : ٧ / ٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . انظر فتح الباري : ٧ / ٣ .

(٣) الاستدكار : ١ / ٢٣٩ — ٢٤٠ .

وقد ناقش ابن حجر القضية بقوله : (١)

« واقتضى هذا الحديث — خير الناس قرني — أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين ، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد ؟

محل بحث وإلى الثاني نحا الجمهور . والأول قول ابن عبد البر .

والذى يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ ، أو في زمانه ، أو بأمره أو أنفق شيئاً من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده ، كائناً من كان . وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث .. وقد تعقب كلام ابن عبد البر بأن مقتضى كلامه : أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة وبذلك صرح القرطبي .

لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصحابة . فإنه صرح في كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية .

والذى ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل . لمشاهدة رسول الله ﷺ .

وأما من اتفق له الذب عنه ، والسبق إليه بالهجرة ، أو النصرة ، وضبط الشرع المتلقى عنه ، وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده . لأنه مامن نخلة من الخصال المذكورة إلا وللذى سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده . فظهر فضلهم .

ومُحَصِّلُ النزاع يتمخض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة ، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان مُتَجَهِّهاً على أن : حديث « للعامل منهم أجر خمسين منكم » لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة ، لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة ، وأيضاً فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى مايمثله في

(١) فتح الباري : ٧ / ٦ ، ٧ .

ذلك العمل . فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضلية المشاهدة فلا يعدله فيها أحد » .

(٢) ويرى ابن عبد البر أن من مات من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده :

واستدل على ذلك بقوله ﷺ : في شهداء أحد « هؤلاء أشهدُ عليهم » أو « أنا شهيد على هؤلاء » . وقال القاضي عياض ومن القائلين بذلك ابن عبد البر^(١) . وفي قوله ﷺ « لا أدري ما تحدثون بعدى »^(٢) وبحديث الحوض : « وليردن أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم »^(٣) .
وقد نقد النووي هذا الرأي بقوله :
« وهذا الإطلاق غير مرضى ولا مقبول »^(٤) .

وقال العراقي وهو أيضا مردود بإجماع الصحابة والتابعين على أفضلية أبي بكر وعمر على سائر الصحابة .

وقد عقب د . صالح أحمد رضا بقوله : « ففي الرأي الذي ينقله القاضي عياض عن ابن عبد البر نجد أنه إطلاق غير سليم من النقد ، وما استدلل به من الحديث ليس نصا قاطعا في ذلك ولا قريبا من القطع والله أعلم »^(٥) .

(٣) وأما في قوله في الفضل والمفاضلة : فقد روى عنه ابن حزم أنه كان يقول بقول أبي داود الظاهري وأنه قال له غير ما مرة أن هذا هو قوله ومعتقده . وهو : « أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام أصحاب رسول الله ﷺ ، وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين ، ثم الأولون من الأنصار ، ثم من بعدهم منهم . ولا أقطع على إنسان

(١) انظر فتح المغيث : للسخاوي : ١١٩ / ٣ .

(٢) التقصى : لابن عبد البر : ٦٥ .

(٣) الاستذكار : لابن عبد البر : ١ / ٢٤٠ .

(٤) المنهاج : ١٥ / ١٤٨ .

(٥) مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبد البر : ٢٤٤ رسالة دكتوراة مكتوبة على الآلة الكاتبة .

منهم بعينه أنه أفضل من الآخرين من طبقته .^(١)

وقد صرح ابن عبد البر بذلك في مقدمة الاستيعاب بقوله :
« ولم يأت عنه عليه السلام أنه فضل منهم واحداً على صاحبه بعينه من وجه يصح ولكنه
ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ، ومنازلهم من الفضل والدين والعلم .
وكان عليه السلام أحلم وأكرم معاشرة ، وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلاً منهم
بأن غيره أفضل منه ، فيجد ذلك في نفسه ، بل فضل السابقين منهم وأولوا
الاختصاص به ، على من لم ينل منازلهم .^(٢) »

ثم نقل في الاستيعاب قولاً آخر وهو : « وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من
تقديم أبي بكر في الفضل على عمر ، وتقديم عمر على عثمان ، وتقديم عثمان على عليّ
رضي الله عنهم ، وعلى هذا عامة أهل الحديث من زمن أحمد بن حنبل إلا
خواص من جلة الفقهاء ، وأئمة العلماء . »^(٣)

ويبدو أن ابن عبد البر قال بالقول الأول يوم كان ظاهرياً ، ثم رجع عنه بعد ذلك
إلى قول الجمهور .

(٤) أما الاتفاق على ترتيب أفضلية الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة : فإن ابن
عبد البر ذهب إلى ذلك ، بل أقدم على رد رواية صحيحة عن ابن عمر فيورد
رأي ابن معين في حديث ابن عمر ذلك بأن : « من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ
وعرف لعل سابقته وفضله فهو صاحب سنة » فلما قيل له قول من يقول : أبو بكر
وعمر وعثمان ويسكتون فتكلم فيهم بكلام غليظ .^(٤)

ثم تعقبه ابن حجر بقوله : « وادّعى ابن عبد البر أيضاً أن هذا الحديث خلاف

(١) رسالة في المفاضلة بين الصحابة : لابن حزم : ١٧١ .

وانظر الفصل : ٤ / ١١٢ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ١٧ ، ١٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١١٧ — ١١٨ .

(٤) الاستيعاب : ٣ / ١١١٦ .

قول أهل السنة أن علياً أفضل الناس بعد الثلاثة ، ودل هذا الإجماع على أن حديث ابن عمر غلط ، وإن صحَّ سنده ^(١) »

ثم قال : « ولا يلزم من سكوتهم إذ ذاك على تفضيله ، عدم تفضيله على الدوام ، وبأن الاجتماع المذكور ، إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر ، فيخرج حديثه أن يكون غلطاً ^(٢) »

ولكن ابن حجر مع ذلك اعتذر لابن عبد البر في أنه قد يكون أنكر الزيادة التي وقعت في حديث ابن عمر لأنها لم تثبت عنده وهي : « ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم . » ^(٣)

ويستمر ابن حجر في تفنيد رأى ابن عبد البر في رده لحديث ابن عمر ، لأن ابن عمر ثبت عنه تفضيله علياً على نفسه .

« والظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل ، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهوراً يَبِيناً ، فيجزمون به ، ولم يكونوا اطلَّعوا على التنصيص في ذكر فضله ^(٤) »

تدوين ماشجر بين الصحابة :

« ليست في التاريخ الإسلامي مرحلة أشد تعقيداً ، ولا أعظم غموضاً من المرحلة التي تبدأ بقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، واستخلاف عثمان رضي الله عنهما ، وتنتهي بتسليم الحسن بن علي الأمر إلى معاوية رضي الله عنهما . » ^(٥)

ثم إن هذه المرحلة لما كانت تتعلق بالجيل الأول الذي قاد عملية البناء في المجتمع

(١) نفس المصدر وفتح الباري : ١٦ / ٧ .

(٢) فتح الباري : ١٦ / ٧ .

(٣) نفس المصدر : ١٦ / ٧ - ١٧ .

(٤) نفس المصدر : ٥٨ / ٧ .

(٥) عثمان بن عفان : صادق عرجون : ٩ - ١٠ .

الإسلامي الأول ، لذلك جعلت الباحثين يتهيبون النقد الصريح لشخصياتها ويحذرون البحث في تحقيق حوادثها وبيان أسبابها وعللها . حرصاً من المسلم على أن لا يشوّه جمال ذلك العصر المليء بالمفاخر الفذة .^(١)

وإن بادر المؤرخ الورع لمعالجة أحداث هذه الفترة استجابة لداعى العلم ، وأداء لحق البحث العلمى النزىه الملتزم . « خشى أن يتذرع بذلك من لم يرجُ لله وقاراً فيهم — في غير سمت العلماء ، وأدب رواد الحقائق — على التاريخ ، فيتشبه ببعض الروايات الباطلة ، والآراء الملقحة بالشهوات الفكرية والاعتقادية ، ويتخذ منها مذهباً ينشره على الناس ، كأنه حقيقة من الحقائق فتتناقله الأقلام وينحدر إلى أودية الأفكار ، وكثير منها تخليى ، وكثير منها مدخول عمى .^(٢)

وقد توزعت تدوين هذه القضية مصادر شتى . منها ما هو متخصص ومنها غير ذلك . أهمها الكتب التاريخية المتقدمة أمثال تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ ابن أبى خيثمة وتاريخ أبى زرعة الدمشقى وغيرهم .

وكتب تراجم الصحابة ، وكتب الأدب والأخبار وكذلك كتب الحديث التى تحوى روايات زاخرة خاصة فى مناقب الصحابة .

ثم إن العقبة التى تواجه المؤرخ لهذه الحقبة المهمة الخطيرة فى التاريخ الإسلامى رُكام من الروايات التاريخية المختلفة المتناقضة التى نقلها إلينا بعض الأحيان رواة « تجتف بهم أحوال سياسية ، واجتماعية ، ومذهبية ، وأدبية ، وفكرية ، وعنصرية ، قد تزعزع الثقة بهم فى رواياتهم مالم تجد تلك الروايات صياغة مهرة ، ونقاداً حذقة يميزون الجيد من الرديء ، ويصفون الحق من بهرج الباطل ... ولا يروى إلا عمن رجح فى ميزان العدالة بين الرواة » .^(٣)

(١) انظر نفس المصدر : ١٨ وانظر موسوعة التاريخ : ١ / ٤٤ — ٤٥ ط ١٠ .

(٢) نفس المصدر : ١٨ .

(٣) عثمان بن عفان : ٢١٧ .

« وفي هذا المجال تتجلى مهمة الباحث في الموازنة والاستنباط حتى يستخلص من هذه الروايات معالم الحق ، ويستطيع أن يرسم له صورة إن لم تكن هي الحقيقة كلها فهي أقرب ما تكون إليها . »^(١)

ومما زاد في صعوبة البحث تلك الطريقة التي يسلكها بعض المعاصرين في التعامل مع الروايات المدخولة الباطلة فيختارون ما يوافق أفكارهم ونيولهم تحت ستار المنهج العلمي وحرية الرأي للنيل من صدر هذه الأمة فيسهل التليس على من يجهل التاريخ وأدب قراءته . « فلمصلحة من تُدمر تاريخنا ونقضي على الحالة الطيبة التي رسمها الزمن لزعمائنا في الفكر والسياسة » .^(٢)

عليه فقد اجتهد العلماء واتفق جمهور أهل السنة والجماعة على عدم الخوض في هذه الأحداث التي وقعت بين الصحابة رضي الله عنهم . سداً لذريعة انفلات الألسن من عقلها فتسوء التحليل والاستنتاج مما يترتب على ذلك من تمكث على تلك الأفكار التي تؤدي إلى التعصب وبالتالي إلى التنازع والخلاف المذموم والذي لا زالت تُعاني منه أمتنا الإسلامية . والتزموا بقوله تعالى : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون » ..^(٣)

ابن عبد البر وتدوين ما شَجَرَ بين الصحابة :

ولكن ابن عبد البر آثر أن يركب الصعب ، ويرتقى الوعر ، ليقدّم لنا صورة متكاملة عن القرن الذي جعله الله أسوأ القرون ، يدفعه إلى ذلك حسنة التاريخي ، الذي يعطي لفائدة التاريخ مضمونها الإيجابي يعينه في ذلك ثقافته الحداثيّة والتاريخيّة الواسعة . إضافة إلى ضوابط الالتزام التي وضعها كإسلافنا .

ثم إنه من خلال التصورات التي اختارها مجتهداً في مفهوم التفضيل في الأجيال ،

(١) نفس المصدر : ٢١٨ .

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي : ١ / ٤٧ ط ١٠ .

(٣) البقرة : آية ١٣٤ .

والأشخاص ، ومن توفي في حياة النبي ﷺ أو بعده . كما أسلفنا ومن ثبت صحبته ومن اختلف فيها ، تناول الكلام في الأشخاص الذين كان لهم دور كبير في تلك الحقبة من الزمن ليشبع في نفسه شغف المؤرخ الذي يريد اقتحام الأحداث . ليحدد أسبابها ونتائجها والمسؤولون عنها .

وكان ابن عبد البر على قدر كبير من التحري والالتزام في سرد الأحداث ونقدها وتصويب اجتهاد بعض الصحابة وتخطئة البعض الآخر . وكان يتحري أن يذكر محاسن من ينقدونهم مع ذكر بعض المآخذ عليهم وكان هذا يحدث عند ترجمته/المعاوية رضى الله عنه ، ورجالات بني أمية أمثال : أبو سفيان ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة . وغيرهم أو بعض مناصرتهم أمثال : بُسر بن أرطاة .^(٥)

بينما كان يبدو شديد العاطفة عند الكلام عن مواقف الصحابة الذين وقفوا بجانب عليّ رضى الله عنه ، وبرز ندم من تأخر عن نصرته على في موقفه من معاوية . أمثال عبدالله بن عمر .

ولذا فإن ابن عبد البر قد توسع في ذكر بعض الأخبار التي يحمل من خلالها بعض الشخصيات مسؤولية بعض الأحداث التي شاركوا فيها والأعمال التي اقترفوها أمثال : بُسر بن أرطاة ، ومروان بن الحكم .

ومع موقف ابن عبد البر الواضح التعاطف مع عليّ^(٦) — كرم الله وجهه — لكنه لم ينبج من نقد الشيعة حيث وصفه الخوانساري بقوله : « كان سنيا متعصبا ناصبياً أى

(١) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤١٦ — ١٤٢٢ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٧١٤ — ٧١٥ ، ٤ / ١٦٧٧ — ١٦٨٠ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١٣٨٧ — ١٣٩٠ .

(٤) نفس المصدر : ٤ / ١٥٥٢ — ١٥٥٩ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ١٥٧ — ١٦٦ .

(٦) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري تحقيق : إسماعيليان

أسد الله : ٨ / ٣٣٣ طبعة إيران .

— يناسب آل البيت العداء — ويظهر من مطاوى كتابه الاستيعاب وإشارات بعض
ماضّم الأصحاب ، أنه كان من جملة غرائب النصاب وعجائب المعاندين مع آل
محمد الأجلة الأطياب . »

ولا يكتفى ابن عبد البر بإبراز أحداث الفتنة فقط ولكنه يعرض لنا الاستعداد
النفسي للصحابة رضى الله عنهم لتغيير مواقفهم مع مقتضى الحق ومصلحة المجتمع
الإسلامى ولا يضرهم ذلك فى شيء مما يدل على إخلاصهم وأنهم لم يقتتلوا إلا لاجتهاد
فيه مظنة الحق ولكن عندما يظهر الحق يخضع له الجميع .

ولعل صورة تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة موقف رائع يدل على حقيقة هذا
الجيل .^(١)

ومثل موقف المسور بن مخرمة وهو يناقش معاوية ويبدى له رأيه فيه صراحة ورد
معاوية عليه يسجل لنا ابن عبد البر ذلك فى خبر طويل يقول فى نهايته المسور
بن مخرمة :

« ففكرت حين قال ما قال — أى معاوية — فعرفت أنه خصمنى . قال :
فكان إذا ذكر — معاوية — بعد ذلك دعا له بالخير^(٢) » وكان المسور من أنصار على
رضى الله عنه من أول خلافته .

ثم موقف أبى أيوب الأنصارى الصحابى الشيخ الذى كان مع على كرم الله وجهه
فى كل موقفه يوافق على أن يكون فى جيش أميره يزيد بن معاوية عند محاولة فتح
القسطنطينية وعندما سأل عن رأيه فى ذلك قال : « وما على أن أمر علينا شاب^(٣) »
وكان هو ابن الثمانين سنة أو يزيد .

★ ★ ★

(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٨٥ — ٣٨٧ .

(٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤٢٢ .

(٣) نفس المصدر : ٤ / ١٦٠٧ .

ما لابن عبد البر وما عليه :

- وهناك بعض المآخذ على ابن عبد البر التي آخذها عليها العلماء منها :
- ١ — نقله عن بعض المضعفين من المؤرخين ، أمثال : سيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) وأبو مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧ هـ) والجاحظ ، ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) وغيرهم الذين جمعوا الأخبار من غير تمحيص .
 - ٢ — كانت أكثر تراجم من انتمى إلى البيت الأموي أو من ناصرهم تكثر فيها الأخبار التي تبدى نقدهم وتظهر بعض المساوئ ، مما جعل ابن عبد البر نفسه يُمسك عن الكلام في ترجمة أبي سفيان مثلاً .
 - ٣ — يبدو في ترجمته لمن ناصر علماً أكثر ميلاً فيذكر بطولاتهم ويصفهم بالتشيع وهو غير التشيع العقدي السياسي الذي ظهر بعد ذلك . وإنما يعنى المناصرة لموقف على وتقديمه له مع تفضيل أبي بكر وعمر والترحم على عثمان .

ومن مفاخره أنه :

- ١ — من أوائل المُحدثين الذين اجتهدوا في مخالفة القول بعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، لكيلا يترك المجال مفتوحاً لأهل الأهواء وقليلي البضاعة التاريخية ، والذين يفتقدون الملكة النقدية .
- ٢ — اجتهد في أن يقدم في تراجمه مفاخر الصحابي والمآخذ عليه .
- ٣ — لم يستعمل قولاً جارحاً أو لفظاً نابياً وهو يقدم تلك التراجم .



الخاتمة

عشنا في هذه الرحلة الواسعة مع ابن عبد البر الذي كان معلماً على قرن كامل ، حيث عاش خمسة وتسعين عاماً . فتنقلنا مع ابن عبد البر في جميع أطوار حياته باستقصاء لا بأس به .

وبين الباحث تأثيره بالأحداث وتفاعله معها ، خاصة في تلك الحقبة التي عاصر ابن عبد البر فيها الكيان السياسي الواحد في ظل المنصور بن أبي عامر وأبنائه ثم الفتنة القرطبية الهوجاء التي أعقبها التفكك السياسي .

وساهم في النهضة الثقافية التي كانت ثمرة القرن الرابع الهجري وآتت أكلها في القرن الخامس .

وحاول البحث استقصاء إنتاجه الثقافي الذي أسهم به في ذلك . ثم عرض في الباب الثاني إلى إطار البحث التاريخي عند ابن عبد البر وقيمه التي تجلت من خلال تنوع معالجاته للقضايا التاريخية .

وأما الباب الثالث فقد أبرز شخصية ابن عبد البر المؤرخ فكرياً ومنهجياً ومدرسة . ثم أثره فيمن بعده والنقد الموجه إليه .

وأما أهم النتائج التي توصل إليها البحث فهي :

١ — الكشف عن : بعض الجوانب المجهولة من حياة ابن عبد البر . وتحديد بعض الأحداث الهامة من حياته على وجه التقريب ومحاولة تحديد ذلك بالسنوات وخاصة تحديد وجهته بعد الخروج من قرطبة ، ثم تتبع رحلاته وتنقلاته بين مدن الأندلس مع الاستعانة بالخرائط في ذلك .

٢ — إحصاء مؤلفاته إحصاءً استدرك فيه مافات البحوث الأخرى التي سبقته .

٣ — الكشف عن نجاحه في توظيف ثقافته الحديثة في توثيق الخبر ونقده مع استخدام المنهج العقلي في نقد الأخبار التاريخية .

٤ — أظهر البحث دور ابن عبد البر في الإصلاح وإعادة وحدة الأندلس بالمشاركة

مع غيره من العلماء والمفكرين .
وهناك توصية عامة مفادها :

ضرورة دراسة المؤرخين الذين غلب عليهم تخصص آخر ، لعلنا بذلك نكشف عن
منهج جديد ابتكره مؤرخ ما . أو يكشف عن نجاح مؤرخ في توظيف ثقافته
الموسوعية في خدمة التدوين التاريخي . وبذلك نرى المكتبة التاريخية والبحث التاريخي
بصورة عامة والبحث التاريخي الإسلامي بصورة خاصة .
والله أسأل التوفيق والسداد .



ثبت المصادر والمراجع

★ القرآن الكريم .

أولا : المخطوطات .

★ اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف روايتهم عنه لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٤ مغرب أولى / الخزانة الملكية عندى صورة عنها .

★ الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٥٥ / مغرب ثانية .

★ الاستدراك على ابن عبد البر : لابن الأمين ، وعليه زيادات لابن بشكوال . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٢٧ تاريخ .

★ الأمثال السائرة والأبيات النادرة ، لابن عبد البر القرطبي (٤٦٣ هـ) مخطوط بدار الكتب المصرية (برقم : ١٩٦٣ / أدب) .

★ الاهتبال لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عندى صورة عنها .

★ تاريخ الإسلام ، الذهبى — محمد بن عبد الله بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) معهد المخطوطات بالقاهرة (برقم : ٩٨ / تاريخ نسخة أحمد الثالث .

★ التعريف بفقهاء المالكية . ابن عبد البر القرطبي معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٦٢٩ / تاريخ . عندى صورة عنها .

★ التكملة — ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) القسم الثالث . معهد المخطوطات العربية بالقاهرة غير مصنفة .

★ الجامع لأخلاق الرواى واداب السامع : الخطيب البغدادي على بن ثابت (ت ٤٧٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة غير مصنفة .

* رسالة في أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر القرطبي ، دار الكتب المصرية
نسخة برقم ٥٥٢ / أدب تيمور ونسخة ثانية برقم ٣ — ١٦٦ / أدب .

* روض الأنس لأبي البقاء الرندي (٦٨٤ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة
مصورات المغرب برقم : ١٢ مكتبات خاصة .

* سير أعلام النبلاء — للذهبي محمد بن عبد الله بن عثمان (٧٤٨ هـ) دار الكتب
المصرية برقم ١١٩٥ .

* الغنية — للقاضي عياض اليحصبي (٥٤٤ هـ) مخطوط بدار الكتب المصرية
برقم ١٢٨٤ / تاريخ تيمور .

* في ذكر بلاد الأندلس — مؤلف مجهول . معهد المخطوطات العربية —
بالقاهرة — برقم ١٧٦ مغرب / أولى . عندي صورة عنها .

* مقدمة الاستذكار للحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني السلفي (ت
٥٧٦ هـ) المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ٧١ — عندي صورة عنها .

ثانيا : المصادر والمراجع والرسائل الجامعية :

* الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري الدكتور عبد
المجيد محمود عبد المجيد مكتبة الخاشجي ، القاهرة (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م)

* الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي : رسالة دكتوراه قدمها منجد مصطفى
بهجت بجامعة الأزهر / كلية اللغة العربية (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) مكتوبة على
الآلة الكاتبة لم تطبع بعد .

* الأدب الأندلسي في الفتح حتى سقوط الخلافة د . أحمد هيكل — دار المعارف
بالقاهرة . ط ٧ . (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

* أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) تحقيق

محمد إبراهيم البنا (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) دار الشعب بدون تاريخ .

★ الاستدكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ لابن عبد البر القرطبي — تحقيق الدكتور على النجدى ناصف ، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة . ط ١ (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .

★ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق محمد على البجاوي ، مكتبة نهضة مصر (١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م) .

★ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) مكتبة المثنى ببغداد ، صورتها عن طبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .

★ الإسلام في أسبانيا ، د . لطفى عبد البديع . مكتبة النهضة المصرية ط ٢ (١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) .

★ الإسلام ونهضة الأندلس أحمد مظهر العظمة . المكتب الفنى والنشر — القاهرة (١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م) سلسلة الثقافة الإسلامية .

★ الأعلام بمن حل في مراکش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم . تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية بالرباط ، ط ١ . (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .

★ الاكتفاء في مغازى رسول الله ﷺ ومغازى الثلاثة الخلفاء الكلاعى . الحافظ الشهيد أبى ربيع سليمان بن موسى الكلاعى (ت ٦٣٤ هـ) ، تحقيق مصطفى عبد الواحد . نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، صدر الجزء الأول (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) والجزء الثانى (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) الجزء الثالث لم يصدر بعد .

★ الألماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضى عياض : عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ) تحقيق سيد أحمد صقر ، نشر دار التراث بمصر . ط ١ : (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) .

★ الإنباه على قبائل الرواه ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) مطبعة القدسي / القاهرة ط ١ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣٠ م) .

★ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء — لابن عبد البر القرطبي . مطبعة القدسي / القاهرة ط ١ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣٠ م) .

★ الأندلسيون المواركة . عادل سعيد بشتاوي ، مطابع انترناشيونال برس — القاهرة . ط ١ (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

★ الإنصاف فيما بين المختلفين في بسم الله الرحمن الرحيم لابن عبد البر القرطبي ، عنيت بنشره المطبعة المنيرية بمصر سنة (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٣ م) .

★ ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتاب الإصابة الدكتور شاكر محمود عبد المنعم ، دار الرسالة للطباعة ببغداد ، نشر وزارة الأوقاف العراقية : ط ١ (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) . طبع الجزء الأول فقط .

★ ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح عويس ، دار الاعتصام بالقاهرة ، ط ١ (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) .

★ ابن حزم مؤرخا د . عبد الحليم عبد الفتاح عويس ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ، كلية دار العلوم / قسم التاريخ سنة (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة طبعت .

★ ابن عبد البر الثمري محدثا . الطاهر بن الصادق الأنصاري ، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز (أم القرى الآن) كلية الشريعة / فرع الكتاب والسنة . سنة : (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد

★ ابن عبد البر وجهوده في الحديث والفقه . إسماعيل الندوي ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ، كلية دار العلوم / قسم الشريعة سنة (١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع

★ ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب . الدكتور إبراهيم العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، سنة (١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م) .

★ ابن زيدون . د . علي عبد العظيم . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ آداب الشافعى ومناقبه لابن أبى حاتم (ت ٢٣٧ هـ) تحقيق الشيخ عبد الغنى عبد الخالق ، مكتبة التراث الإسلامى ، ط ١ (١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م) .

★ الأحكام فى أصول الأحكام ابن حزم القرطبى : على بن أحمد (٤٥٦ هـ) ، الناشر زكريا على يوسف ، القاهرة . بدون تاريخ .

★ إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) طبعة دار الشعب بالقاهرة . بدون تاريخ .

★ الأخبار الموفقيات . الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق سامى مكى العانى ، مطبعة العانى ، بغداد ، ط ١ (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ أطلس التاريخ الإسلامى صنفه هارى . وهازارد ، ترجمه وحققه إبراهيم زكى خورشيد ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية .

★ إعتاب الكتاب ابن الأبار : محمد عبدالله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) تحقيق د . محمد صالح الأشر . طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق . ط ١ . (١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م) .

★ أعمال الأعلام فىمن بويغ قبل الاحتلام ، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال .

★ إفادة النصيح فى التعريف بسند الجامع الصحيح ، مُحِب الدين أبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السيتى الفهرى الأندلسى (ت ٧٢١ هـ) تحقيق الدكتور محمد الحبيب الخوجة : الدار التونسية للنشر / تونس . بدون تاريخ .

- ★ الباعث الحثيث . شرح اختصار علوم الحديث للحافظ بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٣ . مكتبة محمد علي صبيح . القاهرة . بدون تاريخ .
- ★ بحوث في تاريخ السنة المشرفة . الدكتور أكرم العمرى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) .
- ★ برنامج شيوخ الوادياشي . تحقيق ناطق مطلوب جزء ثانى من رسالة الدكتوراه بجامعة عين شمس / قسم التاريخ ، مكتوبة على الآلة الكاتبة .
- ★ بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس ابن عميره الضبى : أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩ هـ) دار الكتاب العربى (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .
- ★ بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والهاجس لابن عبد البر القرطبي تحقيق محمد موسى الخولى ، مراجعة الدكتور عبد القادر القط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ط ١ ، (١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م) .
- ★ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشى (ت بعد ٧١٢ هـ) دار الثقافة ، بيروت . بدون تاريخ .
- ★ تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان تحقيق الدكتور سيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب ، دار المعارف / القاهرة ط ١ (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) .
- ★ تاريخ الأندلس — أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس (ت بعد ٥٧٣ هـ) ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، مدريد (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .
- ★ تاريخ الأدب الأندلسى عصر سيادة قرطبة ، الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت . ط ٢ سنة (١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) .
- ★ تاريخ الأدب الجغرافى إغناطينوس بوليا نوفتش كراتشكوفسكى ، نقله إلى العربية صلاح الدين هاشم ، نشر الجامعة العربية ، مصر ، (١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م) .
- ★ تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة (٩٢ — ٨٩٧ هـ) الدكتور عبد

الرحمن على الجمحي ، دار القلم دمشق ، ط ١ (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) .

* تاريخ أنى زرة الدمشقى الحافظ عبد الرحمن بن عمرو النصرى (ت ٢٨١ هـ) تحقيق شكر الله نعمة الله القوجانى ، مطبعة المفيد الجديدة بدمشق ، ط ١ (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) .

* التاريخ أثره وفائدته تأليف A.L. ROWSE ترجمة مجد الدين حفنى ناصف ، مراجعة الدكتور محمد أحمد أنيس ، بإشراف الهيئة العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب ١٩٦٨ م .

* تاريخ التراث : فؤاد سزكين . ترجمة الدكتور محمد فهمى حجازى والدكتور فهمى أبو الفضل . نشر الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة . الجزء الأول : ط ٢ (١٣٩٧ — ١٩٧٧) ، والجزء الثانى ط ١ : (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

* تاريخ التعليم فى الأندلس : الدكتور محمد عبد الحميد عيسى : دار الفكر العربى بالقاهرة . ط ١ (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) .

* تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) تحقيق الدكتور أكرم العمرى مطبعة الآداب فى النجف ، العراق ط ١ (١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م) .

* تاريخ العرب العام المستشرق ل . أ . سيدو مطبعة عيسى الحلبي . ط ٢ (١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) .

* التاريخ العربى ومصادره ، أمين مدنى مطبعة دار المعارف ، القاهرة (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .

* التاريخ يحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ) تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف ، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ، مكة المكرمة ، ط ١ (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) .

* تاريخ العرب فى أفريقية والأندلس لحسن خليفة ، مطبعة الاعتماد بالقاهرة ط ١

(١٣٥٦ هـ — ١٩٣٨ م) .

★ تاريخ علماء الأندلس لابن القرضى عبد الله بن يوسف (ت ٤٠٣ هـ) الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة ط ١ (١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) .

★ تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهى ، أبو الحسن على بن عبد الله بن محمد (٧٩٣ هـ) نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة (١٣٦٨ هـ — ١٩٤٨ م) .

★ تدريب الراوى شرح تقريب النواوى لـ هلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١٠ هـ) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف فايد . طبعة : مصر (١٩٧٩ م) .

★ التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة : للقرطبى محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا . مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة . ط ١ (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) .

★ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، الطاهر أحمد الزاوى ، عيسى البابى الحلبي ، ط ٢ .

★ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . للقاضى عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ) تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود . بيروت (١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م) .

★ التربية الإسلامية فى الأندلس : خوليان ريرا ترجمة الدكتور طاهر مكى : دار المعارف بالقاهرة ، ط ١ (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) .

★ الذيل والتكملة لكتاى الموصول والصلة : المراكشى : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصارى (ت ٧٠٣ هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ط ١ (١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م) .

★ التعريفات : أبو الحسن الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) ط مصطفى البابى الحلبي ،

القاهرة (١٩٣٨ م)

★ التقريب للنوى فى أصول الحديث ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده (سنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

★ التقصى الحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك لابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) مكتبة القدسى ، القاهرة ط ١ (١٣٥٠ هـ) .

★ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (ت ٨٠٦ هـ) حققه عبد الرحمن محمد عثمان ، ناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

★ التكملة لابن الأبار : محمد بن عبد الله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) تحقيق الشيخ عزت العطار الحسينى والشيخ عبد الغنى عبد الخالق ، القاهرة (١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م) .

★ التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، لابن عبد البر القرطبى ، حقق إلى الآن عشرة أجزاء منه ولم يكتمل بعد ، نشر وزارة الأوقاف المغربية ، طبع الجزء الأول فى : (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) . طبع الجزء العاشر فى (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) .

★ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى أبى الفضل أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ) مجلس دائرة المعارف النظامية ، بالهند . (١٣٢٦ هـ) .

★ الجامع لابن عبد البر القرطبى ، تحقيق الدكتور محمد ولد ماديك الموريتانى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط ١ (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

★ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله لابن عبد البر القرطبى ، تحقيق عبد الرحمن عثمان ، مطبعة السلفية / المدنية المنورة (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

★ جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس : لأبى عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح

الأزدى الحميدى (ت ٤٨٨ هـ) القاهرة (١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) .

★ جغرافية الأندلس وأوربا (من كتاب المسالك والممالك) لأبى عبيد البكرى عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٨ هـ) تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى (دار الإرشاد بيروت ط ١) . (١٣٧٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

★ جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى تحقيق الدكتور عبد السلام هارون ، دار المعارف : ١٣٨٢ — ١٩٦٢ م .

★ جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق محمود محمد شاكر ، نشر مكتبة دار العروبة بمصر ، ط ١ (١٣٨١ هـ — ١٩٧١ م) .

★ جوامع السيرة ورسائل أخرى : لابن حزم الأندلسى تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد — الدكتور إحسان عباس ، دار المعارف بالقاهرة .

★ جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلى تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، مطابع الأهرام / القاهرة (١٣٨٠ هـ — ١٩٧٠ م) .

★ الحركة اللغوية بالأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف : الدكتور ألبير حبيب مطلق ، المكتبة العصرية بيروت ط ١ (١٣٧٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ الحضارة الإسلامية فى الأندلس د . عبد الرحمن على الحجى ط ١ ، دار الإرشاد بيروت ط ١ (١٣٧٩ هـ — ١٩٦٩ م) .

★ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى آدم متر ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة — دار الكتاب العربى بيروت : ط ٤ (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة : لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ط ١ (١٣٨٧ هـ —

١٩٦٧ م) .

★ حضارة العرب جوستاف لوبون . ترجمة عادل زعتر . نشر مطبعة عيسى الحلبي ط ١ (١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م) .

★ الحضارة العربية جاك . س . ريسلر ، ترجمة : غنيم عبدون ، مراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

★ الحُلَّة السيرة — ابن الأبار : محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ط ١ (١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م) .

★ الحُلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية شبيب أرسلان مطبعة عيسى الباني الحلبي — القاهرة ، ط ١ (١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م) .

★ الحياة العلمية في مدينة بلنسية : كريم عجيل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ١ . (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) .

★ دائرة معارف الشعب . كتاب الشعب عدد ٦٤ و ٦٧ ، مطابع الشعب (١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م) .

★ الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر القرطبي ، تحقيق شوقي ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ١ / القاهرة (١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) .

★ دراسات في السيرة د . عماد الدين خليل نشر دار الرسالة ببيروت (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) .

★ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الدكتور أحمد مختار العبادي مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية / مصر (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) .

★ الدلائل السمعية على ماكان في عهد رسول الله — ﷺ في الحرف والصنائع

- والعاملات الشرعية — الخزاعي التلمساني أبي الحسن علي بن محمد (ت ٧٨٩ هـ) تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ط ١ ، القاهرة (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) .
- ★ دول الطوائف . محمد عبد الله عنان : مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٤ (١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) .
- ★ دولة الإسلام محمد عبد الله عنان : مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٤ (١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) .
- ★ الديباج المذهب في تراجم أعيان المذهب تحقيق الدكتور الأحمدي أبو النور . مكتبة دار التراث بالقاهرة . ط ١ (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) .
- ★ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ط ١ (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) .
- ★ الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام د. بشار عواد معروف . مكتبة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ط ١ سنة (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) .
- ★ رسالة التلخيص في وجوه التخليص منشورة ضمن كتاب جوامع السيرة لابن حزم تحقيق ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، دار المعارف بمصر ط ١ .
- ★ روض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام السهيلي : الإمام عبد الرحمن (ت ٥٨١ هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار النصر للطباعة — القاهرة ط ١ (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .
- ★ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم محمد بن إبراهيم الوزير (ت ٨٤٠ هـ) نشر المكتبة السلفية بالقاهرة (١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م) الطبعة الأولى .

★ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرقة للسيد محمد جعفر الكتاني
مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، بدون تاريخ .

★ الزهري ترجمة حياته مسئلة من تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٧٥١ هـ) . تحقيق
شكر الله نعمة الله قوجاني ، دار الرسالة ببيروت . ط ١ (١٣٤٢ هـ —
١٩٨٢ م) .

★ السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣ هـ) تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم
الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، (١٣٧٥ هـ —
١٩٥٥ م) .

★ السيرة النبوية دروس وعبر ، د. مصطفى السباعي ، طبعة المكتبة الإسلامية
بدمشق سنة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : محمد بن مخلوف ، المطبعة السلفية
بالقاهرة ، ط ١ (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٩ م) .

★ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي
(ت ١٠٨٩ هـ) ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ . بدون
تاريخ .

★ شرح ديوان ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) الدكتور على عبد العظيم ، نشر مكتبة
نهضة مصر بالقاهرة .

★ شيوخ العصر في الأندلس : الدكتور حسين مؤنس ، سلسلة المكتبة الثقافية .
الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، سنة (١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م) .

★ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، بدون تاريخ .

★ صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية ، القاهرة بدون تاريخ .

- ★ الصلة : لابن بشكوال : خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري (ت ٥٧٨ هـ) نشر الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة ط ١ (١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) .
- ★ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار لأبي عبد الله الحميدى (ت ٧١٠ هـ تقريباً) تحقيق ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ط ١ (١٣٥٧ هـ — ١٩٣٧ م) .
- ★ طبقات الحفاظ جلال الدين السيوطى تحقيق : محمد عمر أحمد ، مكتبة وهبة / القاهرة / ط ١ .
- ★ الطبقات الكبرى ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) دار التحرير ، القاهرة (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .
- ★ طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق الدكتور أكرم العمرى مطبعة العاني / بغداد ط ١ (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .
- ★ طوق الحمامة فى الألفة والآلاف لابن حزم القرطبي ، تحقيق د. طاهر مكي . ط ٢ دار المعارف بالقاهرة (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .
- ★ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ابن خلدون — عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .
- ★ عروة بن الزبير وبداية مدرسة المغازى . سلوى أحمد ممدوح مرسى . رسالة ماجستير فى كلية الآداب / قسم التاريخ بالجامعة الأردنية (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) بإشراف د. عبد العزيز الدروى ، مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .
- ★ علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس والدول الإسلامية ، رسالة دكتوراة قدمها خليل إبراهيم السامرائى بجامعة القاهرة ، كلية الآداب (١٣٨٩ هـ —

- ١٩٧٩ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .
- ★ علم التاريخ الأستاذ هرنشو ترجمه إلى العربية عبد الحميد العبادى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ١ (١٩٣٧ م) .
- ★ علم التاريخ عند العرب : الدكتور عبد العزيز الدروى ، المطبعة الكاثوليكية — لبنان ط ١ (١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م) .
- ★ علم التاريخ عند المسلمين — لروزنثال ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى ط ١ نشر مكتبة المثنى ببغداد .
- ★ علوم القرآن ، غانم قدورى مطبعة الدار العربية ببغداد ط ١ (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) .
- ★ عيون الأثر فى فنون المغازى والشمال والسير لابن سيد الناس اليعمرى محمد بن أحمد (ت ٧٣٤ هـ) ط دار المعرفة بلبنان .
- ★ العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين للإمام تقى الدين محمد بن أحمد الحسينى الفاسى المكى (ت ٨٣٢ هـ) تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .
- ★ الفرد والدولة ، الدكتور عبد الكريم زيدان مطبعة دار العلوم بالقاهرة ١٩٧٩ م .
- ★ فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . العسقلانى . أحمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز . المطبعة السلفية بالقاهرة : ط ١ (١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م) .
- ★ فهارس شيوخ العلماء فى المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه قدمها ناطق صالح المطلوب . بجامعة عين شمس ، قسم التاريخ الإسلامى ، سنة (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .

* فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين والمصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف ابن خير : محمد بن خير الأموى الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) تحقيق (كوديرا وروبير ١ : مكتبة الخانجي بالقاهرة — والمثنى ببغداد ط ٢ (١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م) .

* فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات . دكتاني محمد الحسنى الإدريسي ، المطبعة الجديدة بفاس : المغرب (١٣٤٧ هـ) .

* الفن الإسلامى فى أسبانيا لما نويل مورينو ، ترجمة الدكتور لطفى عبد البديع والدكتور السيد عبد العزيز سالم : نشر الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة : ط ١ — (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .

* فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت فى أصول الفقه بهامش المستصفى للغزالي . لعبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى . دار صادر بيروت صورة عن المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٢ هـ .

* الفصل فى الملل والنحل لابن حزم القرطبى (ت ٤٥٦ هـ) مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط ١ (١٣٢١ هـ) .

* فى تاريخ المغرب والأندلس . الدكتور أحمد مختار العبادى ، مؤسسة الثقافة بالجامعة بالإسكندرية مصر ، بدون تاريخ .

* القاموس المحيط : الفيروزابادى مجد الدين محمد بن يعقوب ، شرح أبو الوفا نصر الهورينى ، مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ط ٢ (١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م) .

* قرطبة فى العصر الإسلامى تاريخ وحضارة الدكتور أحمد فكرى ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية بمصر ط ١ (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

* القصد والأهم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر القرطبى

(ت ٤٦٣ هـ) طبعة السعادة (١٣٥٠ هـ) .

★ قلائد الجسان في التعريف بقبائل عرب الزمان القلقشندى : أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ) تحقيق إبراهيم الأياري . دار الكتاب المصري ط ٢ . (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) .

★ الكافي في فقه أهل المدينة المالكي تأليف ابن عبد البر القرطبي تحقيق : د. محمد ولد ماديك الموريتاني ط ١ . الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض . (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

★ كشف الظنون للحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) المطبعة الإسلامية بطهران (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ الكفاية في علم الرواية . الخطيب البغدادي ، أحمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق : محمد الحافظ التيجاني ، وعبد الحليم محمد عبد الحليم ، وعبد الرحمن حسن محمود ، دار التراث العربي ، القاهرة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ لسان العرب لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير . محمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي . دار المعارف بالقاهرة . بدون تاريخ .

★ لطائف الإشارات لفنون القراءات شهاب الدين العسقلاني أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ، تحقيق الشيخ عثمان ود . عبد الصبور شاهين . ط ١ القاهرة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غرب البحر المتوسط تأليف : كليلا سارنللي تشركوا (CLELIA SARNELLI CERQUA) لجنة البيان العربي بالقاهرة : (١٣٧١ هـ — ١٩٦١ م) .

★ المجتمع المدني في عهد النبوة د. أكرم العمري ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط ١ (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

- ★ مختلف القبائل ومؤلفها محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) اعتنى بنشره المستشرق
فرديناند فستنفيلد ، مكتبة المثنى ببغداد مصورة عن الطبعة الأولى ١٨٥٠ م .
- ★ محاضرات في علوم القرآن . غانم قدورى حمد ، بغداد ط ١ (١٩٨١ م) .
- ★ مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ابن قيم : شمس الدين
محمد بن أبى بكر الحنبلى (ت ٧٥١ هـ) مطبعة المحمدية / القاهرة .
- ★ المغرب في حلى المغرب بن سعيد : أحمد بن سعيد الأندلسى ، تحقيق د. شوق
ضيف ، دار المعارف ط ٢ (١٩٦٤ م) .
- ★ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر في حوادث الزمان لليافعى : عبد الله
بن سعيد بن سليمان (ت ٥٦٨ هـ) مؤسسة الأعلمى بيروت . مصورة عن الطبعة
العثمانية بالهند . ط ٢ (١٣٣٨ هـ) .
- ★ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبى شامة عبد الرحمن المقدسى
(٦٦٥ هـ) ط ١ بيروت ، ١٩٧٥ م .
- ★ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
البغدادى (ت ٧٣٩ هـ) تحقيق : على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى
الحنبلية ، ط ١ (١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م) .
- ★ المستصفى في علم الأصول للإمام أبى حامد الغزالى (٥٠٥ هـ) ط ١ المطبعة
الأميرية بمصر . سنة (١٣٢٢ هـ) .
- ★ مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، الدكتور سيدة إسماعيل كاشف .
مكتبة الخانجى بالقاهرة . ط ٢ (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) .
- ★ مصادر دراسة السيرة النبوية وتقويمها د. فاروق حمادة ، دار ثقافة المغرب . ط ١
(١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) .

★ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس (ابن خاقان) أى نصر
الفتح بن خاقان . مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .

★ المعارف : ابن قتيبة : أى محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق
الدكتور : ثروت عكاشة ، دار المعارف بالقاهرة ط ٢ (١٣٩٧ — ١٩٦٩ م) .

★ المعجب في تلخيص أخبار المغرب المراكشى : محيى الدين عبد الواحد بن على
(ت ٦٤٧ هـ) تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بالقاهرة ، ط ١ (١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م) .

★ معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) دار صادر بيروت ،
بدون تاريخ .

★ معجم المصطلحات الحديثية صنفه بالعربية الدكتور / نور الدين عتر ، ترجمه
وصاغه بالفرنسية الدكتور / عبد اللطيف الشيرازى ، وداود عبدالله كريل ، نشر
مجمع اللغة العربية بدمشق . ط ١ (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .

★ المعجم في أصحاب القاضى الإمام أى على الصدفى : بن الأبار ، محمد بن
عبدالله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) طبع فى مدريد ، (١٨٨٥ م) .

★ المغازى الأولى ومؤلفوها . يوسف هوروفتس ، ترجمه حسين نصار ، مطبعة
مصطفى البابى الحلبي ط ١ (١٣٦٩ هـ — ١٩٤٩ م) .

★ مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم طاش كبرى زادة : أحمد
بن مصطفى تحقيق كامل بكري — وعبد الوهاب أبو النور . دار الكتب الحديثة —
القاهرة (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

★ المقتبس من أبناء أهل الأندلس — لابن حيان القرطبي ، حيان بن خلف بن
حسين (ت ٤٦٩ هـ) تحقيق الدكتور محمود على مكى نشر المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية بالقاهرة . ط ١ (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .

★ مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ) تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي . مكتبة نهضة مصر . ط ٢ (١٩٨١ م — ١٤٠١ هـ) .

★ مقدمة في علوم الحديث . أبو عمرو ابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق : الدكتور نور الدين عتر . نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة مطبعة الأصيل بحلب (١٩٦٦ م) .

★ المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ط ١ (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) .

★ موارد الخطيب البغدادي الدكتور أكرم العمري . دار القلم دمشق — بيروت . ط ١ (١٩٧٥ م — ١٣٩٥ هـ) .

★ موجز تاريخ الحضارة العربية . الدكتور عبد العزيز الدوري وناجي معروف . بغداد (١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م) .

★ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الدكتور أحمد شلبي
أ — الجزء الأول : ط ١٠ (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة

ب — الجزء الرابع : ط ٤ (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

★ موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، د. أحمد شلبي
أ — التربية الإسلامية نظمها ، فلسفتها ، تاريخها . ط ٦ (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م)

ب — السياسة في الفكر الإسلامي . ط ٥ (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

★ منجد المقرئين ومرشد الطالبين . لمحمد بن محمد الجزري (ت ٨٢٣ هـ) ، تحقيق : د. عبد الحى الفرماوى . ط ١ ، القاهرة (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .

- ★ مناهج المؤرخين العراقيين في عصر الدولة البويهية . عبد الرحمن النغراوى ، رسالة ماجستير بدار العلوم سنة ١٩٧٩ م . مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .
- ★ المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل د. فاروق حمادة ط ١ ، مكتبة المعارف بالرباط .
- * منهج البحث التاريخى د. حسن عثمان . دار المعارف بمصر . ط ٤ (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م)
- ★ منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى . الدكتور عثمان موافى ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية . ط ٢ (١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م) .
- ★ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . للذهبي محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق على محمد البجاوى . دار إحياء الكتب العربية بمصر . ط ١ (١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م) .
- ★ النظريات السياسية . الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس . مكتبة دار التراث بالقاهرة : ط ٧ (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) .
- نفع الطيب من غصن الأندلس . التلمسانى : أحمد بن محمد المقرئ تحقيق : د. إحسان عباس . دار صادر بيروت ، ط ١ (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .
- ★ النقد التاريخى . لانجلوا وسينوبوس ترجمة د. عبد الرحمن بدوى . نشر مكتبة النهضة المصرية (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) .
- ★ نشأة التدوين التاريخى عند العرب : الدكتور حسين نصار ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط ١ ،
- ★ هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادى المطبعة البهية باستانبول (١٣٧١ هـ — ١٩٥١ م) .
- ★ هدى السار مقدمة فتح البارى لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق

الشيخ عبد العزيز بن باز ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط ١ .

★ الوجيز في أصول الفقه . الدكتور عبد الكريم زيدان ، مطبعة دار النذير . بغداد ، ط ١ (١٣٧٢ هـ — ١٩٦٢ م) .

★ الوصايا الخالدة عبد البديع صقر ، نشر دار الكتب بقطر ، ط ١ (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

ثالثا : البحوث والمقالات :

★ أثر رحلة المسلمين في تعريف المجتمعات الإسلامية ، عبد العظيم عوده أبو سرحان مجلة الفيصل ، عدد : ٢٥ رجب (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

★ أصالة الفكر التاريخي ، الدكتور : بشار عواد ، مجموعة بحوث المؤتمر التاريخي العالمي ببغداد (١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م) .

★ الدعوة إلى التوحيد . د. خليل إبراهيم السامرائي ، مجلة زانكو ، جامعة السليمانية العراق (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

★ الرحلات بين المشرق والأندلس . د. محمود علي مكى مجلة البيئة المغربية عدد ٢ ذي الحجة (١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م) .

★ كتب برامج العلماء . عبد العزيز الأهواني مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة (١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م) .

★ الكتب والمكتبات في الأندلس : د. عبد الرحمن الحجى — مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد عدد ٤ سنة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ المعاصرة الفكرية : الدكتور أحمد شلبي ، بحث ألقى في ندوة السخاوى بالجمعية التاريخية المصرية بالقاهرة من (٢٨ فبراير — ٣ مارس) (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) .

★ مظاهر علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين . د. بشار عواد معروف ، مجلة الأعلام : السنة الأولى (١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م) العدد الخامس : تصدرها وزارة الأعلام العراقية .

★ موسى بن عقبة ، مقالة د. أكرم العمرى في مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد العدد الأول لسنة (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م) .

★ مشاهير مؤرخى سيرة رسول الله : الدكتور إبراهيم العدوى مجلة الجمعية التاريخية المصرية : القاهرة مجلد ١٣ (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ معجم أشهر المدن الأندلسية : عربى — أسباني : للأستاذ صلاح الدين المنجد مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . المجلد السابع والأربعون ، أبريل : (١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م) .

★ نظرة في مصادر دراسة السيرة النبوية الدكتور أكرم العمرى ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد عدد ٣ لسنة (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) .



الملاحق

ملحق (١) موارد ابن عبد البر التاريخية

موارده في السيرة النبوية :

- (١) — مغازي موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ)
- (٢) — كتاب سيرة رسول الله ﷺ لسليمان بن طرخان (ت ١٤٣ هـ)
- (٣) — كتاب المغازي والسير لمحمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)
- برواياته الثلاثة المشهورة :
- رواية زياد بن عبد الله البكائي (ت ١٨٣ هـ) .
- رواية إبراهيم بن سعد (ت ١٨٤ هـ)
- رواية يونس بن بكير (ت ١٩٩ هـ)
- (٤) — كتاب تهذيب مغازي ابن إسحاق لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ)
- (٥) — كتاب السير لأبي إسحاق الفزاري (ت ١٨٥ هـ أو ١٨٦ هـ)
- (٦) — كتاب السير لسعيد بن يحيى الأموي (ت ٢٤٩ هـ)
- (٧) — كتاب سير الوليد بن مسلم الأموي (ت ١٩٥ هـ)

(١) انظر الدرر : ٣٩ ، ٥٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ الاستيعاب : ٤ / ١٤٣٠ ، ١٤٣٣ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير ٢٣١ رواها عن أبي ذر الهروي شيخه بالكتابة .

(٣) وقد نقل عنه ابن عبد البر في الدرر (٢٩ نصا) . انظر : ٢٩ ، ٣٩ ، ٥٩ ونقل عنه في الاستيعاب

(٤٠٢ نصا تقريبا) انظر : ١ / ٣١٠ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ..

الإنباه والقصد والأتم (٢٣ نصا) انظر ١٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ .

(٤) انظر الدرر : ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ٢٠٦ . الاستيعاب : ١ / ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٨ ،

٤٤١ . الانتقاء : ٩٢ ، ٥٣ .

(٥) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥١٣ .

(٦) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥٩٨ ، ٧٥٩ ، ٨٨٨ ، والدرر : ٢١١ .

(٧) انظر : نفس المصدر : ٢ / ٥١٠ .

- (١) — كتاب سيرة رسول الله ومغازيه لمحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ)
- (٢) — كتاب المغازي لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ)
- (٣) — كتاب السيرة لسعيد بن أسد بن موسى
- (٤) — أعلام النبوة لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)
- (٥) — مغازي رسول الله لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت ٢٣٩ هـ)
- (٦) — الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي (ت ٣٠٢ هـ)
- (٧) — اختصار سيرة رسول الله لأبي عيسى محمد بن عبد الله الليثي (ت ٣٦٨ هـ)
- دلائل النبوة لأبي زرعة الهروي (ت ٤٣٥ هـ)
- (٩) — أعلام النبوة ودلالات الرسالة لعبد الرحمن بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ)

موارده في علم الرجال والتراجم والأنساب والفضائل :

- (١٠) — كتاب الصحابة : لأبي القاسم عبد العزيز البغوي (ت ٣١٣ هـ)
- (١١) — كتاب الآحاد في الصحابة لأبي محمد عبد الله الجارود (ت ٣٢٠ هـ)

(١) انظر : نفس المصدر : ١ / ٣٢٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٢ / ٤٩٦ — ٤ / ١٤٢٦ ، ١٤٣١ .

(٢) نفس المصدر : الدرر : ٣٣ ، ٣٧ ، ٥٠ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٤ / ١٦٢٠ .

(٤) انظر فهرسة ابن خير الإشبيلي : ١٠١ .

(٥) انظر الديباج المذهب : ٢ / ١٣ .

(٦) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٣٠ .

(٧) انظر تاريخ ابن لفرضي : ٢ / ١٩٢ .

(٨) وأبو زر الهروي أجاز ابن عبد البر كل مؤلفاته انظر الديباج : ٢ / ٣٢ .

(٩) وعبد الرحمن بن فطيس شيخ لابن عبد البر ، انظر العجلة : ٣٠٩ — ٣١٣ .

(١٠) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٤٢٢ ، ٣ / ٩٣٢ ، ٤ / ١٦٢٠ .

(١١) نفس المصدر : ١ / ٣١٠ ، ٤ / ١٤٢٨ .

- كتاب الصحابة : لأبي جعفر محمد العقيلي (ت ٣٢٢ هـ)^(١)
- كتاب الحروف في الصحابة : لأبي علي سعيد بن عثمان بن السكن (ت ٣٥٣ هـ)^(٢)
- كتاب الصحابة : لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٠٣ هـ)^(٣)
- فضائل الصحابة : لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت ٢٣٩ هـ)^(٤)
- فضائل الصحابة : لبقى بن مخلد الأندلسي (ت ٢٧٦ هـ)^(٥)
- المصاييح في فضائل الصحابة : لعبد الرحمن بن فطيس الأندلسي (ت ٤٠٢ هـ)^(٦)
- الأخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين : لعبد الرحمن بن فطيس^(٧)
- فضائل التابعين : لعبد الرحمن بن فطيس^(٨)
- فضائل التابعين : لسعيد بن أسد بن موسى^(٩)
- كتاب الصحابة : أبو جعفر أحمد بن رشدين^(١٠)

(١) نفس المصدر : ١ / ٢٤ ، ١٩١ ، ٢ / ٦٣٢ ، ٤ / ١٦١٦ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٢٤ ، ١٤٦ ، ٢ / ٦٩٥ ، ٤ / ١٨٧٣ ، ١٩٤٢ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٤١٠ — ٤١١ ، ٢ / ٦٧٩ ، ٣ / ١١٥٢ .

(٤) انظر الدياج المذهب : ٢ / ١٣ .

(٥) انظر الاستيعاب : ١ / ١٦١ ، ٤ / ١٨٦٩ .

(٦) انظر : الصلة : ٣١٠ .

(٧) نفس المصدر .

(٨) انظر : الصلة : ٣١٠ .

(٩) انظر فهرسة ابن خير : ٢٧٠ .

(١٠) انظر الاستيعاب : ١ / ١٧٢ ، ٣ / ٩٥٣ نفع الطيب ٢ / ٦ .

- كتاب الطبقات : للواقدي (ت ٢٠٧ هـ)^(١)
- كتاب الطبقات : لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)^(٢)
- كتاب الطبقات : لمحمد بن سعد (ت ٢٦٣ هـ)^(٣)
- كتاب التاريخ الكبير للبخاري (ت ٢٥٦ هـ)^(٤)
- كتاب التاريخ الأوسط للبخاري^(٥)
- كتاب التاريخ الصغير أو الضعفاء والمتروكين للبخاري
- تاريخ سليمان بن داود الشاذكوني^(٧)
- التاريخ لأبي عمر الفلاسى الصيرفى (ت ٢٤٩ هـ)^(٨)
- التاريخ ليحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ)^(٩)
- التاريخ لأبي زرعة الدمشقى (ت ٢٨٢ هـ)^(١٠)
- التاريخ لأبي إسحاق السراج (ت ٣١٣ هـ)^(١١)
- التاريخ لأحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت ٣٥٠ هـ)^(١٢)
- كتاب الآحاد لأبي محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ)^(١٣)

- (١) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٢ / ٨٣٩ .
- (٢) نفس المصدر : ١ / ٢٦ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ٢ / ٧٤٤ .
- (٣) نفس المصدر : ٢ / ٤٢٤ ، ٥٩٣ ، ٧٠٥ .
- (٤) انظر فهرسة ابن خير : ٢٠٤ .
- (٥) نفس المصدر : ٢٠٥ .
- (٦) نفس المصدر : ٢٠٦ — ٢٠٧ .
- (٧) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٠ .
- (٨) انظر الاستيعاب : ٢ / ٦١٠ .
- (٩) نفس المصدر : ١ / ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٩٤ ، ٢ / ٢٧٠ ، ٩٣٣ ، ٩٥٦ ، ٢ / ١٠٠٢ ، ١١٤٤ / ٣ .
- ١١٩٧ ، ١٢٤٢ ، ١٢٩٧ / ٤ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٩ ، ١١٦٠٣ .
- (١٠) نفس المصدر : ٢ / ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٧٨ ، ٦١٠ ، ٧٧١ ، ٨٤١ .
- ٣ : ٩٠٥ ، ٩١٠ ، ٩٦٤ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣٠ / ٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٩٠ ، ١٧٢٣ ، ١٧٩٧ .
- (١١) انظر الاستيعاب : ١ / ١٣٢ ، ٢ / ٤٥٦ ، ٥١١ ، ٨٠٢ ، ٨١١ ، ٨٤٨ ، ٣ / ٩٣٢ ، ٤ / ٤٤٩ .
- (١٢) فهرسة ابن خير : ٢٢٧ .
- (١٣) انظر جلوة المقتبس : ١٢٨ — ١٢٩ .

- كتاب الوجدان لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)^(١)
- كتاب الوجدان للحسين بن محمد بن زياد القباني^(٢)
- المولد والوفاة : لأبي بشر الدولابي (ت ٣٢٠ هـ)^(٣)
- كتاب المؤلف والمختلف لأبي الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)^(٤)
- كتاب المؤلف والمختلف لعبد الغنى بن سعيد الحافظ المصري (ت ٤٠٩ هـ)^(٥)
- كتاب المتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ)^(٦)
- كتاب مشتهر التسمية لعبد الغنى بن سعيد الحافظ المصري (ت ٤٠٩ هـ)^(٧)
- تصحيح الأوهام التي في مدخل أبي عبد الله الحاكم لعبد الغنى بن سعيد^(٨)
- مجلس من أوهام أبي عبد الله البخاري لعبد الغنى بن سعيد^(٩)
- رجال الموطأ ليحيى بن إبراهيم بن مزين
- كتاب شيوخ أبي عبد الرحمن النسائي : لأبي محمد عبد الله الجهني (ت ١٩٥ هـ)^(١١)
- كتاب الضعفاء والمنسوين إلى البدعة من المحدثين لأبي يحيى الساجي (ت ٣٠٧ هـ)^(١٢)
- كتاب الضعفاء والمتروكين : لأبي محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ)^(١٣)

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٣٦ ، ٢ / ٦٢٩ ، ٤ / ١٥٢٣ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٧٠٥ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٢٣ ، ٦٣ ، ١٥٦ ، ٢ / ٥٣٠ ، ٣ / ١١٥٥ .

(٤) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٠٢١ ، ١١١٧ .

(٥) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٦ — ٢١٧ .

(٦) نفس المصدر : ٢١٨ .

(٧) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٧ .

(٨) نفس المصدر : ٢٢٤ .

(٩) نفس المصدر : ٩٢ .

(١١) نفس المصدر : ٢٢١ .

(١٢) نفس المصدر : ٢١٠ .

(١٣) انظر جذوة المقتبس : ٢١٠ .

- كتاب تضعيف الرجال : لعمر بن علي الفلاس (٣٤٩ هـ) .^(١)
- كتاب الضعفاء والمتروكين : لأبي سعيد بن السكن (ت ٣٥٣ هـ) .^(٢)
- كتاب الضعفاء والمتروكين : لأبي الفتح الأزدى الموصلي (ت ٣٧٤ هـ) .^(٣)
- كتاب الضعفاء والمتروكين : للدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) .^(٤)
- كتاب الكنى للإمام مسلم القشيري .^(٥)
- كتاب الأسماء والكنى لعبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) .^(٦)
- كتاب الأسماء والكنى لأبي محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ) .^(٧)
- كتاب الكنى لأبي أحمد الحاكم الكبير (ت ٣٧٨ هـ) .^(٨)
- كتاب الأسماء والكنى لأبي بشر الدولابي (ت ٣٢٠ هـ) .^(٩)
- أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين لخلف بن قاسم الأندلسي .^(١٠)
- كتاب التجريح والتعديل لأبي محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ) .^(١١)
- كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٢٧ هـ) .^(١٢)
- كتاب الجرح والتعديل لمحمد بن إبراهيم بن أبي القراميد .^(١٣)
- كتاب التعديل والتجريح لأبي الوليد الباجي (ت ٣٧٨ هـ) .^(١٤)

-
- (١) انظر الفهرسة : ٢١٢ .
- (٢) (٣ ، ٢) انظر فهرسة ابن خير : ٢١١ .
- (٤) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٠ .
- (٥) نفس المصدر : ٢١٢ .
- (٦) نفس المصدر : ٢١٤ .
- (٧) نفس المصدر : ٢١٣ .
- (٨) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥٧٥ ، ٣ / ١٤٢٦ ، ٤ / ١٦٠٣ ، ١٧٧٠ .
- (٩) انظر : فهرسة ابن خير : ٢١٣ .
- (١٠) انظر جذوة المقتبس : ٢١٠ .
- (١١) انظر فهرسة ابن خير : ٢١١ — ٢١٢ .
- (١٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٠٢٢ .
- (١٣) انظر : جذوة المقتبس : ٤٣ .
- (١٤) انظر : فهرسة ابن خير : ٤٤٥ .

- فضائل أبي حنيفة لأبي محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ) . (١)
- فضائل أبي حنيفة للصيدلاني . (٢)
- فضائل مالك للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) . (٣)
- فضائل مالك لأبي بشر الدولابي (ت ٣٢٠ هـ) . (٤)
- الرواة عن مالك لأبي الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) . (٥)
- مناقب الشافعي لأبي يحيى الساجي (ت ٣٠٧ هـ) . (٦)
- مناقب الشافعي لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) . (٧)
- فضائل قريش لقاسم بن أصبغ (٨)
- الأنساب لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ) . (٩)
- نسب قريش لأحمد بن محمد بن محمد بن عبيد العدوي . (١٠)
- أنساب العرب لابن كيسان الكوفي . (١١)
- نسب قريش للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) . (١٢)
- الأنساب لأبي اليقضان النسابة . (١٣)
- النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام . (١٤)

-
- (١) انظر جذوة المقتبس : ١٢٩ .
- (٢) الانتقاء : ١٢٢ ، ١٣٧ .
- (٣) انظر جذوة المقتبس : ٣٧٦ وانظر الانتقاء : ١٢ / ٤٦ ، ٥٤ .
- (٤) انظر الانتقاء : ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤٢ .
- (٥) نفس المصدر : ١٥ .
- (٦) نفس المصدر : ٦٧ ، ٨٩ ، ٩٣ .
- (٧) نفس المصدر : ٢٢ .
- (٨) انظر جذوة المقتبس : ٢٩٦ .
- (٩) انظر الانتقاء : ١٧٢ والاستيعاب : ٣ / ٨٦٨ ، ١٦٥ ، الانباه : ٩٧ .
- (١٠) انظر الاستيعاب : ٢ / ٨٣٣ ، ٣ / ٨٦٨ ، ٤ / ١٤٧٠ ، والانتقاء : ١٧٢ .
- (١١) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٧١ ، والانباه : ٢٣ ، ٣٠ .
- (١٢) نفس المصدر : ٢ / ٤٣٢ ، ٣ / ٨٧٩ ، ٤ / ١٥٣٦ ، ١٥٧٤ .
- (١٣) نفس المصدر : ١ / ١٢١ .
- (١٤) نفس المصدر : ١ / ٥٨ .

- النسب لعبد العزيز الجرجاني النسابة ^(١) .
- نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزيري (ت ٢٣٣ هـ) ^(٢) .
- مختلف القبائل ومؤلفها محمد بن حبيب ^(٣) .
- النسب لمحمد بن عبده بن سليمان ^(٤) .
- كتاب النسب للشرقي القطامي ^(٥) .
- كتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي في النسب (ت ٢٣٩ هـ) ^(٦) .
- كتاب الأنساب لقاسم بن أصبغ ^(٧) .
- أنساب مشاهير أهل الأندلس لأحمد بن محمد بن موسى الرازي ^(٨) .
- أخبار صلحاء الأندلس . لقاسم بن محمد القرطبي : (ت ٢٤٢ هـ) ^(٩) .
- طبقات الفقهاء : لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت ٢٣٩ هـ) ^(١٠) .
- أخبار الزهاد . لمحمد بن أحمد بن عبد الملك الزراد الأندلسي (ت ٣٠٥ هـ) ^(١١) .
- طبقات الكتاب بالأندلس ^(١٢) .
- محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد الأزدي المعروف بالانشين (ت ٣٠٧ هـ) .
- طبقات الشعراء بالأندلس ^(١٣) .
- لعثمان بن ربيعة الأندلسي (ت ٣١٠ هـ) .

-
- (١) نفس المصدر : ٤ / ١٨٧ ، ١٨٣٩ ، القصد والأتم : ٢٦ .
- (٢) نفس المصدر : ٢ / ٨٣٣ ، ٣ / ٨٦٨ . الأنبا : ٩٤ ، ١٠٠ .
- (٣) نفس المصدر : ٢ / ٨٣٩ ، والأنبا : ٤٦ ، ٥٠٦٠ .
- (٤) الأنبا : ٤٦ ، ٦٠ ، ٥٠٧٥ .
- (٥) القصد والأتم : ١٢ ، ٣٢ ، والأنبا : ٦٠ ، ١١٢ .
- (٦) الأنبا : ٤٦ ، ٦٣ .
- (٧) الجلود : ٢٩٦ .
- (٨) نفس المصدر : ١٠٤ .
- (٩) كشف الظنون : ١ / ٢٧٧ .
- (١٠) نفس المصدر : ١ / ٢٧٠ .
- (١١) تاريخ ابن الفرضي : ٢ / ٦٢ .
- (١٢) نفس المصدر : ٢ / ٢٩ — ٣٠ والجلود : ٨٨ والبغية : ١٢٧ .
- (١٣) كشف الظنون : ٢ / ١١٠٣ .

- فقهاء قرطبة لأحمد بن محمد بن عبد البر أبي عبد الملك (ت ٣٣٨ هـ).^(١)
- الشعراء من الفقهاء بالأندلس.^(٢)
- لقاسم بن نصير بن رقاد بن عيشون المعروف بابن أبي الفتح (ت ٣٣٨ هـ).
- شعراء الأندلس.^(٣)
- لمحمد بن عبد الرؤوف بن عبد الحميد الأزدي يعرف بابن خنيس (ت ٣٤٣ هـ).
- شعراء البيرة لمطرف بن عيسى بن لبيب الغساني (ت ٣٥٧ هـ).^(٤)
- فقهاء البيرة : لمطرف بن عيسى بن لبيب الغساني كذلك.^(٥)
- قضاة قرطبة لمحمد بن حارث الحشني (ت ٣٦١ هـ).^(٦)
- أخبار الفقهاء والمحدثين لمحمد بن حارث الحشني كذلك.^(٧)
- تاريخ الأندلس لابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ).^(٨)
- طبقات الزمان لمجاهد بن أصبغ بن حسان (ت ٣٨٣ هـ).^(٩)
- أخبار المحدثين لإسماعيل بن إسحاق (ت ٣٨٤ هـ).^(١٠)
- قضاة الأندلس لعثمان بن محمد بن يوسف الأزدي.^(١١)
- قضاة قرطبة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد البر.^(١٢)
- فقهاء قرطبة لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد البر.^(١٣)

(١) تاريخ ابن الفرضي : ١ / ٢٩ .

(٢) كشف الظنون : ١ / ٣٦٤ .

(٣) تاريخ ابن الفرضي : ٢ / ٦٢ .

(٤) تاريخ ابن الفرضي : ٢ / ١٣٦ .

(٥) نفس المصدر : ٢ / ٧٦ ، والجلد : ٥٣ .

(٦) نفس المصدر : ٢ / ٧٦ .

(٧) نفس المصدر : ٢ / ١٥١ .

(٨) نفس المصدر : ١ / ٦٧ .

(٩) نفس المصدر : ١ / ٣٠٦ .

(١٠) (١٢) (١٣) جندوة المقتبس : ٦٤ .

- تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها لأحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر الأنصاري .^(١)
- تاريخ فقهاء الأندلس لأحمد بن محمد بن عبد البر .^(٢)
- أخبار الصالحين لمحمد بن عبدالله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ) .^(٣)

موارده في التاريخ العام :

- التاريخ لأبي بكر أحمد بن زهير المعروف بابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩ هـ) وقد رتبته على السنين .^(٤)
- تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) وكان الأندلسيون يسموه التاريخ الكبير .^(٥)
- ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين لمحمد بن جرير الطبري .^(٦)
- التاريخ الكبير لأبي محمد إسماعيل بن علي الخطيب (ت ٣٥٠ هـ) .^(٧)
- التاريخ لأبي بكر محمد بن علي البغدادي^(٨)
- التاريخ الكبير لعبد الملك بن شهيد الأندلسي (ت ٣٩٣ هـ) .^(٩)
- التاريخ الكبير للحارث بن أبي أسامة (ت ٢٨٢ هـ) .^(١٠)
- تاريخ الدهور لأبي سعيد عثمان بن محمد بن محاسن الأستجي (ت ٣٥٦ هـ) .^(١١)

(١) الصلة : ٧٠ .

(٢) البغية : ١٦٢ .

(٣) جذوة المقتبس : ٥٦ — ٥٧ والصلة : ٤٨٢ — ٤٨٣ .

(٤) الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٣٢٣ ، ٢ / ٤٧٦ ، والانتقاء : ٤٣ .

وانظر : الإنباه : ١ ، ٢٠ ، ٤٤ .

(٥) الاستيعاب : ١ / ١٦٥ وجذوة المقتبس : ١٠٧ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٢٢٧ والاستيعاب : ٣ / ١٣٦٢ ، ١٠٠١٤٠٣ ، ٤ / ١٤٥٧ ، ١٥٣٧ .

(٧) الاستيعاب : ١ / ١٦٢ .

(٨) فهرسة ابن خير : ٢٢٩ .

(٩) الصلة : ٣٥٥ .

(١٠) نفس المصدر : ٥ والبغية : ١٥١ — ١٥٢ .

(١١) ذيل كشف الظنون : ١ / ٢٥١ .

تواريخ الخلفاء والدول :

- الردة لسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) .^(١)
- الدار ومقتل عثمان : لسيف بن عمر .^(٢)
- الدار ومقتل عثمان : لعمر بن شبة (ت ٢٦٣ هـ) .^(٣)
- مواعظ الخلفاء لأبي بكر بن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) .^(٤)
- حلم معاوية لأبي بكر بن أبي الدنيا .^(٥)
- أخبار الخلفاء العباسيين . للحارث بن أبي أسامة التميمي البغدادي (ت ٢٨٢ هـ) .^(٦)
- تاريخ الخلفاء لأبي بشر الدولابي (ت ٣٢٠ هـ) .^(٧)
- أخبار أهل الأندلس لإسحاق بن سلامة بن وليد القيني (ت ٣٢٠ هـ) .^(٨)
- كتاب المنتزين والقائمين بالأندلس لأحمد بن فرج الجبائي (ت ٣٣٦ هـ) .^(٩)
- أخبار ملوك الأندلس وخدمهم وركبانهم وغزواتهم لأحمد بن محمد بن موسى الرازي الأندلسي (ت ٣٤٢ هـ) .^(١٠)
- الأوسط في تاريخ الأندلس للرازي كذلك .^(١١)
- أخبار ملوك أفريقيا وحروبهم والغالبين عليهم لمحمد بن يوسف التاريخي الوراق .^(١٢)
- تواريخ الدول والملوك في الأندلس لأحمد بن محمد بن موسى بن بشر بن لفيط الكناني (ت ٣٤٤ هـ) .^(١٣)

(٢،١) الاستيعاب : ٢٠ / ٦٤٦ .

(٣) البغية : ٢٠٠ .

(٥،٤) الجذوة : ١٤١ .

(٦) بهجة المجالس : ١ / ٣٥٨ .

(٧) علم التاريخ عند المسلمين : روزنثال عن السخاوي : ٥٤٥ .

(٨) الصلة : ١٦٩ ، ومعجم البلدان : ٣ / ١١٦ .

(٩) نفس المصدر : ٥ والبغية : ١٥١ — ١٥٢ .

(١٠) جذوة المقتبس : ١٠٤ — ١٠٥ .

(١١) (١٢) نفس المصدر : ٦٧ والصلة : ٤٦٧ .

(١٣) تاريخ ابن الفرضي : ١ / ٤٢ .

— الباهر في تاريخ الدولة العامية : لابن المشاط عبد الرحمن الرعيني (ت ٣٩٧ هـ) . (١)

— تاريخ الدولة العامية

لمحمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي (ت ٤٢٣ هـ) . (٢)

— المآثر العمرية أو سير المنصور بن أبي عامر وغزواته للحسين بن عاصم . (٣)

موارده في التواريخ المحلية :

— أخبار مكة للفاكهي . (٤)

— أخبار مكة للخزاعي . (٥)

— أخبار المدينة لعمر بن شبة (ت ٢٦٣ هـ) . (٦)

— أخبار البصرة لعمر بن شبة . (٧)

— تاريخ مصر^(٨) لأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن الحبيب بن يونس .

— تاريخ مصر لسعيد بن عفير (ت ٢٢٦ هـ) . (٩)

— ذكر بلاد الأندلس ومسالكها ومراسيها وأمهاة مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها . (١٠)

لأحمد بن محمد التاريخي .

— أخبار بصره المغرب .

(١) الصلة : ٣٠٧ .

(٢) التكملة : ١ / ٣٨٤ .

(٣) البغية ٢٦٧ والصلة : ١٤١ .

(٤) الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٩١٧ .

(٥) 'جلوة المقتبس : ٥٤ .

(٦) الاستيعاب : ٢ / ٨٣٠ .

(٧) فهرست ابن النديم : ١٦٣ .

(٨) الاستيعاب : ١ / ١٤٤ ، ٤ / ١٤٥٥ .

(٩) الاستيعاب : ١ / ٢٥٠ .

(١٠) 'جلوة المقتبس : ١٠٤ — ١٠٥ .

- أخبار تيهرت .
- أخبار تنس .
- أخبار سجلماسة .
- أخبار وهران .
- كلها لأبي عبد الله محمد بن يوسف التاريخي الوراق .^(١)
- أخبار رية وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها .^(٢)
- لإسحاق بن سلمة بن وليد القيني (ت ٣٢٠ هـ) .
- المعارف في أخبار كورة البيرة وأهلها اطرف الغساني (ت ٣٧٧ هـ) .^(٣)
- صفة قرطبة وخططها ومنازل العلماء بها .^(٤)
- لأحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت ٣٤٢ هـ) .



(١) جذوة المقتبس : ٩٧ .
 (٢) نفس المصدر : ١٦٩ — والبغية : ٢٣٦
 (٣) الصلة : ٦٢٢ .
 (٤) جذوة المقتبس : ١٠٤ — ١٠٥ .

ملحق (٢)

نماذج من موارد ابن عبد البر التاريخية

نقول ابن عبد البر عن

محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)

النص الأول :

(وذكر محمد بن إسحاق ... قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال :

فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا ، وجعله إلى الرسول ، فقسمه رسول الله ﷺ عن بواء يقول على السواء فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين) .

انظر الدرر : ١١٦

وقارن : سيرة بن هشام (٢ / ٦٦٦ — ٦٦٧ .

النص الثاني :

(وقال ابن إسحاق : ولدت له خديجة : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، وقاسما ، وبه يكنى والطاهر والطيب .
فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية .
وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ .) .

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٨١٩

وسيرة ابن هشام : ١ / ١٩٠ — ١٩١ .

النص الثالث :

(حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا محمد بن بكر ... قال حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ... عن أم سلمة زوج النبي قالت : فكان الذي كلمه — للنجاشي — جعفر بن أبي طالب فقال :

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء إلى الجار ، ويأكل القوى منا الضعيف . كنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته

وعفاه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .

وأمرنا بصدق الحديث : وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك وآثرناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال جعفر : نعم فقال له النجاشي : فاقرأه على فقراً عليه (كهيعص) . قالت : فبكى النجاشي ... وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً) .

انظر الدرر : ١٤٢ — ١٤٦

وسيرة ابن هشام : ١ / ٣٣٤ — ٣٣٧ .

(١)

نقول ابن عبد البر عن الوليد بن مسلم (ت ١٩٥ هـ) في (كتابه السير)
قال ابن عبد البر :

(حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد قال : حدثنا سليمان قال : حدثنا سليمان قال :
حدثنا عمرو بن عثمان ومحمود بن خالد وحسين بن عبد الرحمن قالوا : حدثنا
الوليد بن مسلم عن الأوزاعي :

عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت : أخبرني
بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله .

قال : نعم ، بينما رسول الله ﷺ في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ،
فوضع ثوبه في عنق رسول الله ﷺ ، فخنقه به خنقا شديدا .

(١) وهو مفقود .

قال : فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ، ودفعه عن رسول الله . وقال :
« أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » . (

انظر الدرر في المغازي والسير : ٤٤ — ٤٥
انظر سند الرواية بفهرسة ابن خير : ٢٣٦ — ٢٣٧ .

قال ابن عبد البر :

(أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا
محمد بن وضاح . قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم . قال : حدثنا
الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعي :
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وهو بمنى : نحن نازلون عند خيف
بنى كنانة حين تقاسموا على الكفر . يعني بذلك المحصب .
قال : وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا
يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ)

انظر الدرر : ٦٠

وانظر سند الرواية بفهرسة ابن خير الإشبيلي : ٢٣٦ — ٢٣٧ .



نقول ابن عبد البر

عن ابن هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ)

— ذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين^(١) أن بشر بن أرطاة بارز عليا رضي الله عنه يوم صفين فطعنه على رضي الله عنه فصرعه فانكشف له ، فكف عنه .
ولهم فيها أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبي .

انظر الاستيعاب ١ / ١٦٥

(قال هشام بن محمد الكلبي : أول بيت كان في ربيعة بن نزار كانت فيه الرئاسة ، والحكومة واللواء والمرباع . يكون ذلك كائنا عن كابر ويتوارثونه لا ينازعون فيه :

ضبيعة بن ربيعة بن نزار فذكر — أي ابن الكلبي — من كان يلي ذلك منهم وقال : ثم تحولت الرئاسة والحكومة من ضبيعة بن ربيعة إلى عبد القيس بن أفضى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال : ثم خرج ذلك كله عنهم إلى النمر بن قاسط بن هنب بن أفضى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فكانت فيهم الرئاسة واللواء والحكومة والمرباع .)

انظر الإنباه على قبائل الرواه

ملحق بالقصد والأهم : ٩٧ — ٩٩

* عن كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي



(١) وهو مفقود

* طبعت وزارة الإعلام الكويتية الجزء الأول منه بتحقيق : عبد الستار فراج سنة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

بقول ابن عبد البر عن
عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨ هـ)

النص الأول :

(وأما ابن هشام فقال : قد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب :
يا عم إن ربي قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً إلا أثبتته ، ونفت
منا القطيعة والظلم والبهتان .

قال : أربك أخبرك بهذا ؟

قال : نعم .

قال : فوالله ما يدخل عليك أحد .

ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش إن ابن أخي أخبرني ... وساق الخبر
بمعنى ما ذكرنا .)

انظر الدرر : ٥٩

سيرة بن هشام : ١ / ٣٧٥ .

النص الثاني :

(قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة قال : أسر زهير بن عجوة الهذلي يوم حنين
فكتف ، فرآه جميل بن معمر فقال : أنت الماشي لنا بالمعائب ؟
فضرب عنقه . فقال أبو خراش يرثيه وكان ابن عمه :

فجع أضياف جميل بن معمر هذى مفخر تأوى إليه الأرامل
طويل نجاد السيف ليس بجيدر إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٦٣٦ — ١٦٣٧

وسيرة ابن هشام : ٤ / ٤٧٢ — ٤٧٤ .

نقول ابن عبد البر عن : خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)
النص الأول :

(حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي . قال : حدثنا أبي قال :
حدثنا عبد الله بن يونس ، قال حدثنا بقي بن مخلد .

قال : حدثنا خليفة بن خياط . قال : حدثنا بكر بن سليمان عن ابن إسحاق
قال :

زحف المسلمون إلى المشركين في اليمامة حتى ألقوهم إلى الحديقة ، وفيها عدو
الله مسيلمة .

فقال البراء : يا معشر المسلمين : ألقوني عليهم فاحتمل حتى إذا أشرف
على الجدار اقتحم فقاتلهم على الحديقة ، حتى فتحها على المسلمين ودخل
عليهم المسلمون فقتل الله مسيلمة .

قال خليفة : وحدثنا الأنصاري عن أبيه ثمامة عن أنس قال :

رمى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة من
بين رمية بسهم . وضربة بسيف ، فحمل إلى رحله يداوى فأقام عليه خالد
شهرًا .

انظر الاستيعاب : ١ / ١٥٤ — ١٥٥

(١) وقارن : تاريخ خليفة بن خياط : ١ / ٧٤ — ٧٥

النص الثاني :

(وذكر خليفة بن خياط قال : حدثنا معاذ بن معاذ عن ابن عوف عن محمد
بن سيرين قال :

كانوا يرون أن أبا مريم الحنفى قتل زيد بن الخطاب يوم اليمامة .

(١) طبع بتحقيق د. أكرم ضياء العمرى في جزئين

الطبعة الأولى : ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م بمطبعة الآداب في النجف بالعراق وعليها الاعتماد في هذا

البحث .

قال : وقال أبو مریم لعمر : یا أمیر المؤمنین : إن الله أكرم زيدا بيدي ولم يهني بيده .

قال : — أي خليفة — وأخبرنا علي بن محمد ، قال : حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : كانوا يرون أن أبا مریم الحنفی قتل زيد بن الخطاب .
قال — أي خليفة — وأنبأنا علي بن محمد أي الحسن عن أي خزيمة الحنفی ، عن قيس بن طلق قال : قتله سلمة بن صبيح بن عم أي مریم .

انظر الاستيعاب : ٢ / ٥٥٢

وقارن : تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٧٤

النص الثالث :

(وقال خليفة بن خياط عن ابن الكلبي عن أبيه عن صالح عن ابن عباس قال : بين معد بن عدنان إلى إسماعيل ثلاثون أبا .

وبإسناده — أي خليفة — عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ إذا انتهى إلى عدنان أمسك ثم يقول : كذب النسابون . قال الله تعالى : ﴿ وَقُرُونًا تَتْلُو كَثِيرًا ﴾^(٢) .

انظر الانباه على قبائل الرواه . ملحق

مع القصد والأهم : ٥٠ .

^(١) وقارن : طبقات خليفة بن خياط : ٣



(١) طبع بتحقيق د. أكرم العمرى .

الطبعة الأولى ، بمطبعة العائى ببيغداد ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢) الفرقان (٣٨)

نقول ابن عبد البر عن

سعيد بن يحيى الأموى (ت ٢٤٩ هـ)

(وكانت راية رسول الله ﷺ فى كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه :

يا رسول الله : أمرت بقتل قومك ؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا ، وقال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل المحرمة ، اليوم أذل الله قريشا . وإنى أنشدك الله فى قومك ، فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله والله ما نأمن من سعد أن تكون منه فى قريش صولة .

فقال رسول الله ﷺ : لا يا أبا سفيان ، اليوم يوم الرحمة اليوم أعز الله قريشا . وقال ضرار بن الخطاب الفهرى يومئذ :

يا نبي الله إليك لجاحى قريش ولات حين لجا
إن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
إذ تنادى بذل حى قريش وابن حرب بذا من الشهداء

فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده ، وجعله بيد قيس ابنه ، ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه ، إذ صار إلى ابنه وأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بإمارة من رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعمامته ، فعرفها سعد . فرفع اللواء إلى ابنه قيس)

قال ابن عبد البر : هكذا ذكره يحيى بن سعيد الأموى فى السير ولم يذكر ابن إسحاق هذا الشعر ولا ساق الخبر .

الاستيعاب : ٢ / ٥٩٧ — ٥٩٨

نقول ابن عبد البر عن
الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ)

النص الأول :

(وذكر الزبير في الموفقيات :
إن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد . فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون
ثخلة ، فصار في يده سيفاً ، يقال : إن قائمته منه ، وكان يسمى العرجون ، ولم
يزل يتناول حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار .)

انظر الاستيعاب : ٣ / ٨٧٩
(١) وانظر الموفقيات : ٦٢٣

النص الثاني :

(ذكر الزبير قال : حدثنا عبد الجبار بن سعد عن عبد الله بن وهب عن الليث
بن سعد قال :
بلغني أنه — عبد الله بن حذافة السهمي — حل حزام راحلة رسول الله ﷺ
في بعض أسفاره حتى كاد رسول الله ﷺ يقع .
قال ابن وهب : فقلت لليث : ليضحكه
قال : نعم ، كانت فيه دعاية .
قال الليث : وكان قد أسره الروم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
فأرادوه على الكفر ، فعصمه الله حتى أنجاه منهم)

انظر الاستيعاب ٣ / ٨٨٩ — ٨٩٠ .
(٢) لعله من كتاب جمهرة نسب قريش للزبير

* * *

(١) طبع بتحقيق د. سامي مكى العاني — الطبعة الأولى سنة : ١٣٨٢ هـ ١٩٧٢ م . مطبعة العاني ببيروت .
نشر رئاسة ديوان الأوقاف .

(٢) طبع الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر سنة : ١٣٨١ هـ ١٩٧٧ م . مطبعة المدي
بالقاهرة .

(١)

نقول ابن عبد البر عن (الطبقات) لمحمد بن سعد (ت ٢٦٣ هـ)

النص الأول :

(ذكر محمد بن سعد حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه :
أن النبي ﷺ أُنْحِرَ الإفاضة من عرفة من أجل أسامة بن زيد ينتظره ، فجاء غلام أسود أفطس .

فقال أهل اليمن إنما حبسنا من أجل هذا
قال — أى عروة بن الزبير — فلذلك كفر أهل اليمن من أجل هذا .
قال يزيد بن هارون ، يعنى ردتهم أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه .
ولما فرض عمر بن الخطاب للناس فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف ولاهن عمر ألفين .

فقال ابن عمر : فضلت على أسامة وقد شهدت مالم يشهد .
فقال : — أى عمر — إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك ،
وأبوه — أى زيد بن حارثة — كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أهلك .

انظر طبقات ابن سعيد : ٤ / ٤٤ ، ٤٩

ذكر ذلك ملخصا ابن عبد البر فى الاستيعاب ١ / ٧٥ — ٧٦ .

النص الثانى :

(قال الواقدى : وأخبرنا خالد بن إلياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم — وكان علامة نسابه — .

قال : ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة ، وليس له حلف فى قريش ، ولكنه أسلم قديما بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه ، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعرين على رسول الله ﷺ ، فوافق قدومهم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة ووافوا رسول الله ﷺ بخير .

(١) طبع دار التحرير بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م وهو فى ثمانية أجزاء .

فقالوا : قدم أبو موسى مع أهل السفينتين ، وإنما الأمر على ما ذكرنا أنه وافق
قدومه قدومهم .)

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٧٦٣
وانظر الطبقات لابن سعد : ٤ / ٧٨

النص الثالث :

ذكر ابن سعد عن الواقدي عن خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي
الجهم قال :

مات أبو موسى سنة ثنتين وخمسين .
قال محمد بن سعد : وسمعت بعض أهل العلم يقول : إنه مات قبل ذلك بعشر
سنين سنة اثنتين وأربعين)

انظر الاستيعاب ٤ / ١٧٦٤
والطبقات لابن سعد : ٤ / ٨٦

نقول ابن عبد البر

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٥٣١٠ هـ)

النص الأول :

قال ابن عبد البر :

(وقال الواقدي : استصغر رسول الله ﷺ يوم بدر جماعة منهم :
البراء بن عازب ، وعبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج ، وأسيد بن ظهير ،
وزيد بن ثابت ، وعمير بن أبي وقاص ، ثم أجاز عميرا فقتل يومئذ .

هكذا ذكره الطبري في كتابه الكبير عن الواقدي)

انظر الاستيعاب : ١ / ١٥٦ .
(١) وتاريخ الطبري : ٢ / ٤٧٧ .

(١) طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، بدار المعارف بالقاهرة .

النص الثاني :

(قال الطبرى : بعث النبى ﷺ مالك بن نويرة على صدفة بنى يربوع . وكان قد أسلم هو وأخوه متمم بن نويرة الشاعر .
فقتل خالد بن الوليد مالكا — يظن أنه ارتد حين وجهه أبو بكر لقتال أهل الردة — .

واختلف فيه هل قتله مسلما أو مرتدا؟
وأراه — والله أعلم — قتله خطأ
وأما متمم فلا شك فى إسلامه)

الاستيعاب : ٣ / ١٣٦٢
(١) وانظر منتخب ذيل المذيل : ٥٤١

النص الثالث :

وقال الطبرى : كان لأبى محذورة أخ لأبيه وأمه يسمى أنيسا وقتل يوم بدر كافرا وقال : محمد بن سعد سمعت من ينسب أبا محذورة فيقول : اسمه : سمرة بن معير بن لوذان بن وهب بن سعد بن جمح وكان له أخ لأبيه وأمه اسمه أويس.
قال الطبرى : توفى أبو محذورة بمكة سنة تسع وخمسين وقيل : سنة تسع وسبعين ولم يهاجر ، ولم يزل مقيما بمكة حتى توفى)

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٧٥٢
وانظر المنتخب من ذيل المذيل : ٥١٩



(١) طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة أولى ضمن ذيل تاريخ الطبرى سنة ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ م
بدار المعارف بالقاهرة . ومؤلفه مجهول .

نقول ابن عبد البر عن
أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس (ت ٣٤٧ هـ)

النص الأول :

قال ابن عبد البر :
« أحمد بن عجيلان الهمداني : وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مصر في
أيام عمر بن الخطاب .
وخطته معروفة بجيزة مصر .
أخبرني بذلك عبد الواحد بن محمد البلخي قال : سمعت أبا سعيد عبد الرحمن
بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي يقول . ولا أعلم له رواية .
وقال أبو عمر — ابن عبد البر — أخبرني بتاريخ أبي سعيد حفيد يونس في
المصريين .

عبد الله بن محمد بن يوسف — ابن الفرضي — .
انظر الاستيعاب : ١ / ١٤٤ .

النص الثاني :

قال ابن عبد البر :
« بحر بن ضبع الرعيني .. شهد فتح مصر واختط بها ، قال حفيد يونس :
وخطته معروفة برعين ، ومن ولده : أبو بكر السمين بن محمد بن بحر ، ولي
مراكب دمياط سنة إحدى ومائة في خلافة عمر بن عبد العزيز .
ومن ولده أيضا : مروان بن جعفر بن خليفة بن بحر الشاعر وكان فصيحاً بليغاً
وهو القائل بمدح جده :

وجدي الذي عاطي الرسول يمينه ونجت إليه من بعيد رواحله
(١) ذكر ذلك كله حفيد يونس صاحب التاريخ المصري .

انظر الاستيعاب : ١ / ١٨٩

(١) وهو مفقود .

نقول ابن عبد البر عن
أبي زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو النصري (ت ٢٨١ هـ)
النص الأول :

« حدثنا خلف بن القاسم ... حدثنا أبو زرعة قال :
حدثني محمد بن عائذ عن أبي مسهر قال : قرأت في كتاب زيد بن عبيدة :
توفي معاذ بن جبل وأبو عبيدة سنة تسع عشر .
قال أبو زرعة : قال لي أحمد بن حنبل :
كان طاعون « عمواس » سنة ثمانى عشر وفيه مات معاذ وأبو عبيدة .
وقال أبو زرعة : كان الطاعون سنة سبع عشر وثمانى عشر .
وفي سنة سبع عشر رجع عمر في « سرغ » بجيش المسلمين لئلا يقدمهم
الطاعون ثم عاد في العام المقبل سنة ثمان عشر حتى أتى « الجابية » فاجتمع إليه
المسلمون فجند الأجناد ومصر الأمصار ، وفرض الأعطيات والأرزاق ثم قفل إلى
المدينة . »

انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤٠٥ — ١٤٠٦
(١) وتاريخ أبي زرعة الدمشقي : ١ / ١٧٧ — ١٧٨ .

النص الثاني :

« حدثنا خلف بن القاسم حدثنا أبو الميمون حدثنا أبو زرعة : ...
أن فتح القدس كان سنة ست عشرة صلحا ، وأن عمر شهد فتحها في حين
دخوله الشام . »

انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤١٧
وانظر تاريخ أبي زرعة الدمشقي : ١ / ١٧٦ — ١٧٧

(١) طبع بتحقيق شكر الله نعمة الله القوجاني ، رسالة ماجستير بإشراف د. ناجي معروف ١٩٧٣ م ، طبعها
مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠ م .

النص الثالث :

« قال : — أبو زرعة — وفي سنة تسع عشرة كان فتح جلولاء وأميرها سعد بن أبي وقاص ثم كانت قيسارية في ذلك العام وأميرها معاوية بن أبي سفيان . »

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٤١٧

وتاريخ أبي زرعة الدمشقي : ١ / ١٧٩

النموذج الرابع :

قال ابن عبد البر :

« حدثنا خلف بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن عمر حدثنا أبو زرعة : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو ولي أبا الدرداء على القضاء بدمشق ، وكان القاضي خليفة الأمير إذا غاب . ومات أبو الدرداء رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين بدمشق . »

انظر الاستيعاب : ٣ / ١٢٣٠

وتاريخ أبي زرعة الدمشقي : ١ / ١٩٨

نقول ابن عبد البر عن عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)

النص الأول :

« روى ابن المبارك عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال : خرج الحارث بن هشام من مكة ، فجزع أهل مكة جزعا شديدا ، فلم يبق أحد يطعم إلا وخرج معه يشيعه ، حتى إذا كان بأعلى البطحاء ، أو حيث شاء الله من ذلك ، وقف ، ووقف الناس حوله ليكون فلما رأى جزع الناس قال :

يأيها الناس إني والله ماخرجت رغبة بنفسى عن أنفسكم ، ولا اختيار بلد على بلدكم ، ولكن كان هذا الأمر ، فخرجت فيه رجال من قريش . والله ماكانوا من ذوى أسنانها ولا من بيوتاتها فأصبحنا والله لو أن جبال مكة ذهب فأنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوما من أيامهم . والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمس أن

نشاركهم به في الآخرة فاتقى الله امرؤ فعل .
فتوجه إلى الشام وأتبعه ثقلة فأصيب شهيدا .

انظر الاستيعاب : ١ / ٣٠٤

النص الثاني :

« ذكر بن المبارك في كتاب الجهاد له قال :
حدثنا أبو عوانة ، عن داود بن عبد الله عن حميد بن عبد الرحمن قال :
كان رجل يقال له حممة من أصحاب رسول الله ﷺ خرج إلى أصبهان غازيا في
خلافة عمر .

قال : وفتحت أصبهان في خلافة عمر .
قال : فقال اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك فإن كان حممة صادقا فاعزم له
عليه ، وصدق الله لا ترد حممة من سفره هذا .
قال : فأخذه بطنه فمات بأصبهان .
فقام أبو موسى فقال : يأبى الناس ألا وإنا والله فيما سمعنا من نبيكم ﷺ ،
وفيما بلغنا علمه ألا إن حممة شهيد .

انظر الاستيعاب : ١ / ٤٠٨

النص الثالث :

« وروى ابن المبارك قال : حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول :
حضر الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم سهيل بن عمر ، وأبو سفيان
بن حرب وأولئك الشيوخ من قریش .

فخرج إذنه ، فجعل يأذن لأهل بدر : لصهيب ، وبلال . وأهل بدر كان
يحبهم ، وكان قد أوصى بهم ، فقال أبو سفيان : مارأيت كالיום قط ، إنه ليؤذن
لهؤلاء العبيد ، ونحن جلوس ، لا يلتفت إلينا .

فقال سهيل بن عمرو : قال الحسن : — وباله من رجل ما أعقله — أيها القوم :
إني والله وقد أرى النوم في وجوهكم ، فإن كنتم غضبانا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى

القوم ودعيتهم ، فأسرعوا وأبطأتم .

وأما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم قوتا من بابلكم هذا الذى تتنافسون فيه..

ثم قال : أيها القوم ، إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ، ولاسييل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله عز وجل أن يرزقكم شهادة .
ثم نفى ثوبه وقام ولحق بالشام .

قال الحسن : فصدق والله . لا يجعل الله عبدا له أسرع إليه ، كعبد أبطأ عنه »

انظر الاستيعاب : ٢ / ٦٧١



ملحق (٣)
 شيوخ ابن عبد البر
 — الألف — *

- ١ — إبراهيم بن شاكر بن خطاب بن شاكر بن خطاب اللحائي اللجام القرطبي
 يكنى أبا إسحق . (١)
- ٢ — إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري القاضي المعروف بابن الأفلح توفي في قرطبة
 (٣٥٢ — ٤٤١ هـ = ٩٦٣ — ١٠٤٩ م) (٢)
- ٣ — أحمد بن سعيد بن بشر (٣) المعروف بابن الحصار يكنى أبا العباس (ت
 ٣٩٢ هـ — ١٠٠١ م) .
- ٤ — أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي الباجي يكنى أبا عمر
 الباجي (٣٣٢ — ٣٩٦ هـ = ٩٤٣ — ١٠٠٥ م) . (٤)
- ٥ — أحمد بن عبد الملك بن هشام المكي الأشبيلي يكنى أبا عمر (٣٢٤ —
 ٤٠١ هـ = ٩٣٥ — ١٠١٠ م) . (٥)
- ٦ — أحمد بن عمر بن أنس بن لهث بن أنس بن فلذان بن عمران بن مندب بن
 زغبة بن قطبة العذري المري .
 يعرف بابن الدلائ (٣٩٣ — ٤٧٨ هـ = ١٠٠٢ — ١٠٨٥ م) . (٦)
- ٧ — أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور بن عصفور الحضرمي الإشبيلي
 (٣٣٨ — ٤١٠ هـ = ٩٤٩ — ١٠١٩ م) . (٧)

* ورتبت أسماؤهم على حروف المعجم .

(١) الجذوة : الحميدى : ١٥٥ ، الصلة : لابن بشكوال : ٨٩ ، البغية : للضبي : ٢١٨ .

(٢) الصلة : ٩٣ .

(٣) جامع بيان العلم : لابن عبد البر : ٢٠١ ، ترتيب المدارك للقاضي عياض : ٤ / ٦٧٨ .

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي : ٣ / ١٠٥٨ ، البغية : ١٨٤ ، وترتيب المدارك : ٤ / ٦٨٤ ، الديباج

المذهب : لابن فرحون : ١ / ٢٣٤ .

(٥) الجذوة : ١٢٨ ، الصلة : ١١ ، الديباج : ١ / ١٧٦ ، شجرة النور الزكية : لمحمد بن مخلوف : ١٠٢ ، ترتيب

المدارك : ٤ / ٦٣٥ — ٦٤١ .

(٦) الجذوة : ١٣٦ ، الصلة : ٦٦ ، البغية : ١٩٥ ، شجرة النور : ١٢١ ، معجم البلدان : ٢ / ٤٦٠ .

(٧) الجذوة : ١٣٦ ، الصلة : ٣١ ، البغية : ١٩٥ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٧٤٦ .

- ٨ — أحمد بن فتح بن عبد الله بن علي يوسف المعافري التاجر يعرف بابن الرسان^(١) . (٣١٣ — ٤٠٣ هـ = ٩٢٥ — ١٠١٢ م) .
- ٩ — أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز يكنى أبا الفضل (٣٠٩ — ٣٩٥ هـ = ٩٢١ — ١٠٠٤ م)^(٢) .
- ١٠ — أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج بن عيسى اللخمي الإقليشي يكنى أبا العباس المقرئ (٣٦٣ — ٤١٠ هـ = ٩٧٣ — ١٠١٩ م)^(٣) .
- ١١ — أحمد بن محمد الأشبيلي يعرف بابن الحرار . ويكنى أبا عمر .^(٤)
- ١٢ — أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب الأموي يعرف بابن الجصور ويكنى أبا عمر . (٣١٩ — ٤٠١ هـ = ٩٣١ — ١٠١٠ م)^(٥) .
- ١٣ — أحمد بن محمد بن عبادل .^(٦)
- ١٤ — أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي المقرئ يكنى أبا عمر : (٣٤٠ — ٤٢٩ هـ = ٩٥١ — ١٠٣٦ م)^(٧) .
- ١٥ — أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البياني^(٨)
- ١٦ — أحمد بن محمد بن هشام بن جهور بن إدريس بن أبي عمرو^(٩)
- ١٧ — أحمد بن مطرف . يعرف بابن الخطاب . يكنى أبا بكر (ت ٤١٠ هـ =

(١) الجذوة : ١٤١ ، الصلة : ٢٦ ، البغية : ١٩٩ ، فهرسة ابن خير : ٢٣٤ .

(٢) الجذوة : ١٤١ ، الصلة : ٨٤ ، البغية : ٢٠١ ، غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري : ١ / ٩٧ .

(٣) الجذوة : ١٤٢ ، الصلة : ٠٣١ ، البغية : ٢٠١ .

(٤) الجذوة : ١٠٨ ، البغية : ١٥٥ .

(٥) الجذوة : ١٠٧ ، البغية : ١٥٤ ، الصلة : ٢٣ ، العبر : ٣ / ٧٥ ، شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي : ٣ / ١٦١ .

(٦) الصلة : ١٦ .

(٧) الجذوة : ١١٤ ، الديباج : ١ / ١٧٨ ، الشذرات : ٣ / ٢٤٣ ، غاية النهاية : ١ / ١٢٠ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٩٨ ، شجرة النور : ١١٣ .

(٨) الجذوة : ١٠٥ ، الصلة : ٤٧ ، الديباج : ١ / ١٦٥ ، شجرة النور : ١١٠ .

(٩) الصلة لابن بشكوال : ٤٧ ، شذرات الذهب : ٣ / ١٤٥ .

١٠١٩ م (١)

١٨ — اسماعيل بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن أحمد الزمعي القرشي العامري
المصري . يكنى أبا محمد (٣٣٣ — ٤٢١ هـ = ٩٤٤ — ١٠٤٩ م) (٢)

١٩ — أمية بن غالب الأديب المروزي . يكنى أبا العاص . (٣)

— الحاء —

٢٠ — الحسين بن عبد الله بن حسين بن يعقوب اليماني
يكنى أبا علي (٣٢٦ — ٤٢١ هـ = ٩٣٧ — ١٠٣٠ م) (٤)

٢١ — حكيم بن منذر بن سعيد بن حكيم بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن
القاسم بن عبد الله بن نجيح (ت ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م) (٥)

— الحاء —

٢٢ — خلف بن أحمد بن أبي جعفر . (٦)

٢٣ — خلف بن سعيد بن أحمد بن محمد الأزدي الإشبيلي المعروف بابن المنفوخ
(ت بعد ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م) (٧)

٢٤ — خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس الأزدي يكنى ابا القاسم
ويعرف بابن الدباغ ويسهلون (٣٢٥ — ٣٩٣ هـ = ٩٣٦ — ١٠٠٢ م) (٨)

(١) الصلة : ٥٦ .

(٢) الجذوة : ١٦٣ ، الصلة : ١٠٥ ، البغية : ٢٣٠ .

(٣) التكملة : لابن الأبار : ١ / ٤٠٣ ، الجذوة : ٣٢٤ .

(٤) الجذوة : ١٩٣ ، البغية : ٢٦٦ ، الصلة : ١٤١ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢١٩ .

(٥) الصلة : ١٤٨ .

(٦) الجذوة : ٢٠٥ ، البغية : ٢٨١ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٧٥٩ .

(٧) الجذوة : ٢٠٧ ، البغية : ٢٨٤ ، الصلة : ١٦٥ .

(٨) الجذوة : ٢٠٩ ، البغية : ٢٨٦ ، التذكرة : ٣ / ١٠٢٥ ، اليباج : ١ / ٣٥٥ ، الشذرات : ٣ / ١٤٤ .

— السين —

- ٢٥ — سعيد بن سيد بن سعيد الحاطبي الشرفي الإشبيلي يكنى أبا عثمان .^(١)
- ٢٦ — سعيد بن عثمان بن أبي سعيد محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف بن سعيد البربري ، يعرف بابن القزاز ، ويلقب : بلحية الذيل . ويكنى : أبا عثمان النحوي .^(٢)
- ٢٧ — سعيد بن نصر بن أبي الفتح . يكنى أبا عثمان .^(٣)
- ٢٨ — سلمة بن سعيد الأستجي (٣٢٧ — ٤٠٦ هـ = ٩٣٨ — ١٠١٥ م)^(٤)
- ٢٩ — سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي . يكنى أبا الوليد (٤٠٣ — ٤٧٤ هـ = ١٠١٢ — ١٠٨١ م)^(٥)
- ٣٠ — سليمان بن محمد بن بطلال البطليوسي المعروف بالمتلمس وبالحسين جودي ويكنى أبا أيوب .^(٦)
- ٣١ — سهيل بن إبراهيم بن سهل بن نوح يعرف بابن العطار (ت ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) .^(٧)

— الصاد —

- ٣٢ — صاعد بن الحسن الرعي اللغوي يكنى أبا العلاء (ت ٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م)^(٨)

(١) الجذوة : ٢٣٠ ، البغية : ٣٠٨ ، الصلة : ٢٦٢ ، ترتيب المدارك ٤ / ٧٥٧ .

(٢) الجذوة : ٢٣٢ ، البغية : ٣١٠ ، الصلة : ٢٠٨ ، الحلة السراء : لابن الأبار : ١ / ٣٨٠ .

(٣) الجذوة : ٢٣٤ ، البغية : ٣١٣ ، الصلة : ٢١٠ .

(٤) الجذوة : ٢٣٦ ، البغية : ٣١٦ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١١٧٨ .

(٥) البغية : ٣٠٢ ، الصلة : ٢٠١ ، الدياج : ١ / ٣٧٧ ، الشذرات ٣ / ٣٤٤ ، شجرة النور : ١٢٠ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٨٠٢ .

(٦) الجذوة : ٢٢٢ ، البغية : ٢٩٧ ، الصلة : ١٩٧ ، الدياج : ١ / ٣٧٦ .

(٧) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي : ١ / ١٩١ والاستلكار : ١ / ٢٣٨ .

(٨) الجذوة : ٢٤٠ ، البغية : ٣١٩ ، الحلة السراء : ١ / ٢٨٣ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢٠٦ .

— العين —

- ٣٣ — عباس بن أصبغ بن عبد العزيز بن غصن الهمداني (١)
يعرف بالحجاري ويكنى أبا بكر (٣٠٦ — ٣٨٦ هـ = ٩١٨ — ٩٩٦ م)
- ٣٤ — عباس بن يحيى بن قرقان اللخمي يكنى أبا القاسم (٣٥٠ — ٤٢٦ هـ = ٩٦١ — ١٠٣٤ م) (٢)
- ٣٥ — عبد الرحمن بن أبان (ت ٣٧٩ هـ = ٩٨٩ م) (٣)
- ٣٦ — عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قاسم بن سهل ابن عبد الرحمن بن قاسم بن مروان بن خالد بن عبيد التجيبي المعروف ويكنى أبا بكر (٣٢٩ — ٤٠٩ هـ = ٩٤٠ — ١٠١٨ م) (٤)
- ٣٧ — عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني ابن الخراز البجاني الوهراني (٣٣٨ — ٤١١ هـ = ٩٤٩ — ١٠٢٠ م) (٥)
- ٣٨ — عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطين بن أصبغ بن فطيس يكنى أبا المطرف (٣٤٨ — ٤٠٢ هـ = ٩٥٩ — ١١١١ م) (٦)
- ٣٩ — عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري القنازعي يكنى أبا المطرف (٣٤١ — ٤١٣ هـ = ٩٥٢ — ١٠٢٢ م) (٧)
- ٤٠ — عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن أبي عبد الله العطار يكنى : أبا زيد

(١) تاريخ علماء الأندلس : ١ / ٢٩٨ ، الجذوة : ٣١٧ ، البغية : ٤٣٠ .

(٢) الصلة : ٤٤٣ .

(٣) الصلة : ٣١٦ .

(٤) الصلة : ٣١٥ ، الجذوة ، ٢٧٠ ، البغية : ٣٥٩ .

(٥) الصلة : ٣١٧ ، الجذوة : ٢٧٥ ، سير أعلام النبلاء : للذهبي ورقة ١٨٢ مخطوط بدار الكتب المصرية

(٦) الصلة : ٣٠٩ ، البغية : ٣٥٦ ، الدياج : ١ / ٤٧٨ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٦١ ، ترتيب المدارك :

٤ / ٧١ — ٦٧٢ .

(٧) الصلة : ٣٢٢ ، الجذوة : ٢٧٨ ، الدياج : ١ / ٤٨٥ ، الشلوات : ٣ / ١٩٨ شجرة النور :

١١١ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٧٢٦ .

(١) (٣٢٧ — ٣٩٦ هـ = ٩٣٨ — ١٠٠٥ م)

(٢)

٤١ — عبد الرحمن بن يوسف بن نصر الرّفا القرطبي . يكنى أبا المطرف .

٤٢ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسيد الجهني الطليطلي البزاز يكنى أبا

محمد (٣١٠ — ٣٩٥ هـ = ٩٢٢ — ١٠٠٤ م) (٣)

٤٣ — عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن يعرف بابن الزيات يكنى أبا محمد (٤)

٤٤ — عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي يعرف بابن الفرضي و يكنى

أبا الوليد (٣٥١ — ٤٠٣ هـ = ٩٦٢ — ١٠١٢ م) (٥)

٤٥ — عبد العزيز بن أحمد النحوي اليحصبي المعروف بالأخفش و يكنى أبا الأصبغ (٦)

٤٦ — عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن جهور بن نخت المعروف

بالغراب و يكنى أبا الأصبغ (ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م) (٧)

٤٧ — عبد الوارث بن سفيان بن جبرون بن سليمان . يعرف بالحبيب و يكنى أبا

القاسم (٣١٧ — ٣٩٥ هـ = ٩٢٩ — ١٠٠٤ م) (٨)

٤٨ — عبد الملك بن زكريا و يكنى أبا مروان (٩)

(١) الجذوة : ٢٧٩ ، البغية : ٣٧٢ ، الصلة : ٣٠٦ .

(٢) الصلة : ٣٢٠ .

(٣) الجذوة : ٢٥١ ، البغية : ٣٣١ ، الصلة : ٤٥ .

(٤) الجذوة : ٢٥٢ ، البغية : ٣٣٢ ، فهرسة ابن خير : ١٠٢ ، ١٠٤ .

(٥) الجذوة : ٢٥٤ ، البغية : ٣٣٤ ، الصلة : ٢٥١ .

الديباج : ١ / ٤٥٢ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٧٦ .

(٦) الجذوة : ٢٨٨ ، البغية : ٣٨٤ ، ٤٣٩ ، الصلة : ٣٦٩ ، التكملة : القسم الثالث لوحة ٩٥ مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات .

(٧) الجذوة : ٢٨٩ ، البغية : ٣٨٥ ، الصلة : ٣٦٨ .

(٨) الجذوة : ٢٩٥ ، البغية : ٣٩٩ ، الصلة : ٣٨٢ .

(٩) التكملة : القسم الثالث الجامعة مصورة عن الأزهر لوحة ٢٢ .

- ٤٩ — عبيد بن محمد ويكنى أبا عبد الله ^(١)
- ٥٠ — عبيد الله بن محمد بن قاسم الكزنى ويكنى أبا مروان ^(٢)
- ٥١ — عثمان بن أبى بكر حمود الصقاسى المعروف بابن الضابط ويكنى أبا عمرو
(ت ٤٤٤ هـ = ١٠٥٢ م) ^(٣)
- ٥٢ — عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموى ويكنى أبا حفص (ت
٤٠١ هـ = ١٠١٠ م) ^(٤)
- ٥٣ — عمر بن عبادل الرعينى يكنى أبا حفص ^(٥)
- ٥٤ — عمر بن نماره بن عمر بن حبيب بن مطروح الأموى ويكنى أبا حفص ^(٦)
- ٥٥ — عمر بن عبيد الله بن يوسف بن عبد الله بن يحيى بن حامد الدهلى
(٣٦١ — ٤٥٤ هـ = ٩٧١ — ١٠٦٢ م) ^(٧)
- ٥٦ — على بن إبراهيم بن أحمد بن حمويه الأزدي الشيرازى يكنى أبا الحسن
(٣٤٧ — ٤٢٦ هـ = ٩٥٨ — ١٠٣٤ م) ^(٨)
- ٥٧ — عيسى بن سعيد بن سعدان المقرئ ويكنى أبا الأصبع (ت ٣٩٠ هـ =
٩٩٩ م) ^(٩)

(١) الجذوة : ٢٩٦ ، البغية : ٤٠٠ .
(٢) الصلة : ٣٠١ ، التكملة : ١ / ٢٩٣ .
(٣) شجرة النور : ١٠٩ .
(٤) الجذوة : ٣٠٠ ، البغية : ٤٠٥ ، الصلة : ٣٩٦ .
(٥) ترتيب المدارك : ٤ / ٦٨٥ — ٦٨٧ .
(٦) الجذوة : ٣٠٣ ، البغية : ٤٠٩ ، الصلة : ٣٩٦ .
(٧) الصلة : ٣٩٩ ، البغية : ٤٠٨ .
(٨) الجذوة : ٣١٢ ، البغية : ٤٢٠ ، الصلة : ٤٣٠ .
(٩) الجذوة : ٢٩٨ ، غاية النهاية : ١ / ٦٠٨ .

— الفاء —

٥٨ — فائق مولى أحمد بن سعيد بن حزم^(١)

— القاف —

٥٩ — قاسم بن أحمد بن محمد بن عثمان التجسبي المعروف بابن أرفع رأسه ويكنى
أبا أحمد (ت ٣٩٣ هـ = ١٠٠٢ م)^(٢)

٦٠ — قاسم بن محمد بن قاسم بن عباس بن وليد بن صارم بن أبي الفراء
المعروف بابن عسلون ويكنى أبا محمد (٣١٤ — ٣٩٦ هـ — ٩٢٦ م)^(٣)

٦١ — قاسم بن مروان الوراق ويكنى أبا بكر^(٤)

٦٢ — أبو القاسم النشيري^(٥)

□ ○

— المم —

٦٣ — محمد بن أبان بن عثمان بن محمد بن يحيى بن عبد العزيز يكنى أبا بكر^(٦)

٦٤ — محمد بن إبراهيم البغدادي الشافعي يعرف بالمهدي ويكنى أبا نصر^(٧)

٦٥ — محمد بن إبراهيم بن سعيد بن أبي القراميد^(٨)

(١) الصلة : ٤٦٥ .

(٢) الجذوة : ٣٣١ ، البغية : ٤٤٧ ، الديباج : ٢ / ١٤٨ .

(٣) الجذوة : ٣٢٩ ، البغية : ٤١٦ ، الصلة : ٤٦٧ .

(٤) الصلة : ٤٦٨ ، جامع بيان العلم : لابن عبد البر : ٩٨ .

(٥) الصلة : ٦٠٢ .

(٦) الجذوة : ٤٢ ، البغية : ٥٩ .

(٧) الصلة : ٦٠٢ .

(٨) الجذوة : ٤١ ، ٢٣١ ، البغية : ٥٦ .

- ٦٦ — محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمود البجاني يكنى أبا عبد الله .^(١)
- ٦٧ — محمد بن إبراهيم بن مصعب الأشعري يعرف بابن أبي مقنع ويكنى أبا بكر
(٣٧٨ — ٤٢٦ هـ = ٩٨٨ — ١٠٣٤ م)^(٢)
- ٦٨ — محمد بن إبراهيم بن يزيد بن محمود يكنى أبا عبد الله .^(٣)
- ٦٩ — محمد بن أحمد بن حيوة يكنى أبا عبد الله .^(٤)
- ٧٠ — محمد بن أحمد بن خالد بن يزيد .^(٥)
- ٧١ — محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن العطار .^(٦)
- ٧٢ — محمد بن أحمد بن محمد المكتَّب .^(٧)
- ٧٣ — محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الإشبيلي يكنى أبا بكر
(ت ٣٩٧ هـ = ١٠٠٦ م) .^(٨)
- ٧٤ — محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الوارث الرازي الخراساني يكنى
أبا بكر (توفي بعد ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م)^(٩)
- ٧٥ — محمد بن خليفة يعرف بالإمام ويكنى أبا عبد الله .^(١٠)
- ٧٦ — محمد بن رشيق المكتَّب يعرف بالسراج ويكنى أبا عبد الله .^(١١)

(١) الصلة : ٥٠٧ .

(٢) الصلة : ٥١٨ . جامع بيان العلم : ٢٣٤ .

(٣) الصلة : ٥٥٦ .

(٤) الصلة : ٥٠٠ .

(٥) الجذوة : ٣٩ ، البغية : ٤٩ .

(٦) ترتيب المدارك : ٤ / ٦٥٠ .

(٧) الجذوة : ٤٠ ، البغية : ٥٠ .

(٨) الجذوة : ٤٦ ، البغية : ٦٦ ، الديباج : ٢ / ٢١٩ .

(٩) الصلة : ٦٠١ .

(١٠) الجذوة : ٥٤ ، البغية : ٧٤ .

(١١) الجذوة : ٥٦ ، البغية : ٩٠ ، الصلة : ٤٩٨ .

- ٧٧ — محمد بن زكريا الزهري يعرف بالأفليلي يكنى أبا عبد الله .^(١)
- ٧٨ — محمد بن سعيد بن ثبات يكنى أبا عبد الله مات بعد الأربعمائة .^(٢)
- ٧٩ — محمد بن عبد الله بن حكم الأموي يعرف بابن البقرى يكنى أبا عبد الله .^(٣)
- ٨٠ — محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن ضيفون الرصافي الحداد يكنى أبا عبد الله (ت ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م) .^(٤)
- ٨١ — محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين الإلبيري (٣٢٩ — ٣٣٩٩ هـ = ٩٤٠ — ١٠٠٨ م) .^(٥)
- ٨٢ — محمد بن عبد الله بن عثمان بن سعيد بن هاشم بن إسماعيل بن سفيان الأسدي يكنى أبا جعفر (٣٢٦ — ٤٠٣ هـ = ٩٣٧ — ١٠١٢ م) .^(٦)
- ٨٣ — محمد بن عبد الله بن مفوز بن غفول بن عبد ربه بن صواب بن مدرك بن جعفر المعافري ويكنى أبا عبد الله (ت ٤١٠ هـ = ١٠١٩ م) .^(٧)
- ٨٤ — محمد بن عمر المعروف بابن الفخار .^(٨)
- ٨٥ — محمد بن عمرو بن العاص القرطبي يكنى أبا عبد الله (ت ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م) .^(٩)
- ٨٦ — محمد بن قاسم بن محمد الأموي الجالطي يكنى أبا عبد الله (٣٣٦ — ٤٠٣ هـ = ٩٤٧ — ١٠١٢ م) .^(١٠)

(١) الصلة : ٤٩٢ .

(٢) البغية : ٧٩ ، الجنوة : ٦٠ .

(٣) الجنوة : ٦٥ ، البغية : ٩٠ ، الصلة : ٤٩٤ .

(٤) الجنوة : ٦٨ ، البغية : ١٠٢ ، الشلرات : ٣ / ١٤٤ .

(٥) الشلرات : ٣ / ١٥٦ .

(٦) الصلة : ٤٩٢ .

(٧) الصلة : ٥٠٣ ، البغية : ٩٢ .

(٨) ترتيب المذرك : ٤ / ٧٢٤ — ٧٢٦ .

(٩) الصلة : ٤٨٧ ، نفع الطيب : للمقرى : ١ / ٦٢ .

(١٠) الصلة : ٤٩٠ ، ترتيب المذرك : ٤ / ٨٣ — ٦٨٤ .

٨٧ — محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن موسى بن نصير (٣٢٦ — ٣٩٠ هـ = ٩٣٧ — ٩٩٩ م) . (١)

٨٨ — محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي بن الحذاء (٣٣٦ — ٤١٦ هـ = ٩٤٧ — ١٠٢٥ م) . (٢)

٨٩ — محمد بن نصر بن حامد بن نصر الرومي الكاتب يكنى أبا القاسم . (٣)

٩٠ — مسلم بن محمد البثري يكنى أبا محمد . (٤)

— الهاء —

٩١ — هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي الأديب يكنى أبا نصر (ت ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م) . (٥)

٩٢ — هشام بن سعيد الخير بن فتحون القيسي يكنى أبا الوليد (ت بعد ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م) . (٦)

— الواو —

٩٣ — وسيم بن أحمد بن محمد بن ناصر بن وسيم الأموي يعرف بالختمي ويكنى أبا بكر (٣٤٥ — ٤٠٤ هـ = ٩٥٦ — ١٠١٣ م) . (٧)

٩٤ — وهب بن محمد بن محمود بن إسماعيل الشذوني ويكنى أبا الحزم . (٨)

(١) الصلة : ٤٩٩ .

(٢) الصلة : ٥٠٥ ، الدياج : ٢ / ٢٣٧ ، البغية : ١٤٦ ، شجرة النور : ١١٢ ، الشذرات : ٣ / ٢٠٦ .

(٣) التكملة : ١ / ٣٧٨ ، جامع بيان العلم : ٧٠ .

(٤) الجذوة : ٣٤٦ ، البغية : ٤٦٣ .

(٥) الصلة : ٦٥٦ .

(٦) الصلة : ٦٥١ ، البغية : ٤٨٥ .

(٧) الصلة : ٦٤٥ .

(٨) الجذوة : ٣٦٠ ، البغية : ٤٧٩ .

— الياء —

- ٩٥ — يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى يعرف بابن وجه الجنة ويكنى
أبا بكر (٣٠٤ — ٤٠٢ هـ = ٩١٦ — ١١١١ م) .^(١)
- ٩٦ — يعيش بن سعيد بن محمد الوراق يكنى أبا عثمان .^(٢)
- ٩٧ — يوسف بن محمد بن يوسف بن عمرو المودب الأستجى يكنى أبا
عمر .^(٣)
- ٩٨ — يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الله يكنى أبا عمر
(٣٢٦ — ٤٠٠ هـ = ٩٣٧ — ١٠٠٩ م) .^(٤)
- ٩٩ — يوسف بن هارون الرمادى الشاعر يكنى أبا عمر^(٥)
- ١٠٠ — يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله يكنى أبا
الوليد (٣٣٨ — ٤٢٩ هـ = ٩٤٩ — ١٠٣٧ م) .^(٦)



(١) الجذوة : ٣٧٧ ، الصلة : ٦٦٣ ، البغية : ٥٠٤ ، الشذرات : ٣ / ١٨٥ .
(٢) الجذوة : ٣٨٦ ، البغية : ٥١٥ .
(٣) الجذوة : ٣٦٧ ، البغية : ٤٨٧ .
(٤) الصلة : ٦٧٤ .
(٥) الصلة : ٦٧٤ ، البغية : ٤٩٣ ، الشذرات : ٣ / ١٧٠ .
(٦) الصلة : ٦٨٤ ، البغية : ٥١٢ ، الجذوة : ٣٨٤ ، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا) للنبا : ٩٥ .
الشذرات ٣ / ٢٤٤ شجرة النور الذكية ١١٥ .

شيوخه مكاتبة

- ١٠١ — إبراهيم بن علي بن الحسين بن سيخت البغدادي يكنى أبا الفتح نزيل مصر (ت ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م) . (١)
- ١٠٢ — أحمد بن نصر الداودي الأسدي القيرواني (٤٠٢ هـ = ١١١١ م) ، يكنى أبا جعفر : إمام المالكية في القيروان (٢)
- وقال ابن عبد البر : « كتب إلى .. بإجازة مارواه وألفه »
- ١٠٣ — عبد بن أحمد بن محمد الهروي يكنى أباذر (٣٥٦ — ٤٣٤ هـ) (٣)
- ١٠٤ — عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز المصري المعروف بابن النحاس يكنى أبا محمد (٣٢٣ — ٤١٦ هـ = ٩٣٤ — ١٠٢٥ م) . (٤)
- ١٠٥ — عبد الغنى بن سعيد بن علي بن بشر بن مروان الأزدي المصري يكنى أبا محمود (٣٢٣ — ٤٠٩ هـ = ٩٣٤ — ١٠١٨ م) (٥) كتب له مجيزا من مصر .
- ١٠٦ — عبد الله بن الحسن بن جهضم بن سعيد الهمداني أبو الحسن كتب إليه في مكة يجيزه . (٦)
- ١٠٧ — عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطي البغدادي المكي يكنى أبا القاسم . (٧)

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي : ١ / ٥٠ ، العبر في أخبار من عبر : للذهبي ٣ / ٥٧ ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : للسيوطي : ١ / ٣٧١ . والشذرات : ٣ / ١٤٤ .

(٢) الديباج : ١ / ١٦٥ ، شجرة النور : ١١٠ ، فهرسة ابن خير : ٤٤٠ .

(٣) شجرة النور : ١١٤ ، الديباج : ٢ / ١٣٢ ، العقد الثمين : ٥ / ٥٣٩ .

(٤) سير أعلام النبلاء : نخ دار الكتب : ق ١٨٢ والعبر : ٣ / ٨٠ ، الشذرات : ٣ / ٢٠٤ ، معجم المؤلفين : ٥ / ١٦٢ .

(٥) تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٤٧ ، حسن المحاضرة : ١ / ٣٥٣ ، الشذرات : ٣ / ١٨٨ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٤٣٩ .

(٧) الصلة : ٦٧٧ ، وفهرسة ابن خير : ٢٨٦ .

ملحق (٤) تلاميذ ابن عبد البر

— الألف — *

- ١ — إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عمر بن أسود الغساني يكنى أبا إسحق . من أهل القرية مات نحو الخمسمائة . (١)
- ٢ — إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث الصوفي يكنى : أبا الحسن من أهل طليطلة . (٢)
- ٣ — إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري . يكنى أبا إسحق . (٣)
- ٤ — أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي . يكنى أبا جعفر ، أجاز ابن عبد البر . (٤)
- ٥ — أحمد بن سعيد الكاتب . يكنى أبا القاسم (ت ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) . (٥)
- ٦ — أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد . يكنى : أبا الوليد أجاز له ابن عبد البر (٤٣٢ — ٥٢٠ هـ = ١٠٤٠ — ١١٢٦ م) . (٦)
- ٧ — أحمد بن عمر بن الفضل بن عميرة . (٧)
- ٨ — أحمد بن محمد بن رزق الأموي القرطبي يكنى أبا جعفر (ت ٤٦٩ هـ = ١٠٧٦ م) . (٨)
- ٩ — أحمد بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز بن محمد بن حامد بن رجاء

* رُتبت أبنائهم على حروف المعجم .

(١) التكملة : لابن الأبار : ١ / ١٣٩ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ١٣٧ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ١٤٠ .

(٤) الصلة لابن بشكوال : ٧٦ .

(٥) التكملة : ١ / ٢٥ .

(٦) الصلة : ٧٧ ، البغية : للضبي : ١٨٧ ، الغنية : للقاضي عياض : ورقة ٥٦ .

(٧) نفس المصدر : ٦٥ .

(٨) الصلة : ٦٥ ، الديباج المذهب : لابن فرحون : ١ / ١٨٢ ، شجرة النور الزكية : لمحمد بن مخلوف :

١٢١ .

بن شباكر بن خطاب بن نافع بن عبد العزيز التجيبي .
يكنى : أبا بكر (٤٥٩ — ٥١١ هـ = ١٠٦٦ — ١١١٧ م) ، وأجاز به ابن
عبد البر . (١)

١٠ — إسماعيل بن أحمد بن جبرون أبا القاسم . (٢)
١١ — إصبع بن محمد بن إصبع الأزدي يكنى أبا القاسم (٤٤٥ — ٥٠٥ هـ =
١٠٥٣ — ١١١١ م) . (٣)

— الجيم —

١٢ — جعفر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن جحاف الماعري يكنى : أبا
أحمد . (٤)

— الحاء —

١٣ — الحسن بن عمر بن الحسن الهوزني . يكنى أبا القاسم وأجاز به ابن عبد البر
(٤٣٥ — ٥١٢ هـ = ١٠٤٣ — ١١١٨ م) . (٥)

١٤ — حسين بن محمد بن أحمد الغساني يكنى أبا علي المعروف بالجواني
(٤٢٧ — ٤٩٨ هـ = ١٠٣٥ — ١١٠٤ م) . (٦)

١٥ — حسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفى : يكنى : أبا علي المعروف بابن
سكرة السرقسطي (٤٥٢ — ٥١٤ هـ = ١٠٦٠ — ١١٢٠ م)

(١) التكملة : لابن الأبار : ٣٠ / ١ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ١٨٠ .

(٣) الصلة : لابن بشكوال : ١٠٩ .

(٤) التكملة : لابن الأبار : ١ / ٣٩ .

(٥) الصلة : ١٣٩ .

(٦) الصلة : ١٤٢ ، البغية : للضبي : ٢٦٥ ، الديباج المذهب : لابن فرحون : ١ / ٣٣٢ ، شجرة النور
الذكية : ١٢٣ ، انظر : الغنية : ورقة ٧٧ — ٧٨ .

(٧) الصلة : ١٤٤ ، البغية : ٢٦٩ ، والديباج : ٣٣٠ ، نفح الطيب : ٢ / ٩٠ .

— الخاء —

١٦ — خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد المقرئ بن الحصّار الخطيب المعروف بابن النحاس (٤٢٧ — ٥١١ هـ = ١٠٣٥ — ١١١٧ م) وأجاز له ابن عبد البر .^(١)

١٧ — خلف بن أحمد بن داود الصدفى : يكنى : أبا القاسم (ت ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م) .^(٢)

١٨ — خلف بن خلف بن محمد بن سعيد بن إسماعيل بن يوسف الأنصارى يكنى أبا القاسم . يعرف بابن الأنقر العربى (٤٣٤ — ٥١٩ هـ = ١٠٤٢ — ١١٢٥ م) .^(٣)

١٩ — خلف بن عبد الله بن سعيد بن عباس بن مدير الأزدي يكنى أبا القاسم . (٤٩٥ هـ = ١١٠١ م) .^(٤)

٢٠ — خليف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله العبدري . يكنى : أبا الحسن وكان من المختصين بابن عبد البر (ت ٥١٣ هـ = ١١١٩ م) .^(٥)

— السين —

٢١ — سفيان بن العاصى بن أحمد بن سفيان بن عيسى بن عبد الكبير بن سعيد الأسدى . يكنى : أبا بجر (٤٤٠ — ٥٢٠ هـ = ١٠٤٨ — ١١٢٦ م) .^(٦)

(١) الصلة : لابن بشكوال : ١٧٤ ، البغية : للضبي : ٢٨٩ ، وانظر : الغنية : القاضى عياض : ورقة ٨٣ — ٨٤ .

(٢) التكملة : لابن الأبار : ١ / ٢٩٨ الحلل السندسية : شبيب أرسلان ٣ / ٨٣ .

(٣) التكملة : ١ / ٣٠٠ ، الغنية : ورقة ٨٤ .

(٤) الصلة : ١٧٣ .

(٥) الصلة : ١٨٠ ، الغنية : ٢٩١ ، البغية : ورقة ٨٥ .

(٦) الصلة : لابن بشكوال : ٢٣٠ ، البغية : للضبي : ٣٠٤ الحلل السندسية : شبيب أرسلان : ٣ / ٣٩ ، الغنية للقاضى عياض ورقة : ١٢١ .

وقال ولد فى (٣٤٩) وتوفى فى (٥١٦ هـ) .

- ٢٢ — سليمان بن حسين بن يوسف الأنصارى يكنى أبا مروان .^(١)
- ٢٣ — سليمان الشاطبي المعروف بالبيغي .^(٢)
- ٢٤ — سليمان بن منخل النفري . يكنى : أبا الربيع (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م) .^(٣)
- ٢٥ — سليمان بن أبي القاسم نجاح ; يكنى : أبا داود المقرئ مولى هشام المؤيد وشيخ الإقراء ومسند القراء (٤١٣ — ٤٩٦ هـ = ١٠٢٢ — ١١٠٢ م) .^(٤)

— الطاء —

- ٢٦ — طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري يكنى : أبا الحسن (٤٢٧ — ٣٨٤ هـ = ١٠٣٥ — ١٠٩١ م) .
- روى عن ابن عبد البر واختص به وهو أثبت الناس فيه .^(٥)

— العين —

- ٢٧ — عامر بن عبد الله بن خلف التجيبي^(٦)
- ٢٨ — أبو العباس المقرئ^(٧)
- ٢٩ — عبد الجبار بن عبد الله بن سليمان بن سيد بن أبي قحافة الأنصارى يكنى

(١) التكملة : لابن الأبار القسم الثالث : مخطوط لوحة ٧٠ .

(٢) الحلل السندسية : شكيب أرسلان : ٣ / ٢٨٣ ، الغنية : ورقة ١٢٥ .

(٣) الحلل السندسية : ١ / ٢٥٦ ، الصلة لابن بشكوال : ٢٠٠ .

(٤) الصلة لابن بشكوال : ٢٠٣ ، البغية : ٣٠٣ ، الحلل : ١ / ٣٩ ، المعجم : لابن الأبار : ٣٠٢ ، معرفة القراء الكبار : للذهبي : ١ / ٣٦٤ .

(٥) الصلة : ٢٤٠ ، البغية : ٣٢٧ ، الحلل : ١ / ٢٥٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبي : ٤ / ١٢٢٢ ، وعنده الولادة (سنة ٤٢٩ هـ) .

(٦) التكملة : لابن الأبار : قسم ٣ / لوحة ٨٩ مخطوطة بمعهد المخطوطات .

(٧) نفس المصدر : قسم ٣ / لوحة ٩٠ .

أبا محمد . (١)

(٢)

٣٠ — عبد الدائم بن مروان بن جبر اللغوى المقرئ . يكنى أبا القاسم من الغرباء .

٣١ — عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبي تليد . يكنى أبا المطرف (ت
٤٧٤ هـ ١٠٨١ م) روى كثيرا عن ابن عبد البر . (٣)

٣٢ — عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمى المقرئ السرقسطى يعرف بابن
الوراق . يكنى أبا المطرف (٤٤٢ — ٥٢٢ هـ = ١٠٥٠ — ١١٢٨ م) (٤)

٣٣ — عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ثابت الأموى الخطيب الشاطبى . روى كثيرا
عن ابن عبد البر (٤٤٦ — ٥٠٩ هـ = ١٠٥٤ — ١١١٥ م) (٥)

٣٤ — عبد الرحمن بن عبد الله بن معين الكلبي . يكنى أبا زيد . (٦)

٣٥ — عبد الرحمن بن على . (٧)

٣٦ — عبد الرحمن بن محمد العبسى يكنى : أبا محمد . يعرف : بابن الطوج (ت
٥٠٧ هـ ١١١٣ م) . (٨)

من أصحاب ابن عبد البر المتحققين به .

٣٧ — عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن . يكنى أبا محمد (٤٣٠ —
٥٢٠ هـ ١٠٣٨ — ١١٢٦ م) . (٩)

(١) الفيلة : لأبى شكوان : ٣٧٩ .

(٢) نفس المصدر : ٣٩٣ .

(٣) نفس المصدر : ٣٤١ ، الحلل السادسة : ٢ / ٢٥٩ .

(٤) الفيلة لأبى شكوان : ٣٥١ ، المعية : للقاصى عباس : ورقة : ٩٧ .

(٥) نفس المصدر : ٣٤٦ ، الحلل السادسة : ٢ / ٢٥٩ .

(٦) التكملة : لأبى الأبار . قسم ٣ / لوحة ٣ ، الحلل السادسة : ٣ / ١٥٩ .

(٧) التكملة : لأبى الأبار : قسم ٣ / لوحة ٤ مخطوط بمعهد المخطوطات .

(٨) الفيلة : لأبى شكوان : ٣٤٥ ، التكملة : لأبى الأبار : قسم ٣ / لوحة ٤ مخطوط بمعهد المخطوطات .

(٩) الفيلة : ٣٤٨ ، المعية : للقاصى . ٣٥٧ ، شجرة النور الدلية : ١٢٩ ، الديهاج المذهب : لأبى فرحون :

١ / ٤٧٩ ، المعية : للقاصى . ٩٢ ، ٩٣

- ٣٨ — عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن . يكنى أبا زيد . يعرف : بابن الحشا
سمع من أبي عمر في دانية كثيرا (ت ٤٧٣ هـ = ١٠٨٠ م) . (١)
- ٣٩ — عبد الصمد بن موسى بن هذيل بن محمد بن تاجيت البكري يكنى : أبا
جعفر (٤٣٣ — ٤٩٥ هـ = ١٠٤١ — ١١٠١ م) . (٢)
- ٤٠ — عبد العزيز بن عبد الله بن الغازي . يكنى أبا الإصبع . (٣)
- ٤١ — عبد العزيز بن محمد بن سعد أبلنسي . يكنى : أبا بكر يعرف بابن
القدوة . (ت ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م) . (٤)
- ٤٢ — عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع المقرئ من المرية يكنى : أبا الحسن (ت
٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) . (٥)
- ٤٣ — عبد الله بن أحمد بن سعدون . يكنى أبا العباس . (٦)
- ٤٤ — عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج بن محمد بن إسماعيل بن الحارث
اللخمي الأشبيلي . يكنى أبا محمد (٤٠٧ — ٤٧٨ هـ = ١٠١٦ —
١٠٨٥ م) . (٧)
- ٤٥ — عبد الله بن حيّان بن فرحون بن تميم بن عبد الله بن موسى بن مالك بن
حمدون بن حيّان الأروشي . يكنى أبا محمد (٤٠٩ — ٤٨٧ هـ = ١٠١٨ —
١٠٩٤ م) سكن بلنسية وسمع من أبي عمر كثيرا . (٨)

(١) الصلة : ٣٤٠ .

(٢) الصلة : ٣٧٦ .

(٣) نفس المصدر : ٣٧٢ ، الحلل السندسية : ٣ / ٢٦٠ .

(٤) نفس المصدر : ٣٧١ ، البغية : ٣٨٣ ، الحلل السندسية : ٣ / ٩٠ ، ٢٠٥ .

(٥) الصلة : ٣٧٣ ، البغية : ٣٨٦ ، معرفة القراء الكبار : للذهبي : ١ / ٣٨١ .

(٦) التكملة : لابن الأبار : ٢ / ٨٠٧ ، الحلل السندسية : ٣ / ١٩٠ .

(٧) الصلة : ٢٨٤ .

(٨) الصلة : لابن بشكوال : ٢٨٨ ، البغية : للضبي : ٣٤٣ ، الحلل السندسية : لشكيب أرسلان : ٣

ولكانت له همة في اقتناء الكتب وجمعها، وذكر ابن علقمة في تاريخه أن ابن ذنون صاحب بلنسية أخذ كتب الأروشي عن داره وسبقت إلى قصره وذلك مائة عدل وثلاثة وأربعون عدلا في أعدل الحمالين يقدر كل عدل بعشرة أرباع وقيل إنه كان قد أخفى منها نحو الثلث .

٤٦ — عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعى . يعرف بابن خيرون .^(١)

٤٧ — عبد الله بن عبد الرحمن بن معافى يكنى : أبا محمد (٣٩٥ — ٤٥٤ هـ = ١٠٠٤ — ١٠٦٢ م)^(٢)

٤٨ — عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى — يكنى أبا عبيد (ت ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) . أجاز له ابن عبد البر .^(٣)

٤٩ — عبد الله بن على بن أحمد اللخمى . يكنى : أبا محمد (ت ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م) سبط ابن عبد البر وقد أجاز له (٤٦٢ هـ = ١٠٦٩ م) .^(٤)

٥٠ — عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبى الطليطلى . يكنى : أبا محمد يعرف : بابن العسال . (ت ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م)^(٥)

٥١ — عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربى المعافى الإشبلى : يكنى : أبا محمد والد القاضى أبو بكر بن العربى أجاز له ابن عبد البر (٤٣٥ — ٤٩٣ هـ = ١٠٤٣ — ١٠٩٩ م)^(٦)

٥٢ — عبد الله بن محمد بن سندور بن متنيل بن مروان التجيبى .^(٧)

(١) التكملة : لابن الأبار : ٢ / ٨١٢ ، الحلل السندسية : ٣ / ٤١ .

(٢) الصلة : ٢٧٧ ، الحلل السندسية : ٣ / ٢٥٨ .

(٣) الصلة : ٢٨٧ .

(٤) التكملة : ٢ / ٨٢١ ، البغية : ٣٤٩ .

(٥) الصلة : ٢٨٥ .

(٦) الصلة : ٢٨٨ ، البغية : ٣٣٧ .

(٧) التكملة : ٢ / ٨٠٨ .

٥٣ — عبد الله بن محمد بن يوسف بن خَلَصَه المعافى الاشيلي . يكنى : أبا محمد .^(١)

٥٤ — عبد الله بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافى : يكنى أبا محمد (ت ٤٧٥ هـ = ١٠٨٢ م) .^(٢)

٥٥ — عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الثمري يكنى : أبا محمد : (ت ٤٥٨ هـ = ١٠٦٥ م) .^(٣)

٥٦ — عبيد بن علي بن عبيد الأزدي السوسي (ت ٤٦١ هـ = ١٠٦٨ م) من القيروان رحل إلى أبي عمر فسمع منه كثيرا .^(٤)

٥٧ — عبيد الله بن أحمد بن ميمون الخرومي . يكنى أبا مروان .^(٥)

٥٨ — علي بن إبراهيم بن فتح . يكنى : أبا الحسن . يعرف بابن الإمام .^(٦)

٥٩ — علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي يكنى : أبا محمد (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م) .^(٧)

٦٠ — علي بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري يكنى : أبا الحسن .^(٨)

٦١ — علي بن عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري الشاطبي المقرئ . يكنى : أبا الحسن يعرف بابن الروشي (ت ٤٩٦ هـ = ١١٠٢ م) .^(٩)

(١) الحلل السندسية : ٣ / ٢٦٢ .

(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٢٨٤ ، الحلل السندسية لشكيب أرسلان : ٣ / ٢٩٥ .

(٣) الصلة : ٢٧٩ ، البغية : للضبي : ٣٥٤ ، الذخيرة لابن بسام : ٣ : ١ / ١٢٥ ، قلائد العقيان : للفتح ابن خاقان : ١٨٨ ، إعتاب الكتاب لابن الأبار : ٢٢١ .

(٤) الصلة : ٤٤٤ .

(٥) التكملة : لابن الأبار : ٢ / ٩٢٩ .

(٦) الصلة : ٥٦٢ .

(٧) الصلة : ٤١٥ ، البغية : ٤١٥ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ — ٣٠٠ .

(٨) التكملة : قسم ٣ لوحة ٥٥ / ترتيب المدارك : لعياض : ٤ / ٨٠٩ ، سير أعلام النبلاء (مخطوط) : ١١ : ٢ / ١٨٣ .

(٩) الصلة : ٤٢٢ ، البغية : ٤٢٤ ، الحلل السندسية ٣ : ٢٦٠ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ٦٥ .

٦٢ — علي بن عبد الله بن محمد بن موهب الجذامي . يكنى : أبا الحسن يعرف بابن الزقاق (٤٤١ — ٥٣٢ هـ = ١٠٤٩ — ١١٣٧ م) . أجاز له ابن عبد البر ^(١) .

٦٣ — علي بن المنذر بن المنذر بن علي الكتاني : يكنى : أبا الحسن (ت ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م) . ^(٢)

٦٤ — عيسى بن سهل الأسدي القرطبي : يكنى أبا الإصبع (٤١٣ — ٤٨٦ هـ = ١٠٢٢ — ١٠٩٣ م) . ^(٣)

— الغين —

٦٥ — غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤف بن تمام بن عبد الله بن تمام المحاربي (٤٤١ — ٥١٨ هـ = ١٠٤٩ — ١١٢٤ م) . ^(٤)

— الفاء —

٦٦ — أبو الفوارس بن محمد بن أبي عاصم يعرف بالقوارجي ^(٥)

— الميم —

٦٧ — محمد بن إبراهيم بن قاسم البكري . يكنى أبا عبد الله أجاز له أبو عمر ^(٦) .

٦٨ — محمد بن أحمد بن عون بن محمد بن عون المعافري يكنى : أبا عبد الله (٤٤٠ — ٥١٢ هـ = ١٠٤٨ — ١١١٨ م) أجاز له أبو عمر ^(٧) .

(١) الصلة : ٤٢٦ ، النسخة : ٤٢٣ شذرات الذهب :

(٢) الصلة : لابن شكوال : ٤٢١ .

(٣) شجرة النور الزكية : محمد بن مخلوف : ٢٢ .

(٤) الصلة : ٤٥٧ ، الإحاطة في أخبار غرناطة : لاس المخطوط : ٤ / ٢٣٨ .

(٥) الكمال : ذيل الآثار : قسم ٣ / لوحة ١٠٠ مخطوط بمعهد المخطوطات .

(٦) الصلة : ٥٦٢ .

(٧) نفس المصدر : ٥٧١ .

٦٩ — محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن إسحاق بن عبد الله بن إسحاق بن مهلب : يكنى : أبا جعفر . روى عنه بدانية سنة (٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م) توفي سنة (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م) . (١)

٧٠ — محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يونس بن حبيب بن إسماعيل الأنصاري يكنى : أبا عبد الله (ت ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م) . (٢)

٧١ — محمد بن أيمن بن خالد بن أيمن الأنصاري . (٣)

٧٢ — محمد بن عبد الله بن سعيد المأموني . (٤)

٧٣ — محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد البشكلازي . (٥)

٧٤ — محمد بن عبيد الله بن عبد البر بن ربيعة . (٦)

٧٥ — محمد بن عتيق بن محمد بن أبي نصر التميمي القيرواني المعروف بابن كُذّية (ت ٥١٢ هـ = ١١١٨ م) . (٧)

٧٦ — محمد بن علي بن عبدالعزيز بن أحمد الثعلبي ، يكنى : أبا عبد الله ، قاضي الجماعة بقرطبة (٤٣٩ — ٥٠٨ هـ = ١٠٤٧ — ١١١٤ م) . أجاز له ابن عبد البر . (٨)

٧٧ — محمد بن فتوح بن علي بن وليد بن محمد بن علي الأنصاري . يكنى : أبا عبد الله (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م) . (٩)

(١) التكملة : ١ / ٣٩٠ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٣٩٧ ، نفح الطيب : للمقرئ : ٢ / ١٥٣ .

(٣) التكملة : لأن الأبار : ١ / ٤٠٠ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٤٠٦ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٤١٨ .

(٦) نفس المصدر : ١ / ٤٠٣ .

(٧) فوات الوفيات : لابن شاکر الکتبی : ٣ / ٤٢٩ ، معرفة القراء الکبار : للذهبي : ١ / ٣٧٩ .

(٨) الصلة : ٥٧٠ ، الحلل السندسية : لشکيب أرسلان : ٣ / ٩٥ ، الغنية : لعباس : ١٥ مخطوط ، واسمه

عند عباس محمد بن عبد العزيز بن حمد بن التعلبي .

(٩) الصلة : ٥٦٥ .

- ٧٨ — محمد بن كثير القرشي الخزومي من شذونة . يكنى : أبا حاتم (ت
٥٥٣ هـ = ١١٣٥ م) .^(١)
- ٧٩ — محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (٤٢٠ —
٤٤٨ هـ = ١٠٢٩ — ١٠٩٥ م) .^(٢)
- ٨٠ — محمد بن يوسف بن علي بن خلصة المعافري . يكنى أبا عبد الله .^(٣)
- ٨١ — مروان بن محمد بن عبد العزيز التجيبي .^(٤)
- ٨٢ — مصعب بن عبد الله بن أبي الفرات القرشي العبدري الصقلي .^(٥)
- ٨٣ — مطرف بن ياسين . يكنى : أبا عبد الرحمن (ت ٤٨١ هـ
١٠٨٨ م) .^(٦)
- ٨٤ — مفرج بن الحراز . يكنى : أبا الخليل (ت ٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م) .^(٧)
- ٨٥ — موصل بن أحمد بن موصل (ت ٤٨٠ هـ = ١٠٧٨ م) .^(٨)
- ٨٦ — موسى بن عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبي تليد أبو عمران روى
عن أبي عمر كثيرا (٤٤٤ — ٥١٧ هـ = ١٠٥٢ — ١١٢٣ م) .^(٩)

— الياء —

- ٨٧ — يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . يكنى أبا أسامة (٤٠٠ —

(١) نفس المصدر : ٥٥٣ .

(٢) الصلة : ٥٦٠ ، البغية : للضبي : ١٢٣ ، وفيات الأعيان : لابن خلكان : ٣ / ٤١٠ ونمع العلب :
للمقرئ : ١١٢ / ٢ .

(٣) التكملة : ١ / ٤٠٤ ، الحلل السندسية : ٣ / ٢٦ .

(٤) التكملة : ٢ / ٦٩٣ ، الحلل السندسية : ٣ / ١٨٧ .

(٥) فوات الوفيات : لابن شاکر الكشي : ٤ / ١٤٤ .

(٦) الصلة : لابن بشكوال : ٦٢٢ .

(٧) الصلة : ٦٢٠ .

(٨) نفس المصدر : ٦٣١ .

(٩) نفس المصدر : ٦١٠ ، الغنية : للقاضي عياض : ورقة ١٥ .

٥٠٣ هـ = ١٠٠٩ - ١١٠٩ م) روى عن أبي عمر أجازته .^(١)

٨٨ — يوسف بن عبد الله بن خيرون القضاعى . يكنى : أبا عمر .^(٢)

٨٩ — يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عديس الأنصارى يكنى : أبا الحجاج (ت ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م) أخذ كثيرا عن ابن عبد البر .^(٣)

٩٠ — يونس بن أحمد بن يونس الأزدي . يكنى أبا الوليد يعرف بابن شوقة (ت ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م) .^(٤)

— كتاب النساء —

٩١ — زينب بنت يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر وهى بنت ابن عبد البر روت عنه كل تواليفه .^(٥)

٩٢ — طونة بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع تكنى : أم حبيبة (٣٤٧ هـ — ٥٠٦ = ١٠٤٥ = ١١١٢ م)^(٦) أخذت عنه كثيرا فى كتبه وتواليفه .



(١) نفس المصدر : ٦٨٩ .

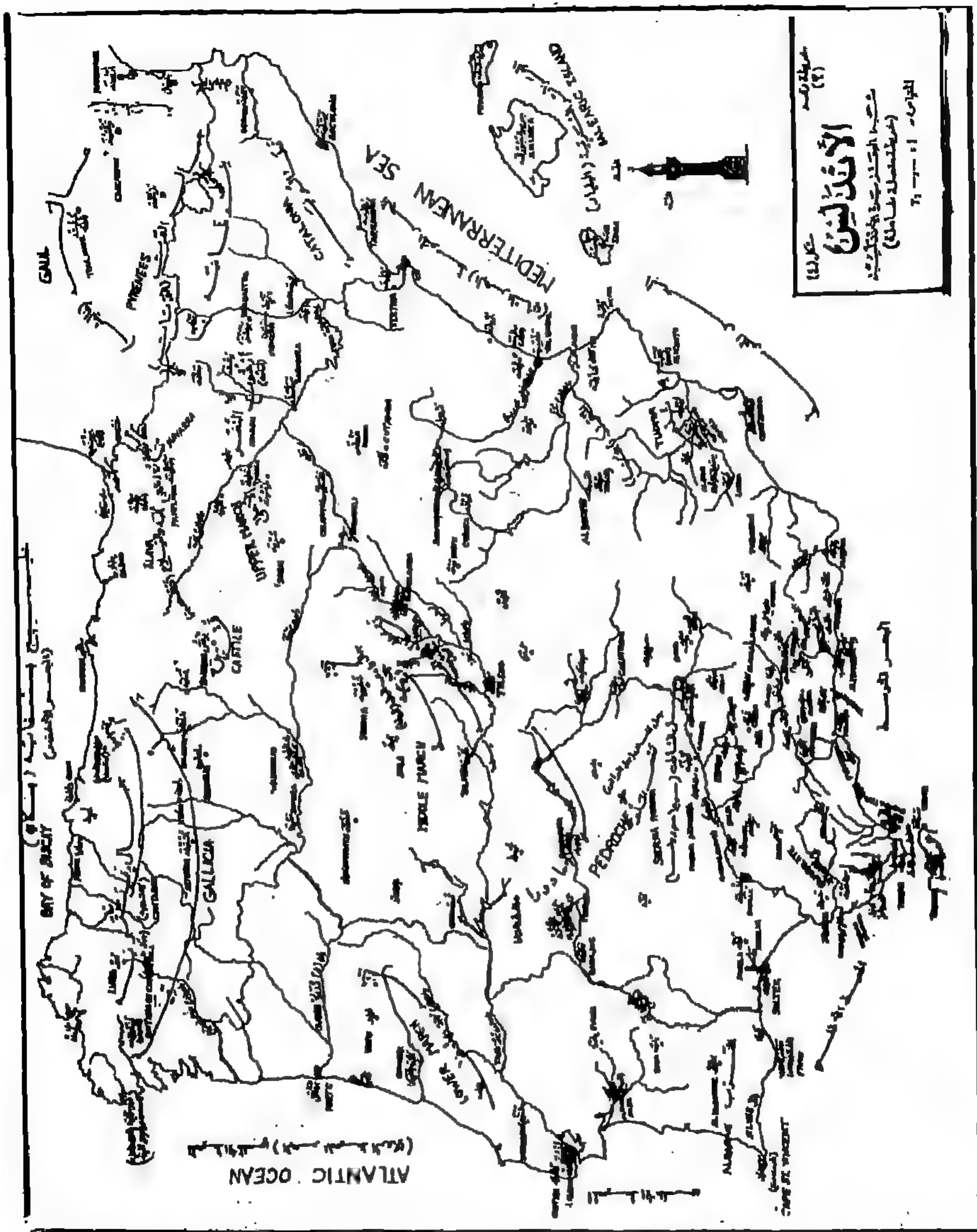
(٢) الصلة : ٦٧٧ ، الحلل السندسية : ٢٢١ / ٣ .

(٣) نفس المصدر : ٦٨١ ، البقية : للضبي : ٤٩١ ، الحلل السندسية : ٢٤٣ / ٣ .

(٤) نفس المصدر : ٦٨٧ .

(٥) التكملة : لابن الأبار : قسم ٤ لوحة ١٥٤ مخطوط بمعهد المخطوطات .

(٦) الصلة : لابن بشكوال : ٦٩٦ ، التكملة : لابن الأبار : قسم ٣ لوحة ١٥٤ مخطوط بمعهد المخطوطات لم يصنف بعد .



مملكة إسبانيا
(1911)
الأندلس
مملكة الأندلس (الأندلس)
(أندلس)

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التعريف بأهم المصادر والمراجع	٩
الباب الأول	
الأحوال العامة في عصر ابن عبد البر	
أولا : الأحوال السياسية	١٧
الصراع على السلطة بعد المستنصر	١٨
الرؤوس المتساوية	٢٢
المنصور بن أبي عامر ومقدمات الاستيلاء	٢٤
استقرار الأمر للمنصور	٢٦
المنصور يكسر شوكة النصارى	٢٧
الاستقرار الداخلى في ظل المنصور	٢٧
المنصور بن أبي عامر الوجه الآخر	٢٨
عبد الملك المظفر يخلف أباه	٢٩
محاولة متأخرة	٣١
العامريون ودور الأفول	٣١
بداية النهاية	٣٣
الفتنة القرطبية وسقوط الخلافة	٣٥
الطوفان	٣٥
استيلاء ابن عبد الجبار على السلطة	٣٧
البربر وبيعة سليمان بن الحكم	٣٨
مساومة	٣٩

الموضوع	الصفحة
فشل مناورة	٤٠
سليمان المستعين وخلافته الأولى	٤٠
ابن عبد الجبار وتحالفه مع النصارى	٤٠
واضح الفتى والانتقام	٤٢
هشام المؤيد وفشل الممارسة	٤٣
الجلوة الثانية لسليمان المستعين	٤٣
الحموديون والسلطة	٤٥
الخلافة بين البقاء والضياع	٤٨
محاولات إعادة الخلافة	٤٨
محاولات قرطبية	٥٠
سحب الثقة عن الأمويين	٥٢
عصر الطوائف	٥٤
انتشار العقد	٥٤
العصبيات الحاكمة	٥٥
أولا : الأندلسيون	٥٥
ثانيا : الصقالبة	٥٨
ثالثا : البربر	٥٨
عصر الطوائف أهم المظاهر	٦١
أولا : التسابق على بسط النفوذ والحروب التوسعية	٦١
ثانيا : الاستعانة بالممالك النصرانية	٦٢
ثالثا : فقدان الشرعية لقيام دول الطوائف	٦٣
رابعا : النكسة النفسية للشعب الأندلسى	٦٦
خامسا : صحوة الأمة والدعوة إلى التوحد	٦٧
— طائفة الخير باقية	٧٠
— ثمرات الصحوة	٧٢
ثانيا : الحركة العلمية والثقافية في عصر ابن عبد البر	٧٦

الموضوع	الصفحة
ثقافة العصر في القرن الرابع الهجرى	٧٦
بنو عامر والحركة العلمية	٧٨
الثقافة وأعصار الفتنة في القرن الخامس الهجرى	٧٩
السمات الثقافية لعصر الطوائف	٨٠
التنقل والارتحال	٨٠
تعدد المراكز الثقافية	٨١
عوامل النمو الثقافى فى الأندلس فى القرن الرابع والخامس الهجريين	٨٢
أولا : رحلة العلماء المشاركة وغيرهم إلى الأندلس	٨٢
ثانيا : الرحلة من الأندلس إلى المشرق	٨٤
ثالثا : حرية الحياة العلمية	٨٤
رابعا : تشجيع الخلفاء لأهل العلم ومظاهره	٨٦
ظاهرة الاهتمام بجمع الكتب وانتشار المكتبات	٨٦
الأسر العلمية	٨٨
ثالثا : الأحوال الاقتصادية والعمرانية فى عصر ابن عبد البر	٩٠
الزراعة	٩٠
الصناعة والمعادن	٩٢
الحركة العمرانية	٩٣

الباب الثانى

حياة ابن عبد البر وثقافته ومكانته

الفصل الأول : حياة ابن عبد البر	٩٩
مدخل	١٠١
ولادته	١٠١
أصله ونسبه وكنيته	١٠٤
وفاته	١٠٥

١٠٧ الفصل الثاني : أسرة ابن عبد البر ونشأته ودراساته الأولى
١٠٩ أسرة ابن عبد البر : جده ، والده
١١٣ نشأة ابن عبد البر ودراساته الأولى
١١٣ مرحلة التعليم الأول
١١٥ مرحلة التعليم الثاني
١١٥ زواجه
١١٦ أولاده
١٢٠ أحفاده
١٢٥ الفصل الثالث : شيوخه وتلاميذه وأقرانه
١٢٧ المبحث الأول : شيوخ ابن عبد البر
١٢٨ تعريف بشيوخ ابن عبد البر
١٢٨ أولا : أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الباجي
١٣٠ ثانيا : أحمد بن عبد الملك بن هاشم الأشبيلي
١٣٢ ثالثا : خلف بن القاسم بن سهل الأسدي
 رابعا : عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي
١٣٣ المعروف بابن القرضي
١٣٦ خامسا : عبد الوارث بن سفيان بن جبرون
١٤٠ المبحث الثاني : تلاميذ ابن عبد البر
١٤١ تعريف بتلاميذ ابن عبد البر
١٤١ أولا : حسين بن محمد بن أحمد الغساني الجبلي
١٤٤ ثانيا : عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن
١٤٦ ثالثا : طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز بن عبد الله المعافري
١٤٧ رابعا : ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي
١٥٠ خامسا : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث : أقرانه ومعاصروه	١٥٣
تعريف بأقران ابن عبد البر	١٥٣
أولا : إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي	١٥٣
ثانيا : أبو عمران موسى بن عيسى بن حاج الغنجمي	١٥٥
ثالثا : سليمان بن خلف بن سعد التجيبي أبو الوليد الباجي	١٥٧
الفصل الرابع : رحلات ابن عبد البر وثقافته ومكانته	١٦٣
المبحث الأول : رحلات ابن عبد البر	١٦٥
الرحلة وأثرها في وحدة العالم الإسلامي الفكرية	١٦٥
الرحلة العلمية في الأندلس	١٦٦
رحلات ابن عبد البر	١٦٨
الرحلة الأولى : بعد انتشار العقد	١٦٩
الرحلة الثانية : من إشبيلية إلى دائية	١٧٢
الرحلة الثالثة : عود إلى غرب الأندلس	١٧٣
الرحلة الرابعة : من بطليوس إلى مروج بلنسية	١٧٦
الرحلة الخامسة : نهاية المطاف في شاطبة	١٧٦
المبحث الثاني : ثقافة ابن عبد البر ومكانته	١٨٠
الروافد العامة للثقافة الأندلسية	١٨٠
روافد ثقافة ابن عبد البر	١٨٠
أماكن دراسة ابن عبد البر	١٨٦
جوانب أخرى من ثقافته	١٩١
مكاتب ابن عبد البر وثناء العلماء عليه	١٩١
علاقته بحكام زمانه	١٩٤
وظائفه	١٩٥
الفصل الخامس : مؤلفات ابن عبد البر وآثاره	١٩٧
ابن عبد البر المصنف واثاره	١٩٩

الموضوع	الصفحة
أولا : علم القراءات	٢٠١
ثانيا : الحديث وعلومه	٢٠٣
مشاركة ابن عبد البر في هذا العلم -	٢٠٤
أهم مؤلفات ابن عبد البر في هذا العلم	٢٠٥
— أ : المطبوع منها	٢٠٥
— ب : المخطوط من كتب الحديث	٢١٣
— ج : الكتب التي في حكم المفقود	٢١٤
ثالثا : مؤلفاته في الفقه وما يتعلق به	٢١٥
— أ : الكتب المطبوعة	٢١٥
— ب : الكتب المخطوطة	٢٢٠
— ج : الكتب التي في حكم المفقود	٢٢١
رابعا : مؤلفاته في التاريخ وما يتعلق به	٢٢٣
— أ : الكتب المطبوعة	٢٢٣
— ب : الكتب المخطوطة	٢٢٣
— ج : الكتب التي في حكم المفقود	٢٢٥
خامسا : مؤلفاته في الأدب والثقافة العامة	٢٢٨
— أ : الكتب المطبوعة	٢٢٨
— ب : الكتب المخطوطة	٢٣٢
— ج : الكتب التي في حكم المفقود	٢٣٣

الباب الثالث

إطار البحث التاريخي عند ابن عبد البر

مدخل	٢٣٧
الفصل الأول : السيرة النبوية	٢٣٩
أهمية تدوين السيرة النبوية ودراستها	٢٤١
المصادر الأولى للسيرة ونشأتها	٢٤١

الموضوع	الصفحة
السيرة ومؤلفاتها في الأندلس	٢٥٠
ابن عبد البر والتأليف في السيرة النبوية	٢٦٠
كتاب الدرر في المغازي والسير	٢٦١
تنظيم الكتاب ومحتوياته	٢٦١
مصادر كتاب الدرر	٢٦٦
منهج ابن عبد البر في كتاب الدرر	٢٧١
أهمية كتاب الدرر	٢٧٢
الفصل الثاني : مؤلفات ابن عبد البر في علم الرجال والتراجم والأنساب	٢٧٥
مقدمة في نشأة كتب علم الرجال والتراجم وأهميتها	٢٧٧
مشاركة ابن عبد البر بالتأليف في علم الرجال والتراجم والأنساب	٢٨١
المبحث الأول : تراجم الصحابة	٢٨٤
من هم الصحابة	٢٨٤
كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب	٢٨٧
منهج ابن عبد البر في الاستيعاب	٢٨٨
أولا : توزيع مادة الكتاب	٢٨٨
ثانيا : عناصر الترجمة	٢٩١
ثالثا : أهم المصادر التي اعتمد عليها	٢٩٣
رابعا : التأكيد على الجانب التاريخي	٢٩٧
ملاحظات على النسخ المطبوعة	٣٠٠
الزيادات في عدد التراجم	٣٠١
نماذج من الزيادات في النسخ المطبوعة	٣٠٤
المبحث الثاني : تراجم الفقهاء	٣٠٧
أهمية تراجم الفقهاء من الناحية التاريخية	٣٠٧
مشاركة ابن عبد البر في هذا النوع من التأليف	٣٠٨
أولا : تراجم الفقهاء الأندلسيين	٣٠٨
١ - كتاب تاريخ شيوخ ابن عبد البر	٣٠٩

الموضوع	الصفحة
٢ — كتاب المنذر بن سعيد البلوطي وأخباره	٣١٣
تراجم الفقهاء من غير الأندلسيين	٣١٥
١ — كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء	٣١٧
— ترتيب الكتاب	٣١٨
— مادة الكتاب	٣١٩
— منهجه في الكتاب	٣٢١
٢ — كتاب التعريف بجماعة من فقهاء المالكية	٣٢٣
— محتويات الكتاب	٣٢٣
— منهجه في الكتاب	٣٢٥
المبحث الثالث : الأنساب	٣٢٦
مدخل لنشأة هذا اللون من التأليف وأهميته	٣٢٦
مشاركة ابن عبد البر في هذا المضمار	٣٢٩
أولا : كتاب الإنباه على قبائل الرواه	٣٣١
— منهجه	٣٣١
— مصادره	٣٣١
ثانيا : القصد والأهم في التعريف بأصول العرب والعجم ومن أول من تكلم باللغة العربية من الأمم	٣٣٥
— ترتيب محتويات الكتاب	٣٣٦
— منهج ابن عبد البر في القصد والأهم	٣٣٨
— عناية المستشرقين بالقصد والأهم	٣٤٠

الباب الرابع

ابن عبد البر في الميزان

الفصل الأول : روافد ثقافة ابن عبد البر التاريخية	٣٤٥
أولا : الروافد العامة : القرآن — كتب الحديث — كتب الفقه —	
كتب الأدب — كتب الزهد والرقائق	٣٤٧

الموضوع	الصفحة
ثانيا : الروافد التخصصية	٣٥٣
أ — موارد في السيرة النبوية	٣٥٤
ب — موارد في علم الرجال والتراجم والأنساب	٣٥٦
ج — موارد في التاريخ العام ومايلحق به	٣٥٧
الاستيعاب النوعي للموارد	٣٥٩
طرائق الإحالة إلى الموارد	٣٦١
الفصل الثاني : ابن عبد البر المؤرخ	٣٦٣
توطئة	٣٦٥
أولا : رتبة علم التاريخ عند ابن عبد البر وفائدته	٣٦٥
١ — فوائد تعليمية	٣٦٧
٢ — فوائد تربوية	٣٦٨
ثانيا : الالتزام عند ابن عبد البر	٣٦٩
ثالثا : نقد الخبر عند المسلمين	٣٧٢
أ — بدايات النقد عند المسلمين	٣٧٢
ب — منهج النقد عند المسلمين	٣٧٦
نقد السند	٣٧٦
مفهوم نقد السند بين المسلمين والأوربيين	٣٨٢
نقد المتن	٣٨٤
مفهوم نقد المتن بين المسلمين والأوربيين	٣٩١
رابعا : منهج النقد عند ابن عبد البر	٣٩٢
النقد الخارجى — الإسناد والمصدر — عند ابن عبد البر	٣٩٢
النقد الداخلى — المتن — عند ابن عبد البر	٣٩٦
الأمثلة	٣٩٨
خامسا : اهتمامه بالجانب التاريخى في علم الرجال	٤٠٠
سادسا : أثر ثقافته الموسوعية في أسلوب كتابته التاريخية	٤٠٥
١ — الاهتمام بالإسناد	٤٠٥

الموضوع	الصفحة
٢ — ذكر الأحكام الفقهية	٤٠٧
٣ — الاستشهاد بالشعر في الخبر التاريخي	٤٠٨
سابعاً : مدرسة ابن عبد البر التاريخية	٤٠٩
ثامناً : أثره فيمن بعده من الناحية التاريخية	٤١٠
أ — أثره في مؤلفي السيرة النبوية	٤١١
١ — أثره في ابن حزم	٤١١
٢ — أثره في ابن سيد الناس	٤١٤
أثره في مؤلفي كتب الصحابة وعلم الرجال والبراهين	٤١٧
١ — أثره في ابن الأثير	٤١٧
٢ — أثره في ابن حجر العسقلاني	٤١٨
٣ — أثره في الصالحى	٤٢٠
تاسعاً : نقد العلماء لابن عبد البر	٤٢١
آراء ابن عبد البر التاريخية	٤٢٢
موقفه من قضية المفاضلة بين الصحابة	٤٢٢
تدوين ما شجر بين الصحابة	٤٢٧
ابن عبد البر وتدوين ما شجر بين الصحابة	٤٢٩
مالابن عبد البر وما عليه	٤٣٢
الخاتمة	٤٣٣
ثبت المصادر والمراجع	٤٣٧
الملاحق	٤٦٣
الملحق (١) موارد ابن عبد البر التاريخية	٤٦٥
الملحق (٢) نماذج نقول من موارد ابن عبد البر التاريخية	٤٧٨
الملحق (٣) شيوخ ابن عبد البر	٤٩٥
الملحق (٤) تلاميذ ابن عبد البر	٥٠٨

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٢٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكسى : DWFA UN ٢٤٠٠٤

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٤٦ / ٨٦

الترقيم الدولي ١ - ٦٢ - ١٤٢٠ - ٩٧٧

صادر الوقاء للطباعة والنشر والتوزيع - ش.م.م. - القاهرة

التوزيع : شارع البحر أمام كلية الطب . ت : ٢٤٧٤٢٣
المطابع : شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب - عسرة الوقاء
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠ - تلکس : ٢٤٠٠٤ DWFAUN

